

نفس الحامد السعدي

المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الفقه الزين الكندي

تأليف القاضي القضاة الإمام
أبي السعود محمد بن محمد العامري
المتوفى سنة ٩٥١ هجرية

الجزء الأول

الناشر
دار احياء التراث العربي
بيروت - لبنان

٢٠ - سورة طه

(مكية وآياتها مائة وخمس وثلاثون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ٢٠

طه ١

(سورة طه مكية إلا آيتي ١٣٠ و ١٣١ فدينيتان وآياتها ١٣٥)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (طه) نغمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الأصل والطاء وحده أبو عمرو وورش لاستعلائه وأما لها الباؤون وهو من الفواتح التي يصدر بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يارجل وهو مروي عن ابن عباس رضى الله عنها والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي إلا أنه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة عكا وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا إن صح فعل أصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذام من هذا وما استشهد به من قول الشاعر [إن السفاهة طه في خلافتكم] لا قدس الله أخلاق الملاعين [ليس بنص في ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز أن يكون الأصل طاها بصيغة الأمر من الوطه فقلبت الهمزة في يطا ألفا لانتفاع ما قبلها كما في قول من قال لا هناك المرتع وما ضمير الأرض على أنه خطاب لرسول الله ﷺ بأن يطا الأرض بقدميه لما كان يقوم في تهجد على إحدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن ياباه كتابتهما على صورة الحرف كما تأتي التفسير بيارجل فإن الكتابة على صور الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه إما على أن أصله طا فقلبت همزته هاء كما في أمثال هرق أو قلبت الهمزة في يطا ألفا كما مر ثم بنى منه الأمر وألحق به هاء السكت وإما على أنه اكتفى في التلفظ بشطرى الاسمين وأقبا مقامهما في الدلالة على المسميين فكأنهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول من قال أو اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنها باسمهما وإلا فالشطران لم يذكر من حيث إنها مسميان لاسميهما ليقعا معبرا عنها بل من حيث إنها جزءان لها قد اكتفى بذكرهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ بأنفسهما لاسميهما بأن يراد بضمير التثنية في الموضعين الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزءان للاسمين ويراد باسمهما الشطران من حيث هما قائمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفى في التلفظ بشطرى الكلمتين أى الاسمين فعبر عنهما أى عن الشطرين من حيث هما مسميان بهما من حيث هما قائمان مقام الاسمين وأما حمله على معنى أنه اكتفى في الكتابة بشطرى الكلمتين يعنى طا على تقديرى كونه أمرا وكونه حرف نداموها على تقديرى كونها كناية عن الأرض وكونها حرف تنبيه وعدل عن ذنبك الشطرين في التلفظ باسميهما فبين البطلان كيف وطاوها على ما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الأول

مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَنْ لِقَشَى ﴿٢٠﴾

طه ٢٠

إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَنْ يَخْشَى ﴿٢١﴾

طه ٢٠

أمر أو حرف نداء والثاني ضمير الأرض أو حرف تنبيه على أن كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم كما مر فالحق ما سلف من أنها من الفوائج إما مسرودة على نمط التعديد بأحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الإعراب وكذا ما بعدهما من قوله تعالى (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) فإنه استئناف مسوق لتسليته ﷺ عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فإن الشقاء شائع في ذلك المعنى ومنه أشقى من راقض مهر أى ما أنزلناه عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقابلة العتاة ومحاوراة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم به والتحسر على أن يؤمنوا بكقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك إن لم يؤمنوا به بعد ذلك أو لصرفه ﷺ عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة في العبادة كما يروى أنه ﷺ كان يقوم بالليل حتى ترم قدماه فقال له جبريل عليه السلام أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً أى ما أنزلناه عليك لتتعب بنهك نفسك وحملها على الرياضات الشاقة والشدائد الفادحة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة وقيل إن أبا جهل والنضر ابن الحرث قال لا رسول الله ﷺ إنك شقى حيث تركت دين آبائك وأن القرآن نزل عليك لتشقى به فرد ذلك بأننا ما أنزلناه عليك لما قالوا والاول هو الأنسب كما يشهد به الاستثناء الآتى هذا وإما اسم للقرآن محله الرفع على أنه مبتدأ وما بعده خبره والقرآن ظاهر أوقع موقع العائد إلى المبتدأ كأنه قيل القرآن ما أنزلناه عليك لتشقى أو النصب على إضمار فعل القسم أو الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز أن يكون اسم للسورة أيضاً بخلاف الوجه الأول فإنه لا يتسنى على ذلك التقدير لكن لا لأن المبتدأ يبقى حينئذ بلا هامة ولا قائم مقامه فإن القرآن صادق على الصورة لاحتمال إما بطريق الاتحاد بأن يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض أو باعتبار الاندراج إن أريد به الكل بل لأن نفي كون إنزاله للشقاء يستدعى سبق وقوع الشقاء مترتباً على إنزاله قطعاً إما بحسب الحقيقة كما لو أريد به معنى التعب أو بحسب زعم الكفرة كما لو أريد به ضد السعادة ولا ريب في أن ذلك إنما يتصور في إنزال ما أنزل من قبل وأما إنزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه حتى يتصدى لنفيه عنه أما باعتبار الاتحاد فظاهر وأما باعتبار الاندراج فلأن ما له أن يقال هذه السورة ما أنزلنا القرآن المحتمل عليها لتشقى ولا يخفى أن جعلها مخبراً عنها مع أنه لا دخل لإنزالها في الشقاء السابق أصلاً مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل وقوله تعالى (إلا تذكرة) نصب على أنه مفعول له لا أنزلنا لكن لا من حيث إنه معلل بالشقاء على معنى ٣ ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بتبليغه إلا تذكرة الآية كقولك ما ضربتك للتأديب إلا إشفاقاً لما أنه يجب في أمثاله أن يكون بين العلتين ملازمة بالسببية والمسببية حتماً كما في المثال المذكور وفي قولك ما شافهتك بالسوء لتأذى إلا زجراً لغيرك فإن التأديب في الأول مسبب عن الإشفاق والتأذى في الثاني سبب لزجر

٢٠ طه

تَنْزِيلًا يَمَنَّ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿١٠﴾

٢٠ طه

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿١١﴾

الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة من التنافي ولا يجدى أن يراد به التعب في الجملة المجامع للتذكرة لظهور أن لا ملاسة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية وإنما يتصور ذلك أن لوقيل مكان إلا تذكرة إلا تكثير الثوابك فإن الأجر بقدر التعب ولا من حيث إنه بدل من محل لتشي كما في قوله تعالى ما فعلوه إلا قليل لو جوب المجانسة بين البدلين وقد عرفت حالهما بل من حيث إنه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع كأنه قيل ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه • ولكن تذكرة (لمن يخشى) وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلن أى لمن من شأنه أن يخشى الله عز وعا ويتأثر بالإنذار لركة قلبه واين عريكته أو لمن علم الله تعالى أنه يخشى بالتخويف ٤ وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لأنهم المنتفعون بها وقوله تعالى (تنزيلا) مصدر مؤكد لمضمر مستأنف مقرر لما قبله أى نزل تنزيلا أو لما تفيد الجملة الاستثنائية فإنها متضمنة لأن يقال أنزلناه للتذكرة والأول هو الأنسب بما بعده من الالتفات أو منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية أى يخشى تنزيلا من الله تعالى وأنت خير بأن تعليق الحشية والخوف ونظائرهما بمطلق التنزيل غير مهم ودنعم قد يعلق ذلك ببعض أجزاء المشتبهة على الوعيد ونظائره كما في قوله تعالى يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على أنه مفعول له لأنزلنا إذ لا يعمل الشيء بنفسه ولا بنوعه بل على أنه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف في عليك أو من القرآن ولا مساع له إلا بأن يكون قيداً لأنزلنا بعد تقييده بالقيد الأول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرىء تنزيل على أنه خبر لمبتدأ محذوف ومن في قوله تعالى (عن خلق الأرض والسموات العلى) متملقة بتنزيلا أو بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية ونسبة التنزيل إلى الموصول بطريق الالتفات إلى الغيبة بعد نسبته إلى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الأفعال والصفات إثرياً بها بحسب الذات بطريق الإهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقها بالذكر مع أن المراد خلقها بجميع ما يتعلق بها كما يفصح عنه قوله تعالى له ما في السموات وما في الأرض الآية لإصالتها واستباعتها للماعداهما وتقديم الأرض لكونه أقرب إلى الحس وأظهر عنده ووصف السموات بالعلو وهو جمع العليا تأنيث الأعلى لنا كيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك إلى قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شأن المنزل عز وجل المستتب لتعظيم شأن المنزل الداعى إلى تربية المهابة وإدخال الروعة المؤدية إلى استئزال المنمردين عن رتبة العتو والطفبان واستمالهم نحو الحشية المفضية إلى التذكرة والإيمان (الرحمن) رفع على المدح أى هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة أن المرفوع مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله وإن لم يكن تابعا له في الإعراب ولذلك التزموا حذف المبتدأ ليكون في صورة متعلق من

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ط ٢٠

وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى ط ٢٠

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ط ٢٠

متعلقاته وقد قرىء بالجر على أنه صفة صريحة للوصول وما قبل من أن الأسماء الناقصة لا يوصف منها إلا الذي وحده مذهب الكوفيين وأياً ما كان فوصفه بالرحمانية إثر وصفه بخالقية السموات والأرض للإشعار بأن خلقهما من آثار رحمته تعالى كما أن قوله تعالى رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن الإيدان بأن ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه إشارة إلى أن تنزيل القرآن أيضاً من أحكام رحمته تعالى كما ينفي عنه قوله تعالى الرحمن علم القرآن أو رفع على الابتداء واللام للعمد والإشارة إلى الموصول والخبر قوله تعالى (على العرش استوى) وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شأنه أن يكون معلوم الثبوت للموضوع عند مخاطب الإيدان بأن ذلك أمر بين لا سترة به غنى عن الإخبار به صريحاً وعلى متعلقة باستوى قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الأول خبر مبتدأ محذوف كما في قراءة الجوز وقد جوز أن يكون خبراً بعد خبر والاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وإن لم يقعد على السرير أصلاً والمراد بيان تعلق إرادته الشريفة بإيجاد الكائنات وتدير أمرها وقوله تعالى (له ما في السموات وما في الأرض) ٦ سواء كان ذلك بالجزئية منها أو بالكلية فيها (وما بينهما) من الموجودات الكائنة في الجو دائماً كالهواء والسحاب أو أكثرها كالطير أي له وحده دون غيره لا شريك ولا استقلالاً كل ما ذكر ملكاً وتصرفاً وإحياء وإلانة وإيجاداً وإعداماً (وما تحت الثرى) أي ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الأرض لزبادة التقرير روى عن محمد بن كعب أنه ماتحت الأرضين السبع وعن السدي أن الثرى هو الهخرة التي عليها الأرض السابعة (وإن تجهر بالقول) بيان لإحاطة علمه تعالى بجميع الأشياء إثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات أي وإن تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم أنه تعالى غنى عن جهرك (فإنه يعلم السر وأخفى) أي ما أسررت به إلى غيرك وشيئاً أخفى من ذلك وهو ما أخطرت به بالك من غير أن تنفوه به أصلاً أو ما أسررت به لنفسك وأخفى منه وهو ما سترته فيما سيأتي وتكثيره المباعدة في الخفاء وهذا إيماناً من الجهر بك قوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول وإما إرشاد للعباد إلى أن الجهر ليس لإسماعه سبحانه بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجوار وقوله تعالى (الله) خبر مبتدأ ٨ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان أن ما ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق أي ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى (لا إله إلا هو) تحقيق للحق وتصریح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الألوهية به سبحانه فإن ما أسند إليه تعالى من خلق جميع الموجودات

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾

طه ٢٠

إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ

طه ٢٠

هُدَى ﴿١٠﴾

والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل بما يقتضيه اقتضاء بينا قوله تعالى (له الأسماء الحسنى) بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية أسمائه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى فإنه روى أن المشرّكين حين سمعوا النبي ﷺ يقول يا الله بارحمنا قالوا إنها أن نعبد إلهين وهو يدعو لها آخر والحسنى تأنيث الأحسن بوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كما رب أخرى وآياتنا الكبرى (وهل أتاك حديث موسى) استئناف مسوق لتقرير أمر التوحيد الذي إليه ينتهي مساق الحديث وبيان أنه أمر مستمر فيما بين الأنبياء كإبراهيم عليه السلام حيث قيل له إني أنا الله لا إله إلا أنا وبه ختم عليه الصلاة والسلام مقالته حيث قال إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وأما ما قيل من أن ذلك لتزغيب النبي ﷺ في الالتساء بموسى عليه الصلاة والسلام في تحمل أعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ أحكام الرسالة فيأباه أن مساق النظم الكريم لصرفه عليه الصلاة والسلام عن اقتحام المشاق وقوله تعالى (إذ رأى نارا) ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر أي حين رأى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم أي اذكر وقت رؤيته نارا روى أنه عليه الصلاة والسلام استأذن شعبياً علمها الصلاة والسلام في الخروج إلى أمه وأخيه فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافي وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو في ذلك إذ رأى نارا على يسار الطريق من جانب الطور (فقال لأهله امكثوا) أي أقيموا مكانكم أمرهم عليه الصلاة والسلام بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه عليه الصلاة والسلام من الذهاب إلى النار كما هو المعتاد لئلا ينتقلوا إلى موضع آخر فإنه مما لا يخاطر بالبال والخطاب للبراة والولد والخدام وقيل لها وحدها والجمع إما لظاهر لفظ الأهل أو للتفخيم كما في قول من قال [وإن شئت حرمت النساء سواكم] (إني آنست نارا) أي أبصرتها إبصاراً بينا لا شبهة فيه وقيل الإيناس خاص بإبصار ما يؤنس به والجملة تعليل للأمر أو المأمور به (لعل آتيكم منها) أي أجيئكم من النار (بقبس) أي بشعلة مقتبسة من معظم النار وهي المرادة بالجدوة في سورة القصص وبالشهاب القبس (أو أجد على النار هدى) هادياً يدلني على الطريق على أنه مصدر سمي به الفاعل بالغة أو حذف منه المضاف أي ذا هداية أو على أنه إذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هادياً يهديني إلى أبواب الدين فإن أفكار الأبرار مغمورة بالهمة الدينية في عامة أحوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والأول هو الأظهر لأن مساق النظم الكريم لتسلياة أهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعل آتيكم بها بخير أو جدوة الآية وكلمة أو في الموضعين لمنع الخلط دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله

فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ يَمُوسَى ﴿١١﴾

طه ٢٠

إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

طه ٢٠

- تعالى على النار أن أهل النار يستعملون المكان القريب منها أولاً ثم عند الاصطلاح يكتنفونها قياماً وقعوداً فيشرفون عليها ولما كان الإتيان بهما مترقباً غير محقق الوقوع صدرا الجملة بكلمة التزجي وهي إما علة لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الأمر بالمكث والإخبار بإيئاس النار وتفادياً عن التصريح بما يوحشهم وإما حال من فاعله أى فأذهب إليها لا تيكم أو كي آتيكم أو راجياً أن آتيكم منها بقبس الآية وقدر تحقيق ذلك مفصلاً في تفسير قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (فلما أتاهما) أى النار التى أنسها قال ابن عباس رضى الله عنهما رأى شجرة خضراء أطافت بها من أسفلها ١١ إلى أعلاها نار بيضاء تنقد كضوء ما يكون فوق متعجباً من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها . قالوا النار أربعة أصناف صنف يأكل ولا يشرب وهي نار الدنيا وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الأخضر وصنف يأكل ويشرب وهي نار جهنم وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه الصلاة والسلام وقالوا أيضاً هي أربعة أنواع نوع له نور وإحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا إحراق وهي نار الأشجار ونوع له نور ولا إحراق وهي نار موسى عليه الصلاة والسلام ونوع له إحراق ولا نور وهي نار جهنم روى أن الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة (نودى ياموسى) أى نودى فقبل ياموسى (إنى أنا ربك) أو عومل النداء معاملة القول لكونه ضرباً منه وقرئ بالفتح أى بآنى وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة روى أنه لما نودى ياموسى قال عليه الصلاة والسلام من المتكلم فقال الله عز وجل أنا ربك فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله تعالى بآنى أسمعه من جميع الجهات بجميع الأعضاء قلت وذلك لأن سماع ما ليس من شأنه ذلك من الأعضاء ليس إلا من آثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه الصلاة والسلام كلام رب العزة تلقياً روحانياً ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة (فاخلع نعليك) أمر عليه الصلاة والسلام * بذلك لأن الحفوة أدخل في التواضع وحسن الأدب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادى بقدميه تبركا به وقيل لما أن نعليه كانا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الأهل والمال والفناء لترتيب الأمر على ما قبلها فإن ربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام من موجبات الأمر ودواعيه وقوله تعالى (إنك بالواد المقدس) تعليل لوجوب الخلع المأمور به وبيان * لسبب ورود الأمر بذلك من شرف البقعة وقد سها روى أنه عليه الصلاة والسلام خلعها وألقاها وراء الوادى (طوى) بضم الطاء غير منون وقرئ منونا بالكسر منونا وغير منون فن نونه أوله * بالمكان دون البقعة وقيل هو كثف من الطى مصدر لنودى أو المقدس أى نودى ندامين أو قدس مرة

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ طه ٢٠

إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ طه ٢٠

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ طه ٢٠

- ١٣ بعد أخرى (وأنا اخترتك) أي اصطفتيك للنبوّة والرسالة وقرىء. وإنا اخترناك بالفتح والكسر والفاء في قوله (فاستمع) لترتيب الأمر أو المأمور به على ما قبله فإن اختياره عليه السلام لما ذكر مر موجبات الاستماع والأمر به واللام في قوله تعالى (لما يوحى) متعلقة باستمع وما موصولة أو مصدرية أي فاستمع للذي يوحى إليك أو للوحى لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من أنه من باب التنازع وإعمال الأول فلا بد حينئذ من إعادة الضمير مع الثاني بل لأن قوله تعالى (إني أنا الله لا إله إلا أنا) بدل من ما يوحى ولا ريب في أن اختياره عليه الصلاة والسلام ليس لهذا الوحى فقط والفاء في قوله تعالى (فاعبدني) لترتيب المأمور به على ما قبله فإن اختصاص الألوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل (وأقم الصلاة) خصت الصلاة بالذكر وأفردت بالأمر مع اندراجها في الأمر بالعبادة لفضلها وإضافتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى (لذكرى) أي لذكرى فإن ذكرى كما ينبغي لا يتحقق إلا في ضمن العبادة والصلاة أولئك ذكرى فيها الاشتغالها على الذكر أولئك ذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى أو لإخلاص ذكرى وابتغاء وجهى لا ترائى بها ولا تقصدها غرضاً آخر أو لتكون ذا كراً لى غير ناس وقيل لذكرى إياها وأمرى بها فى الكتب أو لأن أذكرك بالمدح والثناء وقيل لأوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة أولئك صلاتى لما روى أنه ﷺ قال من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لأن الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكرى وقرىء.
- ١٤ لذكرى بألف التأنيث ولذكرى معرفاً ولذكرى بالتعريف والتذكير وقوله تعالى (إن الساعة آتية) تعليل لوجوب العبادة وإقامة الصلاة أى كائنة لا محالة وإنما عبر عن ذلك بالإتيان تحقيقاً لحصولها بإيرازها فى معرض أمر محقق متوجه نحو المخاطبين (أكاد أخفيها) أى لا أظهرها بأن أقول إنها آتية ولولا أن ما فى الإخبار بذلك من اللطف وقطع الأعذار لما فعلت أو أكاد أظهرها بإيقاعها من أخفائها إذا أظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاء بمعنى أظهره وقيل أخفاه من الأضداد يحى بمعنى الإظهار والستر وقوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) متعلق بآتية وما يبينها اعتراض أو بأخفيها على المعنى الأخير وما مصدرية أى لتجزى كل نفس بسعيها فى تحصيل ما ذكر من الأمور المأمور بها وتخصيصه فى معرض الغاية لإتيانها مع أنه الجزء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيها فيما ذكر أو تقاعداً عنه بالمرءة أو سعيها فى تحصيل ما يضافه للإبذان بأن المراد بالذات من إتيانها هو الإثابة بالعبادة وأما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبأن المأمور به فى قوة الوجوب والساعة فى شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس أن تسعى فى الامتثال بالأمر وتجد فى تحصيل ما ينجيها من الطاعات وحينئذ تحرز عن

طه ٢٠

فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾

طه ٢٠

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿١٧﴾

اقتراف ما يريها من المعاصي وعليه مدار الأمر في قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليلولكم أيكم أحسن عملاً فإن الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح أيضاً لا إلى الحسن والأحسن فقط قد علق بالآخرين لما ذكر من أن المقصود الأصلي من إبداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع إنما هو ظهور كمال إحسان المحسنين وإن ذلك لكونه على أنهم الوجوه الرائقة وأكمل الأعماء اللائقة بوجوب العمل بموجبه بحيث لا يجحد أحد عن سننه المستبين بل يمتد كل فرد إلى ما يرشد إليه من مطلق الإيمان والطاعة وإنما التفاوت بينهم في مراتبها بحسب القوة والضعف وأما الإعراض عن ذلك والوقوع في مهاوى الضلال فبمعزل من الوقوع فضلاً عن أن ينتظم في سلك النجاة لذلك الصنع البديع وإنما هو حمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له أو مسوغ هذا ويجوز أن يراد بالسمى مطلق العمل (فلا يصدنك عنها) أى عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل ١٦ عن تصديقها والأول هو الأليق بشأن موسى عليه الصلاة والسلام وإن كان النهى بطريق التوبيخ والإلهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى (من لا يؤمن بها) لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ماحقه التقديم إذا أخرج تبقى النفس مستشرقة له فيتمكن عند ورودها لها فضل تمكن ولأن في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للكافر عن صد موسى عليه الصلاة والسلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهى له عليه الصلاة والسلام عن الانصداد عنها على أبلغ وجه وآ كده فإن النهى عن أسباب الشىء ومبادئه المؤدية إليه نهى عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية من أصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمكم الخ فإن صد الكافر حيث كان سبباً لانصداده عليه الصلاة والسلام كان النهى عنه نهياً بأصله وموجبه وإبطالاً له بالكلية ويجوز أن يكون من باب النهى عن المسبب وإرادة النهى عن السبب على أن يراد نهيه عليه الصلاة والسلام عن إظهار لين الجانب للكفرة فإن ذلك سبب لصدده إياه عليه الصلاة والسلام كما في قوله لا أرينك هنا فإن المراد به نهى المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته (واتبع هواه) أى ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية (فتردى) أى فتهلك فإن الإغفال عنها وعن تحصيل ما ينتج عن أهوالها مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهى أو في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى فأنت تردى (وما تلك بيمينك يا موسى) شروع في ١٧ حكاية ما كلف به عليه الصلاة والسلام من الأمور المتعلقة بالخلق إثر حكاية ما أمر به من الشؤون الخاصة بنفسه فلا استفهامية في حين الرفع بالابتداء وتلك خبره أو بالعكس وهو أدخل بحسب المعنى وأوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا أى وما تلك قارة أو مأخوذة بيمينك والعامل معنى الإشارة كما في قوله عز وجل وهذا بعل شينخا وقيل تلك موصولة أى مالتى هى بيمينك وأياً ما كان فالاستفهام

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ طه ٢٠

قَالَ أَلْقَاهَا لِيُمْسِنَ ﴿١٩﴾ طه ٢٠

فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ طه ٢٠

قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ طه ٢٠

- ١٨ إيقاظ وتنبية له عليه الصلاة والسلام على ما سيبد له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبية (قال هي عصاى) نسبها إلى نفسه تحقيقاً لوجه كونها يمينه وتمهيداً لما يعقبه من الأفاعيل المنسوبة إليه عليه الصلاة والسلام وقرىء عصى على لغة هذيل (أنوكا عليها) أى اعتمد عليها عند الإعياء أو الوقوف على رأس القطيع (وأهش بها) أى أخطب بها الورق وأسقطه (على غنمى) وقرىء أهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الحزب يش إذا انكسر لهشاشته وقرىء بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعمل لتضمن معنى الإنحاء والإقبال أى أزجرها منحياً ومقبلاً عليها (ولى فيها مآرب أخرى) أى حاجات آخر من هذا الباب مثل ما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا سار ألقاها على عاتقة فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتها وألقى عليها الكساء واستظل به وإذا قصر الرشاء وصله بها وإذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها وقيل ومن جملة المآرب أنها كانت ذات شعبتين ومجنى فإذا طال الغصن حناه بالمجنى وإذا أراد كسره لواه بالشعبتين وكأنه عليه الصلاة والسلام فهم أن المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى إذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بدیعة علم أنها آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله تعالى وليس من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والإجمال على معنى أنها من جنس العصى مستتبعة لمنافع بنات جنسها إيطابق جوابه الغرض الذى فهمه من سؤال العليم الخبير (قال) استئناف مبنى على سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل فإذا قال عز وجل فقليل قال (ألقها يا موسى) ل ترى من شأنها ما لم يخطر ببالك من الأمور وتكرير النداء لتأكيد التنبية (فألقاها) على الأرض (فإذا هي حبة تسمى) روى أنه عليه الصلاة والسلام حين ألقاها انقلبت حبة صفراء فى غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجنان تارة وسميت ثعباناً أخرى وعبر عنها همنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من أول الأمر ثعباناً وهو الأليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فإذا هي ثعبان مبين وإنما شبهت بالجنان فى الجلادة وسرعة الحركة لا فى صفر الجثة وقوله تعالى تسمى إما صفة لحية أو خبر ثان عند من يجوز كونه جملة (قال) استئناف كما سبق (خذها ولا تخف) عن ابن عباس رضى الله عنها انقلبت ثعباناً ذكر أ يبتلع كل شئ من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خاف ونفرو ملكه ما يملك البشر عند مشاهدة الأهرال والمخاوف من الفزع والنفار وفى عطف النهى على الأمر إشعار بأن عدم المنهى عنه
- ١٩ العصى مستتبعة لمنافع بنات جنسها إيطابق جوابه الغرض الذى فهمه من سؤال العليم الخبير (قال) استئناف مبنى على سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل فإذا قال عز وجل فقليل قال (ألقها يا موسى) ل ترى من شأنها ما لم يخطر ببالك من الأمور وتكرير النداء لتأكيد التنبية (فألقاها) على الأرض (فإذا هي حبة تسمى) روى أنه عليه الصلاة والسلام حين ألقاها انقلبت حبة صفراء فى غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجنان تارة وسميت ثعباناً أخرى وعبر عنها همنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من أول الأمر ثعباناً وهو الأليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فإذا هي ثعبان مبين وإنما شبهت بالجنان فى الجلادة وسرعة الحركة لا فى صفر الجثة وقوله تعالى تسمى إما صفة لحية أو خبر ثان عند من يجوز كونه جملة (قال) استئناف كما سبق (خذها ولا تخف) عن ابن عباس رضى الله عنها انقلبت ثعباناً ذكر أ يبتلع كل شئ من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خاف ونفرو ملكه ما يملك البشر عند مشاهدة الأهرال والمخاوف من الفزع والنفار وفى عطف النهى على الأمر إشعار بأن عدم المنهى عنه
- ٢٠ من شأنها ما لم يخطر ببالك من الأمور وتكرير النداء لتأكيد التنبية (فألقاها) على الأرض (فإذا هي حبة تسمى) روى أنه عليه الصلاة والسلام حين ألقاها انقلبت حبة صفراء فى غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجنان تارة وسميت ثعباناً أخرى وعبر عنها همنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من أول الأمر ثعباناً وهو الأليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فإذا هي ثعبان مبين وإنما شبهت بالجنان فى الجلادة وسرعة الحركة لا فى صفر الجثة وقوله تعالى تسمى إما صفة لحية أو خبر ثان عند من يجوز كونه جملة (قال) استئناف كما سبق (خذها ولا تخف) عن ابن عباس رضى الله عنها انقلبت ثعباناً ذكر أ يبتلع كل شئ من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خاف ونفرو ملكه ما يملك البشر عند مشاهدة الأهرال والمخاوف من الفزع والنفار وفى عطف النهى على الأمر إشعار بأن عدم المنهى عنه
- ٢١ ثان عند من يجوز كونه جملة (قال) استئناف كما سبق (خذها ولا تخف) عن ابن عباس رضى الله عنها انقلبت ثعباناً ذكر أ يبتلع كل شئ من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خاف ونفرو ملكه ما يملك البشر عند مشاهدة الأهرال والمخاوف من الفزع والنفار وفى عطف النهى على الأمر إشعار بأن عدم المنهى عنه

وَأَصْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ طه ٢٠

لِنُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ طه ٢٠

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ طه ٢٠

- مقصود لذاته لا لتحقيق المأمور به فقط وقوله تعالى (سنعيدها سيرتها الأولى) مع كونه استثناء ماسوق لتعليل الامتثال بالأمر والنهي فإن إعادتها إلى ما كانت عليه من موجبات أخذها وعدم الخوف منها علة كريمة بإظهار معجزة أخرى على يده عليه الصلاة والسلام وإيدان بكونها مسخرة له عليه الصلاة والسلام ليكون على طمأنينة من أمره ولا يعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون أي سنعيدها بعد الأخذ إلى حالتها الأولى التي هي الهيئة العنصرية قيل بلغ عليه الصلاة والسلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف إلى حيث كان يدخل يده في فمها ويأخذ بلحيمها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار أي إلى سيرتها أو على أن أجاد منقول من عاده بمعنى عاد إليه أو على الظرفية أي سنعيدها في طريقها أو على تقدير فعلها وإيقاعها حالا من المفعول أي سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها الأولى أي سائرة سيرتها الأولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل (واصم يديك إلى جناحك) أمر عليه الصلاة والسلام ٢٢ بذلك بعد ما أخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت أي أدخلها تحت عضدك فإن جناحي الإنسان جنباه كما أن جناحي العسكر ناحيته مستعار من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لأنه يجنحهما أي يميلها عند الطيران وقوله تعالى (تخرج) جواب الأمر وقوله تعالى (بيضاء) حال من الضمير فيه وقوله تعالى (من غير سوء) متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء أي كائنة من غير عيب وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لما أن الطبائع أعافه وتفر عنه روى أنه عليه الصلاة والسلام كان آدم فأخرج يده من مدر عته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس أغشى البصر (آية أخرى) أي معجزة أخرى غير العصا وانتصابها على الحالية إما من الضمير في تخرج على أنها بدل من الحال الأولى وإما من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ أو دونك وقوله تعالى (لنريك من آياتنا الكبرى) متعلق بمضمر ينساق إليه النظم الكريم كأنه قيل فعلنا ما فعلنا من الأمر والإظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على أن الكبرى صفة لا ياتنا ونريك بذلك من آياتنا ما هي كبرى على أن الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول وأيا ما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعاً وإما تعلقه بما دل عليه آية أي دللنا بها لنريك الخ أو بقوله تعالى واصم أو بقوله تخرج أو بما قدر من نحو خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فيؤدى إلى عراه آية العصا عن وصف الكبير فتدبر (أذهب إلى فرعون) تخلص إلى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة فصل عما قبله من الأمر وإيداناً بأصاليته أي أذهب إليه بما رأيت من الآيات الكبرى وادعه إلى عبادتي وحذره نعتي وقوله تعالى (إنه طغى) تعليل الأمر أو لوجوب المأمور به أي جاوز الحد في التكبر والعنوت والتجبر حتى تجاسر على

- ٢٥ طه قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾
 ٢٥ طه وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾
 ٢٥ طه وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٢٧﴾
 ٢٥ طه يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾

- ٢٥ العظيمة التي هي دعوى الربوبية (قال) استئناف مبني على سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قبل فإذا قال عليه الصلاة والسلام حين أمر بهذا الأمر الخطير والخطب العسير فقبل قال مستعيناً بربه عز وجل
- ٢٦ (رب اشرح لي صدري) (ويسر لي أمري) لما أمر بما أمر به من الخطب الجليل تضرع إلى ربه عز وجل وأظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطق لساني وسأله تعالى أن يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عالياً بشؤون الحق وأحوال الخلق حليماً محولاً يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجاش راط وأز يسهل عليه مع ذلك أمره الذي هو أجل الأمور وأعظم أو أصعب الخطوب وأهولها بتوفيق الأسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تأكيداً لطالب الشرح والتيسير بإيهام المشروح والميسر أولاً وتفسيرهما ثانياً وفي تقديمها وتكريرها لإظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولها له واختصاصها به
- ٢٧ به (واحلل عقدة من لساني) روى أنه كان في لسانه عليه الصلاة والسلام رتة من جرة أدخلها فاه في صغره وذلك أن فرعون حمله ذات يوم فأخذ لحيته ينتفها لما كان فيها من الجواهر ففضب وأمر بقتله فقالت آسية إنه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فأحضرا بين يديه فأخذ الجرة فوضعها في فيه قيسل واحترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال إلى أي رب تدعوني قال إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكما لها فن قال به تمسك بقوله تعالى قد أوتيت سؤالك ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو أفصح مني وقوله تعالى ولا يكاد يبين وأجاب عن الأول بأنه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الإفهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لسان أي عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله تعالى (يفقهوا قولي) جواب الأمر وغرضاً من الدعاء فبطلها في الجملة بتحقيق إيتاء سؤاله عليه الصلاة والسلام والحق أن ما ذكر لا يدل على بقائها في الجملة أما قوله تعالى هو أفصح مني فلا نه عليه الصلاة والسلام قاله استدعاءً للحل كما استعرفه على أن أفصحيته منه عليها الصلاة والسلام لا استدعى بقاءها أصلاً بل استدعى عدم البقاء لما أن الأفصحية توجب ثبوت أصل الفصاحة في المفضول أيضاً وذلك منافع للعقدة رأساً وأما قوله تعالى ولا يكاد يبين فن باب غلو العين في العتو والطغيان وإلادل على عدم زوالها أصلاً وتذكيرها لما يفيد قلة ما في نفسها لا قلنا باعتبار كونها بعضاً من الكثير وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لسانني بمحدوف هو صفة لها ليس بمقطوع به بل الظاهر تعلّقها بنفس الفعل فإن المحلول إذا كان

ط ٢٠	وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾
ط ٢٠	هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾
ط ٢٠	أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾
ط ٢٠	وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾
ط ٢٠	كَي نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾
ط ٢٠	وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾

متعلقاً بشيء ومتصلاً به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشيء أيضاً باعتبار إزالته عنه أو ابتداء حصوله منه (واجعل لي وزيراً من أهلي) (هرون أخى) أى موازراً يعاوننى فى تحمل أعباء ما كلفته على أن ٢٩ ٣٠ اشتقاقه من الوزر الذى هو الثقل أو ملجأ أعنصم برأيه على أنه من الوزر وهو الملجأ وقيل أصله أزر من الأزر بمعنى القوة فاعل كالعشير والجلس قلبت همزته واوأكفلها فى موازر ونصبه على أنه مفعول ثان لاجعل قدم على الأول الذى هو قوله تعالى هرون اعتناه بشأن الوزارة ولى صلة للجعل أو متعلق بمحذوف هو حال من وزيراً إذ هو صفة له فى الأصل ومن أهلى إما صفة لوزيراً أو صلة لا جعل وقيل مفعول لاهلى وزيراً وهرون عطف بيان للوزير ومن أهلى كما مر من الوجهين وأخى فى الوجهين بدل من هرون أو عطف بيان آخر وقيل هما وزيراً من أهلى ولى تبين كما فى قوله تعالى ولم يكن له كفواً أحد ورد بأن شرط المفعولين فى باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية ولا مساخ للجعل وزيراً مبتدأ ويخبر عنه بما بعده (أشدد به أزرى) (وأشركه فى أمرى) كلاهما على صيغة الدعاء أى أحكم به قوتى واجعله ٣٢ شريكى فى أمر الرسالة حتى نتعاون على أدائها كما ينبغى وفصل الأول عن الدعاء السابق اكمال الاتصال بينهما فإن شد الأزر عبارة عن جعله وزيراً وأما الإشراف فى الأمر فحيث كان من أحكام الوزارة توسط بينهما العاطف (كى نسبحك كثيراً) (ونذكرك كثيراً) غاية للأدعية الثلاثة الأخيرة فإن فعل فيها كل ٣٣ ٣٤ واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرأ لفعل الآخر ومضاعفاً له بسبب انضمامه إليه مكثر له فى نفسه أيضاً بسبب تقويته وتأنيده إذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منها بالقلب أو فى الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل ما يكون منها فى تضاعيف أداء الرسالة ودعوة المردة العتاة إلى الحق وذلك مما لا ريب فى اختلاف حاله فى حالى التعدد والانفراد فإن كلا منهما يصدر عنه بتأييد الآخر من إظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه مثله فى حال الانفراد وكثيراً فى الموضوعين نعت لمصدر محذوف أو زمان محذوف أى ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والأفعال التى من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فتنه الباغية من ادعاء الشركة فى الألوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجلال والجلال تنزيهاً

طه ٢٠

إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

طه ٢٠

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾

طه ٢٠

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾

طه ٢٠

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَكَ مَا يُوْحَىٰ ﴿٣٨﴾

كثيراً أو زماناً كثيراً من جملته زمان دعوة فرعون وأوان الحاجة معه وأما ما قيل من أن المعنى كى فصل لك كثيراً ونحمدك ونثني عليك فلا يساعده المقام (إنك كنت بنا بصيراً) أى عالماً بأحوالنا وبأن مادعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من إقامة مراسم الرسالة وبأن هرون نعم الردء في أداء ما أمرت به والباء متعلقة ببصير أقدمت عليه لمراعاة الفواصل (قال قد أوتيت سؤالك) أى أعطيت سؤالك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول والإيتاء عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام البتة وتقديره إياها حتماً فكلها حاصلة له عليه السلام وإن كان وقوع بعضها بالفعل مترقباً بعد كتييسر الأمر وشد الأزر وباعتباره قيل سنشد عضدك بأخيك وقوله تعالى ﴿٣٧﴾ (يا موسى) تشریف له عليه السلام بشرف الخطاب إثر تشریفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى (ولقد مننا عليك) كلام مستأنف يسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطین نفس موسى عليه السلام بالقبول ببيان أنه تعالى حيث أنعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع أولى وأخرى وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك أى وبالله لقد أنعمنا (مرة أخرى) أى في وقت غير هذا الوقت لا أن ذلك مؤخر عن هذا فإن أخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة في الأصل اسم المرور الواحد ثم أطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت أو لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من أفراد ماله أفراد متعددة متعددة فصار علماً في ذلك حتى جعل معياراً لما في معناه من سائر الأشياء فقبل هذا بناء المرة وبقرّب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها هنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ماسياتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى (إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى) ظرف لمننا والمراد بالإيحاء إما الإيحاء على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى وإذ أوحيت إلى الحواريين الآية وإما الإيحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما أوحى إلى مريم وإما الإلهام كافي قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل وإما الإرادة في المنام والمراد بما يوحى ماسياتي من الأمر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر أبهم أو لانهو يلا له وتفخيماً لشأنه ثم فسر ليكون أقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغي أن يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم إلا بالوحي وفيه إنه لا يلائم المعنيين الأخيرين للوحي إذ لا تفخيم لشأنه في أن يكون مما لا يعلم إلا بالإلهام أو بالإرادة في المنام .

أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي الْتَابُوتِ فَأَقْذِفِهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ طه ٢٠

إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَّىٰ ﴿٤٠﴾ طه ٢٠

- وأن في قوله تعالى (أن اقذفه في التابوت) مفسرة لأن الوحي من باب القول أو مصدرية حذف منها ٣٩ الباء أي بأن اقذفه ومعنى القذف ههنا الوضع وأما في قوله تعالى (فاقذفه في اليم) فالإلقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فإذا خفت عليه فالقيه في اليم لا القذف بلا تابوت (فليلقه اليم بالساحل) لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمراً واجب الوقوع لتعلق الإرادة الربانية به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمر بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر والضائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وإن كان هو التابوت أصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تابعاً له في ذلك (يأخذه عدو لي وعدو له) جواب للأمر بالإلقاء وتكرير العدو للبالغه والتصرييح بالأمر والإشعار بأن عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي إلى المحبة فإن الأمر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بأن هناك لطفاً خفياً مندرجاً تحت قهر صوري وقيل الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجرى ماؤه إلى نهر فرعون لما روى أنها جعلت في التابوت قطعاً ووضعته فيه ثم قيرته وألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر صغير فدفعه الماء إليه فأتى به إلى بركة في البستان وكان فرعون جالساً معه مع آسية بنت مزاحم فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجهاً فأحبه عدو الله حباً شديداً لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى (وألقيت عليك محبة مني) كناية من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الإضافية أي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك أحبك عدو الله وآله وقيل هي متعلقة بالقيت أي أحبيتك ومن أحبه الله تعالى أحبه القلوب لا محالة وقوله تعالى (ولتصنع على عيني) متعلق بالقيت معطوف على علة له مضمرة أي ليتعطف عليك ولتربي بالحنو والشفقة بما أبقيت وحفظي أو بمضمر مؤخر هو عبارة عما قبله من الإلقاء المحبة والجملة مبتدأة أي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الأمر بسكون اللام وكسر ها وقرئ بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك على عين مني ثلاثاً يخالف به عن أمرى (إذ تمشي أختك) ظرف لتصنع على أن المراد به وقت وقع فيه مشياً إلى بيت فرعون وما ترتب عليه من ٤٠ القول والرجع إلى أمها وترتيبها له بالبر والحنو وهو المصدق لقوله تعالى ولتصنع على عيني إذ لا شفقة

أعظم من شفقة الأم وصنيعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من إذ أوحينا على أن المراد به زمان متسع متباعد الأطراف وهو الأنسب بما سيأتى من قوله تعالى فنجيناك من الغم الخ فإن جميع ذلك من المنن الإلهية ولا تعلق لشيء منها بالصنع المذكور وأما كونه ظرفاً لا لقيت كما يجوز فربما يوم أن إلقاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في أن معظم آثار إلقائها ظهر عند فتح التابوت (فتقول) أى لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له عليه السلام مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدياً وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية (هل أدلكم على من يكفله) أى يضمه إلى نفسه ويربيه وذلك إنما يكون بقبوله ثديها يروى أنه فشا الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاماً في النيل لا يرتضع ثدى امرأة واضطروا إلى تلبيع النساء فخرجت أخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بأمه فقبل ثديها فالفاء في قوله تعالى (فرجعناك إلى أمك) فهي صيغة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها أى فقالوا دليلاً عليها فجاءت بأمك فرجعناك إليها (كى تفرعينها) بلفظك (ولا تحزن) أى لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك وإلا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فإن التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن أنت بفقد إشفاقها (وقلت نفساً) هى نفس القبطى الذى استغاثه الإسرائيل عليه (فنجيناك من الغم) أى غم قتله خوفاً من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالإنجاء منه بالمهاجرة إلى مدين (وفتناك فتونا) أى ابتليناك ابتلاء أو فتونا من الابتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتأه كحجوز في حجة وبدور في بدرة أى خلصناك مرة أخرى وهو لإجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الإلاف والمشى راجلاً وفقد الزاد وقد روى أن سعيد ابن جبير سأل عنه ابن عباس رضى الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطياً وأجر نفسه عشرين سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذى يقتضيه النظم الكريم أن لا نعد إجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة أن المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه السلام إلى مدين بقبضة الفاء في قوله تعالى (فلبثت سنين في أهل مدين) إذ لا ريب في أن الإجارة المذكورة وما بعدها ما وقع بعد الوصول إليهم وقد أشير بذكر ليشه عليه السلام فيهم دون وصوله إليهم إلى جميع ما فاساه عليه السلام في تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التى كل واحد منها فتنة وأى فتنة ومدين بلدة شعيب عليه الصلاة والسلام على ثمانى مراحل من مصر (ثم جئت) إلى المكان الذى أونس فيه النار ووقع فيه النداء والجزأرو في كلمة التراخي إيدان بأن مجيئه عليه السلام كان بعد اللتيا والى من ضلال الطريق وتفرقت الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك (على قدر) أى تقدير قدرته لأن أكله واستنبثك في وقت قد عينته لذلك فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأجرو وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء عليهم السلام وهو رأس أربعين سنة وقوله تعالى (يا موسى) شريف له عليه الصلاة والسلام وتنبيه على انتهاء الحكاية التى هى تفصيل المرة الاخرى التى وقعت قبل المرة المحكية أولاً .

طه ٢٠

وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾

طه ٢٠

أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِعَايِنِي وَلَا تَنْبِأُ فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾

طه ٢٠

أَذْهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾

طه ٢٠

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ﴿٤٤﴾

- وقوله تعالى (واصطنعتك لنفسى) تذكير لقوله تعالى وأنا اخترتك وتمهيد لإرساله عليه السلام إلى فرعون ٤١ مؤيداً بأخيه حسبما استدعاه بعد تذكير المنن السابقة السابقة تأكيداً لوثوقه عليه السلام بمحصل نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما أخوله عز و علا من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض أموره الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك ونظيره السابقين تمهيد لإفراد لفظ النفس اللائق بالمقام فإنه أدخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص أى اصطفتيك برسالاتي وبكلامى وقوله تعالى (اذهب أنت وأخوك) أى وليذهب أخوك حسبما استدعيت استئناف ٤٢ مسوق لبيان ماهو المقصود بالاصطناع (بآياتى) أى بمعجزاتى التى أريتكمها من اليد والعصا فإنها وإن كانتا اثنتين لكن فى كل منهما آيات شتى كما فى قوله تعالى فيه آيات بينات مقام إبراهيم فإن انقلاب العصا حيواناً آية وكونها ثعباناً عظيماً لا يقادر قدره آية أخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية أخرى وكونه مع ذلك مسخرأ له عليه السلام بحيث كان يدخل يده فى فيه فلا يضره آية أخرى ثم انقلابها عصا آية أخرى وكذلك اليد فإن يياضها فى نفسه آية وشعاعها آية ثم رجوعها إلى حالتها الأولى آية أخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية إذ المزمع اذ ذهابها إلى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها فى إجراء أحكام الرسالة ولا كمال أمر الدعوة لا مجرد اذهابها وإيصالها إليه (ولا تنبأ) لا تفترا ولا تقصرا وقرىء لا تنبأ بكسر التاء للاتباع (فى ذكرى) * أى بما يليق بى من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة عند تبليغ رسالتى والدعاء إلى وقيل المعنى لا تنبأ فى تبليغ رسالتى فإن الذكريق على جميع العبادات وهو أجلها وأعظمها وقيل لا تنبأنى حيثما تقلبت واستمدا بذكري العون والتأييد وأعلماً أن أمراً من الأمور لا يتأتى ولا يتسنى إلا بذكري (اذهباً إلى فرعون) ٤٣ جمعها فى صيغة أمر الحاضر مع غيبة هرون إذ ذاك للتغليب وكذا الحال فى صيغة النهى روى أنه أوحى إلى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى عليها السلام وقيل سمع بإقباله فتلقاه (إنه طغى) تعليل لموجب الأمر * والفاء فى قوله تعالى (فقولاً له قولاً لئناً) لترتيب ما بعدها على طغيانه فإن تبليغ القول بما يكسر سورة ٤٤ عناد العناد وبلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضى الله عنها لا تعنفا فى قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك إلى أن تركى وأهديك إلى ربك فإنها دعوة فى صورة عرض ومشورة ويرده ماسيجى من قوله تعالى فقولاً إنا رسولا ربك الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل

قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفَنِي ﴿٤٥﴾ طه ٢٠

قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ طه ٢٠

فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ طه ٢٠

- * عداه شباباً لا يهرم ويبقى له لذة المطعم والمشرب ومنكح وملكا لا يزول إلا بالموت وقرىء لنا (لعله
 * يتذكر) بما بلغناه من ذكرى ويرغب فيما رغبناه فيه (أو يخشى) عقابي ومحل الجملة النصب على الحال
 من ضمير النشئة أى فقولا له قولاً لنا راجين أن يتذكر أو يخشى وكلمة أو لمنع الخلو أى باشراً الأمر مباشرة
 من برجو ويطمع فى أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى وسعه وجدوى إرسلهما
 ٤٥ إليه مع العلم بحاله إلزام الحجة وقطع المعضلة (قالا ربنا) أسند القول إليهما مع أن القائل حقيقة هو
 موسى عليه الصلاة والسلام بطريق التغليب إيذاناً بأصالته فى كل قول وفعل وتبعية هرون عليه السلام
 له فى كل ما أتى ويذكر ويجوز أن يكون هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما لحكى ذلك مع قول موسى عليه
 السلام عند نزول الآية كافى قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فإن هذا الخطاب قد حكى لنا بصيغة
 الجمع مع أن كلا من المخاطبين لم يخاطب إلا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم فى الوجود فكيف
 * باجتماعهم فى الخطاب (إننا نخاف أن يفرط علينا) أى يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة
 وإظهار المعجزة من فرط إذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرىء يفرط من أفرطه إذا
 حمه على العجلة أى نخاف أن يحمله حامل من الاستكبار أو الخوف على الملك أو غيرهما على المعالجة
 * بالعقاب (أو أن يطفنى) أى يزداد طغياناً إلى أن يقول فى شأنك ما لا ينبغي لك أن تجراه وقساوته وإطلاقه
 من حسن الأدب وإظهار كلمة أن مع سداد المعنى بدونه لإظهار كمال الاعتناء بالأمر والإشعار بتحقيق
 ٤٦ الخوف من كل منهما (قال) استئناف مبنى على السؤال الناشئ من النظم الكريم ولعل إسناد الفعل إلى
 ضمير الغيبة للإشعار بانتقال الكلام من مساق إلى مساق آخر فإن ما قبله من الأفعال الواردة على صيغة
 التكلم حكاية لموسى عليه السلام بخلاف ما سيأتى من قوله تعالى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى فإن ما قبله
 أيضاً وارد بطريق الحكاية لرسول الله ﷺ كأنه قيل فإذا قال لهما ربهما عند نضرهما إليه فقيل قال
 * (لا تخافا) ما توهمتهما الأمرين وقوله تعالى (إننى معكما) تعليل لموجب النهى ومزيد تسلية لهما والمراد
 * بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينفى عنه قوله تعالى (أسمع وأرى) أى ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل
 فأفعل فى كل حال ما يليق بها من دفع ضرر وشر وجلب نفع وخير ويجوز أن لا يقدر شيء على معنى إننى
 ٤٧ حافظاً كما سمعاً بصيراً والحافظ الناصر إذا كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها (فأتياه) أمراً بإتيانه
 الذى هو عبارة عن الوصول إليه بعدما أمر بالذهاب إليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ طه ٢٠

قَالَ قَرْنٌ رَبِّكَ يَمْؤِسُونَ ﴿٤٩﴾ طه ٢٠

- تعليله بما بعده (فقلوا إنا رسولا ربك) أمرا بذاك تحقيقاً للحق من أول الأمر ليعرف الطاغية شأنها *
ويبنى جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى (فأرسل معنا بني إسرائيل) لترتيب *
مابعدا على ما قبلها فإن كونهم رسل ربهم بما يوجب إرسالهم معهم والمراد بالإرسال إطلاقهم من الأسر *
والقصر وإخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم أن يذهبوا معها إلى الشام كما ينبغي عنه قوله تعالى (ولا *
تعذبهم) أي بإبقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فإنهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم في الأعمال *
الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الأحجار وغيرهما من الأمور الشاقة ويقتلون ذكورا ولادهم حامدون *
عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الإرسال بين بيان رسالتهم وبين ذكر الحجى بآية دالة على صحتها *
لإظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الأمر على فرعون فإن إرسالهم معها من غير تعرض لنفسه وقومه *
بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولأن في بيان حجى الآية *
نوع طول كما ترى فتأخير ذلك عنه مغل بتجاوب أطراف النظم الكريم وأما ما قيل من أن ذلك دليل على *
أن تخليص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان فكلا (قد جئناك بآية من ربك) تقرير لما تضمنه *
الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الإرسال فإن مجيئها بالآية من جهة تعالى مما يحقق *
رسالتها ويقررها ويوجب الامتثال بأمرهما وإظهار اسم الرب في موضع الإضمار مع الإضافة إلى ضمير *
المخاطب لنا كيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لأن المراد إثبات الدعوى ببرهاها *
لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئناكم ببينة وقوله تعالى أولو جئتكم بشيء مبين وأما قوله تعالى *
فأت بآية إن كنت من الصادقين فالظاهر أن المراد بها آية من الآيات (والسلام) المستتبع لسلامة الدارين *
من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين (على من اتبع الهدى) بتهديق آيات الله تعالى الهداية إلى *
الحق وفيه من ترغيبه في اتباعها على اللطف وجهه مالا يخفى (لنا قد أوحى إلينا) من جهة ربنا (أن العذاب) ٤٨
الديني والأخروي (على من كذب) أي بآياته تعالى (وتولى) أي عرض عن قبولها وفيه من التلطيف
في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به مالا مزبد عليه (قال) أي فرعون بعدما أتياه وبإخاء أمرا به ٤٩
وإنما طوى ذكره للإيجاز والإشعار بأنها كما أمرأ بذلك سارعا إلى الامتثال به من غير تلعم وبأن ذلك
من الظهور بحيث لا حاجة إلى التصريح به (فن ربك يا موسى) لم يصف الرب إلى نفسه ولو بطريق حكاية *
ماني قوله تعالى إنا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل أضافه إليهما
لما أن المرسل لابد أن يكون رباً للرسول أولاً لأنها قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بأن قالا إنا رسولا رب
العالمين كما وقع في سورة الشعراء والاختصار ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيها هو المقصود
والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونها رسولا ربها أي إذا كنتما رسولا ربكما فأخبرا من ربكما الذي

٢٠ طه

قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾

٢٠ طه

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾

أرسلكما وتخصيص النداء بموسى عليه الصلاة والسلام مع توجيه الخطاب إليهما لما أنه الأصل في الرسالة وهرون وزيره وأما ما قيل من أن ذلك لأنه قد عرف أن له عليه الصلاة والسلام رتبة فأراد أن يفهمه فيرده ما شاهده منه عليه الصلاة والسلام من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ وأما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعارة كما مر (قال) أي موسى عليه الصلاة والسلام مجيباً له (ربنا) إمامبدأ وقوله تعالى (الذي أعطى كل شيء خلقه) خبره أو هو خبر لمبتدأ محذوف والموصول صفته وأياً ما كان فلم يريدنا بضمير المتكلم أنفسهما فقط حسبما أراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقاً للحق ورداً عليه كما يفصح عنه ما في حيز الصلة أي هو ربنا الذي أعطى كل شيء من الأشياء خلقه أي صورته وشكله اللائق بما ينط به من الخواص والمنافع أو أعطى مخلوقاته كل شيء تحتاج هي إليه وترتفع به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالفرس والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئاً من ذلك بخلاف جنسه وقرىء خلقه على صيغة الماضي على أن الجملة صفة للمضاف أو المضاف إليه وحذف المفعول الثاني إما للاختصار على الأول أي كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وإنعامه أو للاختصار من كونه منوباً مدلولاً عليه بقربنة الحال أي أعطى كل شيء خلقه الله تعالى ما يحتاج إليه (ثم هدى) أي إلى طريق الاتقاف والارتفاق بما أعطاه وعرفه كيف يتوصل إلى بقائه وكما له إما اختياراً كما في الحيوانات أو طبعاً كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الأجزاء وتسوية الأجسام متقدماً على الهداية التي هي عبارة عن إبداع القوى المحركة والمدركة في تلك الأجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه الصلاة والسلام جوابه على نمط رائق وأسلوب لائق حيث بين أنه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الأشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه أن إرساله تعالى إلى الطاغية من جملة هداياته تعالى إياه بعد أن هداه إلى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والآلات الظاهرة والباطنة (قال فما بال القرون الأولى) لما شاهر اللعين ما نظم عليه الصلاة والسلام في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف أن يظهر للناس حقيقة مقالاته عليه الصلاة والسلام وبطلان خرافات نفسه ظهراً بينا فأراد أن يصرفه عليه الصلاة والسلام عن سننه إلى مالا يعنيه من الأمور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدد عسى يظهر فيه نوع غفلة فينسلق بذلك إلى أن يدعى بين يدي قومه نوع معرفة فقال: أحال القرون الماضية والأُمم الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فأجاب عليه الصلاة والسلام بأن العلم بأحوالهم مفصلة بما لا ملاسلة له بمنصب الرسالة وإنما علمها عند الله عز وجل وأما ما قيل من أنه سأل عن حال من خلا من القرون وعن شفاء من شق منهم وسعادة من سعد فيأباه

قَالَ عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا
 بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ ط ٢٠ ط ٢٠

- قوله تعالى (قال عليها عند ربّي) فإن معناه أنه من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله تعالى وإنما أنا عبد لا أعلم
 منها إلا ما علمني من الأمور المتعلقة بما أرسلت به ولو كان المسؤول عنه ما ذكر من الشفاعة والسعادة
 لا يجب بيان أن من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام
 الآيتين (في كتاب) أي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز أن يكون ذلك تمثيلاً لتمسكه وتقرره
 في علم الله عز وجل بما استخفظه الدام وقيدته بالكتابة كما يلوح به قوله تعالى (لا يضل ربّي ولا ينسى) أي
 أي لا يخطئ. ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل ثابت أبداً فإنهما محالان عليه سبحانه وهو على الأول إيمان
 أن إثباته في اللوح ليس لحاجته تعالى إليه في العلم به ابتداء أو بقاء وإظهار ربّي في موقع الإضمار للتلذذ
 بذكره ولزيادة التقرير والإشعار بعلّة الحكم فإن الربوبية بما يقتضى عدم الضلال والنسيان حتماً وقد
 أوجب عليه الصلاة والسلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجاباً مع
 أنه لم يخرج عما كان بصده من بيان شئونه تعالى ثم تخلص إليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل
 ما سياتي من الالتفات (الذي جعل لكم الأرض مهدياً) على أن الوصول إذا مرفوع على المدح أو منصوب
 عليه أو خبر مبتدأ محذوف أي جعلها لكم كالمهد تتمدونها أو ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول
 وقرئ مهدياً وهو اسم المهد كالفرش أو جمع مهد أي جعل كل موضع منها مهدياً لكل واحد منكم
 (وسلك لكم فيها سبلاً) أي حصل لكم طرقاً ووسطاً بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من
 قطر إلى قطر لتقضوا منها ما ربكم وتنتفعوا بما فيها ومرافقها (وأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) هو المطر (فأخرجنا
 به) أي بذلك الماء وهو عطف على أنزل داخل تحت الحكاية وإنما التفق إلى التكلم للتنبيه على ظهوره فيه
 من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والإيذان بأنه لا يتأتى إلا من قادر مطاع عظيم الشأن تنفذ لأمره
 وتذعن لمشيئته الأشياء المختلفة كما في قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً
 ألوانها وقوله تعالى أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حنائق ذات بهجة
 خلان ما نبيل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى وأما ما هنا الحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فأخرجنا
 به هو المحكى مع كون ما قبله كلام موسى عليه الصلاة والسلام خلاف الظاهر مع أنه يفوت حينئذ
 الالتفات لعدم اتحاد المتكلم (أزواجاً) أصنافاً سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض (من نبات)
 بيان أو صفة لأزواج أي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى (شقي) أي متفرقة جمع شقيت ويجوز أن يكون
 صفة لنبات لأنه في الأصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني أنها شقي مختلفة في الطعم والرائحة
 والشكل والنفع بعضها صالح للبشر على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فإن من تمام نعمته تعالى

كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ٥٤ طه

مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ٥٥ طه

وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ٥٦ طه

٥٤ أن أرزاق عباده لما كان تحصلها بعمل الأنعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من ضمير فأخرجنا على إرادة القول أى أخرجنا منها أصناف النبات قائمين كلوا وارعوا أنعامكم أى معديها لا تتفاعكم بالذات وبالواسطة آذنين فى ذلك (إن فى ذلك) إشارة إلى ما ذكر من شئونه تعالى وأفعاله وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو رتبته وبعده منزله فى الكمال والتكبير فى قوله تعالى (آيات) للتفخيم كما وكيفاً أى لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شئون الله تعالى فى ذاته وصفاته وأفعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام (لاولى النهى) جمع نهية سمي بها العقل لنهييه عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك أى لدوى العقول الناهية عن الأباطيل التى من جملتها ما يدعيه الطاغية ويقبله منه فتنه الباغية وتخصيص كونها آيات بهم مع أنها آيات للعالمين باعتبار أنهم المنتفعون بها (منها خلقناكم) أى فى ضمن أيكم آدم عليه الصلاة والسلام منها فإن كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه الصلاة والسلام إذ لم تكن قطرة البديعة مقصورة على نفسه عليه الصلاة والسلام بل كانت أنموذجا، بطورياً على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء إجمالياً مستتبعا لجرىان آثارها على الكل فكان خلقه عليه الصلاة والسلام منها خلقاً للكل منها وقيل المعنى خلقنا أبدانكم من النطفة المتولدة من الأغذية المتولدة من الأرض بواسطة وقيل إن الملك الموكل بالرحم يأخذ من تربة المكان الذى يدفن فيه المولود فيبدها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة (وفىها نعيدكم) بالإماتة وتفريق الأجزاء وإيثار كلمة فى على كلمة إلى للدلالة على الاستقرار المديد فيها (ومنها نخرجكم تارة أخرى) بتأليف أجزاءكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الأرواح إليهم أو كون هذا الإخراج تارة أخرى باعتبار أن خلقهم من الأرض لإخراج لهم منها وإن لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة فى الأصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم أطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما سر فى المرة (ولقد أريناه) حكاية إجمالية لما جرى بين موسى عليه الصلاة والسلام وبين فرعون إثر حكاية ما ذكره عليه الصلاة والسلام بجلال نعمائه الداعية له إلى قبول الحق والانقياد له وتصديرها بالقسم لإبراز كمال العناية بمضمونها وإسناد الإراءة إلى نون العظمة نظراً إلى الحقيقة لا إلى موسى نظراً إلى الظاهر لتحويل أمر الآيات وتفخيم شأنها وإظهار كمال شاعة اللعين وتأديبه فى المكابرة والعناد أى وبالله لقد بصرنا فرعون أو عرفناه (آياتنا) حين قال لموسى عليه الصلاة والسلام إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فأتنى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونها اثنتين باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدائع الأمور التى كل منها آية بينة لقوم يعقلون

قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿٥٧﴾

حسبنا بين في تفسير قوله تعالى اذهب أنت وأخوك بآياتي وقد ظهر عند فرعون أمور أخر كل واحد منها داهية دهياء فإنه روى أنه عليه الصلاة والسلام لما ألقاها انقلبت ثعباناً أشعر فاغرافاه بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر وتوجه نحو فرعون فحرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً من قومه فصاح فرعون ياموسى أنشدك بالذى أرسلتك إلا أخذته فأخذه فعاد عصا وروى أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أنشدك الخ ونزع يده من جيبه فإذا هى بيضاء بياضاً نورانياً خارجاً عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجباً من أمره ففى تضاعيف كل من الآيتين آيات جملة لكنها لما كانت غير مذكورة صراحة أكدت بقوله تعالى (كلمها) * كأنه قيل أرىناه آيتينا بجميع مستتبعاتهما وتفصيلهما قصداً إلى بيان أنه لم يبق له فى ذلك عذر ما ولا مسامحة لعد بقية الآيات التسع منها لما أنها إنما ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب السحرة على مهل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى تفسير سورة الأعراف ولا ريب فى أن أمر السحرة مترقب بعد وأبعد من ذلك أن يعد منها ما جعل لإهلاكهم لا لإرشادهم إلى الإيمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكة من الآيات الظاهرة لبنى إسرائيل من تنق الجبل والحجر سواء أريد به الحجر الذى فر بثوبه أو الذى انفجرت منه العيون وكذا أن يعد منها الآيات الظاهرة على يد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بناء على أن حكاية عليه الصلاة والسلام إياها لفرعون فى حكم إظهارها بين يديه وإراءته إياها لاستحالة الكذب عليه عليه الصلاة والسلام فإن حكاية عليه الصلاة والسلام إياها لفرعون بما لم يجر ذكره ههنا على أن ماسياتى من حمل ما أظهره عليه الصلاة والسلام على السحر والتصدى للمعارضة بالمثل يأباه إياه بينا وينطق بأن المراد بهما ذكرناه قطعاً ولولا ذلك لجاز جعل ما فعله عليه الصلاة والسلام من أفعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية وأحكامها من جملة الآيات (فكذب) موسى عليه الصلاة والسلام من غير تردد * وتأخر مع ما شاهد فى يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحوداً وعناداً (وأبى) الإيمان والطاعة لعنوه * واستكباره وقيل كذب بالآيات جميعاً وأبى أن يقبل شيئاً منها أو أبى قبول الحق وقوله تعالى (قال أجئنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى) استئناف مبين لكيفية تكذيبه وإيائه والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه وادعاء أنه أمر محال والمجىء إما على حقيقته أو بمعنى الإقبال على الأمر والتصدى له أى أجئنا من مكانك الذى كنت فيه بعد ما غبت عنا أو أقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما أظهرته من السحر فإن ذلك بما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال وإنما قاله لمل قومه على غاية المقت لموسى عليه الصلاة والسلام. يبرز أن مراده عليه الصلاة والسلام ليس مجرد لإنهاء بنى إسرائيل من أيديهم بل إخراج القبط من وطنهم وحياسة أموالم وأملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه إلى أتباعه أحد ويألغوا فى المدافعة والمخاصمة وسمى ما أظهره عليه الصلاة والسلام من المعجزة الباهرة سحر التجسير على المقابلة ثم ادعى أنه يعارضه

فَلَنَأْتِيَنَّكَ سِحْرٌ مِثْلَهُ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ طه ٢٠ طه

قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ طه ٢٠ طه

فَقَتَلْنَا فِرْعَوْنَ بِجَمْعِ كَيْدِهِ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ طه ٢٠ طه

قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى ﴿٦١﴾ طه ٢٠ طه

٥٨

بمثل ما أتى به عليه الصلاة والسلام فقال (فلنأتينك بسحر مثله) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كأنه قيل إذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعداً) أى وعداً كما ينهى عنه وصفه بقوله تعالى (لا تخلفه) فإنه المناسب لا المكان والزمان أى لا تخلف ذلك الوعد (نحن ولا أنت) وإنما فوض اللعين أمر الوعد إلى موسى عليه الصلاة والسلام للاحتراز عن نسبته إلى ضعف القلب وضيق المجال وإظهار الجلادة وإرامة أنه متمكن من تهيئة أسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال الأمد أم قصر كما أن تقديم ضميره على ضمير موسى عليه الصلاة والسلام وتوسيط كلمة النفي بينهما للإيذان بمسارعة إلى عدم الإخلاف وأن عدم إخلافه لا يوجب إخلافه عليه الصلاة والسلام ولذلك أكد النفي بتكرير حرفه وانتصاب (مكاناً سوى) بفعل يدل عليه المصدر لا به فإنه موصوف أو بأنه

٥٩

بدل من موعداً على تقدير مكان مضاف إليه لحيث أن تكون مطابقة الجواب في قوله تعالى (قال موعدكم يوم الزينة) من حيث المعنى فإن يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ أو بإضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الأول أو وعدمكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في أن المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفاً تستوى مسافته إلينا وإليك وهو في الثنعت كقوله قوم عدى في الشذوذ وقرئ بكسر السين قبل يوم الزينة يوم عاشوراء أو يوم النير وزأو يوم عيد كان لهم في كل عام وإنما خصه عليه الصلاة والسلام بالتعيين لإظهار كمال قوته وكونه على ثقة من أمره وعدم مبالاة به لما أن ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهود على رموس الأَشْهَاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد (وأن يحشر الناس ضحى) عطف على يوم

٦٠

أو يوم الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالباء على أن الضمير له على سنن الملوك أو لليوم (فتولى فرعون) أى انصرف عن المجلس (لجمع كيدته) أى ما يكاد به من السحرة وأدواتهم (ثم أتى) أى الموعد ومعه ما جمعه من كيدته وفي كلمة التراخي إيماء إلى أنه لم يسارع إليه بل أتاها بعد لآى

٦١

وتلغثم وقوله تعالى (قال لهم موسى) الخ بطريق الاستئناف المبني على السؤال يقضى بأن المترقب من أحواله عليه الصلاة والسلام حينئذ والمحتاج إلى السؤال والبيان ليس إلا ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من الكلام وأما إتيانه أو لا فأمر محقق غنى عن التصريح به كأنه قيل فماذا صنع موسى عليه الصلاة والسلام عند إتيان فرعون بما جمعه من السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة (ويلكم لا تفتروا على الله

طه ٢٠

فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بِئِنَّهُمْ وَأَسْرُوا النِّجْوَى ﴿٦٢﴾

قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرٌ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ

طه ٢٠

الْمُتَلَي ﴿٦٣﴾

- كذباً) بأن تدعوا آياته التي ستظهر على يدي سحر أكا فعل فرعون (فيسحتكم) أى يستأصلكم بسببه .
 (بعذاب) هائل لا يقادر قدره وقرىء يسحتكم من الثلاثى على لغة أهل الحجاز والإسحاح لغة بنى تميم
 ونجد (وقد غاب من اقترى) أى على الله كائناً من كان بأى وجه كان فبدخل فيه الاقتراء المنهى عنه دخولا
 أولياً أو وقد غاب فرعون المفترى فلا تكونوا مثله فى الحثية والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها
 (فتنازعوا) أى السحرة حين سمعوا كلامه عليه الصلاة والسلام كأن ذلك غاظمهم فتنازعوا (أمرهم) ٦٢
 الذى أريد منهم من مغالبتة عليه الصلاة والسلام وتشاوروا وتناظروا (بينهم) فى كيفية المعارضة وتجادبوا
 أهداب القول فى ذلك (وأسروا النجوى) أى من موسى عليه الصلاة والسلام لثلا يقف عليه فيدفعه
 وكان نجواهم مانطق به قوله تعالى (قالوا) أى بطريق التناجى والإسرار (إن هذان لساحران) الخ فإنه ٦٣
 تفسير له ونتيجة لتنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور وإن مخففة من أن قد
 أهملت عن العمل واللام فارقة وقرىء بتشديد نون هذان وقيل هى نافية واللام بمعنى إلا أى ما هذان إلا
 ساحران وقرىء إن بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث بن كعب فإنهم يعربون النثنية تقديرأ وقيل
 اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل إن بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر
 وفيهما أن اللام لا تدخل خبر المبتدأ وقيل أصله أنه هذان لهما ساحران لحذف الضمير وفيه أن المؤكد
 باللام لا يلبق به الحذف وقرىء إن هذين لساحران وهى قراءة واضحة (يريدان أن يخرجاكُم من أرضكم)
 أى أرض مصر بالاستيلاء عليها (بسحرهما) الذى أظهرأه من قبل (ويذهبا بطريقتكم المثل) أى بمذهبكم
 الذى هو أفضل المذاهب وأمثلها بإظهار مذهبهما وإعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون
 لا طريقة السحر فإنهم ما كانوا يعتقدونه ديناً وقيل أرادوا أهل طريقكم وهم بنو إسرائيل لقول موسى
 عليه الصلاة والسلام أرسل معنا بنى إسرائيل وكانوا أرباب علم فيما بينهم ويأباه أن إخراجهم من أرضهم
 إنما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بنى إسرائيل إلى الشام وحل الإخراج
 على إخراج بنى إسرائيل منهم بقاء قوم فرعون على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن أمثاله على أن هذه
 المقالة منهم الإغراء بالمبالغة فى المغالبة والاهتمام بالمناسبة فلا بد أن يكون الإنذار والتحذير بأشد المكاره
 وأشقم عليهم ولا ريب فى أن إخراج بنى إسرائيل من بينهم والذهاب بهم إلى الشام وهم آمنون فى ديارهم
 ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرافهم لما أنهم قدوة لغيرهم ولا يخفى أن تخصيص
 الإذهاب بهم بما لا مزية فيه .

فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾ طه ٢٠

قَالُوا يَحْمُسِيْ إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ طه ٢٠

٦٤ وقوله تعالى (فاجمعوا كيدكم) تصريح بالمطلوب إثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة أى إذا كان الأمر كما ذكر من كونهما ساحرين يريد أن يكما ما ذكر من الإخراج والأذهاب فاجمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرى فاجمعوا من الجمع وبعضه قوله تعالى لجمع كيده أى فاجمعوا أدوات سحركم ورتبوها كما ينبغي (ثم اتوا صفاً) أى مصطفين أمروا بذلك لأنه أهيأ في صدور الرايين وأدخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين ألفاً مع كل منهم جبل وعصا وأقبلوا عليه إقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحراً إثنان من القبط والباقي من بني إسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الإسكندرية وقيل خمسة عشر ألفاً وقيل بضعة وثلاثين ألفاً والله أعلم ولعل الموعد كان مكاناً متسعاً خاطبهم موسى عليه الصلاة والسلام بما ذكر في قطره من أقطاره وتنازعوا أمرهم في قطر آخر منه ثم أمروا بأن يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر اللفظ بالمصلى لاجتماع الناس فيه في الأعياد والصلوات ووجه محتمه أن يكون علماً لموضع معين من الممكان الموعود وأما إرادة مصلى من مصليات بعد تعين الممكان الموعود فلا مسأغ لها قطعاً وقوله تعالى (وقد أفلح اليوم من استعلى) اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكداً لما قبله من الأمرين أى قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الأجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وإنكم لمن المقربين ومن غلب أنفسهم جميعاً على طريقة قولهم بعزة فرعون إننا لنحن الغالبون أو من غلب منهم حشاً لهم على بذل المبالغة هذا هو اللائق بتجاوب أطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجومهم أن قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه الصلاة والسلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك أن قالوا إن غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم إن كان ساحراً فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمر فيكون إسرارهم حينئذ من فرعون وملته ويحمل قولهم إن هذان لساحران الخ على أنهم اختلفوا فيما بينهم على الأقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت أراؤهم على ذلك وأبوا إلا المناصبه للمعارضه وأما جعل ضمير قالوا لفرعون وملته على أنهم قالوا ذلك للسحرة رداً لهم عن الاختلاف وأمروهم بالإجماع والإجماع وإظهار الجلادة بالإتيان على وجه الاصطفاف فخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم (قالوا) استئناف مبنى على سؤال ناشئ من حكاية ما جرى بين السحرة من المفاولة كأنه قيل فإذا فعلوا بعد ما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقبل قالوا (يا موسى) وإنما لم يتعرض لإجماعهم وإتيانهم بطريق الاصطفاف إشعاراً بظهور أمرهما وغناهما عن البيان (إماماً أن تلقى) أى ما نلقيه أولاً على أن المفعول محذوف لظهوره أو تفعل الإلقاء أولاً على أن الفعل منزل منزلة اللازم (وإماماً أن تكون أول من ألقى) ما يلقيه أو أول من يفعل الإلقاء خيره عليه الصلاة والسلام بما ذكر مراعاة للأدب لما رأوا

قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ طه ٢٠

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ طه ٢٠

قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ طه ٢٠

وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ طه ٢٠

منه عليه الصلاة والسلام مارأوا من مخايل الخيور وزانة الرأى وإظهاراً للجلادة بإرادة أنه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير وأن مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمّر أو مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف أى اختر إلقاءك أولاً أو الإلقاء أو الأمر إما إلقاءك أو إلقاءنا (قال) استئناف كما سلف ناشئ من حكاية تخيير ٦٦ السحرة لإياه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فإذا قال عليه الصلاة والسلام فقيل قال (بل ألقوا) أنتم * أولاً مقابلة للأدب بأحسن من أدهم حيث بت القول بإلقاءهم أولاً وإظهاراً لعدم المبالاة بسحرهم ومساعدة لما أوهموا من الميل إلى البدء وليبرزوا ما معهم ويستفروا أقصى جهدهم ويستنفدوا قصارى وسعهم ثم يظهر الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم أن ما سيظهر بيده سيلقف ما يصنعون من مكاييد السحر (فإذا حبالهم وعصيتهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) الفاء فصيحة معربة * عن مسارعهم إلى الإلقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب أى فألحقوا فإذا حبالهم وهى للنفاجاة والتحقيق أنها أيضاً ظرفية تستدعى متعلقاً بنصبها وجملة أضاف إليها لكنها خصت بكون متعلقها فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فألحقوا ففاجأ موسى عليه الصلاة والسلام وقت أن يخيل إليه سعى حبالهم وعصيتهم من سحرهم وذلك أنهم كانوا الطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيّل إليه أنها تتحرك وقرىء تخيل بالتاء على إسناده إلى ضمير الحبال والعصى وإبدال أنها تسعى منه بدل اشتغال وقرىء يخيل بإسناده إليه تعالى وقرىء تخيل محذوف لإحدى التائين من تتخيل (فأوجس في نفسه ٦٧ خيفة موسى) أى أضمر فيها بعض خوف من مفاجاته بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراس من ضررها المعتاد من السمع ونحوه وقيل من أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذلك كما ستعرفه وتأخير الفاعل لمرعاة الفواصل (قلنا لا تخف) أى ما توهمت (إنك أنت الأعلى) تعليل لما يوجب ٦٨ النهى من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على أبلغ وجه وآكده كما يعرب عنه الاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر وإغفال العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل (وألق ٦٩ ما في يمينك) أى عصاك كما وقع في سورة الأعراف وإنما أوثر الإبهام تهويلاً لأمرها وتفخيماً لشأها وإيداناً بأنها ليست من جنس العصى المعهودة المستتعبة للأثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر أفراد الجنس مبهمة السكنة مستتعبة لأثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الأمر في موضع آخر لا يستدعى عدم مراعاتها عند وقوع المحكى هذا وحمل الإبهام على التحقير بأن يراد لا تبال بكثرة حبالهم

فَأَتَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾

وعصيم وألق العويد الذي في يدك فإنه بقدره الله تعالى يلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر مرتين على أن ذلك المعنى إنما يليق بما لو فعلت العصا ما فعلت وهي على هيئتها الأصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى (تلقف ما صنعوا) بالجزم جواباً للآمر من لقفه إذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتأنيث لكون ما عبارة عن العصا أي تتلعق ما صنعوه من الحبال والعصى التي خيل إليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والإيذان بالتزوير وقرىء تلقف بتشديد القاف وإسقاط إحدى التامين من تتلقف وقرىء بالرفع على الحال أو الاستئناف والجملة الأمرية معطوفة على النهي متممة بما في حيزها لتعليل موجهه ببيان كيفية غلبته عليه الصلاة والسلام وعلوه فإن ابتلاع عصاه لا باطليلم التي منها أوجس في نفسه ما أوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في أن خوفه عليه الصلاة والسلام لم يكن مما ذكر من مخالفة الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه الصلاة والسلام وإلا لعل بما يزيله من الوعد بما يوجب إيمانهم واتباعهم له عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (إن ما صنعوا) الخ لتعليل أقوله تعالى تلقف ما صنعوا وما إمامو صولة أو موصوفة أي إن الذي صنعوه أو إن شيئاً صنعوه (كيد ساحر) بالرفع على أنه خبر لأن أي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به إلى تنكير ما أضيف إليه للتحقير وقرىء بالنصب على أنه مفعول صنعوا وما كافة وقرىء كيد سحر على أن الإضافة للبيان كما في علم فقه أو على معنى ذى سحر أو على تسمية الساحر سحراً مبالغة وقوله تعالى (ولا يفلح الساحر) أي هذا الجنس (حيث أتى) أي حيث كان وأين أقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشأن العصا وكونها معجزة إلهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للإيذان بظهور أمرها والفاء في قوله تعالى (فأتى السحرة سجداً) كما سلف فصيحة معربة عن مخدوفين ينساق إليهما النظم الكريم غنيين عن التصريح بهما لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالأمر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود أي فالتقاء عليه السلام فوق ما وقع من اللقف فأتى السحرة سجداً لما تيقنوا أن ذلك ليس من باب السحر وإنما هي آية من آيات الله عز وجل روى أن رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحراً فأي ما ألقيناه من الآلات فاستدل بتغير أحوال الأجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عليه الصلاة والسلام على صحة رسالته لا جرم ألقاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وآمنوا وأتوا بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب وهن عكرمة لما خروا سجداً أراهم الله تعالى في سجدتهم ما زلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم إنا آمنا ربنا ليغفر لنا أخطائنا الخ لأن كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول عنهم (قالوا) استئناف كما مر غير مرة (آما رب هرون وموسى) تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز أن يكون ترتيب كلامهم أيضاً هكذا لما لكبر سن هرون عليه الصلاة والسلام وإما للبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربي موسى عليه الصلاة والسلام فلو قدموا موسى عليه الصلاة والسلام لرَبَّنا ثم للمعين وقومه من أول الأمر

قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ءِنَّهُمْ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبِنَاكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَنَ آيُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ طه
قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ طه

- ٧١ أن مرادم فرعون (قال) أى فرعون للسحرة (آمنتم له) أى لموسى عليه الصلاة والسلام واللام لتضمنين الفعل معنى الاتباع وقرىء على الاستفهام التوبيخى (قبل أن آذن لكم) أى من غير أن آذن لكم فى الإيمان له • كفى قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى لا أن إذنه لهم فى ذلك واقع بعده أو متوقع (إنه) يعنى • موسى عليه الصلاة والسلام (لكبيركم) أى فى فنكم وأعلمكم به وأستاذكم (الذى علمكم السحر) فتواطأتم على ما فعلتم أو فعلكم شيئاً دون شئ • فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها للعين وألقاها على قومه وأراهم أن أمر الإيمان منوط بإذنه فلما كان إيمانهم بخير إذنه لم يكن معتداً به وأنهم من تلامذته عليه الصلاة والسلام فلا عبرة بما أظهره كما لا عبرة بما أظهره وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة فى الإيمان بالله تعالى ثم أقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال (فلأقطعن) أى فوالله لأقطعن (أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتداء من مخالفة العضو العضو فإن المبتدىء من المعروف مبتدىء من العارض أيضاً وهى مع مجرورها فى حيز النصب على الحالية أى لأقطعنها مخلفات وتعيين تلك الحال للإيذان بتحقيق الأمر وإيقاعه لا محالة بتعيين كيفية المهدودة فى باب السبابة لا لأنها أقطع من غيرها (ولأصلبناكم فى جذوع النخل) أى عليها وإيثاركى فى الدلالة على إبقائهم عليها زماناً مديداً • تشبيهاً لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف فى الظرف المشتمل عليه قالوا وهو أول من صلب وصيغة التفعيل فى الفعلين للتكثير وقد قرئنا بالتخفيف (ولنعلمن آينا) يريد به نفسه وموسى عليه الصلاة والسلام • لقوله آمنتم له قبل أن آذن لكم واللام مع الإيمان فى كتاب الله تعالى غيره تعالى وهذا إما لقصد توضيح موسى عليه الصلاة والسلام والمهز به لأنه لم يكن من التعذيب فى شئ وإما لإراءة أن إيمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعانية البرهان بل كان عن خوف من قبل موسى عليه الصلاة والسلام حيث رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيمهم فخافوا على أنفسهم أيضاً وقبل يريد به رب موسى الذى آمنوا به بقوله آمنا برب هرون وموسى (أشد عذاباً وأبقى) أى أدام (قالوا) غير مكترئين بوعيده (لن تؤثرك) لن نختارك ٧٢ • بالإيمان والاتباع (على ما جاءنا) من الله على يد موسى عليه الصلاة والسلام (من البينات) من المعجزات الظاهرة فإن ما ظهر بيده عليه الصلاة والسلام من العصا كان مشتملاً على معجزات حجة كما امر تحقيقه فيما سلف فإنهم كانوا عارفين بجلالتهم ودقاتهم (والذى فطرنا) أى خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتأخير لأن ما فى ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة وإيراده تعالى بعنوان فاطرته تعالى لهم للإشعار بعلّة الحكم فإن خالفته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم إيثارك له عليه

إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ٧٣ طه ٢٠

إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ٧٤ طه ٢٠

وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ٧٥ طه ٢٠

سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل أن آذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه أى وحق الذى فطرنا لا تؤثر الخ ولا مساغ لكون المذكور جواباً له • عند من يجوز تقديم الجواب أيضاً لما أن القسم لا يجاب بلن إلا على شذوذ وقوله تعالى (فاقض ما أنت قاض) جواب عن تهديده بقوله لا قطعن الخ أى فاصنع ما أنت صانعه أو فاحكم ما أنت حاكم به وقوله تعالى (إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق من الأمر بالقضاء أى إنما تصنع ما نهوا أو تحكم بما تراه فى هذه الحياة الدنيا لحسب وما لنا من رغبة فى عذابها ولا رهبة من عذابها (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) التى اقترفنا فيها من الكفر والمعاصى ولا يؤاخذنا بها فى الدار الآخرة لا ليمتنعنا بتلك الحياة الفانية حتى نتأثر بما أوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى (وما أكرهتنا عليه من السحر) عطف على خطايانا أى ويغفر لنا السحر الذى عملناه فى معارضة موسى عليه الصلاة والسلام بإكراهك وحشرك إيانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندارجهم فى خطاياهم لإظهار الغاية نفرتهم عنه ورغبتهم فى مغفرته وذكر الإكراه للإيذان بأنه مما يجب أن يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالإكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل أرادوا الإكراه على تعلم السحر حيث روى أن رؤسائهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بنى إسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وقيل إنه أكرههم على المعارضة حيث روى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائماً ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ها هذا بسحر فإن الساحر إذا نام بطل سحره فابى إلا أن يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم أئن لنا لا جراً إن كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون (والله خير) أى فى حد ذاته وهو ناظر إلى قولهم والذى فطرنا (وأبقى) أى جزاء ثواباً كان أو عذاباً أو خير ثواباً وأبقى عذاباً وقوله تعالى (إنه) إلى آخر الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خير وأبقى جزاء وتحقيق له وإبطال لما ادعاه فرعون وتصديرهما بضمير الشأن للتنبيه على نغامة مضمونهما لأن مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كأنه قيل إن الشأن الخطير هذا أى قوله تعالى (من يأت ربه مجرماً) بأن مات على الكفر والمعاصى (فإن له جهنم لا يموت فيها) فينتهى عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه أبقي (ولا يحيا) حياة ينتفع بها (ومن يأت به مؤمناً) به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التى من جملتها ما شاهدناه (قد عمل الصالحات) الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالباً مع

جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ طه
وَلَقَدْ أُوحِينَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا
وَلَا تُخَشَى ﴿٧٧﴾ طه

الموصوف وهي كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل (فأولئك) إشارة إلى من والجمع باعتبار
معناها كما أن الأفراد في الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجاتهم وبعد
منزلتهم أي فأولئك المؤمنون العاملون للصالحات (لهم) بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة (الدرجات العلى)
أي المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الإيمان المجرد عن العمل الصالح في استنباع الثواب
لأن ما يبط بالإيمان المقرون بالأعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقاً وهل
التشاجر إلا فيه (جنات عدن) بدل من الدرجات العلى أو بيان وقد مر أن عدنا علم بمعنى الإقامة أو لأرض
الجنة ف قوله تعالى (تجري من تحتها الأنهار) حال من الجنات وقوله تعالى (خالدين فيها) حال من الضمير في
لهم والعامل معنى الاستقرار أو الإشارة (وذلك) إشارة إلى ما أتبع لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات
العالى ومعنى البعد لما مر من التفتيح (جزاء من تزكى) أي تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من
الإيمان والأعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى أبقي وتقديم ذكر حال المجرم للسارعة إلى
بيان أشد عذابه ودوامه رداً على ما ادعاه فرعون بقوله أينا أشد عذاباً وأبقي هذا وقد قيل هذه الآيات
الثلاث ابتداء كلام من الله عز وجل قالوا ليس في القرآن أن فرعون فعل بأولئك المؤمنين ما أوعدهم به ولم
يثبت في الأخبار (ولقد أوحينا إلى موسى) حكاية إجمالية لما انتهى إليه أمر فرعون وقومه وقد طوى في
البين ذكر ما جرى عليهم من الآيات المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب
السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة الأعراف وتصديرها بالقسم لإبراز كمال العناية
بمضمونها وأن في قوله تعالى (أن أسر بعبادي) إمامفسرة لأن الوحي فيه معنى القول أو مصدرية حذف
عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عباداً له تعالى لإظهار الرحمة والاعتناء بأمرهم والتنبيه على غاية
قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدتهم وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل أي وبالله لقد
أوحينا إليه عليه الصلاة والسلام أن أسر بعبادي الذين أرسلتك لإنقاذهم من ملكة فرعون أي سربهم من
مصر ليلاً (فاضرب لهم) أي قاجعل أو قاتخذ لهم (طريقاً في البحر يبساً) أي يابساً على أنه مصدر وصف
به الفاعل مبالغة وقرئ يبساً وهو إما مخفف منه أو وصف كصعب أو جمع يابس كصحب وصف به
الواحد للبالغة أو لتعددده حسب تعدد الأسباط (لا تخاف دركا) حال من المأمور أي آمناً أن يدرككم
العدو أو صفة أخرى لطريقاً والمائد مخذوف وقرئ لا تخف جواباً للأمر (ولا تخشى) عطف على
لا تخاف داخل في حكمه أي ولا تخشى الفرق وعلى قراءة الجزم استئناف أي وأنت لا تخشى أو عطف عليه
والألف للإطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفي الخوف المذكور للسارعة إلى إزاحة

فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ۖ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ط ٢٠

وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ط ٢٠

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ ۚ قَدْ أَفْجَيْتَكُم مِّنْ عُدُوكُمْ ۖ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ۖ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْغَمَّ

وَالسَّلَوَىٰ ﴿٨٠﴾ ط ٢٠

- ٧٨ ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا إنما المراكب (فاتبعهم فرعون بجنوده) أي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقهم يقال أتبعهم أي تبعهم وذلك إذا كانوا سبقوك فلحقهم ويؤيده أنه قرى فاتبعهم من الافعال وقيل المعنى أتبعهم فرعون نفسه لحذف المفعول الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده أي سافهم خلفهم وأياً ما كان فالقاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوى ذكره ثقة بغاية ظهوره وإيداناً بكال مسارعة موسى عليه الصلاة والسلام إلى الامتثال بالأمر أي ففعل ما أمر به من الإسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده برأ وبجرأ روى أن موسى عليه الصلاة والسلام خرج بهم أول الليل وكانوا ستمائة وسبعين ألفاً فأخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة ألف فقص أثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عليه الصلاة والسلام بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فمهر موسى عليه الصلاة والسلام بمن معه من الأسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده (فغشيهم من اليم ما غشيهم) أي علام منه وغمرهم ما غمرهم من الأمر الهائل الذي لا يقدر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذلك فإن مدار التحويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لاسماع قصته وقرى فغشاهم من اليم ما غشاهم أي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو
- ٧٩ الله عز وعلا أو ما غشاهم وقيل فرعون لأنه الذي ورطهم للهلكه وبأباه الإظهار في قوله تعالى (وأضل فرعون قومه) أي سلك بهم مسلكاً أدام إلى الخيبة والحسران في الدين والدنيا معاً حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الذي يتصل بالعذاب الخالد الآخرى وقوله تعالى (وما هدى) أي ما أرشدهم قط إلى طريق موصل إلى مطلب من المطالب الدينية والدينية تقرير لإضلاله وتأكيده إذ رب مضل قد يرشد من يضل إلى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد فإن نفي الهداية عن شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة وذلك إنما يتصور في حق بطريق التهكم وحمل الإضلال والهداية على ما يختص بالدينين منهما ياباه مقام بيان سوقه بجنوده إلى مساق الهلاك الذي وجعله ما عبارة عن الإضلال
- ٨٠ في البحر والإنجاء منه مما لا يقبله العقل السليم (يا بني إسرائيل) حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد إغراق فرعون وقومه وإنجائهم منهم لكن لا عقب ذلك بل بعد ما أفاض عليهم من فنون النعم الدينية والدينية ما أفاض وقيل هو إنشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي ﷺ على معنى أنه تعالى قد من عليهم بما فعل بآبائهم أصالة وبهم تبعاً وپرده ما سبأني من قوله تعالى وما أعجلك الآية ضرورة استحالة حمله على الإنشاء فالوجه

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ طه ٢٠

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ طه ٢٠

وَمَا أَجْعَلُكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسِي ﴿٨٣﴾ طه ٢٠

- هو الحكاية بتقدير قلنا عطفاً على أوحينا أي وقلنا يا بني إسرائيل (قد أجبناكم من عدوكم) فرعون وقومه • حيث كانوا ييغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وقرىء نجيناكم ونجيتكم (وواعدناكم جانب الطور اليمين) بالنصب على أنه صفة للمضاف وقرىء بالجر للجوارى وواعدناكم بواسطة نبيكم إتيان جانبه اليمين نظر إلى السالك من مصر إلى الشام أي إتيان موسى عليه الصلاة والسلام المناجاة وإنزال التوراة عليه ونسبت المواعدة إليهم مع كونها لموسى عليه الصلاة والسلام نظراً إلى ملاستها إياهم وسراية منفعتها إليهم وإيفاء لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين مع أن المخلوق المصور بالذات هو آدم عليه الصلاة والسلام وقرىء واعدتكم ووعدناكم (ونزلنا عليكم المن والسلوى) أي الترنجيبين والسماني حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع لكل إنسان صاع ويبيع الجنوب عليهم السماء فيذبج الرجل منه ما يكفيه كما مر مراراً (كلوا) جملة مستأنفة مسوقة لبيان إباحة ما ذكر لهم وإتماماً للنعمة عليهم (من طيبات ٨١ مارزقناكم) أي من لذائدها وحلالاته وقرىء رزقتكم وفي البدء بنعمة الإنجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى (ولا تطغوا فيه) أي فيما رزقناكم بالإخلاص بشكره والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق (فيحل عليكم غضبي) جواب للنهي أي فتلزكم عقوبتي وتجب لكم من حل الدين إذا وجب أداؤه (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) أي تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرىء فيحل بضم الحاء من حل يحل إذا نزل (وإني لغفار لمن تاب) من الشرك ٨٢ والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر (وآمن) بما يجب الإيمان به (وعمل صالحاً) أي عمل صالحاً مستقيماً عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة والإيمان وقوله تعالى (ثم اهتدى) أي استقام على الهدى إشارة إلى أن من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي الرتبة (وما أجعلك عن قومك ياموسى) حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه الصلاة والسلام من ٨٣ الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة أي وقلنا له أي شيء أجعلك منفرداً عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لإنكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخايل إغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأموراً باستصحابهم وإحضارهم معه لا لإنكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه الصلاة والسلام لكونها نقيضة للجزم اللائق بأولى العزم ولذلك أجاب عليه • • - أبي السعد ٦٥

قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ طه ٢٠

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ طه ٢٠

فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَتَقَوَّمُ آلُ رِيبِكُمْ وَعَدَا حَسَنًا أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ
الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحْلَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ طه ٢٠

- ٨٤ الصلاة والسلام بنى الافراد المنافى للاستصحاب والمعية حيث (قال هم اولاء على اثرى) يعنى أنهم معى وإنما سبقتهم بخطا يسيرة ظننت أنها لا تخل بالمعية ولا تقدح فى الاستصحاب فإن ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة أصلا وبعد ما ذكر عليه الصلاة والسلام أن تقدمه ذلك ليس لأمر منكر ذكر أنه لا مر مرضى حيث قال (وعجلت إليك رب لترضى) عنى بمسارعتى إلى الامتثال بأمرى واعتنائى بالوفاء بعهديك
- ٨٥ وزيادة رب لمزيد الضراعة والابتهاال رغبة فى قبول العذر (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه الصلاة والسلام وهو السر فى وروده على صيغة الغائب لا أنه التفات من التكلم إلى الغيبة لما أن المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كأنه قيل من جهة السامعين فاذا قال له ربه حينئذ فقيل قال (فإنا قد فتننا قومك من بعدك) أى ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هارون عليه الصلاة والسلام وكانوا ستمائة ألف مانجا منهم من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفاً والفاء لترتيب الإخبار بما ذكر من الابتلاء على إخبار موسى عليه الصلاة والسلام بعجلته لكن لأن الإخبار بها سبب موجب للإخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من أحدهما إلى الآخر من حيث إن مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فإنه روى أنهم أقاموا على ما وصى به موسى عليه الصلاة والسلام عشرين ليلة بعد ذهابه لحسبوا مع أيامها أربعين وقالوا قد أكلنا العدة وليس من موسى عليه الصلاة والسلام عین ولا أثر (وأضلهم السامرى) حيث كان هو المدبر فى الفتنة فقال لهم إنما أخلف موسى عليه الصلاة والسلام ميعادكم لما معكم من حل القوم وهو حرام عليكم فكان من أمر العجل ما كان فأخبره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه الصلاة والسلام إما باعتبار تحققها فى قلبه تعالى ومشيتها وإما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما فى قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونظائره أو لأن السامرى كان قد عزم على إيقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه الصلاة والسلام وتصدى لترتيب مبادئها وتمهيد مبادئها فكانت الفتنة واقعة عند الإخبار بها وقرئ وأضلهم السامرى على صيغة التفضيل أى أشدهم ضلالا لأنه ضال ومضل والسامرى منسوب إلى قبيلة من بنى إسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجاً من كرمان وقيل من أهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقاً قد أظهر الإسلام وكان من قوم يعبدون البقر (فرجع موسى إلى قومه) عند رجوعه الممهودى بعد ما استوفى الأربعين وأخذ التوراة لا عقيب الإخبار بالفتنة فسيية ما قبل الفاء لما بعدها إنما هى باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى
- ٨٦

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

طه ٢٠

- (غضبان أسفاً) لا باعتبار نفسه وإن كانت داخلة عليه حقيقة فإن كون الرجوع بعد تمام الأربعين أمر مقرر مشهور لا يذهب الوهم إلى كونه عند الإخبار بالفتنة كما إذا قلت شايعة الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فإن أحداً لا يرتاب في أن المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم لإثر الداء وأن سببية الداء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والأسف الشديد الغضب وقيل الحزين (قال) استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كأنه قيل لماذا فعل بهم ففعل قال (يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً) بأن يعطيكم التوراة فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة لإنكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على أبلغ وجه وآكده أي وعدمكم بحيث لا سبيل لكم إلى إنكاره والفاء في قوله تعالى (أطفال عليكم العهد) أي الزمان للعطف على مقدر والهمزة لإنكار المعطوف ونفيه فقط أي أو عدمكم ذلك فطال زمان الإنجاز فأخطأتم بسببه (أم أردتم أن يحل) أي يجب (عليكم غضب) شديد لا يقادر قدره كأن (من ربكم) أي من مالكم أمركم على الإطلاق (فأخلفتم موعدي) أي وعدمكم إياي بالثبات على ما أمرتكم به إلى أن أرجع من الميقات على إضافة المصدر إلى مفعوله للقصد إلى زيادة تقبيح حالهم فإن إخلالهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث إضافته إليه عليه السلام أشنع منه من حيث إضافته إليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي التردد على سبيل البديل كأنه قيل أنسيتم الوعد بطول العهد فأخلفتموه خطأ أم أردتم حلول الغضب عليكم فأخلفتموه ممدأ وأما جعل الموعد مضافاً إلى فاعله وحمل إخلاله على معنى وجدان الخلف فيه أي فوجدتم الخلف في موعدي لكم بالعود بعد الأربعين فهما لا يساعده السباق ولا السياق أصلاً (قالوا ما أخلفنا موعداً) أي وعدنا إياك الثبات على ما أمرتنا به ٨٧ وإشارته على أن يقال موعداً على إضافة المصدر إلى فاعله لما مر آنفاً (بملكنا) أي بأن ملكنا أمورنا يعنون أنالو خيلنا وأمرنا ولم يسأل لنا السامري مأسولة مع مساعدة بعض الأحوال لما أخلفناه وقرى بملكنا بكسر الميم وضمها والكل لغات في مصدر ملكت الشيء (ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم) استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطأ وقرى حملنا بالتخفيف أي حملنا أحمالاً من حلي القبط التي استعمرناها منهم حين ههنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروها لعبد كان لهم ثم لم يردوها إليهم عند الخروج مخافة أن يبقوا على أمرهم وقيل هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوها ولعل تسميتهم لها أوزاراً لأنها تبعات وآثام حيث لم تكن الغنائم تحمل حينئذ (فقذفناها) أي في النار رجاء للخلاص عن ذنبها (فكذلك) أي فمثل ذلك القذف (ألقى السامري) أي ما كان معه منها وقد كان أراهم أنه أيضاً يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وإنما كان الذي ألقاه التربة التي أخذها من أثر الرسول كما سيأتي روى أنه قال لهم إنما تأخر موسى عنكم لما معكم من الأوزار قال رأي أن نخضر

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ۝٢٠ طه

أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۝٢١ طه

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَتَقَوَّمُ بِئِمْمَا فَنَنْتُمْ بِهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبَعُونِي وَأَطِيعُوا

أَمْرِي ۝٢٢ طه

طه

- ٨٨ حفيرة ونسجر فيها ناراً ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا (فأخرج) أى السامرى (لهم) للقائلين (عجلاً) من تلك الحلى المذابة وتأخيره مع كونه مفعولاً صريحاً عن الجار والمجرور لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه من نوع طول ليحل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم فإن قوله تعالى (جسداً) أى جثة ذادم ولحم أو جسداً من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى (له خور) أى صوت عجل نعت له (فقالوا) أى السامرى ومن افتن به أول ما رآه (هذا إلهكم وإله موسى فنسى) أى غفل عنه وذهب يطلبه فى الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامرى فعلاً وقولاً من جهته تعالى قصداً إلى زيادة تقريرها ثم ترتيب الإنكار عليها لا من جهة القائلين وإلا لقليل فأخرج لنا والحمل على أن عدوهم إلى ضمير الغيبة لبيان أن الإخراج والقول المذكورين لذلك لا للعبادة فقط خلاف الظاهر مع أنه محل باعتذارهم فإن مخالفة بعضهم للسامرى وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الإخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفته للمعتذرين فافتتانهم بعد ذلك أعظم جناية وأكثر شناعة وأما ما قيل من أن المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وأن نسبة الإخلاف إلى أنفسهم وهم برآء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلاناً مع أن القاتل واحد منهم كأنهم قالوا ما وجد الإخلاف فيما بيننا بأمر كنا نملكه بل تمسكت الشبهة فى قلوب العبداء حيث فعل السامرى ما فعل فأخرج لهم ما أخرج وقال ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة
- ٨٩ ازدياد الفتنة فيقضى بفساده سباق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى (أفلا يرون) الخ إنكار وتقييح من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعاً وتسفيه لهم فيما أقدموا عليه من المنكر الذى لا يشبهه بطلانه واستحالاته على أحد وهو اتخاذ إلهاً والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألا يتفكرون فلا يعلون (أن لا يرجع إليهم قولا) أى أنه لا يرجع إليهم كلاماً ولا يرد عليهم جواباً فكيف يتوهمون أنه إله وقرئ يرجع النصب قالوا فالرؤية حينئذ بصرية فإن الناصبة لا تقع بعد أفعال اليقين أى ألا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه إليهم قولا من الأقوال وتعليق الإبصار بما ذكر مع كونه أمراً عديماً للتنبيه على كمال ظهوره المستدعى لمزيد تشنيعهم وتركيب عقولهم وقوله تعالى (ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً) عطف على لا يرجع داخل معه فى حيز الرؤية أى أفلا يرون أنه لا يقدر على أن يدفع عنهم ضراً أو يجلب لهم نفعاً
- ٩٠ أولاً يقدر على أن يضرهم إن لم يعبدوه أو ينفعهم إن عبدوه (ولقد قال لهم هرون من قبل) جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الإنكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصامهم على الرسول لإثبات مكابرتهم لقضية

طه ٢٠

قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾

طه ٢٠

قَالَ يَهْرُونُ مَأْمَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾

طه ٢٠

أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾

العقول أى وبالله لقد نصح لهم هرون ونههم على كنه الأمر من قبل رجوع موسى عليه السلام إليهم وخطابه إليهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري كأنه عليه السلام أو ما أبصره حين طلع من الحفيرة توهم منهم الافتتان به فسارع إلى تحذيرهم وقال لهم (يا قوم إنما فتنتم به) أى أوقعتم في الفتنة * بالعجل أو أضلالم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة إنما إلى نفس الفعل بالقياس إلى مقابله الذى يدعيه القوم لا إلى قيده المذكور بالقياس إلى قيد آخر على معنى إنما فعل بكم الفتنة لا الإرشاد إلى الحق لا على معنى إنما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى (وإن ربكم الرحمن) بكسر إن عطفاً على إنما إرشاد لهم * إلى الحق إثر زجرهم عن الباطل والتعرض لعنوان الرواية والرحمة للاعتناء باستماتتهم إلى الحق كما أن التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل أى إن ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير الفاء في قوله تعالى (فاتبعوني) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين أى إذا كان الأمر كذلك فاتبعوني * في الثبات على الدين (وأطيعوا أمرى) هذا وازكوا عبادة ما عرفتم شأنه (قالوا) في جواب هرون عليه السلام (إن نبرح عليه) على العجل وعبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع إلينا موسى) جعلوا رجوعه عليه السلام إليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه عليه السلام بل بطريق التعليل والتسويق وقد سدوا تحت ذلك أنه عليه السلام لا يرجع بشئ مبين تعويلاً على مقالة السامري روى أنهم لما قالوا اعتزلهم هرون عليه السلام فى اثني عشر ألفاً وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى عليه السلام وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من ٩٢ حكاية جوابهم لهرون عليه السلام كأنه قيل فماذا قال موسى لهرون عليهما السلام حين سمع جوابهم له وهل رضى بسكوته بعد ما شاهد منهم ما شاهد فقل قال له وهو مغتاظ قد أخذ بلحيته ورأسه (يا هرون مأمعك إذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة إلى أن شافوك بتلك المقالة الضعفاء (أن لا تبعر) ٩٣ أى أن تتبعنى على أن لا زبدة وهو مفعول ثان لمنع وهو عامل فى إذ أى أى شئ منعك حين رؤيتك أضلالمهم من أن تبغى فى الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على أن لا تبغى فإن المنع عن الشئ مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك أن تلحقنى وتخبرنى بضلالمهم فتكون مفارقتك مزجرة لهم وفيه أن نصائح هرون عليه السلام حيث لم تزجرهم عما كانوا عليه فلأن لا تزجرهم مفارقتهم إليهم عنه أولى والاعتذار بأنهم إذا علموا أنه يلحقهم ويخبره بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام فينزعجوا عن ذلك بمعزل من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بأنهم عاكفون عليه إلى حين رجوعه عليه السلام

قَالَ يَنْتُومُ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ

تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ طه ٢٠

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَنْسَمِرِي ﴿٩٥﴾ طه ٢٠

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي

نَفْسِي ﴿٩٦﴾ طه ٢٠

- (أفصيت أمرى) أى بالصلافة فى الدين والمحاماة عليه فإن قوله له عليهما السلام اخلفنى متضمن للأمر بهما حتماً فإن الخلافة لا تتحقق إلا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضراً والهمزة للإنكار التوبيخى والغاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألم تتبغى أو أخلفتنى ففصيت أمرى (قال يا ابن أم) خص الأم بالإضافة استعظماً لحقها وترقيفاً لقلبه لا لما قيل من أنه كان أخاه لأم فإن الجمهور على أنهما كانا شقيقين (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) أى ولا بشعر رأسى روى أنه عليه السلام أخذ شعر رأسه يمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه السلام حديداً متصلياً فى كل شيء.
- فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى (إنى خشيت) الخ استئناف سيق لتعليل موجب النهى ببيان الداعى إلى ترك المقاتلة وتحقيق أنه غير عاص لأمره بل يمثل به أى إنى خشيت لو قاتلت بعضهم بعض وتفانوا وتفرقوا (أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل) برأيتك مع كونهم أبناء واحد كما نبى عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه وأراد عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذى لا يرجى بعده الاجتماع (ولم ترقب قولى) يريد به قوله عليه السلام اخلفنى فى قومى وأصلح الخ يعنى إنى رأيت أن الإصلاح فى حفظ الدماء والمداراة معهم إلى أن ترجع إليهم فلذلك استأنيتك لتكون أنت المتدارك للأمر حسبما رأيت لاسيما وقد كانوا فى غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى (قال) استئناف وقع جواباً عما نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار القوم بإسناد الفساد إلى السامرى واعتذار هرون عليه السلام كأنه قيل فإذا صنع موسى عليه السلام بعد سماع ما حكى من الاعتذارين واستقرار أصل الفتنة على السامرى فقل قال موجأً له هذا شأنهم (فما خطبك يا سامرى) أى ما شأنك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه عليه السلام بذلك ليظهر للناس بطلان كيد به باعتدائه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولما خلفهم من الأمم (قال) أى السامرى مجيباً له عليه السلام (بصرت بما لم يبصروا به) بضم الصاد فيه ما قرىء بكسر هاءى الأول وفتحها فى الثانى وقرىء بالناء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه أى علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له أو رأيت ما لم يروه وهو الأنسب بما ساقى من قوله وكذلك سولت لى نفسى لاسيما على القراءة بالخطاب فإن ادعاء علم ما لم يعلمه موسى عليه السلام جرأة عظيمة لا تليق بشأنه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره

قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ
الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ طه

عليه السلام فإنها بما يقع بحسب ما يتفق وقد كان رأى أن جبريل عليه السلام جاءه كبراً فرساً وكان كلباً رفع
الفرس يديه أو رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف أن له شيئاً فآخذ من موطنه
حفنة وذلك قوله تعالى (فقبضت قبضة من أثر الرسول) وقرىء من أثر فرس الرسول أى من تربة موطنه
فرس الملك الذى أرسل إليك ليذهب بك إلى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للإشعار بوقوفه على
مالم يقف عليه القوم من الأسرار الإلهية تأكيذاً لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت أخذ ما أخذه والقبضة
المرّة من القبض أطلقت على المقبوض مرة وقرىء بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرىء
فقبضت قبضة بالصاد المهملة والأول للأخذ بجميع الكف والثانى بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم
والقضم (فنبذتها) أى فى الحلّى المذابة فكان ما كان (وكذلك سولت لى نفسى) أى ما فعلته من القبض
والنبذ فقوله تعالى ذلك إشارة إلى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل كذلك فى الأصل النصب على أنه
مصدر تشبيهى أى نعمت لمصدر محذوف والتقدير سولت لى نفسى تسويلاً كأننى مثل ذلك التسويل فقدم
على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لإفادة تأكيده ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة فصار
نفس المصدر المؤكّد لا نعمتاً له أى ذلك التزيين البديع زينت لى نفسى ما فعلته لا تزييناً أدنى منه ولذلك فعلته
وحاصل جوابه أن ما فعله إنما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الأمارة بالسوء وإغوائها لا بشيء آخر
من البرهان العقلى أو الإلهام الإلهى فعند ذلك (قال) عليه السلام (فاذهب) أى من بين الناس وقوله ٩٧
تعالى (فإن لك فى الحياة) الخ تعليل لموجب الأمر وفى متعلقة بالاستقرار فى لك أى ثابت لك فى الحياة أو
بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار فى الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدأ
معنى لا بقوله تعالى (أن تقول لا ميساس) لمكان أن أى ثابت لك كأننى فى الحياة أى مدة حياتك أن تغارقهم
مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بل بحسب التكليف بل بحسب الاضطراب الملجئ إليها وذلك أنه تعالى
رماه بداء عقاب لا يكاد يمس أحداً أو يمس أحداً كأننى من كان إلاهما من ساعته حى شديدة فتحامى الناس
وتحاموه وكان يصيح بأقصى طوقه لا ميساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها
بما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات وصار بين الناس أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم ومن
الوحش النافر فى البرية ويقال إن قومه باق فيهم تلك الحالة إلى اليوم وقرىء لا ميساس كفجار وهو
علم للسهة ولعل السر فى مقابلة جانيته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فإنه لما أنشأ الفتنة بما
كانت ملاسته سبباً لحياة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملاسته سبباً للحمى التى هى من أسباب
موت الأحياء (وإن لك موعداً) أى فى الآخرة (لن تخلفه) أى إن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك
البتة بعد ما عاقبك فى الدنيا وقرىء بكسر اللام والأظهر أنه من أخلفت الموعد أى وجدته خلفاً وقرىء

إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ طه ٢٠

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَاقَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ طه ٢٠

بالنون على حكاية قوله عز وجل (وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً) أى ظلت مقبياً على عبادته
فحذفت اللام الأولى تخفيفاً وقرىء بكسر الظاء بنقل حركة اللام إليها (لنحرقنه) جواب قسم محذوف
أى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الإحراق وقيل بالمبرد على أنه مبالغة فى حرق إذا برد بالمبرد ويعضده
قراءة لنحرقنه (ثم لنفسفنه) أى لنذرينه وقرىء بضم السين (فى اليم) رماداً أو مبروداً كأنه هباء (نسفاً)
بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر ولقد فعل عليه السلام ذلك كله حينئذ كما يشهد به الأمر بالنظر وإنما لم يصرح
به تنديهاً على كمال ظهوره واستحالة الخلف فى وعده المؤكد باليمين (إنما إلهكم الله) استئناف مسوق لتحقيق
الحق إثر إبطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه إلى الكل أى إنما معبودكم المستحق للعبادة الله (الذى
لا إله) فى الوجود لشيء من الأشياء (إلا هو) وحده من غير أن يشاركه شيء من الأشياء بوجه من
الوجوه التى من جملتها أحكام الألوهية وقرىء الله لا إله إلا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى (وسع
كل شيء علماً) أى وسع عليه كل ما من شأنه أن يعلم بدل من الصلة كأنه قيل إنما إلهكم الله الذى وسع كل
شيء علماً لا غيره كائناتاً ما كان فدخل فيه المعجل دخولا أولاً وقرىء وسع بالتشديد فيكون انتصاب
علماً على المفعولية لأنه على القراءة الأولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل إلى التعدي إلى المفعولين صار الفاعل
مفعولاً أول كأنه قيل وسع عليه كل شيء وبه تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير أمر التوحيد
حسبما نطق به خاتمته وقوله تعالى (كذلك نقص عليك) كلام مستأنف خوطب به النبي ﷺ بطريق
الوعد الجليل بتنزيل أمثال ماسر من أنباء الأمم السالفة وذلك إشارة إلى اقتصاص حديث موسى عليه
السلام وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الفضل ومحل الكاف النصب على أنه
نعت لمصدر مقدر أى نقص عليك (من أنباء مآقد سبق) من الحوادث الماضية الجارية على الأمم الحالية
قصاً مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعمين ومن فى قوله تعالى من أنباء فى حيز النصب
إما على أنه مفعول نقص باعتبار مضمونه وإما على أنه متعلق بمحذوف هو صفة المفعول كما فى قوله تعالى
ومنادون ذلك أى جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض أنباء مآقد سبق أو بعضاً كائناتاً من أنباء مآقد سبق
وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول إلحوا تأخير عن عليك لما مر رآ من الاعتناء بالمقدم
والتشويق إلى المؤخر أى مثل ذلك القص البديع الذى سمعته نقص عليك ما ذكر من الأنباء لا قصاً ناقصاً عنه
تبصرة لك وتوفيراً لعلمك وتكثيراً للمعجزاتك وتذكيراً للستبصرين من أمته (وقد آتيناك من لدنا ذكراً)
أى كتاباً منظوماً على هذه الأقاصيص والأخبار حقيقةً بالتفكير والاعتبار وكلية من متعلقة بآيتناك وتكثير
ذكر التفخيم وتأخير عن الجار والمجرور لما أن مرجع الإفادة فى الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكر أعظيماً
وقرآناً كريماً جامعاً لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بآبعده من

- مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ طه ٢٠
- خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ طه ٢٠
- يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ طه ٢٠
- يَخْخَفُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ طه ٢٠

- ١٠٠ الصفة فتقدمه يذهب برواق النظم الكريم (من أعرض عنه) عن ذلك الذكر العظيم الشأن المستنقع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن إما شرطية أو موصولة وأياً ما كانت فالجمله صفة لذكر (فإنه) أى المعرض عنه (يحمل يوم القيامة وزراً) أى عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزراً إما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفتح الحامل وينقض ظهره أو لأنها جزء الوزر وهو الإثم والأول هو الأنسب بما سيأتى من تسميتها حملاً وقوله تعالى (خالدين فيه) أى فى الوزر أو فى احتماله المستمر حال من المستكن فى يحمل والجمع بالنظر إلى معنى من لما أن الخلود فى النار بما يتحقق حال اجتماع أهلها كما أن الأفراد فيما سبق من الضمائر الثلاثة بالنظر إلى لفظها (وساء لهم يوم القيامة حملاً) أى بشئ لهم فقيه ضمير مبهم يفسره حملاً والمخصوص بالذم محذوف أى ساء حملاً وزرهم واللام للبيان كما فى هيت لك كأنه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فأجيب لهم وإعادة يوم القيامة لزيادة التقرير وتهويل الأمر (يوم ينفخ فى الصور) بدل من يوم القيامة أو منصوب بإضمار اذكر أو ظرف لمضمر قد حذف الإيذان
- ١٠١ بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر فى تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله تعالى يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً وقرئ تنفخ بالنون على إسناد التنفخ إلى الأمر به تعظيماً له وبالياء المفتوحة على أن ضميره لله عز وجل أو لإسرافيل عليه السلام وإن لم يجر ذكره لشهرته (ونحشر المجرمين يومئذ) أى يوم إذ ينفخ فى الصور وذكره صريحاً مع تعين أن الحشر لا يكون إلا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون (زرقة) أى حال كونهم زرق العيون وإنما جعلوا كذلك لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب فإن الروم الذين كانوا أعدى عدوم زرق ولذلك قالوا فى صفة العدو أسود الكبد وأصعب السبال وأزرق العين أو عمياً لأن حدقة الأعشى تزرق وقوله تعالى (يتخافتون بينهم) أى يخفون
- ١٠٢ أصواتهم ويخفونهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استئناف ببيان ما يأتون وما يذرون حيث أكدوا حال أخرى من المجرمين أى يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة (إن لبثتم) أى ما لبثتم فى الدنيا (إلا عشرًا) أى عشر ليال استقصار لمدة لبثهم فيها لزوالها أو لاستطاعتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وأيقنوا أنهم استحقوها على إضاعتها فى قضاء الأوطار واتباع الشهوات أو فى القبر وهو الأنسب بحالهم فإنهم حين يشاهدون البعث الذى كانوا ينكرونه فى الدنيا ويعدون من قبيل المحالات لا يتألمون من أن يقولوا ذلك اعترافه وتحقيقاً لسرعة وقوعه كأنهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم فى القبر إلا مدة يسيرة

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ٢٠ طه

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ١٠٥ طه

فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ١٠٦ طه

لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ١٠٧ طه

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ١٠٨ طه

والإلخالم أقطع من أن تمسكنهم من الاشتغال بتذكر أيام النعمة والسرور واستقصاها والتأسف
 ١٠٤ عليها (نحن أعلم بما يقولون) وهو مدة لبثهم (إذ يقول أمثلهم طريقة) أى أعد لهم رأياً أو عملاً (إن
 لبثتم إلا يوماً) ونسبة هذا القول إلى أمثلهم استرجاع منه تعالى له لكن لا لكونه أقرب إلى الصدق بل
 ١٠٥ لكونه أدل على شدة الهول (ويسألونك عن الجبال) أى عن مآل أمرها وقد سأل عن رجل من ثقيف
 وقيل مشركو مكة على طريق الاستهزاء (فقل ينسفها ربي نسفاً) أى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الريح
 ١٠٦ فتفرقها والفاء للسرعة إلى إلزام السائلين (فيذرها) الضمير إما للجبال باعتبار أجزائها السافلة الباقية
 بعد النسف وهى مقارها ومراكزها أى فيذر ما انبسط منها وسوى سطحه سطوح سائر أجزاء الأرض
 بعد نسف مائتاً منها ونشروا مال الأرض المدلول عليها بقرينة الحال لأنها الباقية بعد نسف الجبال وعلى
 التقديرين يذر الكل (قاعاً صفصفاً) لأن الجبال إذا سويت وجعل سطحها مساوياً لسطوح سائر أجزاء
 الأرض فقد جعل الكل سطحاً واحداً والقاع قيل السهل وقيل المنكشف من الأرض وقيل المستوى
 الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الأرض المستوية الملساء كان أجزاءه صف واحد
 من كل جهة وانتصاب قاعاً على الحالية من الضمير المنسوب أو هو مفعول ثانٍ ليدر على تضمين معنى
 ١٠٧ التعبير وصفصفاً إما حال ثانية أو بدل من المفعول الثانى وقوله تعالى (لا ترى فيها) أى فى مقار الجبال
 أو فى الأرض على ما مر من التفصيل (عوجاً) بكسر العين أى اعوجاجاً ما كأنه لغاية خفائه من قبيل ما فى
 المعانى أى لا تدركه إن تأملت بالمقاييس الهندسية (ولا أمتاً) أى تنوماً يسيراً استئناف مبين لكيفية
 ما سبق من القاع الصفصف أو حال أخرى أو صفة لقاعاً والخطاب لكل أحد ممن تنأت منه الرؤية وتقديم
 الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه
 ١٠٨ من طول ر بما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم (يومئذ) أى يوم إذ نسفت الجبال على إضافة اليوم
 إلى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى (يتبعون الداعى) وقيل بدل من يوم القيامة وليس بذاك
 أى يتبع الناس داعى الله عز وجل إلى المحشر وهو إسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية
 قائماً على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام النخرة والأوصال المتفرقة واللحوم المنزقة قومى إلى

- يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ طه
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ۖ عَلَيْهِ ﴿١١٠﴾ طه
وَعَنْتِ أَلْوُجُوهٌ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ طه
وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ طه

عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب إلى صوبه (لا عوج له) لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه (وخشعت
الاصوات للرحمن) أي خضعت لهيبته (فلا تسمع إلا همساً) أي صوتاً خفياً ومنه الهميس لصوت
أخفاف الإبل وقد فسر الهمس بخفق أقدامهم ونقلها إلى المحشر (يومئذ) أي يوم إذيقع ملاك من الأمم و ١٠٩
الطائفة (لا تنفع الشفاعة) من الشفعاء أحداً (إلا من أذن الرحمن) أن يشفع له (ورضى له قولاً) أي
ورضى لأجله قول الشافع في شأنه أو رضى قوله لأجله في شأنه وأما من عداه فلا تكاد تنفعه وإن فرض
صدورها عن الشفعاء المتصددين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فلا استثناء كما ترى
من أعم المفاعيل وأما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمن أن
يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل إليه لما أن حكم الشفاعة من لم يؤذن له أن لا يملكها ولا تصدره عنه
أصلاً كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً وقوله تعالى ولا يعفون إلا
لمن ارضى قال إخبار عنها بمجرد عدم نعمها للشفوع له ربما يوم إمكان صدورها عن لم يؤذن له مع إخلاله
بمقتضى مقام تهويل اليوم وأما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فعناه عدم الإذن في الشفاعة لا عدم قبولها
بعد وقوعها (يعلم ما بين أيديهم) أي ما تقدمهم من الأحوال وقيل من أمر الدنيا (وما خلفهم) وما بعدهم ١١٠
كما يستقبلونه وقيل من أمر الآخرة (ولا يحيطون به علماً) أي لا تحيط علومهم بمعلوماته تعالى وقيل
بذاته أي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جعلتها العلم الشامل وقيل الضمير لأحد الموصولين أو
لمجموعها فإنهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه (وعنت الوجوه للحى القيوم) أي ذلت
وخضعت خضوع العتاة أي الأسارى في يد الملك القهار ولعلمها وجوه المجرمين كقوله تعالى سيئت وجوه
الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى (وقد خاب من حمل ظُلماً) قال ابن عباس رضى الله عنهما خسر من أشرك
بالله ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لا جله عنت وجوههم أو اعتراض كأنه قيل خابوا وخسروا وقيل
حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من
حمل منهم ظُلماً فقولته تعالى (ومن يعمل من الصالحات) الخ قسم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظُلماً لا ١١٢
لقوله تعالى وعنت الوجوه الخ كما أنه كذلك على الوجه الأول أي ومن يعمل بعض الصالحات أو بعضاً من
الصالحات على أحد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من أنباء ما قد سبق (وهو مؤمن) فإن الإيمان
شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات (فلا يخاف ظُلماً) أي منع ثواب مستحق بموجب الوعد (ولا

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ
ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ طه ٢٠

فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ
رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ طه ٢٠

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ طه ٢٠

هضما) ولا كسراً منه ينقص أو لا يخاف جزاء ظلم وهضم إذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما
١١٣ وقرئ. فلا يخف على النهى (وكذلك) عطف على كذلك نقص وذلك إشارة إلى إنزال ما سبق من الآيات
المتضمنة للوعد للنبوة عما سيقع من أحوال القيامة وأحوالها أى مثل ذلك الإنزال (أنزلناه) أى القرآن
كله وإضماره من غير سبق ذكره للإيذان بنباهة شأنه وكونه مركزاً في العقول حاضراً في الأذهان
(قرآنًا عربياً) ليفهمه العرب ويفقوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجاً عن طوق البشر
نارلاً من عند خلاق القوى والقدر (وصرفنا فيه من الوعد) أى كررنا فيه بعض الوعد أو بعضاً من
الوعد حسبما أشير إليه آنفاً (لعلهم يتقون) أى كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل (أو يحدث لهم ذكراً)
١١٤ اتعاضاً واعتباراً مؤدياً بالآخرة إلى الاتقاء (فتعالى الله) استعظام له تعالى ولشؤنه التى يصرف عليها
عباده من الأوامر والنواهي والوعود والوعيد وغير ذلك أى ارتفع بذاته وتنزه عن مائلة المخلوقين في ذاته
وصفاته وأفعاله وأحواله (الملك) النافذ أمره ونهيه الحقيقي بأن يرجى وعده ويخشى وعيده (الحق) في
ملكوته والوحيته لذاته أو الثابت في ذاته وصفاته (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك) أى يتم
(وحيه) كان رسول الله ﷺ إذا أتى إليه جبريل عليهما السلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل
كلمة لكامل اعتناؤه بالتلقى والحفظ فنهى عن ذلك إثر ذكر الإنزال بطريق الاستطراد لما أن استقرار
الالفاظ في الأذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وأمر باستفاضة
العلم واستزادته منه تعالى فقليل (وقل) أى في نفسك (رب زدني علماً) أى سل الله عز وجل زيادة العلم
فإنه الموصل إلى طلبتك دون الاستعجال وقيل أنه نهى عن تبليغ ما كان بمحلا قبل أن يأتي بيانه وليس بذلك
١١٥ فإن تبليغ المجمع وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته (ولقد عهدنا إلى آدم) كلام مستأنف
مسوق لتقرير ما سبق من تشریف الوعد في القرآن وبيان أن أساس بني آدم على العصيان وعرقه راسخ
في النسيان مع ما فيه من إنجاز الموعد في قوله تعالى كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق يقال عهد إليه
الملك وعزم عليه وتقديم إليه إذا أمره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم
محذوف أى وأقسم أو وبالله أو والله لقد أمرناه ووصيناه (من قبل) أى من قبل هذا الزمان (فنسى) أى
العهد ولم يعن به حتى غفل عنه أو تركه ترك المنسى عنه وقرئ. فنى أى نساها الشيطان (ولم نجد له عزماً)

- وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ طه ٢٠
- فَقُلْنَا يَتَدَبَّرُونَ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ طه ٢٠
- إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ طه ٢٠
- وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ طه ٢٠

تصميم رأى وثبات قدم في الأمور إذ لو كان كذلك لما أزاله الشيطان ولما استطاع أن يفتره وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدء أمره من قبل أن يجرب الأمور ويتولى حارها وقارها ويدوق شربها وأريها عن النبي ﷺ لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزماً وقيل له عزماً على الذنب فإنه أخطأ ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد إن كان من الوجود العلمي فله عزماً مفعولاه قدم الثاني على الأول لكونه ظرفاً وإن كان من الوجود المقابل للعدم وهو الأنسب لأن مصب الفائدة هو المفعول وليس في الإخبار بكون العزم المعلوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أو بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كأنه قيل ولم نصادف له عزماً وقوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه وإذ ١١٦ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي ﷺ أي واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مراراً من المبالغة في إيجاب ذكرها فإن الوقت مشتمل على تفاصيل الأمور الواقعة فيه فالأمر بذكره أمر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل على أعيان الحوادث فإذا ذكر صارت الحوادث كأنها موجودة في ذهن المخاطب بوجوداتها العينية أي اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه (فسجدوا إلا إبليس) قد سبق الكلام فيه مراراً (أبى) جملة مستأنفة وقعت جواباً عن سؤال نشأ عن الإخبار بعدم سجوده كأنه قيل ما باله لم يسجد فقيل أبى واستكبر ومفعول أبى إما محذوف أي أبى السجود كما قوله تعالى أبي أن يكون مع الساجدين أو غير منوى رأساً بتنزيله منزلة اللازم أي فعل الإباء وأظهره (فقلنا) عقيب ١١٧ ذلك اعتناء بنصحه (يا آدم إن هذا) الذي رأيت ما فعل (عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما) أي لا يكون سبباً لإخراجكما (من الجنة) والمراد نهيهما عن أن يكونا بحيث يتسبب الشيطان إلى إخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا أرينك هنا والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما أو على الإخبار بها (فتشقى) جواب للنهي وإسناد الشقاء إليه خاصة بعد تعليق الإخراج الموجب لهما معاً لاصالته في الأمور واستلزام شقائه لشقائهما مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادئ المعاش وذلك من وظائف الرجال (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى) (وأنت لا تظمأ فيها ١١٨ ١١٩ ولا تصحى) تعليل لما يوجهه النهي فإن اجتماع أسباب الراحة فيها بما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل

مبادئ البقاء فيها والجد في الانتهاء مما يؤدي إلى الخروج عنها والعدول عن التصريح بأن له عليه السلام فيها تنعماً بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعاً بأصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع أن فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى إلى ما ذكر من نفي نقائصها التي هي الجوع والمطش والعري والضحى لتذكير تلك الأمور المنكرة والتنبيه على ما فيها من أنواع الشقوة التي حذر عنها ليل بالغ في التحامى عن السبب المؤدى إليها على أن الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثنى من الشجرة حسبما نطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما وقد طوى ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى أن لا تجوع فيها الخ أن لا يصيبه شيء من الأمور الأربعة أصلاً فإن الشبع والعري والكسوة والكن قد تحصل بعد عروض أضدادها بإعواز الطعام والشراب والملابس والمسكن وليس الأمر فيها كذلك بل كل ما وقع فيها شهوة وميل إلى شيء من الأمور المذكورة تمتع به من غير أن يصل إلى حد الضرورة ووجه إفراده عليه السلام بما ذكر مأمراً آنفاً وفصل الظماً عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحى المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالإشارة إلى أن نفي كل واحد من تلك الأمور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظماً لربما توم أن نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحى على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على أن نفي كل واحد من الأمور المذكورة مقصودة بالذات مذكور بالإصالة لا أن نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرىء إنك بالكسر والجمهور على الفتح بالمعطف على أن لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة بأن المفتوحة اسماً للكسورة المشاركة لها في إقادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبراً لها لما أن المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة لا اجتماع فيهما نحن فيه لا اختلاف مناط التحقيق فيما في حينهما بخلاف ما لو وقعت خبراً لها فإن اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه أن كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعاً لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى أن مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الإيجابي أو السلبي وأن مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فدل كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسماً للكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المؤولة بالمصدر وأما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول المفتوحة حتماً فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعاً وإنما لم يجوزوا أن يقال إن أن زيدا قائم حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا إن عندى أن زيدا قائم للتجافي عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وإن كانت نائمة عن المكسورة التي يتمتع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في إفضاء معناها وإجراء أحكامها على مدخولها لاسكنها حيث لم تكن حرفاً موضوعاً للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق أصلاً فالمعنى إن لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظم خلا أنه لم يقتصر على بيان أن الثابت له عليه السلام عدم الظم والضحى مطلقاً كما فعل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان أن الثابت له عليه السلام تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدرى

فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ طه ٣٠

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهَا سَوْءُ نَفْسٍ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ

فَقَوَى ﴿١٢١﴾ طه ٢٠

ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَقَاتَبَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ طه ٢٠

قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا

يُضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ طه ٢٠

- المحض أن المفيدة له كانه قيل إن لك فيها عدم ظمئك على التحقيق (فوسوس إليه الشيطان) أى أنهى إليه ١٢٠ وسوسته أو أسرها إليه (قال) إما بدل من وسوس أو استئناف وقع جواباً عن سؤاله نشأ منه كانه قيل فماذا قال فى وسوسته فقيل قال (يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أى شجرة من أكل منها خلد ولم يمت أصلاً سواء كان على حاله أو بأن يكون ملكاً لقوله تعالى إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين (وملك لا يبلى) أى لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه (فأكلا منها فبدت لهما سوءاً) قال ابن عباس ١٢١ رضى الله عنهما عرياً عن النور الذى كان الله تعالى ألبسهما حتى بدت فروجهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) قد مر تفسيره فى سورة الأعراف (وعصى آدم ربه) بما ذكر من أكل الشجرة (فقوى) ضل عن مطلوبه الذى هو الخلود أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث أغر بقول العدو وقرىءه فقوى من غوى الفصيل إذا اتخم من اللبن وفى وصفه عليه السلام بالعصيان والقواية مع صغرزته تعظيم لها وزجر بليغ لأولاده عن أمثالها (ثم اجتباها ربه) أى اصطفاها وقربه إليه بالحل على التوبة والتوفيق طه ١٢٢ من اجتنى الشئ بمعنى جباها لنفسه أى جمعه كقولك اجتمعته أو من جنى إلى كذا فاجتنيته مثل جليت على العروس فاجتليتها وأصل الكلمة الجمع وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام (فقاتب عليه) أى قبل توبته حين تاب هو وزوجته قاتلين ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وإفراده عليه السلام بالاجتناء وقبول التوبة قد مروجه (وهدى) أى إلى الثبات على التوبة والتمسك بأسباب العصمة (قال) استئناف مبنى على سؤال تشا من ١٢٣ الإخبار بأنه تعالى قبل توبته وهداه كانه قيل فماذا أمره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته (اهبطا منها جميعاً) أى ازلوا من الجنة إلى الأرض وقوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) حال من ضمير المخاطب فى اهبطا والجمع لما أنهما أصل الذرية ومنشأ الأولاد أى متعادين فى أمر المعاش فالمعاش عليه الناس من التجاذب والتحارب (فإما يأتينكم مني هدى) من كتاب ورسول (فمن اتبع هداي) وضع الظاهر موضع المضمر مع الإضافة إلى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة فى إيجاب اتباعه (فلا يضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ٢٠ طه

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ٢١ طه

قَالَ كَذَلِكَ أَنتُكَ ءَايَتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ٢٢ طه

وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ٢٣ طه

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي

النُّهَى ٢٤ طه

- ١٢٤ (ومن أعرض عن ذكرى) أى عن الهدى الذى ذكر لى والداعى إلى (فإن له) فى الدنيا (معيشة ضنكا) ضيقاً مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرىء ضنكى كسكى وذلك لأن جماع مرتبه ومطامح نظره مقصورة على أعراض الدنيا وهو متهاك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه قد يضيق الله بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقوله تعالى ولو أن أهل الكتاب آمنوا إلى قوله تعالى لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل هو الضريع والزقوم فى النار وقيل عذاب القبر (ونحشره) وقرىء بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفاً على محل فإن له معيشة ضنكا لأنه جواب الشرط (يوم القيامة أعمى) فاقد البصر كما فى قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم صيباً وبكاء وصلاً أعمى عن الحجة كما قيل (قال) استئناف كما مر (رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً) أى فى الدنيا وقرىء أعمى بالإمالة فى الموضعين وفى الأول فقط لكونه جديراً بالتغيير لكونه رأس الآية ومحل الوقف (قال كذلك) أى مثل ذلك فعلت أنت ثم فسره بقوله تعالى (أنتك آياتنا) واضحة نيرة بحيث لا تخفى على أحد (فنسيها) أى عميت عنها وتركها ترك المنسى الذى لا يذكر أصلاً (وكذلك) ومثل ذلك النسيان الذى كنت فعلته فى الدنيا (اليوم تنسى) ترك فى العمى والعذاب جزاء وفاك لكن لا أبداً كما قيل بل إلى ما شاء الله ثم يزيله عنه فيرى أهوال القيامة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذاباً فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم ١٢٥ أسمعهم وأبصرهم يأتوننا (وكذلك) أى مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية (نجزى من أسرف) بالانهماك فى الشهوات (ولم يؤمن بآيات ربه) بل كذبها وأعرض عنها (ولعذاب الآخرة) على الإطلاق أو ١٢٨ عذاب النار (أشد وأبقى) أى من ضنك العيش أو منه ومن الحشر على العمى (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية والحمدزة للإنكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية باللام إمالته لئلا يظن أنها منزلة اللام فلا حاجة

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ط ٢٠

إلى المفعول أو لأنها بمعنى التبيين والمفعول محذوف وأياً ما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها وضمير لهم للشركين المعاصرين لرسول الله ﷺ والمعنى أغفلوا فلم يفعل الهداية لهم أو فلم يبين لهم مآل أمرهم كثرة أهلاكنا للقرون الأولى وقد مر في قوله عز وجل أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد إلى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون العظمة وقوله تعالى كم أهلكنا الخ إما معلق للفاعل ساد مسد مفعوله أو مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والأوجه أن لا يلاحظ له مفعول كأنه قيل أفلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم أهلكنا الخ بياناً لتلك الهداية ومن القرون في محل النصب على أنه وصف لميز كم أى كم قرنا كأننا من القرون وقوله تعالى (يمشون في مساكنهم) حال من القرون أو من مفعول أهلكنا أى أهلكناهم وهم في حال أمن وتقلب في ديارهم أو من الضمير في لهم مؤكداً للإنكار والعامل يهد والمعنى أفلم يهد لهم إهلاكنا للقرون السالفة من أصحاب الحجر وثمود وقرىات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم إذا سافروا إلى الشام مشاهدين لأنار هلاكهم مع أن ذلك مما يوجب أن يهتدوا إلى الحق فيعتبروا بالتلاجل بهم مثل ما حل بأولئك وقرى يمشون على البناء للمفعول أى يمكنون من المشى (إن في ذلك) تعليل للإنكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك إشارة إلى مضمون قوله تعالى كم أهلكنا الخ وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلته وعلو شأنه في باب (آيات) كثيرة عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فإذن هو هادو أيما هادو يجوز أن تكون كلفة في تجريدية فافهم (لأولى النهى) لذوى العقول الناهية عن القبايح التى من أقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بآيات الله تعالى والتعاضى عنها وغير ذلك من فنون المعاصى وفيه دلالة على أن مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك) كلام مستأنف سبق لبيان حكمة عدم وقوع ١٢٩ ما يشعر به قوله تعالى أفلم يهد لهم الآية من أن يصيبهم مثل ما أصاب القرون المهلكة أى ولولا الكلمة السابقة وهى العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه (لكان) عقاب جنائياتهم (لزماً) أى لازماً لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتأخر عن جنائياتهم ساعة لزوم ما نزل بأولئك الغابرين وفى التعريض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام تلويح بأن ذلك التأخير لتشريفه عليه السلام كما ينبى عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم والزام إمام صدر لازم وصف به مبالغة وإما فاعل بمعنى مفعول جعل آلة اللزوم لفرض لزومه كما يقال لزاز خصم (وأجل مسمى) عطف على كلمة أى ولولا أجل مسمى لأنهم هم أو لعذابهم وهو يوم القيامة ويوم بدر لما تأخر عذابهم أصلاً وفصله عما عطف عليه للسارعة إلى بيان جواب لولا والإشمار باستقلال كل منهما بنفى لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآية الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن في كان العائد إلى الأخذ الراجع إلى المفهوم من السياق تنزيلاً للفصل بالخبر منزلة التأكيدي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كدأب عاد وثمود

فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾

طه ٢٠

وَلَا تَحْزَنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾

طه ٢٠

١٣٠. وأضرابهم ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل (فاصبر على ما يقولون) أى إذا كان الأمر على ما ذكر من أن تأخير عذابهم ليس بإهمال بل إهمال وأنه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فإن عليه عليه السلام بأنهم معذبون لأعمالهم بما يسليه ويحمله على الصبر (وسبح) ملتبأ (بحمد ربك) أى صل وأنت حامد لربك الذى يبلغك إلى كمالك على هدايته وتوفيقه أو نزهه تعالى عما ينسبونه إليه بما لا يليق بشأنه الرفيع حامداً له على ما ميزك بالهدى معترفاً بأنه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى (قبل طلوع الشمس) الخ فإن توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعنى صلاتي الظهر والعصر لأنهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة قوله تعالى قبل طلوع الشمس وقبل صلاة العصر (ومن آناء الليل) أى من ساعاته جمع لى بالكسر والقصر وأناء بالفتح والمد (فسبح) أى فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فإن القلب فيهما أجمع والنفس إلى الاستراحة أميل فتكون العبادة فيهما أشق ولذلك قال تعالى إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلاً (وأطراف النهار) تكرير لصلاة الفجر والمغرب إيذاناً باختصاصهما بمزيد منزلة وجميته بلفظ الجمع لأن الإلباس كقول من قال ظهر إمام مثل ظهور الترسين أو أمر بصلاة الظهر فإنه نهاية النصف الأول من النهار وبداية النصف الأخير وجمعه باعتبار النصفين أو لأن النهار جنس أو أمر بالتطوع في أجزاء النهار (لعلك ترضى) متعلق به يبع أى سبّح فى هذه الأوقات رجاء أن تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرىء ترضى على صيغة البناء للمفعول من أَرْضَى أى يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أى لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل (إلى ما متعنا به) من زخارف الدنيا وقوله تعالى (أزواجاً منهم) أى أصنافاً من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به أو هو حال من الضمير والمفعول منهم أى إلى الذى متعنا به وهو أصناف وأنواع بعضهم على أنه معنى من التبعية أو بعضاً منهم على حذف الموصوف كما مراراً (زهرة الحياة الدنيا) منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا أى أعطينا أو به على تضمين معناه أو بالبديلية من محل به أو من أزواجاً بتقدير مضاف أو بدونه أو بالذم وهى الزينة والبهجة وقرىء زهرة بفتح الهاء وهى لغة كالجهرة فى الجهرة أو جمع زاهر ووصف لهم بأنهم زاهر والدنيا للتنعمهم وبهاهم زيم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد (لنفتنهم فيه) متعلق بمتعنا جى به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته ما لا إثر لإظهار بهجته حالاً أى لتعاملهم معاملة من يتلهم ويختبرهم فيه أو لنعتهم فى الآخرة بسببه (ورزق ربك) أى ما دخر لك فى الآخرة أو ما رزقك فى الدنيا من النبوة والهدى (خير) مما منحهم فى الدنيا لأنه مع كونه

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ طه

وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؎ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ طه

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَحْزَى ﴿١٣٤﴾ طه

في نفسه أجل ما يتنافس فيه المتنافسون ما مون الغائلة بخلاف ما منحوه (وَأَبْقَى) فإنه لا يكاد ينقطع نفسه أو أثره أبداً كما عليه زهرة الدنيا (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ) أمر ﷺ بأن يأمر أهل بيته أو التابعين له من أمته بالصلاة بعد ما أمر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة (وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) وثابر عليها غير مشتغل بأمر المعاش (لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا) أي لا تكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك (نَحْنُ نَرْزُقُكَ) وإياهم فقرغ بالك بأمر الآخرة (وَالْعَاقِبَةُ) الحميدة (لِلتَّقْوَى) أي لاهل التقوى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيهاً على أن ملك الأمر هو التقوى روى أنه ﷺ كان إذا أصاب أهله ضرر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ) ١٣٢ حكاية لبعض أقاويلهم الباطلة التي أمر ﷺ بالصبر عليها أي هلا يأتينا بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة أو آية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد إلى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجتمعوا على النفور بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى (أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى) أي التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وجل لمقاتلتهم القبيحة وتكذيبهم لدسوا تحتها من إنكار إتيان الآية بإتيان القرآن الكريم الذي هو أم الآيات وأس المعجزات وأعظمها فيما وأبقاها لأن حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من الأمور الخارقة للعادات أي أمر كان ولا ريب في أن العلم أجل الأمور وأعلاها إذ هو أصل الأعمال ومبدأ الأفعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الأولين والآخرين على يد أمي لم يمارس شيئاً من العلوم ولم يدرس أحداً من أهلها أصلاً فأي معجزة تراد بعد وروده وأي آية ترام مع وجوده وفي إرادته بعنوان كونه بينة لما في الصحف الأولى من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية أي شاهداً بحقيقة ما فيها من العقائد الحقة وأصول الأحكام التي أجمعت عليها كافة الرسل وبصحة ما تنطق به من أنباء الأمم من حيث إنه غنى بإعجازه عما يشهد بحقيقته حقيق بإثبات حقيقة غيره مالا يخفى من تنويه شأنه وإثارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لإتيانه وإسناد الإتيان إليه مع جعلهم إياه ما تيا به للتنبيه على أصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبيئة والهمزة لإنكار الوقوع والواو للمعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل ألم تأتتهم سائر الآيات ولم تأتتهم خاصة بينة ما في الصحف الأولى تقرير لإتيانه وإيداناً بأنه من الواضح بحيث لا يتأتى منهم إنكاره أصلاً وإن اجتمعوا على إنكار سائر الآيات مكابرة وعناد وقرئ أولم تأتتهم بالياء التحنانية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفاً وقوله تعالى (ولو أنا

قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسْتَعْلَبُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾ طه ٢٠

أهلكنا بعذاب (إلى آخر الآية جملة مستأنفة سبقت لتقرير ما قبلها من كون القرآن آية بينة لا يمكن إنكارها ببيان أنهم يعترفون بها يوم القيامة والمعنى لو أنا أهلكناهم في الدنيا بعذاب مستأصل (من قبله) متعلق بأهلكنا أو بمحذوف هو صفة لعذاب أى بعذاب كائن من قبل إتيان البينة أو من قبل محمد ﷺ (لقالوا) أى يوم القيامة (ربنا لولا أرسلت إلينا) في الدنيا (رسولا) مع كتاب (فتتبع آياتك) التى جاءت بها (من قبل أن نذل) بالعذاب في الدنيا (ونخزي) بدخول النار اليوم ولكننا لم نهلكهم قبل إتيانها ١٣٥ فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مازل الله من شيء (قل) لا أولئك الكفرة المتمردين (كل) أى كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم (فتربصوا) وقرىء فتمتعوا (فستعلبون) عن قريب (من أصحاب الصراط السوى) أى المستقيم وقرىء السواء أى الوسط الجيد وقرىء السوء والسوءى والسوى تصغير السوء (ومن اهتدى) من الضلالة ومن فى الموضعين استفهامية محملا الرفع بالابتداء خبرها ما بعدها والجملة سادة مسددة مفعولى العلم أو مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الأولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب أو على الصراط وقيل العائد فى الأولى محذوف والتقدير من هم أصحاب الصراط . عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة طه أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا سورة طه ويس .

٢١ - سورة الأنبياء

(مكية وآياتها مائة واثنان عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١ الأنبياء

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾

(سورة الأنبياء مكية وآياتها مائة واثنان عشرة آية)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (اقرب للناس حسابهم) مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الحاتمة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس رضى الله عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذى يفصح عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه فى ضمن اقتراب الساعة وإسناد الاقتراب إليه لا إلى الساعة مع استبعادها له ولسائر ما فيها من الأحوال والأحوال الفظيعة لانسياق الكلام إلى بيان غفلتهم عنه وإعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للسارعة إلى إدخال الروعة فإن نسبة الاقتراب إليهم من أول الأمر مما يسوقهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقرب كما أن تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح فى قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الأرض لتعجيل المسرة لما أن بيان كون الخلق لأجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا إليه وجعلها تأكيداً للإضافة على أن الأصل المتعارف فيما بين الأوساط اقتراب حساب الناس ثم اقتراب للناس الحساب ثم اقتراب للناس حسابهم مع أنه تعسف تام بمعزل عما يقتضيه المقام وإنما الذى يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب أعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفى إسناد الاقتراب النبىء عن التوجه نحوهم إلى الحساب مع إمكان العكس بأن يعتبر التوجه والإقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شأنه وتحويل أمره مالا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شئ مقبل عليهم لا يزال يطالبهم ويصليهم لاحتالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فإنه فى كل ساعة من ساعات الزمان أقرب إليهم منه فى الساعة السابقة هذا وأما الاعتذار بأن قربه بالإضافة إلى ماضى من الزمان أو بالنسبة إلى الله عز وجل أو باعتبار أن كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضى ولا حاجة إليه فى تحقيق أصل معناه نعم قد يفهم منه عرفاً كونه قريباً فى نفسه أيضاً فيصار حينئذ إلى التوجيه بالوجه الأول دون الآخرين أما الثانى فلا سبيل إلى اعتباره ههنا لأن قربه بالنسبة إليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتماً وإنما اعتباره فى قوله تعالى لعل الساعة قريب وظاهره مما لا دلالة فيه على الحدوث وأما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة إلى شئ آخر (وهم فى غفلة) أى فى غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرّة لا أنهم غير مباليين به مع اعترافهم بإتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم أن الأعمال لا بد لها من الجزاء (معرضون) أى عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت

مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَاسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢١﴾

٢١ الأنبياء

لَا هِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ

٢١ الأنبياء

تَبْصِرُونَ ﴿٢٢﴾

- ٢ الغفلة أمراً جبلياً لهم جعل الخبر الأول ظرفاً منبثقاً عن الاستقرار بخلاف الإعراض والجملة حال من الناس وقد جرد كون الظرف حالاً من المستكن في معرضون (ما يأتيتهم من ذكر) من طائفة نازلة من القرآن تذكروا ذلك أكل تذكير وتنبههم عن الغفلة أنهم تفتيه كأنها نفس الذكر ومن في قوله تعالى (من ربهم) لا ابتداء الغاية مجازاً متعلقة بآيتهم أو بمحذوف هو صفة لذكر وأياً ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وبكال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع (محدث) بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملاً على محله أى محدث تنزيلة بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى (إلا استمعوه) استثناء مفرغ محله النصب على أنه حال من مفعول يأتيتهم بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى (وم يلعبون) حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى (لا هية قلوبهم) إما حال أخرى منه أو من واو يلعبون والمعنى ما يأتيتهم ذكر من ربهم محدث في حال من الأحوال إلا حال استماعهم إياه لا عين مستهزئين به لا عين عنه أو لا عين به حال كون قلوبهم لا هية عنه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكير في المواقف وقرئ لا هية بالرفع على أنه خبر بعد خبر (وأسروا النجوى) كلام مستأنف مسوق لبيان جناياتهم خاصة إثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجى ومعنى إسرارها مع أنها لا تكون إلا سرا أنهم بالغوا في إخفاتهم وأسروا نفس التناجى بحيث لم يشعر أحد بانهم متناجون وقوله تعالى (الذين ظلموا) بدل من واو أسروا منبثق عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى قدم عليه اهتماماً به والمعنى هم أسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلاً على فعلهم بكونه ظليلاً أو منصوب على الذم وقوله تعالى (هل هذا إلا بشر مثلكم) الخ في حيز النصب على أنه مفعول لقول مضمهر هو جواب عن سؤال نشأ عما قبله كأنه قيل ماذا قالوا في نجوهم فقيل قالوا هل هذا الخ أو بدل من أسروا أو معطوف عليه أو على أنه بدل من النجوى أى أسروا هذا الحديث وهل بمعنى التفي والهمزة في قوله تعالى (أفتأتون السحر) للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى (وأتم تبصرون) حال من فاعل تأتون مقررة للإنكار ومؤكد للاستبعاد والمعنى ما هذا إلا بشر مثلكم أى من جنسكم وما أتى به سحر أتعلمون ذلك فتأتون وتحضرونه على وجه الإذعان والقبول وأتم تعلمون أنه سحر قالوه بناء على ما تركز في اعتقادهم الزائع أن الرسول لا يكون إلا ملكاً وأن كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وذل عنهم أن لإرسال البشر إلى عامة البشر هو الذى تقتضيه الحكمة التشريعية قائلهم الله أنى يوفقون وإنما أسروا ذلك لأنه كان على طريق توثيق العهد وترغيب مبادئ الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم أمر النبوة وإطفاء نور الدين والله

قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥٤﴾ ٢١ الأنبياء

بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بَيِّنَاتٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥٥﴾ ٢١ الأنبياء

مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ ٢١ الأنبياء

- متم نوره ولو كره الكافرون (قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض) حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعد ما أوحى إليه أحوالهم وأقوالهم بياناً لظهور أمرهم وانكشاف سرهم وإيضاح القول المتكلم للسر والجهر على السر لإثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهانى مع ما فيه من الإيدان بأن علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعاً كما فى علوم الخلق وقرىء قل ربى الخ وقوله تعالى فى السماء والأرض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول أى كأننا فى السماء والأرض وقوله تعالى (وهو السميع العليم) أى المبالغ فى العلم بالمسموعات والمعلومات التى من جملتها ما أسروه من النجوى فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد (بل قالوا ٥ أضغاث أحلام) إضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق إلى حكاية قول آخر مضطرب فى مسائل البطلان أى لم يقتصر واعلى أن يقولوا فى حقه عليه السلام هل هذا إلا بشر وفى حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم أنه سحر بل قالوا تخاليط الأحلام ثم أضربوا عنه فقالوا (بل افتراه) من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل أو شبهة أصل ثم قالوا (بل هو شاعر) وما أتى به شعر يخيل إلى السامع معانى لا حقيقة لها * وهكذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وأبطل ويتذبذب بين فاسد وأفسد فالإضراب الأول كما ترى من جهته تعالى والثانى والثالث من قبلهم وقد قبل الكل من قبلهم حيث أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى ثم إلى أنه قول شاعر ولا ريب فى أنه كان ينبغى حينئذ بأن يقال قالوا بل أضغاث أحلام والاعتذار بأن بل قالوا مقول لقالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا إلا بشر الخ كأنه قيل وأسروا النجوى قالوا هل هذا إلى قوله بل أضغاث أحلام وإنما صرح بقولوا بعد بل بعد الهمد بما يجب تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله (فليأتنا بآية) جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية (كما أرسل الأولون) أى مثل الآية التى أرسل بها الأولون كاليد والعصا ونظائرهما حتى تؤمن به فما موصولة وعمل الكاف الجر على أنها صفة لآية ويجوز أن تكون مصدرية فالكاف منصوبة على أنها مصدر تشبيهى أى نعمت لمصدر محذوف أى فليأتنا بآية إتياناً كأنما مثل إرسال الأولين بها وصحة التشبيه من حيث إن الإتيان بالآية من فروع الإرسال بها أى مثل إتيان مترتب على الإرسال ويجوز أن يحمل النظم الكريم على أنه أريد كل واحد من الإتيان والإرسال فى كل واحد من طرفى التشبيه لكنه ترك فى جانب المشبه ذكر الإرسال وفى جانب المشبه به ذكر الإتيان اكتفاء بما ذكر فى كل موطن عمارك فى الموطن الآخر حسبما مر فى آخر سورة يونس عليه السلام (ما آمنت قبلهم من قرية) كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما تنبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد ٦

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ الْأَنْبِيَاءُ

الضمي بالإيمان كما أشير إليه وبيان أنهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حنقه بظلمه وأن في ترك الإجابة إليه إبقاء عليهم كيف لا ولو أعطوا ما اقترحوا مع عدم إيمانهم قطعاً لوجب استئصالهم لجريان سنة الله عز وجل في الأمم السالفة على أن المقترحين إذا أعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى أن هذه الأمة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله من قرية أى من أهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم وقوله تعالى (أهلكناها) أى يهلك أهلها لعدم إيمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى (أفهم يؤمنون) لإنكار الوقوع والفاء للعطف إما على مقدر دخلته الهمزة فأقادت إنكار وقوع إيمانهم ونفيه عقيب عدم إيمان الأولين فالمعنى أنه لم تؤمن أمة من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات أم لم يؤمنوا فمؤلا يؤمنون لو أجيبوا إلى ما سألوا وأعطوا ما اقترحوا مع كونهم أعتق منهم وأطعن وإما على ما آمنت على أن الفاء متقدمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب إنكار وقوع إيمانهم على عدم إيمان الأولين وإنما قدمت عليها الهمزة لاقتضائهم الصدارة كما هو رأى الجمهور وقوله عز وجل (وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً) جواب لقولهم هل هذا إلا بشر الخ متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم كما أرسل الأولون من النعرض بعدم كونه عليه السلام مثل أولئك الرسل صلوات الله تعالى عليهم أجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا بآية ولائهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة إلى رده وإبطاله كما مر في تفسير قوله تعالى قال إنما يأتىكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين وقوله تعالى ما نزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ولائاً في هذا الجواب نوع بسط يخل بتقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم والحق أن ما اتخذوه سبباً للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لأن مقتضى الحكمة أن يرسل إلى البشر البشر وإلى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئن لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً فإن عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك إليهم من أرحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وإنما الذي تقتضيه الحكمة أن يبعث الملك منهم إلى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا إلى جانب آخر وقوله تعالى (نوحى إليهم) استئناف مبين لكيفية الإرسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد إلى خصوصه والمعنى وما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك إلى أمك إلا رجالاً لا يخصوصون من أفراد الجنس مستأهلين للاصطفاء والإرسال نوحى إليهم بواسطة الملك ما نوحى من الشرائع والأحكام وغيرهما من القصص والأخبار كما نوحى إليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى إنا أوحي إليك كما أوحي إلى نوح والنبيين إلى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليماً كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فالهم لا يفهمون أنك لست بدعا من الرسل وأن ما أوحي إليك ليس مخالفاً لما أوحي إليهم

وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٩٠٨﴾ ٢١ الأنبياء

ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩٠٩﴾ ٢١ الأنبياء

فيقولون ما يقولون وقرىء إليهم بالياء على صيغة المبنى للفعول جرياً على سنن الكبرياء وإذا نأ بتعين الفاعل وقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) تلويح للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة * لتبكيهم واستنزاهم عن رتبة الاستبعاد والنكير إثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول الله ﷺ لأنه التحقيق بالخطاب في أمثال تلك الحقائق الأنيقة وأما الوقوف عليها بالاستخبار من الغير فهو من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه أي إن كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا أيها الجملة أهل الكتاب الواقفين على أحوال الرسل السالفة عليهم الصلوات لنزول شبهتهم أمروا بذلك لأن إخبار الجاهل الغفير بوجوب العلم لاسيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته عليه السلام ويشاورونهم في أمره عليه السلام ففيه من الدلالة على كمال وضوح الأمر وقوة شأن النبي ﷺ ما لا يخفى (وما جعلناهم جسداً) بيان لكون الرسل عليهم السلام أسوة لساير أفراد الجنس ٨ في أحكام الطبيعة البشرية إثر بيان كونهم أسوة لهم في نفس البشرية والجسد جسم الإنسان والجن والملائكة ونصبه إما على أنه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسداً بعد أن لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التعبير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحانه من صغر البعوض وكبر الغيل كما مر في قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة وإما حال من الضمير والجعل إبداعى وإفراده لإرادة الجنس المنتظم للكثير أيضاً وقيل بتقدير المضاف أي ذوى جسد وقوله تعالى (لا يأكلون الطعام) صفة له أي وما جعلناهم جسداً مستغنياً عن الأكل والشرب بل محتاجاً إلى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه (وما كانوا خالدين) * لأن ما لا التحلل هو الفناء لا محالة وفي إثبات ما كانوا على ما جعلناهم تنبيه على أن عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي أشير إليها بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل المستأنف والمراد بالخلود إما المكث المديد كما هو شأن الملائكة أو الأبدية وهم معتقدون أنهم لا يموتون والمعنى جعلناهم أجساداً متغذية صائرة إلى الموت بالآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا أجساداً مستغنية عن الأغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة مقرر لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام بشراً لا ملائكة مع ما في ذلك من الرد على قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى (ثم صدقناهم الوعد) عطف على ما يفهم ٩ من حكاية وحيه تعالى إليهم على الاستمرار التجددى كأنه قيل أوحينا إليهم ما أوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي بإهلاك أعدائهم (فأنجيناهم ومن نشاء) من المؤمنين وغيرهم ممن تستدعى الحكمة إبقاءه كن سبؤ من هو أو بعض فروع بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال (وأهلكنا المسرفين) أي المجاوزين للحدود في الكفر والمعاصي .

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ٢١ الأنبياء

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ ٢١ الأنبياء

فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ٢١ الأنبياء

لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ ٢١ الأنبياء

- ١٠ (لقد أنزلنا إليكم) كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقيقة القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة إعراض الناس عما يأتهم من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحراً وتارة أضغاث أحلام وأخرى مفترى وشعر أو بيان علو مرتبته إثر تحقيق رسالته ﷺ ببيان أنه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام قد صدر بالتوكيد القسبي إظهاراً لمزيد الاعتناء بضمونه وإيضاحاً بكون المخاطبين في أقصى مراتب التكبر .
- أي واهل الله لقد أنزلنا إليكم بامعشر قریش (كتاباً) عظيم الشأن نير البرهان وقوله تعالى (فيه ذكركم) صفة لكتاباً مؤكدة لما أفاده التنكير التفضيحي من كونه جليل المقدار بأنه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة أي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وقيل ماتحتاجون إليه في أمور دينكم ودنياكم وقيل ماتطلبون به حسن الذكر من مكارم الأخلاق وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب بسباق النظم الكريم وسياقه فإن قوله تعالى (أفلا تعقلون) إنكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في أمر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون الموعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي ألا تفكرون فلا تعقلون أن الأمر كذلك ألا تعقلون شيئاً
- ١١ من الأشياء التي من جماعتها ذكر وقوله تعالى (وكم قصمنا من قرية) نوع تفصيل لإجمال قوله تعالى وأهلكنا المسرفين وبيان لكيفية إهلاكهم وسببه وتنبية على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على أنها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القسم الذي هو عبارة عن الكسر بإبانة أجزاء المكسور وإزالة تأليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ، لا يخفى وقوله تعالى (كانت ظالمة) في محل الجر على أنها صفة لقرية بتقدير مضاف بنبء عنه الضمير الآتي أي وكثيراً قصمنا من أهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله تعالى كافرين بها كدأبكم (وأنشأنا بعدها) أي بعد إهلاكها (قوماً آخرين) أي ليسوا منهم نسباً ولا ديناً ففيه تنبيه على استئصال الأولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية إنشاء هؤلاء
- ١٢ على حكاية مبادئ إهلاك أولئك بقوله تعالى (فلما أحسوا بأسنا) أي أدركوا عذابنا الشديد إدراكاً تاماً كأنه إدراك المشاهد المحسوس (إذا هم منها يركضون) يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم في فرط الإسراع (لا تركضوا) أي قيل لهم بلسان الحال أو بلسان المقال من الملك أو بمن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا (وارجعوا إلى ما أترفتم فيه) من التمتع والتلذذ والإتراف لإبطار النعمة (ومساكنكم) التي كنتم تفتخرون بها (لعالمكم تسألون) تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات

٢١ الأنبياء

قَالُوا يَتَوَلَّىٰ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾

٢١ الأنبياء

فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلْمِينَ ﴿١٥﴾

٢١ الأنبياء

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾

٢١ الأنبياء

لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آلًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾

- والنوازل أو تنفقون إذ ارتبكت مساكنكم عالية وتسالون أين أصحابها أو يسألكم الوافدون نوالكم على أهمهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رياء أو بخلاء فقبل لهم ذلك تهكماً إلى تهكم (قالوا) لما يئسوا من الخلاص بالحرب ١٤ وأيقنوا بنزول العذاب (يا ويلنا) أي هلاكنا (إنا كنا ظالمين) أي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستنابة للعذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك (فما زالت تلك دعواهم) أي فازالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى أي دعوة لأن المدلول كأنه يدعو الويل قائلًا يا ويل تعال فهذا أوانك (حتى جعلناهم حصيداً) أي مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبات ولذلك لم يجمع (خامدين) أي ميتين من خدمت الدار إذا طفت وهو مع حصيد أي حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلواً حامضاً والمعنى جعلناهم جامعين لماثلة الحصيد والخمود أو حال من الضمير المنصوب في جعلناهم أو من المستكن في حصيداً أو صفة لحصيداً لنعده معنى لأنه في حكم جعلناهم أمثال حصيد (وما خلقنا السماء والأرض) إشارة إجمالية إلى أن تكوين الدالام ١٦ وإبداع بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبه على أن ما حكى من العذاب الهائل والعقاب الازل بأهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء أعالمهم إياه وأن للبخاطين المقتدين بآثارهم ذنوباً مثل ذنوبهم أي ما خلقناهما (وما بينهما) من المخلوقات التي لا تخص أحاسنها وأفرادها ولا تخص أنواعها وأحاديها على هذا النظم البديع والأسلوب المنيع عالية عن الحكم والمصالح وإنما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل (لاعبين) لبيان قال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب أحد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل إنما خلقناهما وما بينهما لتكون مبدأ لوجود الإنسان وسبباً لمعاشه ودليلاً يقوده إلى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليومكم أيكم أحسن عملاً وقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقوله تعالى (لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً) ١٧ استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو أي لو أردنا أن نتخذ ما ينلهم به ويلعب (لاتخذناه من لدنا) أي من جهة قدرتنا أو من عندنا لما يليق بشأننا من المجردات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام الموضوعة كديدن الجبارة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل إرادتنا له لما فاقته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعاً وقوله تعالى (إن كنا فاعلين) جرابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أي إن كنا فاعلين لاتخذناهم وقيل إن نافية أي ما كنا فاعلين أي لاتخاذ اللهو لعدم إرادتنا إياه فيكون بياناً

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ٢١ الأنبياء

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ٢١ الأنبياء

٢١ الأنبياء

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

- لا انتفاء التالى لا انتفاء المقدم أو لإرادة اتخاذها فيكون بياناً لا انتفاء المقدم المستلزم لا انتفاء التالى وقيل اللهم الولد بلغة البين وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده (بل نقذف بالحق على الباطل) ١٨ إضراب عن اتخاذ الله بل عن إرادته كأنه قيل لكننا لا نريده بل شأننا أن نغلب الحق الذى من جملته الجدل على الباطل الذى من قبيله الله وتخصيص شأنه هذا من بين سائر شتونه تعالى بالذكر للتخلص إلى ما سبأنى من الوعيد (فيدمغه) أى يمحقه بالكلية كما فعلنا بأهل القرى المحكية وقد استعير لإيراد الحق على الباطل القذف الذى هو الرمى الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ومحقه للباطل الدمع الذى هو كسر الشيء الرخو الأجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاه المودى إلى زهوق الروح تصويراً له بذلك وقرىء فیدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرىء فیدمغه بضم الميم (فإذا هو زاهق) أى ذاهب بالكلية وفى إذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة فى الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكانه زاهق من الأصل (ولكم الويل مما تصفون) وعيد لقريش بأن لهم أيضاً مثل ما لا وأنتك من العذاب والعقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذى تعلق به الخبر أو بمحذوف هو حال من الويل أو من ضميره فى الخبر وما إما مصدرية أو موصولة أو موصوفة أى واستقر لكم الويل والهلاك من أجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل أو بالذى تصفونه به من الولد أو كأنما مما تصفونه تعالى به (وله من فى السموات والأرض) استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وأنه تعالى يحق الحق ويذهب الباطل أى له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقاً وملكاً وتديراً وتصرفاً وإحياء وإماتة وتعذيباً وإثابة من غير أن يكون لأحد فى ذلك دخل ما استقلالا أو استتباعاً (ومن عنده) وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك إثر ما عبر عنهم بمن فى السموات تنزيلاً لهم لكرامتهم عليه عز وعلاً وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) أى لا يتعظمون عنها ولا يعدون أنفسهم كبيراً (ولا يستحسرون) ولا يكونون ولا يعبون وصيغة الاستفعال المبنية عن المبالغة فى الحسور للتنبيه على أن عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لإفادة نفي المبالغة فى الحسور مع ثبوت أصله فى الجملة كما أن نفي الظلامية فى قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد لإفادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لإفادة نفي المبالغة فى الظلم مع ثبوت أصل الظلم فى الجملة وقيل من عنده معطوف على من الأولى وإفراهم بالذكر مع دخولهم فى من فى السموات والأرض للتعظيم كما فى قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله تعالى لا يستكبرون حينئذ حال من الثانية ٢٠ (يسبحون الليل والنهار) أى ينزهونه فى جميع الأوقات ويعظمونه ويمجدونه دائماً وهو استئناف

أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشُرُونَ ﴿٢١﴾

٢١ الأنبياء

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ٢١ الأنبياء

وقع جواباً عما نشأ مما قبله كأنه قيل ماذا يصنعون في عباداتهم أو كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ أو حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى (لا يفترون) أى لا يتدخل تسبيحهم فترة أصلاً بفراغ أو بشغل آخر (أم اتخذوا آلهة) حكاية لجنابة أخرى من جنابياتهم بطريق الإضراب والانتقال من فن إلى فن آخر ٢١ من التوبيخ إثر تحقيق الحق ببيان أنه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وأنهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وأن عباده مذعنون لطاعته ومنايرون على عبادته منزهون له عن كل مالا يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها الانداد ومعنى الهمزة في أم المنقطعة إنكار الوقوع لا إنكار الواقع وقوله تعالى (من الأرض) متعلق باتخذوا أو بمحذوف هو صفة لآلهة وأياً ما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص • وقوله تعالى (هم ينشرون) أى يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذى يدور عليه الإنكار والنجميل والتشنيع • لا نفس الاتخاذ فإنه واقع لا محالة أى بل اتخذوا آلهة من الأرض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فإن ما اتخذوها آلهة بمعزل من ذلك وهم وإن لم يقولوا بذلك صريحاً لكنهم حيث ادعوا لها الإلهية فكأنهم ادعوا لها الإنبشار ضرورة أنه من الخصائص الإلهية حتماً ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما أشير إليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم الإنبشار الموجبة لمزيد الإنكار كما في قوله تعالى أفأنشك وقوله تعالى أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون فإن تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة أمره تعالى لأن يشك فيه ويستهزأ به ويجوز أن يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل لأن الألوهية مقتضية للاستقلال بالإبداء والإعادة حيث ادعوا الأصنام الإلهية فكأنهم ادعوا لها الاستقلال بالإنبشار كما أنهم جعلوا بذلك مدعين لأصل الإنبشار (لو كان فيهما آلهة إلا الله) لإبطال تعدد الإله بإقامة البرهان ٢٢ على انتفائه بل على استحالة وإيراد الجمع لوروده إثر إنكار اتخاذ الآلهة لا لأن للجمعية مدخلا في الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما وإلا بمعنى غير على أنها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وإفضائه إلى فساد المعنى لدلالته حينئذ على أن الفساد لكونها فيهما ببدونه تعالى ولا للرفع على البدل لأنه متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب أى لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل (لفسدتا) أى لبطلتا بما فيهما جميعاً وحيث انتفى التالى علم انتفاء المقدم قطعاً ببيان الملازمة أن الإلهية مستلزمة للقدرية على الاستبداد بالتصرف فيهما على الإطلاق تغييراً وتبدلاً وإيجاداً وإعداماً وإحياء وإماتة ببقاؤهما على ما هما عليه إما بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلة متعددة وإما بتأثير واحد منها فالبراق بمعزل من الإلهية قطعاً واعلم أن جعل التالى فساداً بعد وجودهما لا أنه اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما وإلا فالبرهان يقضى باستحالة التعدد على الإطلاق فإنه لو تعدد الإله فإن توافق الكل في المراد لطاردت عليه القدر وإن تخالفت

٢١ الأنبياء

لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٢﴾

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

٢١ الأنبياء

• تعاقبت فلا يوجد موجود أصلاً وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم والفاء في قوله تعالى (فسبحان الله) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان أي فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الأمور التي من جملتها أن يكون له شريك في الألوهية وإيراد الجلالة في موضع الإضمار للإشعار بعلّة الحكم فإن الألوهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملتها نزهه تعالى عما لا يليق به ولترتبة المهابة وإدخال الروعة وقوله تعالى (رب العرش) صفة للاسم الجليل مؤكدة لنزهه عز وجل (عما يصفون) متعلق بالتسبيح أي فسبحوه عما يصفونه من أن يكون من دونه آلهة (لا يسأل عما يفعل) استئناف ببيان أنه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لأحد من مخلوقاته أن يناقشه ويسأله عما يفعل من أفعاله إثر بيان أن ليس له شريك في الإلهية (وهم) أي العباد (يسألون) عما يفعلون فقيراً وقطمير ألاّ أنهم ملوكون له تعالى مستعبدون فقيه وعيد للكفرة (أم اتخذوا من دونه آلهة) إضراب وانتقال من إظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة حقيقة بإظهار خلوها عن خصائص الإلهية التي من جملتها الإنشاء وإقامة البرهان القاطع على استحالة تعدد الإله على الإطلاق وتفرده سبحانه بالألوهية إلى إظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة مع عرائنها عن تلك الخصائص بالمرّة شركاءه عز سلطانه وتسبيحتهم بإلجائهم إلى إقامة البرهان على دعوائهم الباطلة وتحقيق أن جميع الكتب السماوية ناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الإشراك والهمزة لإنكار اتخاذ المذكور واستباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل اتخذوا متجاوزين إياه تعالى مع ظهور شئونه الجليلة الموجبة لتفرده بالألوهية آلهة مع ظهور خلوم

• عن خواص الألوهية الكلية (قل) لهم بطريق التبسيت وإلقام الحجر (هاوا برهانكم) على ما تدعونه من جهة العقل والنقل فإنه لا محالة لقول لا دليل عليه في الأمور الدينية لاسيما في مثل هذا الشأن الخطير وما في إضافة البرهان إلى ضميرهم من الإشعار بأن لهم برهاناً ضرب من التكميمهم وقوله تعالى (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) إشارة لبرهانه وإشارة إلى أنه بما نطق به الكتب الإلهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهيج لهم على إقامة البرهان لإظهار كمال عجزهم أي هذا الوحي الوارد في شأن التوحيد المنضمّن للبرهان القاطع العقلي ذكر أمّي أي عظمتهم وذكر الأمم السالفة قد أقمته فأقيموا أتم أيضاً برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب أنزل على أمّي وهذا كتاب أنزل على أمم الأنبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والمصحف فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك فقيه

• تبسّيت لهم متضمن لإثبات نقيض مدعاهم وقرىء بالتثنية والإعمال كقوله تعالى أو إطعام في يوم ذي مسغبة يقيأوه وبمن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى (بل أكثرهم لا يعلمون الحق)

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ٢١ الأنبياء

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ٢١ الأنبياء

لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ٢١ الأنبياء

إضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الأمر بتبكيبتهم بمطالبة البرهان إلى بيان أنه لا ينجم فيهم الحاجة بإظهار حقيقة الحق وبطلان الباطل فإن أكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل (فهم) لا أجل ذلك (معرضون) أي مستمررون على الإعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يراعون عما هم عليه من الغي والضلال وإن كررت عليهم البينات والحجج أو معرضون عما ألقى عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرىء الحق بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب والمسبب تأكيداً للسببية وقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) ٢٥ استئناف مقرر لما أجمل فيما قبله من كون التوحيد بما نطق به الكتب الإلهية وأجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرىء يوحى على صيغة الغائب مبنياً للفعل ولأما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً للصورة الوحي (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً) حكاية لجناية فريق من المشركين جىء بها لإظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك لإثبات تنزهه سبحانه عن الشركاء على الإطلاق وهم حى من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدى أن قريشاً وبعض أجناس العرب جهمينة وبني سلة وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوباً له تعالى نعمة أو منعماً عليه لإبراز كمال شناعة مقالاتهم الباطلة (سبحانه) أى تنزهه بالذات تنزهه اللاتق به على أن السبحان مصدر من سبى أى بعد أو أسبجه تسبيحه على أنه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد أو سبحوه تسبيحه وقوله تعالى (بل عباد) إضراب وإبطال لما قالوه كأنه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى (مكرمون) مقربون عنده وقرىء مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى (لا يسبقونه بالقول) صفة أخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لأمره تعالى أى ٢٧ لا يقولون شيئاً حتى يقوله تعالى أو يأمرهم به وأصله لا يسبق قولهم قوله تعالى فاستند السبق إليهم منسوباً إليه تعالى تنزيلاً لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم إياه تعالى لمزيد تزيينهم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعروض به للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محلاً للسبق وأدافله ثم أنيب اللام عن الإضافة للاختصار والتجافى عن التكرار وقرىء لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته أسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق وإشعار بأن من سبق قوله تعالى فقد تصدى لمخالفته تعالى في السبق فسبقه فعليه والعياذ بالله تعالى وزيادة تزيينهم عنهم ببيان أن ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فأن يتوهم صدورهم عنهم (وهم بأمره يعملون) بيان لتبعيتهم له تعالى في الأعمال لإثبات تبعيتهم له تعالى في الأقوال فإن نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى فيه كأنه قيل هم بأمره يقولون وبأمره

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ٢١ الأنبياء

وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ٢١ الأنبياء

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ٢١ الأنبياء

يعملون لا بغير أمره أصلاً فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة إلى غير أمره لا إلى أمر غيره (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) استئناف وقع تعليلاً لما قبله وتمهيداً لما بعده فإن لعلمهم بإحاطته تعالى بما قدموا وأخروا من الأقوال والأعمال لا يزالون يراقبون أحوالهم فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) أن يشفع له مهابة منه تعالى (وهم) مع ذلك (من خشيته) عز وجل (مشفقون) مرتعدون وأصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والإشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه أظهر وعند تعديته ٢٨ بعل ينعكس الأمر (ومن يقل منهم) أي من الملائكة الكلام فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم (إني إله من دونه) متجاوزاً إياه تعالى (فذلك) الذي فرض قوله فرض محال (نجزيه جهنم) كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وأفعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهمه أولئك الكفرة ما لا يخفى (كذلك نجزي الظالمين) مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها ويتعدون أطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة إلى النقصان ٢٩ دون الزيادة أي لا جزاء أنقص منه (أولم ير الذين كفروا) تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهوراً تحت ملكوته والهمزة للإنكار والوال للعطف على مقدر وقرى بغير واو والرؤية قلبية أي لم يتفكروا ولم يعلموا (أن السموات والأرض كانتا) أي جماعتا السموات والأرضين كما في قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا (رتقاً) الرتق الضم والالتحام والمعنى إما على حذف المضاف أو هو بمعنى المفعول أي كانتا ذواتي رتق أو مرتوتين وقرى رتقاً شيئاً رتقاً أي مرتوقاً (ففتقناهما) قال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عكرمة والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئاً واحداً ملتزمين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأفر الأرض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والأرض ملتصقتين ثم خلق ريحاً فتوسطنها ففتقنها وعن الحسن خلق الله تعالى الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقاً ففتقناهما وقال مجاهد والسدى كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع أرضين وقال ابن عباس في

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ٢١ الأنبياء

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٢٢﴾ ٢١ الأنبياء

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٢٣﴾ ٢١ الأنبياء

- رواية عطاء وعليه أكثر المفسرين إن السموات كانت رتقاً مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقاً لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الأفاق أو السموات جميعاً على أن لها مدخلا في الأمطار وعلم الكفرة الرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به وأما بالمعاني الأول فهم وإن لم يعلموها لكنهم متمسكون من عليهما إما بطريق النظر والتفكير فإن الفتق عارض مفتقر إلى مؤثر قديم وإما بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب (وجعلنا من الماء كل شيء حي) * أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لأنه من أعظم مواده وأوفرط احتياجه إليه وانتفاعه به أو صيرنا كل شيء حي من الماء أي بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به لا مجرد أن المفعولين في الأصل مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفاً أن يتقدم على المبتدأ فإن ذلك مصحح محض لا مرجح وقرئ حياً على أنه صفة كل أو مفعول ثانٍ والظرف كما في الوجه الأول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق إلى المؤخر (أفلا يؤمنون) إنكار لعدم إيمانهم بالله وحده * مع ظهور ما يوجب حتماً من الآيات الآفانية والانسائية الدالة على تفرد عز وجل بالالوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الإنكار السابق أي أيعلمون ذلك فلا يؤمنون (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالات ثوابت جمع راسية من رسا الشيء ٣١ إذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا ريب في صحته كقوله تعالى أشهر معلومات وأياماً معدودات (أن تميد بهم) أي كراهة أن تتحرك وتضطرب بهم أو لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الإلباس (وجعلنا فيها) أي في الأرض وتكرير الفعل لاختلاف المجموعين ولتوفية مقام الامتنان حقه أو في الرواسي لأنها المحتاجة إلى الطرق (لجأجا) مسالك واسعة وإنما قدم على قوله تعالى (سبلاً) وهو وصف له ليصير حالاً فيفيد أنه تعالى حين خلقها خلقها كذلك أو ليبدل منها سبلاً فيدل ضمناً على أنه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد (لعلهم يهتدون) أي إلى مصالحهم ومهماتهم * (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً) من الوقوع بقدرتنا القاهرة أو من الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم ٣٢ بمشيئتنا أو من استراق السمع بالشهب (وهم عن آياتها) الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وإرادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة (معروضون) لا يتدبرون فيها فييقنون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر) اللذين هما آيتاهما بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب ٣٣

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ أَخْلُدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ أَخْلُدُونَ ﴿٣٤﴾ ٢١ الأنبياء

كُلِّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ٢١ الأنبياء

وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ ٢١ الأنبياء

لنا كيد الاعتناء بفحوى الكلام أى هو الذى خلقهن وحده (كل) أى كل واحد منهما على أن التوئين عوض عن المضاف إليه (فى فلك يسبحون) أى يجرون فى سطح الفلك كالسبح فى الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفردهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لأن السباحة حالهم (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) أى فى الدنيا لكونه مخالفاً للحكمة التكوينية والتشريعية (أفان مت) بمقتضى حكمتنا (فهم الخالدون) نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لإنكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بإنكار خلودهم ونفيه لإنكار ما هو مدار له وجوداً وهدماً من شياتهم بموته ﷺ فإن الشبهة بما يعتريه أيضاً مما لا ينبغي أن يصدر عن العاقل كأنه قيل أفان مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) أى ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما أنكر من خلودكم (ونبلوكم) الخطاب إما للناس كافة بطريق التلوين أو للكفرة بطريق الالتفات أى تعاملكم معاملة من يبلوكم (بالشر والخير) بالبلايا والنعمة هل تصبرون وتشكرون أولاً (فتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه (وإلينا ترجعون) لا إلى غيرنا لا استقلالاً ولا اشتراكاً فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الأعمال فهو على الأول وعد ووعد وعلى الثانى وعيد ومحض وفيه إيماء إلى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرىء يرجعون بالياء على الالتفات ٣٤ (وإذ أراك الذين كفروا) أى المشركون (إن يتخذونك إلا هزواً) أى ما يتخذونك إلا مهزواً به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم إياه هزواً لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزواً كما هو المتبادر كأنه قيل ما يفعلون بك إلا اتخاذك هزواً وقد مرت حقيقة فى قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلى فى سورة الأنعام (أهذا الذى يذكركم آلهمكم) على إرادة القول أى ويقولون أو قائلين ذلك أى يذكركم بسوء كافى قوله تعالى سمعنا قى يذكركم الخ وقوله تعالى (وهم يذكركم الرحمن هم كفرون) فى حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى أنهم يعيرون عليه عليه الصلاة والسلام أن يذكركم آلهمكم التى لا تنفع ولا تنفع بالسوء والحال أنهم يذكركم الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد أو بإرشاد الخلق بإرسال الرسل وإزال الكتب أو بالقرآن كفرون فهم أحقاء بالعيب والإنكار فالضمير الأول مبتدأ خبره كفرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كفرون يذكركم الرحمن والضمير الثانى تأكيد لفظى الأول

٢١ الأنبياء

خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾

٢١ الأنبياء

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهُمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ

٢١ الأنبياء

يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾

- فوق الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكّد والمؤكد بالعمول (خلق الإنسان من عجل) جعل لفطر ٣٧ استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه تنزيلاً لما طبع عليه من الأخلاق منزلة ما طبع منه من الأركان إيداً بقاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن عجّلته مبادرته إلى الكفر واستعجاله بالوهد روى أنها نزلت في الضر بن الحرث حين استعجل العذاب بقوله اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بالإنسان آدم عليه السلام وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبائع فيه أراد أن يقوم وروى أنه لما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع في خلقه قبل غيبته فالمعنى خلق الإنسان خلقاً ناشئاً من عجل فذكره ليبين أنه من دواعي عجله في الأمور والأظهر أن المراد به الجنس وإن كان خلقه عليه السلام سارياً إلى أولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقرب له ههنا وقوله تعالى (سأريكم آياتي) تلوين للخطاب وصرف * له عن رسول الله ﷺ إلى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد أى سأريكم نعماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره (فلا تستعجلون) بالإتيان بها والنهى عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها (ويقولون ٣٨ متى هذا الوعد) أى وقت مجيء الساعة التى كانوا يوعدون وإنما كانوا يقولونه استعجالاً لمجيئه بطريق الاستهزاء والإنكار كما يرشد إليه الجواب لا طلباً لتعيين وقته بطريق الإلزام كما في سورة الملك (إن كنتم صادقين) أى فى وعدكم بأنه يأتينا والخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن مجيء الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف فى مثل قوله تعالى فأتينا بما تعدنا إن كنت من الصادقين فإن قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للوعود وطلب لإتيانه بطريق العجلة فإن ذلك فى قوة الأمر بالإتيان عجلة كأنه قيل فليأتنا بسرعة إن كنتم صادقون (لويعلم الذين كفروا) استئناف ٣٩ مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وأنهم إنما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وإثارة صيغة المضارع فى الشرط وإن كان المعنى على المضى لإفادة استمرار عدم العلم فإن المضارع المنفى الواقع موقع الماضى ليس بنص فى إفادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه أيضاً بحسب المقام كما فى قولك لو تحسن إلى لشكرتك فإن المعنى أن انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الإحسان لا لانتفاء استمرار الإحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما فى حين الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى (حين * لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذى كانوا

بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْةٌ فَتَبْتَهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢١﴾

٢١ الأنبياء

وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢١﴾

٢١ الأنبياء

يستعجلونه وإضافته إلى الجملة الجارية مجرى الصفة التي حقها أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند مخاطب أيضاً مع إنكار الكفرة لذلك الإبدان بأنه من الظهور بحيث لا حاجة له إلى الإخبار به وإنما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف أي لو لم يستمر عدم عليهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد من الحين الذي تحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما أشهر الجوانب واستلزام الإحاطة بهما الإحاطة بالكل بحيث لا يقدر على دفعها بأنفسهم من جانب من جوانبهم (ولاهم ينصرون) من جهة الغير في دفعها الخ لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز أن يكون يعلم متروك المفعول منزلاً منزلة اللازم أي لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى حين الخ استئناف مقرر لجهاهم ومبين لاستمراره إلى ذلك الوقت كأنه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال (بل تأتيتهم) عطف على لا يكفون أي لا يكفونها بل تأتيتهم أي العدة أو النار أو الساعة (بغية فتبتهم) أي تغلبهم أو تحيرهم وقرىء الفعلان بالتذكير على أن الضمير للوعد أو الحين وكذا الهاء في قوله تعالى (فلا يستطيعون ردها) بتأويل الوعد بالنار أو العدة والحين بالساعة ويجوز عوده إلى النار وقيل إلى البغية أي لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية (ولاهم ينظرون) أي يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لإمهالهم في الدنيا (ولقد استهزى برسول من قبلك) تسايية لرسول الله ﷺ عن استهزائهم به ﷺ في ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بأنه يصيبهم مثل ما أصاب المستهزين بالرسول السالفة عليهم الصلاة والسلام وتصديرها بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنويع الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له أي والله لقد استهزى برسول أولى شأن خطير وذوى عدد كثير أو حل أو نحو ذلك فإن معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل إلا في الشر والحق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله وقوله تعالى (بالذين سخروا منهم) أي من أولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى (ما كانوا به يستهزون) للسارعة إلى بيان لحوق الشر بهم وما لما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائداً إليها والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل أي فأحاط بهم الذي كانوا يستهزون به حيث أهلكوا لأجله وإما مصدرية فالضمير المجرور راجع حينئذ إلى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا وأهل إثارة على الجمع للتنبيه على أنه يحق لهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد منهم عليهم السلام لأجزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط أي فنزل بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب إيداناً بكل الملاسة بينهما أو عين استهزائهم إن أريد بذلك العذاب الآخروي بناء على تجسم الأعمال فإن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح

قُلْ مَنْ يَكْفُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ٢١ الانبياء
 أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ٢١ الانبياء
 بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ
 أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ ٢١ الانبياء

وعلى ذلك بنى الوزن وقد مر تفصيله في سورة الأعراف وفي قوله تعالى إنما نبغيكم على أنفسكم الآية إلى آخرها (قل) خطاب لرسول الله ﷺ إثر تسليته بما ذكر من مصير أمرهم إلى الهلاك وأمر له عليه ٤٢ السلام بأن يقول لأولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت (من يكفؤكم) أى يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أى من بأسه الذى تستحقون نزوله ليلاً أو نهاراً أو تقديم الليل لما أن الدواهي أكثر فيه وقوعاً وأشد وقعاً وفي التعرض لعنوان الرحمانية إيدان بأن كائنهم ليس إلا رحمة العامة وبعد ما أمر عليه السلام بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسب مقتضيه حالهم لأنهم بحيث لولا أن الله تعالى يحفظهم في الملوك لحل بهم فنون الآفات فهم أحقاء بأن يكفؤوا الاعتراف بذلك فيوجبوا على مأم عليه من الإشراف أضرب عن ذلك بقوله تعالى (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) ببيان أن لهم حالاً أخرى مقتضية إصراف الخطاب عنهم هي أنهم لا يخطر على ذكره تعالى بياهم فضلاً أن يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الأمن والدعة حفظاً وكلاءة حتى يسألوا عن الكالية على طريقة قول من قال [عوجوا خبوا] النعمى دمنة الدار * ماذا تحبون من نوى وأحجار [وفي تعليق الإعراض بذكره تعالى وإيراد اسم الرب المضاف إلى ضميرهم النبىء عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتريبته تعالى من الدلالة على كونهم فى الغاية القاصية من الضلالة والغنى مالا يخفى وكلمة أم فى قوله تعالى (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) منقطعة وما فيها من معنى بل للإضراب ٤٣ والانتقال عما قبله من بيان أن جهلهم بحفظه تعالى إياهم لعدم خوفهم الله عن إعراضهم عن ذكر ربهم بالكيفية إلى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم وإسنادهم الحفظ إليها والهمزة لأنكار أن يكون لهم آلهة تقدر على ذلك والمعنى لهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعتنا وحفظنا أو من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفى توجيه الإنكار والنفي إلى وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر من المنع لا إلى نفس الصفة بأن يقال أم تمنعهم آلهتهم الخ من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلاً عن رتبة المنع مالا يخفى وقوله عز و علا (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) استئناف مقرر لما قبله من الإنكار وموضح لبطانان اعتقادهم أى هم لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهة تنافس كيف يتوهم أن ينصروا غيرهم وقوله تعالى (بل متعنا هؤلا وآبائهم حتى طال عليهم العمر) لإضراب عما توهموا ببيان أن الداعى ٤٤ إلى حفظهم تمتعنا إياهم بما قدر لهم من الأعمال أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك هو أنه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وأهلهم حتى طالت أعمارهم لحسبوا أن لا يزالوا كذلك وأنه بسبب مأم عليه

٢١ الأنبياء

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾

٢١ الأنبياء

وَلِئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ

٢١ الأنبياء

أَتَيْنَاهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾

ولذلك عقب بما يدل على أنه طمع فارغ وأمل كاذب حيث قيل (أفلا يرون) أى ألا ينظرون فلا يرون (أنا نأتى الأرض) أى أرض الكفرة (ننقصها من أطرافها) فكيف يتوهمون أنهم ناجون من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يخبره الله عز وجل من ديارهم على أيدي المسلمين ويضيفها إلى دار الإسلام (أفهم الغالبون) على رسول الله ﷺ والمؤمنين والفاء لإنكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص أرض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كأنه قيل أبعد ظهور ما ذكر ورويتهم له يتوهم غلبتهم كما مر في قوله تعالى أفن كان على بينة من ربه وقوله تعالى قل أفأنتخذتم من دونه أولياء وفي التعريف تعريف بأن المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها (قل إنما أذكركم) بعد ما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند إتيانه ونعى عليهم جهلهم بذلك وإعراضهم عن ذكر ربهم الذى يكأؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوى أحوالهم أمر ﷺ بأن يقول لهم إنما أذكركم ما تستعجلونه من الساعة (بالوحي) الصادق الناطق بإتيانها وفظاعة ما فيها من الأحوال أى إنما شأنى أن أذكركم بالإخبار بذلك لا بالإتيان بها فإنه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية إذا الإيمان برهاني لا عياني وقوله تعالى (ولا يسمع الصم الدعاء) إما من تنمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض قد أمر عليه السلام بأن يقول لهم تويناخا وتقرعاً وتسجيلاً عليهم بكال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للخاطئين انتظاماً أولاً أو للهد فوضع المظهر موضع المضمحل للتسجيل عليهم بالتصام وتقيد نفي السماع بقوله تعالى (إذا ما ينذرون) مع أن الصم لا يسمعون الكلام إنذاراً كان أو تبشيراً لبيان كمال شدة الصمم كما أن إتيان الدعاء الذى هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فإن الإنذار عادة يكون بأصوات عالية مكررة مقارنة لحيات دالة عليه فإذا لم يسمعوها يكون صممهم فى غاية لا غاية وراءها وإما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي ﷺ من الإسماع بنصب الصم والدعاء كأنه قيل قل لهم ذلك وأنت بمعزل من إسماعهم وقرىء بالياء أيضاً على أن الفاعل هو عليه السلام وقرىء على البناء للفعول أى لا يقدر أحد على إسماع الصم وقوله تعالى (ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك) بيان لسرعة تأثرهم من مجىء نفس العذاب لإثربان عدم تأثرهم من مجىء خبره على نهج التوكيد القسمى أى وبالله لتن أصابهم أدنى إصابة أدنى شئ من عذابه تعالى كما ينبى عنه المس والنفحة بجورها وبنائها فإن أصل النفح هبوب رائحة الشئ (ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين) ليدعن على أنفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى (ونضع الموازين القسط) بيان لما سيقع عند إتيان ما أذكروه أى نقيم الموازين

٢١ الأنبياء

وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾

٢١ الأنبياء

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾

٢١ الأنبياء

وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾

العادلة التي توزن بها صحائف الأعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة الأعراف وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به مبالغة (ليوم القيامة) التي كانوا يستعجلونها أي جزائهم أو لأجل أهله أو فيه كما في قولك جئت لحس خلون من الشهر (فلا تظلم نفس) من النفوس (شيئاً) حقاً من حقوقها أو شيئاً مامن الظلم بل يوفي كل ذي حق حقه إن خيراً أخير وإن شراً أفسر والفاء الغراء ترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين (وإن كان) أي العمل المدلول عليه بوضع الموازين (مئقال حبة من خردل) أي مقدار حبة كائنة من خردل أي وإن كان في غاية القلة والحقارة فإن حبة الخردل مثل في الصغر وقرى بمئقال حبة بالرفع على أن كان تامة (أتيناها) أي أحضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمئقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لإضافته إلى الحبة وقرى أتيناها أي جازيناها من الإيتاء بمعنى المجازاة والمكافأة لأنهم أنوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وقرى أتيناها من الثواب وقرى جئناها (وكفي بنا حاسبين) إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا (ولقد أتينا موسى وهرون الفرقان ٤٨ وضياء وذكراً للمتقين) نوع تفصيل لما أجمل في قوله تعالى وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم إلى قوله تعالى وأهلكنا المسرفين وإشارة إلى كيفية إنجائهم وإهلاك أعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لإظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التوراة وكذا بالضياء والذكر أي وبالله لقد أتيناها وحيّاً ساطعاً وكتاباً جامعاً بين كونه فارقاً بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكراً يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لأنهم المستضيئون بنواره المغتنمون لمغانم آثاره أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع والأحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والأول هو اللائق بمساق النظم الكريم فإنه لتحقيق أمر القرآن المشارك لسائر الكتب الإلهية لاسيما التوراة فيما ذكر من الصفات ولأن فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا بآية كما أرسل الأولون وقرى ضياء بغير واو على أنه حال من الفرقان وقوله تعالى (الذين يخشون ربهم) أي عذابه مجرور والمحل على أنه صفة ٤٩ مادحة للمتقين أو بدل أو بيان أو منصوب أو مرفوع على المدح (بالغيب) حال من المفعول أي يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم فقيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالإندار ما لم يشاهدوا ما أئذروه وقيل من الفاعل (وهم من الساعة مشفقون) أي خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار مراعاة الفواصل وتخصيص إشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الإطلاق الإيذان بكونهم معظم المخوفات وللتخصيص على اتصافهم بضد ما تصف به المستعجلون وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الإشفاق ودوامه (وهذا) أي القرآن الكريم أشير إليه بهذا إيذاناً بغاية وضوح أمره (ذكر) يتذكر به ٥٠

وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ ٢١ الأنبياء

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ٢١ الأنبياء

قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ ٢١ الأنبياء

قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ ٢١ الأنبياء

- من يتذكر وصف بالوصف الأخير للتوراة لمناسبة المقام وموافقته لما مر في صدر السورة الكريمة (مبارك) كثير الخير غزير النفع يتبرك به (أنزلناه) إما صفة ثانية لذكر أو خبر آخر (أفأنتم له منكرون) إنكار لإنكارهم بعد ظهور كون إنزاله كإتياء التوراة كأنه قيل أبعد أن علمتم أن شأنه كشأن التوراة في الإتياء والإيماء أنتم منكرون لكونه منزلاً من عندنا فإن ذلك بعد ملاحظة حال التوراة بما لا مساغ له أصلاً (ولقد آتينا إبراهيم رشده) أي الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند إلى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاعتدال على إصلاح الأمة باستعمال النواميس الإلهية وقرى رشده وهما لغتان كالخزن والحزن (من قبل) أي من قبل إتياء موسى وهارون التوراة وتقديم ذكر إتيائها لما بينه وبين إنزال القرآن من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه أو قبل بلوغه وبآباءه المقام (وكنا به عالمين) أي بأنه أهل لما آتينا به وفيه من الدليل على أنه تعالى عالم بالجزئيات مخارفي أفعاله مالا يخفى (إذ قال لأبيه وقومه) ظرف لا يتنا على أنه وقت متسع وقع فيه الإتياء وما ترتب عليه من أفعاله وأقواله وقيل مفعول لمضمر مستأنف وقع تعليلاً لما قبله أي اذكر وقت قوله لهم (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتماثل اسم لشيء مصنوع مشبه بمخلوق من خلقت الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث سأله عن أصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة أو شرح الاسم كأنه لا يعرف أنها ما ذامع إحاطته بأن حقيقة تهاجر أو شجر اتخذوها معبوداً وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الأغراض قصداً إلى تحقيرها وإذلالها وتوبيخاً لهم على إجلالها واللام في لها للاختصاص دون التعدية وإلا لجيء بكلمة على والمعنى أنتم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبغي عنه قوله تعالى (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) أجابوا بذلك لما أن مآل سؤاله عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبغي عنه وصفه عليه السلام بإمام بالعكوف لها كأنه قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجأ يعتد به التجأوا إلى التقليد فأبطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمي حيث (قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم) الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة (في ضلال) عجيب لا يقادر قدره (مبين) أي ظاهر بين بحيث لا يخفى على أحد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولا بأنهم أي والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم

٢١ الأنبياء

قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾

٢١ الأنبياء

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾

٢١ الأنبياء

وَتَاللَّهِ لَا كِيدَ لَأَٰصْنَمِكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

٢١ الأنبياء

فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾

- ظاهر لعدم استناده إلى دليل ما والتقليد إنما يجوز فيما يحتمل الحقيقة في الجملة (قالوا) لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعاداً لكون مأم عليه ضلالاً وتعجباً من تضليله عليه السلام إياهم بطريق التوكيد القسمي وتردداً في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجسد (أجئتنا بالحق) أي بالجسد (أم أنت من اللاعين) فنقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفي إيراد الشق الأخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات إيدان برجحانه عندهم (قال) عليه السلام إضراباً عما بنوا عليه مقالهم من اعتقاد كونها أرباباً لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد أصناماً فنظر لها عاكفين كأنه قيل ليس الأمر كذلك (بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن) وقيل هو إضراب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادعاه وضمير من للسموات والأرض وصفه تعالى بإيجادهن إثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لمن تحقيقاً للحق وتنبيهاً على أن مالا يكون كذلك بمعزل من الروبوبة أي أنشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها أنتم وآباؤكم وما تعبدونه من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتجيه ورجع الضمير إلى التماثيل أدخل في تضليلهم وأظهر في إلزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغنى عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات (وأنا على ذلكم) الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والأرض فقط دون ما عداه • كأنما ما كان (من الشاهدين) أي العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فإن الشاهد على الشيء من تحققه وحقيقته وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وإثباته بها كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه (وتالله) وقرىء بالباء وهو الأصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الأصل وفيها تعجيب (لا كيدن أصنامكم) أي لا يجتمدن في كسرها وفيه إيدان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وإنما قاله عليه السلام سرأ وقيل سمعه رجل واحد (بعد أن تولوا مدبرين) من عبادتها إلى عيديم وقرىء تولوا من الزولى بحذف إحدى التامين ويعضدها قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى (لجعلهم) فصيحة أي • فولوا لجمعهم (جذاذاً) أي قطعاً أفعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالخطام من الحطم الذي هو الكسر وقرىء بالكسر وهي لغة أو جمع جذيد كخاف وخفيف وقرىء بالفتح وجذاً جمع جذيد وجذاً جمع جذة روى أن أزر خرج به في يوم عيدهم فبدهوا بيت الأصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا يدها طعاماً آخر جوابه معهم وقالوا إلى أن نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي إبراهيم عليه السلام فنظر إلى الأصنام وكانت سبعين صنماً مصطفاً وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عيذه

- قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِغَالِيتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ ٢١ الأنبياء
- قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ وَابْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ ٢١ الأنبياء
- قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ٢١ الأنبياء
- قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِغَالِيتِنَا يَتَّبِعُكَ الْبَرَّاءُ ۖ ﴿٦٢﴾ ٢١ الأنبياء
- قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَعَوْهُمْ ۖ إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ ﴿٦٣﴾ ٢١ الأنبياء

جوهرتان تضئان بالليل فكسر الكل بفأس كانت في يده ولم يبق إلا الكبير وعلق الفأس في عنقه وذلك قوله تعالى (إلا كبير آلهم) أي للأصنام (لعلهم إليه) أي إلى إبراهيم عليه السلام (يرجعون) فيحاجهم بما سيأتي فيحجمهم ويسكتهم وقيل يرجعون إلى الكبير فيسألونه عن الكاسر لأن من شأن المعبود أن يرجع إليه في الملذات وقيل يرجعون إلى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم بحجراتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الإضرار بمن كسروهم (قالوا) أي حين رجعوا من عيدهم ورواها ماراوا (من فعل هذا بالهتنا) على طريقة الإنكار والتوبيخ والتشنيع وإنما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا إليها بهؤلاء وهي بين أيديهم مبالغة في التشنيع وقوله تعالى (إنه لمن الظالمين) استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع على أنها خبر لها والمعنى الذي فعل هذا الكسر والحطم بالهتنا إنه معدود من جملة الظلمة إما لجرأته على إهانتها وهي حقيقة بالإعظام أو لإفراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة بها أو بتعريض نفسه للهلكة (قالوا) أي بعض منهم مجيبين للسائلين (سمعنا فتى يذكروهم) أي يعيهم فلعله فعل ذلك بها فقوله تعالى يذكروهم إما مفعول ثانٍ لسمع لتعلقه بالعين أو صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا إذا كان القائلون سمعوه عليه السلام بالذات يذكروهم وإن كانوا قد سمعوا من الناس أنه عليه السلام يذكروهم بسوء فلا حاجة إلى المصحح (يقال له إبراهيم) صفة أخرى لفتى أي يطلق عليه هذا الاسم (قالوا) أي السائلون (فاتوا به على أعين الناس) أي برأى منهم بحيث يكون نصب أعينهم في مكان مرتفع لا يكاد يخفى على أحد (لعلهم يشهدون) أي يحضرون عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون بفعله أو بقوله ذلك فالضمير حينئذ ليس للناس بل لبعض منهم مبهم أو معهود (قالوا) استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولهم كأنه قيل فإذا فعلوا به عليه السلام بعد ذلك هل أتوا به أولا فقيل أتوا به ثم قالوا (أأنت فعلت هذا بالهتنا إبراهيم) اقتصار على حكاية مخاطبتهم إياه عليه السلام للتنبيه على أن إتيانهم به ومساوئهم إلى ذلك أمر محقق غف عن البيان (قال بل فعله كبيرهم هذا) مشير إلى الذي لم يكسره سلك عليه السلام مسلكا تعريضا يؤديه إلى مقصده الذي هو إلزامهم بالحجة على أظف وجه وأحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب حيث أبرز الكبير قولاً في معرض المباشر للفعل بإسناده إليه كما أبرزه في ذلك

فَرَجِعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾

٢١ الأنبياء

ثُمَّ نَكْسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾

٢١ الأنبياء

المعرض فعلا بجعل النفس في عنقه وقد قصد إسناده إليه بطريق التسبب حيث كانت تلك الأصنام غاظته عليه السلام حين أبصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد حسب زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه باعتبار أنه الحامل عليه وقيل هو حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون أن بفعله كبيرهم فإن من حق من يعبد ويدعى إلهاً أن يقدر على ما هو أشد من ذلك ويحكى أنه عليه السلام قال بفعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها فيكون تمثيلاً لأدبه عليه السلام تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لإشراكهم بعبادته الأصنام وأما ما قيل من أنه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم بل إنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريض يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيته ومثل لذلك بما لو قال لك أمي فيما كتبت بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أنت كتبت هذا فقلت له بل أنت كتبت كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لانقياسك عنك وإثباتها له فيمزل من التحقيق لأن خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك وادعاء ظهور الأمر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لا بثنائه على أن صدورها عن غيرك محتمل عنده مع استحالة عندك ولا ريب في أن مراده عليه السلام من إسناد الكسر إلى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لا بثنائه على احتمال صدوره عن الغير عندهم بل إنما مراده عليه السلام توجيهم نحو التأمل في أحوال أصنامهم كما ينفي عنه قوله (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) أي إن كانوا ممن يمكن أن ينطقوا وإنما لم يقل عليه السلام إن كانوا يسمعون * أو يعقلون مع أن السؤال موقوف على السمع والعقل أيضاً لما أن نتيجة السؤال هو الجواب وأن عدم نطقهم أظهر وتبكيتهم بذلك أدخل وقد حصل ذلك أولاً حسبما نطق به قوله تعالى (فرجعوا إلى أنفسهم) ٦٤ أي راجعوا عقولهم وتذكروا أن ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الإضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر على دفع مضرة عن غيره أو جلب منفعة له فكيف يستحق أن يكون معبوداً (فقالوا) أي قال بعضهم لبعض فيما بينهم (إنكم أنتم الظالمون) أي بهذا السؤال لأنه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذه أو بعبادة الأصنام لا من ظلمتموه بقولكم إنه لمن الظالمين أو أنتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها (ثم نكسوا على رؤوسهم) أي انقلبوا إلى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه ٦٥ عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء أعلاه وقرىء نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل أي نكسوا أنفسهم (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) على إرادة القول أي قائلين والله لقد علمت أن ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم على أن المراد استمرار نفي النطق لأنني استمراره كما توهمه صيغة المضارع .

٢١ الأنبياء

قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾

٢١ الأنبياء

أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

٢١ الأنبياء

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾

٢١ الأنبياء

قُلْنَا يَنْتَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾

- ٦٦ (قال) مبكناً لهم (أفتعبدون) أى أتعبدون ذلك فتعبدون (من دون الله) أى متجاوزين عبادته تعالى (ملا ينفعكم شيئاً) من النفع (ولا يضركم) فإن العلم بحاله المنافية للألوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعاً (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) تضجر منه عليه السلام من إصرارهم على الباطل البين وإظهار الاسم الجليل فى موضع الإضمار لمزيد استقباح ما فعلوا وأف صوت المتضجر ومعناه قبحاً وتنقلاً واللام لبيان المتأقف له (أفلا تعقلون) أى ألا تنفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم (قالوا) أى قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاعت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج إذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبق له مفرج إلا المناصبة (حرقوه) فإنه أشد العقوبات (وانصروا آلهمكم) لا انتقام لها (إن كنتم فاعلين) أى للنصر أو لشيء يعتد به قيل الفائل نمرود بن كنعان بن السنجاريب ابن نمرود بن كوس بن حام بن نوح وقيل رجل من أكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير خسفت به الأرض روى أنهم لما أجمعوا على إحراقه عليه السلام بنوا له حظيرة بكوثر قرية من قرى الأنباط وذلك قوله تعالى قالوا ابناؤه بنيانا فالقوه فى الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب مدة أربعين يوماً فأرقدوا ناراً عظيمة لا يكاد يحوم حولها أحد حتى إن كانت الطير لتقربها وهى فى أقصى الجوف تحترق من شدة وهجها ولم يكبد أحد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه السلام فيها فأتى إبليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الأكراد خسف الله تعالى به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ثم عمدوا إلى إبراهيم عليه السلام فوضعوه فيه مغلولاً فرموا به فيها فقال له جبريل عليهم السلام هل لك حاجة قال أما إليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي عليه بحالى فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى (قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) أى كوني ذات برد وسلام أى ابردى رد أغبر ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مأمورة مطاوعة وإقامة كوني ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وقيل نصب سلاماً بفعله أى وسلمنا سلاماً عليه . روى أن الملائكة أخذوا بضبعي إبراهيم وأقعدوه على الأرض فإذا عين ماء عذب وورد أحر ونرجس ولم تحرق النار إلا واثقه وروى أنه عليه السلام مكث فيها أربعين يوماً أو خمسين وقال ما كنت أطيب عيشاً منى إذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد إلى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فأشرف عليه فرآه جالساً فى روضة موفقة ومعه جليس على أحسن ما يكون من الهيئة

وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ٢١ الانبياء

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ ٢١ الانبياء

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ ٢١ الانبياء

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ ٢١ الانبياء

والنار محبطة به فناداه إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فقم فخرج فقام يمشى فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رأيته معك قال ذلك ملك الظل أرسله ربي ليؤنسني فقال لاني مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيته من قدرته وعزته فيها صنع بك فقال عليه السلام لا يقبل الله منك مادمت على دينك هذا قال لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبح له أربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن إبراهيم عليه السلام وكان إذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من أبداع المعجزات فإن انقلاب النار هو أطيأ وإن لم يكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرج العادات وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام أذاها كما تراه في السمندل كما يشعر به ظاهر قوله تعالى على إبراهيم (وأرادوا به كيداً) مكرأ عظيماً في الإضرار به (وجعلناهم الأخسرين) أي أخسر ٧٠ من كل خاسر حيث عاد سعيهم في إطفاء نور الحق برهاناً قاطعاً على أنه عليه السلام على الحق وهم على الباطل وموجباً لارتفاع درجته واستحقاقهم لأشد العذاب (ونجينا ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) ٧١ أي من العراق إلى الشام وبركاته العامة أن أكثر الأنبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادئ الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى أنه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالموثقك وبينهما مسيرة يوم وليلة (ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة) أي ٧٢ عطية فهي حال منهما أو ولد أو زيادة على ما سأل وهو إسحاق فاختص يعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة (وكلاً) أي كل واحد من هؤلاء الأربعة لا بعضهم دون بعض (جعلنا صالحين) بأن وفقناهم للإصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم في أمور الدين إجابة لدعائه عليه السلام بقوله ومن ذريتي (يهدون) أي الأمة إلى الحق (بأمرنا) لهم بذلك وإرسالنا إياهم حتى صاروا مكملين (وأوحينا إليهم فعل الخيرات) ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل إلى العلم وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعلاً الخيرات وكذا قوله تعالى (واقام الصلاة وإيتاء الزكاة) وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وإضافته وحذفت تاء الإقامة المعوضة من إحدى الالفين لقيام المضاف إليه مقامه (وكانوا لنا) خاصة دوني غيرنا (عابدين) لا يخطر ببالهم غير عبادتنا .

وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلًّا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴿٧٦﴾

٢١ الأنبياء.

وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٧٧﴾

٢١ الأنبياء.

وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٨﴾

٢١ الأنبياء.

وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٩﴾

٢١ الأنبياء.

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ

٢١ الأنبياء.

شَهِيدِينَ ﴿٨٠﴾

٧٤ (ولو طأ) قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى (آتيناه) أى وآتيناه لو طأ وقيل باذكر (حكما)

أى حكمة أو نبوة أو فصلا بين الخصوم بالحق (وعلى) بما يذنبى عليه للأنبياء عليهم السلام (ونجينا من القرية التي كانت تعمل الخبثات) أى اللواطه وصفت بصفة أهلها وأسندت إليها على حذف المضاف

٧٥ وإقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تعالى (إنهم كانوا قوم سوء فاسقين) فإنه كالتعليل له (وأدخلناه في رحمتنا)

٧٦ أى في أهل رحمتنا أو في جنتنا (إنه من الصالحين) الذين سبقت لهم من الحسن (ونوحا) أى اذكر نوحا

أى خبره وقوله تعالى (إذ نادى) أى دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر أى اذكر

نبأه الواقع وقت دعائه (من قبل) أى من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجبنا له) أى دعاه الذى من جملة

قوله إنى مغلوب فانتصر (فنجينا وأهله من الكرب العظيم) وهو الطوفان وقيل أذية قومه وأصل

٧٧ الكرب الغم الشديد (ونصرناه) نصرأ مستنعبا للانتقام والانتصار ولذلك قيل (من القوم الذين كذبوا

بآياتنا) وحمله على فانتصرا بأباه ماذكر من دعائه عليه السلام فإن ظاهره يوجب إسناد الانتصار إليه تعالى

مع ما فيه من تهويل الأمر وقوله تعالى (إنهم كانوا قوم سوء) تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله

تعالى (فأغرقناهم أجمعين) فإن الإصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد يوجب الإهلاك

٧٨ قطعاً (وداود وسليمان) إما عطف على نوحا معمول لعامله وإما المضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير

المضاف وقوله تعالى (إذ يحكما) ظرف للمضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار

صورتهما أى اذكر خبرهما وقت حكمهما (في الحرث) أى في حق الزرع أو الكرم المتدلى عناقيد كما قبل

أو بدل اشتغال منهما وقوله تعالى (إذ نفثت) أى تفرقت وانتشرت (فيه غم القوم) ليلا بلا راع فرعته

وأفسدته ظرف للحكم (وكنا لحكمهم) أى لحكم الحاكمين والمنحاكين إليهما فإن الإضافة مجرد

الاختصاص المنتظم لا اختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما (شاهدين) حاضرين علماً

والجمله اعتراض مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشأانه .

فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَانَ وَكُلَّاءَ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَخْرَنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالِ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكَأَنَّ فَعِلِينَ ﴿٧٩﴾

٢١ الأنبياء

- (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) عطف على يحكم أن فإنه في حكم الماضي وقرىء فافهمناها والضمير للحكومة أو الفئدة ٧٩ روى أنه دخل على داود عليه السلام رجلاً فقال أحدهما إن غنم هذا دخلت في حرثي ليلاً فأفسدتها فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فأخبراه بذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فسمعه داود فدفعه فقال له بحق النبوة والآبوة إلا أخبرتني بالذي أرفق بالفريقين فقال أرى أن تدفع الغنم إلى صاحب الأرض لينتفع بذرهما ونسلهما وصوفهما والحرث إلى أرباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود إلى ما كان ثم يترادأ فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك والذي عندى أن حكمهما عليهما السلام كان بالاجتهاد فإن قول سليمان عليه السلام غير هذا أرفق بالفريقين ثم قوله أرى أن تدفع الخ صريح في أنه ليس بطريق الوحي وإلا لبث القول بذلك ولما ناشده داود عليهما السلام لإظهار ما عنده بل وجب عليه أن يظهره بده أو حرم عليه كتمه ومن ضرورته أن يكون القضاء السابق أيضاً كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل أقول والله تعالى أعلم إن رأى سليمان عليه السلام استحسان كما ينبغي عنه قوله أرفق بالفريقين ورأى داود عليه السلام قياساً كما أن العبد إذا جنى على النفس يدفعه المولى عند أبي حنيفة إلى المجنى عليه أو يفديه وبيعه في ذلك أو يفديه عند الشافعي وقدرى أنه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت وأما سليمان عليه السلام فقد استحسنت حيث جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث إلى أن يزول الضرر الذي أتاه من قبله كما قال أصحاب الشافعي فيمن غصب عبداً فأبق منه أنه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بإزاء ما فوته الغاصب من المنافع فإذا ظهر الأبق ترادأ وفي قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجوع داود عليه السلام إليه مع أن الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وإن كان أقوى منه لما أن ذلك من خصائص شريعتنا على أنه ورد في الأخبار أن داود عليه السلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع وأما حكم المسئلة في شريعتنا فعند أبي حنيفة رحمه الله لا ضمان إن لم يكن معها سائق أو قائد وعند الشافعي يجب الضمان ليلاً لانهاراً وقوله تعالى (وكلاً آتينا حكماً وعلماً) لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهم من عدم كون حكم داود عليه السلام حكماً شرعياً أى وكل واحد منهما آتينا حكماً وعلماً كثيراً لا سليمان وحده وهذا إنما يدل على أن خطأ المجتهد لا يقدح في كونه مجتهداً وقيل بل على أن كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها سليمان ولولا النقل لاحتمل توافقه ما على أن قوله تعالى ففهمناها سليمان لإظهار ما تفضل عليه في صغره فإنه عليه السلام كان حينئذ ابن إحدى عشرة سنة (وسخرنا مع داود الجبال) شروع في بيان ما يختص بكل منهما من كرامته تعالى إثر بيان كرامته العامة لهما (يسبحن) أى يقدسن الله عز وجل معه بصوت يتمثل له أو يخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة

وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ٢١ الأنبياء

وَلَسَلِمْنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَتْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ ٢١ الأنبياء

وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ ٢١ الأنبياء

وهو حال من الجبال أو استئناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد
 * (والطير) عطف على الجبال أو مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أى والطير
 * مسخرات وقيل على العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التأكيذ والفصل (وكنا فاعلين)
 ٨٠ أى من شأننا أن نفعل أمثاله فليس ذلك بيدع منا وإن كان بديعاً عنكم (وعلمناه صنعة لبوس) أى عمل
 الدرع وهو فى الأصل اللباس قال قائلهم [البس لكل حالة لبوسها * إما نعيمها وإما بوسها] وقيل كانت
 صفائح خلقتها وسردها (لكم) متعلق بعلينا أو بمحذوف هو صفة لبوس (لتحصنكم) أى اللبوس بتأويل
 الدرع وقرئ بالتذكير على أن الضمير لداود عليه السلام أو للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتغال
 من لكم بإعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم (من بأسكم) قيل من حرب
 عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم (فهل أنتم شاكرون) أمر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة أو
 ٨١ التقرير (ولسليمان الریح) أى وسخرنا له الریح وإيراد اللام ههنا دون الأول الدلالة على ما بين التسخيرين
 من التفاوت فإن تسخير ما سخر له عليه السلام من الریح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلى له والامتثال
 بأمره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته وأما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة
 * بل بطريق التبعية له عليه السلام والافتداء به فى عبادة الله عز وعلا (عاصفة) حال من الریح والعامل
 فيها الفعل المقدر أى وسخرنا له الریح حال كونها شديدة الهبوب من حيث إنها كانت تبعد بكرسيه فى مدة
 يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء فى نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة
 وعاصفة أخرى حسب إرادته عليه السلام وقرئ الریح بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم
 وعاصفة حينئذ حال من ضمير المبتدأ فى الخبر والعامل مافيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصباً
 * ورفعاً (تجرى بأمره) بمشيئته حال ثانية أو بدل من الأولى أو حال من ضميرها (إلى الأرض التى باركنا
 فيها) وهى الشام رواها بعد ما سار به منه بكرة قال الكلبى كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها
 * من اصطخر إلى الشام وإلى حيث شاء ثم يعود إلى منزله (وكنا بكل شئ عالمين) فنجره حسبما تقتضيه
 ٨٢ الحكمة (ومن الشياطين) أى وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) فى البحار ويستخرجون له من
 نفائسها وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والأول هو الأظهر (ويعملون عملاً دون ذلك) أى غير
 ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل
 الآيات وهؤلاء إما الفرقة الأولى أو غيرها العموم كلمة من كأنه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع إليها
 باعتبار معناها بعد ما رشح جانبه بقوله تعالى ومن الشياطين روى أن المسخر له عليه السلام كفارهم

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْجَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ٢١ الأنبياء

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا وَذَكَرْنَاهُ

لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ ٢١ الأنبياء

- لا مؤمنونهم لقوله تعالى ومن الشياطين وقوله تعالى (وكننا لهم حافظين) أى من أن يزيغوا عن أمره أو *
يفسدوا على ما هو مقتضى جنانهم قيل وكل بهم جمعاً من الملائكة وجمعاً من مؤمنى الجن وقال الزجاج كان
يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا وكان دأبهم أن يفسدوا بالليل ما عملوه بالهار (وأيوب) الكلام فيه كما ٨٣
مر في قوله تعالى وداود وسليمان أى واذكر خبر أيوب (إذ نادى ربه أنى) أى بآنى (مسنى الضر) وقرئ
بالكسر على إضمار القول أو تضمنين النداء معناه والضر شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من
مرض وهزال ونحوهما (وأنت أرحم الراحمين) وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها *
واكتفى به عن عرض المطلب لطفاً في السؤال وكان عليه السلام رويماً من ولد عيص بن إسحاق استبأه الله
تعالى وكثر أهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه
ثمانى عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو سبعاً وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات روى أن امرأته ماخير
بنت يشان بن يوسف عليه السلام أو رحمة بنت إفرام بن يوسف قالت له يوم ألد دعوت الله تعالى فقال كم كانت
مدة الرخاء فقالت عمانين سنة فقال استحي من الله تعالى أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى وروى
أن إبليس أتاها على هيئة عظيمة فقال أنا إله الأرض فعملت بزورك ما فعلت لأنه تركنى وعبد إله السماء
فلو سجد لى سجدت لرددت عليه وعليك جميع ما أخذت منك وفى رواية لو سجدت لى سجدت لرجعت
المال والولد وعافيت زوجك فرجعت إلى أيوب وكان ملقى فى الكناسة لا يقرب منه أحد فأخبرته بالقصة
فقال عليه السلام كأنك افتنت بقول اللعين لئن عافانى الله عز وجل لأضربنك مائة سوط وحرام على
أن أذوق بعد هذا شيئاً من طعامك وشرابك فطردها فبقى طريحاً على الكناسة لا يحوم حوله أحد من
الناس فعند ذلك خر ساجداً فقال رب إني مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد
استجبت لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق فى ظاهر بدنه دابة إلا
سقطت ولا جراحة إلا برئت ثم ركض مرة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء
إلا خرج وعاد صحيحاً ورجع إليه شبابه وجماله ثم كسى حلة وذلك قوله تعالى (فاستجبنا له فكشفنا ما به
من ضر) فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان له من الأهل والمال إلا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك
قوله تعالى (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) وقيل كان ذلك بأن ولد له ضعف ما كان ثم إن امرأته قالت فى *
نفسها هب أنه طردنى أفأتركه حتى يموت جوعاً ويأكله السباع لأرجعن إليه فلما رجعت مارأت تلك الكناسة
ولا تلك الحال وقد تغيرت الأمور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة أن

وَأَسْمِعِلْ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ ٢١ الأنبياء

وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ ٢١ الأنبياء

وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ ٢١ الأنبياء

تأنيه وتسال عنه فأرسل إليها أيوب ودعاها فقال ماتريدن يا أمة الله فبكت وقالت أريد ذلك المبطل الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعل قال أتعرفينه إذا رأيته قالت وهل يخفى على قنيسم فقال أنا ذلك فعرفته بضحكة فاعتقته (رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) أي آتيناه ما ذكر لرحمتنا أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أئيب أو لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم ٨٥ أيوب وذكرنا إياهم بالإحسان وعدم نسياننا لهم (وإسماعيل وإدريس وذا الكفل) أي واذكرهم وذو الكفل إلياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لأنه كان ذا حظ من الله تعالى أو تكفل منه أو ضعف حمل أنبياء زمانه وثوابهم فإن الكفل يحى بمعنى النصيب والكفالة والضعف (كل) أي كل واحد من هؤلاء (من الصابرين) أي على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من الأمر بذكرهم (وأدخلناهم في رحمتنا) أي في النبوة أو في نعمة الآخرة (لأنهم من الصالحين) أي الكاملين في الصلاح الكامل الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الأنبياء فإن صلاحهم ٨٦ معصوم من كدر الفساد (وذا النون) أي واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام (إذ ذهب مغاضباً) أي مراغماً لقومه لما برم من طول دعوته إياهم وشدة شكيمتهم وتمادى إصرارهم مهاجراً عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن أنه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها • وقرىء مغضباً (ظن أن لن نقدر عليه) أي لن نضيق عليه أو لن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده أنه قرىء مشدداً أو لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن أن لن نقدر عليه أي نعامله معاملة من يظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا كما في قوله تعالى يحسب أن ماله أخذه أي نعامله معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسميت ظناً للمبالغة وقرىء • بالياء مخففاً ومثقلاً مبنيّاً للفاعل ومبنيّاً للفعول (فنادى) الفاء فصيحة أي فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى (في الظلمات) أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطن الحوتين وظلمتي البحر والليل (أن لا إله إلا أنت) أي بأنه لا إله إلا أنت على أن أن مخففة من أن وضمير الشأن محذوف أو أي لا إله إلا أنت على أنها مقسرة (سبحانك) أنزهك تنزيهاً لا تقا بك من أن يعجزك شيء أو أن يكون ابتلائي بهذا بغير سبب •

٢١ الأنبياء

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

٢١ الأنبياء

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا

٢١ الأنبياء

رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ ٢١ الأنبياء

- ٨٨ من جمعي (إني كنت من الظالمين) لأنفسهم بتعريضها للملكة حيث بادرت إلى المهاجرة (فاستجبتنا له) أي دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف وجهه وأحسنه عن رسول الله ﷺ مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له (ونجينا من الغم) بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلاثة أيام وقيل الغم غم الانتقام وقيل الخطيئة (وكذلك) أي مثل تلك الإنجاء الكامل (تنجي المؤمنين) من غموم يدعو الله تعالى فيها بالإخلاص لإنجاء أدنى منه وفي الإمام نجى فذلك أخفى الجماعة النون الثانية فإنها تخفى مع حروف الفم وقرىء بتشديد الجيم على أن أصله تنجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وإن كانت فاء فحذفها أو وقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثليين مع تعذر الإدغام وامتناع الحذف في تنجاني لحرف اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند إلى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفاً ورد بأنه لا يسند إلى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره (وزكريا) أي واذا ذكر خبره (إذ نادى) ٨٩ ربه) وقال (رب لا تذرني فرداً) أي وحيداً بلا ولد يرثي (وأنت خير الوارثين) لحسبي أنت إن لم ترزقني وارثاً (فاستجبتنا له) أي دعاءه (ووهبنا له يحيى) وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبّة في سورة مريم (وأصلحنا له زوجه) أي أصلحناها للولادة بعد عقرها أو أصلحناها للعاشرة بتحصين خلقها وكانت حردة وقوله تعالى (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات) تعليل لما فصل من فنون إحسانه تعالى المتعلقة بالأنبياء المذكورين أي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير وهو السر في إظهار كلمة في على كلمة إلى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل الخيرات متوجهين إليها كما في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة (ويدعوننا رغباً ورهباً) ذوى رغب ورهب أو راغبين في الثواب راغبين للإجابة أو في الطاعة وخائفين العقاب أو المعصية أو للرغب والرهب (وكانوا لنا خاشعين) أي مخبتين متضرعين أو دائمى الوجمل والمعنى أنهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة (والتي أحصنت فرجها) أي اذكر خبر التي أحصنتها على الإطلاق من الحلال والحرام ٩١ والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها وتنزيها عما زعموه في حقها أثر ذى أثير (فنفخنا فيها) أي أحيينا عيسى في جوفها (من روحنا) من الروح الذي هو من أمرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّبِعُونِ ﴿٩٢﴾

٢١ الأنبياء

وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾

٢٢ الأنبياء

فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾

٢١ الأنبياء

وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾

٢١ الأنبياء

عليه السلام (وجعلناها وابنها) أى قصتهما أو حالهما (آية للعالمين) فإن من تأمل حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية الثامنة مع تكرار آيات كل واحد منهما وقيل أريد بالآية الجنس الشامل لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية فذفت الأولى لدلالة الثانية عليها (إن هذه) أى ملة التوحيد والإسلام أشير إليها بهذه تنبيهاً على كمال ظهور أمرها فى الصحة والسداد (أنتكم) أى ملتكم التى يجب أن تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تغفلوا بشئ منها والخطاب للناس قاطبة (أمة واحدة) نصب على الحالية من أمتكم أى غير مختلفة فيما بين الأنبياء عليهم السلام إذ لا مشاركة لغيرها فى صحة الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل الأمم والأعصار وقرئ أمتكم بالنصب على البدلية من اسم إن وأمة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئنا بالرفع على أنها خبر إن (وأنا ربكم) لا إله لكم غيرى (فاعبدون) خاصة لا غير وقوله تعالى (وتقطعوا أمرهم بينهم) التفات إلى الغيبة لينبئ عليهم ما أفسدوه من الفرق فى الدين وجعل أمره قطعاً موزعة وينهى قبائح أفعالهم إلى الآخرين كأنه قيل ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء فى دين الله الذى أجمعت عليه كافة الأنبياء عليهم السلام (كل) أى كل واحدة من الفرق المتقطعة أو كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك الفرق (إلينا راجعون) بالبعث لا إلى غيرنا ٩٢ فتجازيهم حينئذ بحسب أعمالهم وإيراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى (فمن يعمل من الصالحات) الخ تفصيل للجزاء أى فمن يعمل بعض الصالحات أو بعضاً من الصالحات (وهو مؤمن) بالله ورسوله (فلا كفران لسعيه) أى لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذى هو ستر النعمة وجودها لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وإبراز الإثابة فى معرض الأمور الواجبة عليه تعالى ونفى نفى الجنس للمبالغة فى التنزيه وعبر عن العمل بالسعى لإظهار الاعتداد به (وإننا له) أى لسعيه (كاتبون) أى مثبتون فى صحائف أعمالهم لا تغادر من ذلك شيئاً (وحرام على قرية) أى تمتنع على أهلها غير متصور منهم وقرئ حرم وهى لغة كالحل والحلال ٩٣ (أهلكناها) قدرناها هلاكها أو حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى (أنهم لا يرجعون) فى حيز الرفع على أنه مبتدأ خبره حرام أو فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل إلينا راجعون وما فى أن من معنى التحقيق معتبر فى النفي المستفاد من حرام لافى النفي أى تمتنع البتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء لأن عدم رجوعهم المحقق تمتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول

حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾
 ٢١ الانبياء
 وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ
 كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾
 ٢١ الانبياء
 إِنَّا نَكُرُّ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾
 ٤١ الانبياء

الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله تعالى كل إلى نار اجمعون لأنهم المشكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقبل امتنع رجوعهم إلى التوبة على أن لا صلة وقرى. إنهم لا يرجعون بالكسر على أنه استئناف تعليل لما قبله فحرام خبر مبتدأ محذوف أي حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالإيمان والسعي المشكور ثم علل بقوله تعالى إنهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يتمتع ذلك ويجوز حمل المفتوحة أيضاً على هذا المعنى بحذف اللام عنها أي لأنهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) الخ هي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الأول غاية لما يدل ٩٦ عليه ما قبلها كأنه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى إذا قامت القيامة يرجعون إلينا ويقولون يا ويلنا الخ وعلى الثاني غاية للحرمة أي يستمر امتناع رجوعهم إلى التوبة حتى إذا قامت القيامة يرجعون إليها حين لا تنفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر أي لا يرجعون عنه حتى إذا قامت القيامة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ويأجوج ومأجوج قبيلتان من الإنس قالوا الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وقرى. فتحت بالتشديد (وهم) أي يأجوج ومأجوج وقيل الناس (من كل حدب) أي نشز من الأرض وقرى. جدث وهو القبر (ينسلون) أي يسرعون وأصله مقاربة الخطو مع الإسراع وقرى. بضم السين (واقترَبَ الوعد الحق) عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء ٩٧ لا النفخة الأولى (فإذا هي شاخصة أبصر الذين كفروا) جواب الشرط وإذا للمفاجأة تسد مسند الفاء الجزائية كما في قوله تعالى إذا هم يقنطون فإذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة أو مبهم يفسره ما بعده (يا ويلنا) على تقدير قول وقع حالاً من الموصول أي يقولون يا ويلنا تعال فهذا أو ن حضورك وقيل هو الجواب للشرط (قد كما في غفلة) تامة (من هذا) الذي دهمنا من البعث والرجوع إليه تعالى للجزاء ولم نعلم أنه حق (بل كنا ظالمين) إضراب عما قبله من وصف أنفسهم بالغفلة أي لم نكن غافلين عنه حيث نهينا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها وأوظالمين لأنفسنا بجرع يضما للعذاب الخالد بالكذب وقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) خطاب لكفار مكة ٩٨ وتصريح بمآل أمرهم مع كونه معلوماً مما سبق على وجه الإجمال مبالغة في الإنذار وإزاحة الاعتذار وما تعبدون عبارة عن أصنامهم لأنهم التي يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روى أن رسول الله ﷺ حين

٢١ الأنبياء

لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ آلِهَةً مَّأُورَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾

٢١ الأنبياء

لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

تلا الآية قال له ابن الزبيري خصمتك ورب الكعبة البست اليهود عبدوا عزيزاً والنصارى المسيح وبنو ملجح الملائكة رد عليه بقوله ﷺ ما أجملك بلغة قومك أما فهمت أن ما لم لا يعقل ولا يعارضه ما روى أنه ﷺ رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك ولا ما روى أن ابن الزبيري قال هذا شيء لا لهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله فقال ﷺ بل لكل من عبد من دون الله تعالى إذ ليس شيء منهما نصاً في عموم كلمة ما كما أن الأول نص في خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فعلمه ﷺ بعدما بين مدلول النظم الكريم بما ذكره عدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة أيضاً تأكيداً كيداً للرد والإلزام وتكريراً للنبكيت والإفحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فإن إخراج بعض المعبودين عن حكم مني عن الغضب على العبدية والمعبودين بما يومهم الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان أنهم ليسوا من المعبودية في شيء حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للأصنام في المعبودية من دون الله تعالى وإنما معبودهم الشياطين التي أمرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانه أنت وإيماناً من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية فهم الداخلون في الحكم المذكور لا شترأكم مع الأصنام في المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين عليهم السلام وهذا هو الوجه في التوفيق بين الأخبار المذكورة وأما تعميم كلمة ما للعقلاء أيضاً وجعل ما سياتي من قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى إلخ بياناً للتجاوز أو التخصيص فما لا يساعده السياق والسياق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به ويهيج به النار من حصبه إذا رماه بالحصباء وقرىء بسكون الصاد وصفاً له بالمصدر للبالغ (أنتم لها واردون) استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على الدلالة على الاختصاص وأن ورودهم لأجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليباً (لو كان هؤلاء) أي أصنامهم (آلهة) كما يزعمون (ماوردوها) وحيث تبين ورودهم إياها تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في أن المراد بما يعبدون هي الأصنام لأن المراد إثبات نقيض ما يدعونه وهم إنما يدعون إلهية الأصنام لا إلهية الشياطين حتى يخرج بورودها النار على عدم إلهيتها وأما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكلية بانجرار الكلام إليه عند بيان ما سبق له النظم الكريم بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبيري عن حال سائر المعبودين وكان الاختصار على الجواب الأول بما يومهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لأنهم المعبودون عندهم أجيب ببيان أن المعبودين هم الشياطين وأنهم داخلون في حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لثلاث ١٠٠ يلزم التدافع بين الخبرين (وكل) أي من العبدية والمعبودين (فيها خالدون) لا خلاص لهم عنها (لهم فيها زفير) أي أنين وتنفس شديد وهو مع كونه من أفعال العبدية أضيف إلى الكل للتغليب ويجوز أن يكون الضمير

٢١ الأنبياء

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

٢١ الأنبياء

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾

لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ٢١ الأنبياء

- للمعبدة لعدم الإلباس وكذا في قوله تعالى (وهم فيها لا يسمعون) أى لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسمعون من الكلام (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) شروع ١٠١ في بيان حال المؤمنين إثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وإيراد الرغبة مع الرهيب أى سبقت لهم منا في التقدير الحصلة الحسنى التى هى أحسن الخصال وهى السعادة وقيل التوفيق للطاعة أو سبقت لهم كدنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الأدخل الأظهر في الحمل عليها لما أن الأولين مع خفتها ليسا من مقدورات المكلفين فالجملة مع ما بعدها تفصيل لما أجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون كما أن ما قبلها من قوله تعالى إنكم وما تعبدون إلخ تفصيل لما أجمل في قوله تعالى وحرام إلخ (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجته وبعد منزلتهم في الشرف والفضل أى أولئك المعنوتون بما ذكر من النعت الجليل (عنها) أى عن جهنم (مبعدون) لأنهم في الجنة وشتان بينها وبين النار وما روى أن علياً رضى الله عنه خطب يوماً فقرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عنهم أجمعين ثم أقيمت الصلاة فقام يحجر رداءه ويقول (لا يسمعون حسيها) ليس بنص في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به أى لا يسمعون صوتها سمعاً ضعيفاً كما هو المعمود عند كون المصوت بعيداً وإن كان صوته في غاية الشدة لا أنهم لا يسمعون صوتها الخفى في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون أو حال من ضميره مسوقة للبالغة في إنقاذهم منها وقوله تعالى (وهم فيها اشتت أنفسهم خالدون) بيان لفوزهم بالمطالب إثر بيان خلاصهم من المهالك والمعاطب أى دائمون في غاية النعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الأكبر) بيان لنجاتهم من الإفزاع بالكلية بعد ١٠٣ بيان نجاتهم من النار لأنهم إذا لم يحزنهم أكبر الإفزاع لا يحزنهم أعداء بالضرورة عن الحسن رضى الله عنه أنه الانصراف إلى النار وعن الضحك حتى يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت في صورة كبش أملح وقيل النفخة الأخيرة لقوله تعالى فزع من في السموات ومن في الأرض وليس بذلك فإن الأمن من ذلك الفزع من استأه الله تعالى بقوله إلا من شاء الله لاجتماع المؤمنين الموصوفين بالأعمال الصالحة على أن أكثرين على أن ذلك في النفخة الأولى دون الأخيرة كما سيأتى في سورة النمل (وتلقاهم الملائكة) أى تستقبلهم مهتئين لهم (هذا يومكم) على إرادة القول أى قائمين هذا اليوم يومكم (الذى كنتم توعدون) في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الإيمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في أن المراد بالذين

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٢١﴾

٢١ الأنبياء

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿٢١﴾

٢١ الأنبياء

٢١ الأنبياء

إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿٢١﴾

سبقت لهم الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالإيمان والأعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير
 ١٠٤ والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل (يوم نطوى السماء) بنون العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله
 تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل بتلقاها وقيل حال مقدرة من الضمير المحذوف في توعدون والعلو ضد النشر
 * وقيل المحو وقرئ يطوى بالياء والتاء والبناء للفعول (كطى السجل) وهى الصحيفة أى طيا كطى
 الطومار وقرئ السجل كلفظ الدلو وبالكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى
 * (للكتب) متعلقة بمحذوف هو حال من السجل أو صفة له على رأى من يجوز حذف الموصول مع
 بعض صلته أى كطى السجل كائناً للكتب أو الكائن للكتب فإن الكتب عبارة عن الصحف وما كتب
 فيها فسجلها بعض أجزاءها وبه يتعلق الطى حقيقة وقرئ للكتاب وهو إما مصدر واللام للتعليل أى
 كما يطوى الطومار للكتابة أو اسم كالإمام فاللام كما ذكر أولاً وقيل السجل اسم ملك يطوى كتب أعمال
 * بنى آدم إذا رفعت إليه وقيل هو كاتب لرسول الله ﷺ (كما بدأنا أول خلق نعيده) أى نعيد ما خلقناه
 مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في كونها إيجاداً بعد العدم أو جمعاً من الأجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة
 الإعادة بالقياس على المبدأ لشمول الإمكان الذاتى المصحح للبقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما
 كافة أو مصدرية وأول مفعول لبدأنا أول فعل يفسره نعيده أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره
 نعيده أى نعيد مثل الذى بدأناه وأول خلق ظرف لبدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف (وعداً)
 * مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده أو منتصب به لأنه عدة بالإعادة (علينا) أى علينا إنجازها (إننا كنا فاعلين)
 ١٠٥ لما ذكر لاحالة (ولقد كتبنا فى الزبور) هو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم الجنس ما أنزل على الأنبياء
 عليهم السلام (من بعد الذكر) أى التوراة وقيل اللوح المحفوظ أى وبالله لقد كتبنا فى كتاب داود بعد
 ما كتبنا فى التوراة أو كتبنا فى جميع الكتب المنزلة بعدما كتبنا وأثبتنا فى اللوح المحفوظ (أن الأرض يرثها
 عبادى الصالحون) أى طامة المؤمنين بعد إجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى بإظهار الدين وإعزاز أهله وعن
 ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد أرض الجنة كما يبنى عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده
 ١٠٦ وأورثنا الأرض تنبؤاً من الجنة حيث نشاء وقيل الأرض المقدسة يرثها أمة محمد ﷺ (إن فى هذا) أى
 فيما ذكر فى السورة الكريمة من الأخبار والمواظظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة
 على التوحيد وصحة النبوة (لبلأغا) أى كفاية أو سبب بلوغ إلى البغية (لقوم عابدين) أى لقوم مهتمين

٢١ الأنبياء

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾

٢١ الأنبياء

قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾

٢١ الأنبياء

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَذْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾

٢١ الأنبياء

إِنَّهُ يُعَلِّمُ الْجَاهِرَ مِمَّا قَوْلٍ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾

٢١ الأنبياء

وَإِنْ أَذْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتْنٌ إِلَيَّ حِينَ ﴿١١١﴾

- العبادة دون العادة (وما أرسلناك) بما ذكر وبأمثاله من الشرائع والأحكام وغير ذلك من الأمور التي ١٠٧ هي مناط السعادة الدارين (إلا رحمة للعالمين) هو في حيز النصب على أنه استثناء من أعم العلل أو من أعم الأحوال أي ما أرسلناك با ذكر لعله من العلل إلا برحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة أو ما أرسلناك في حال من الأحوال إلا حال كونك رحمة لهم فإن لما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لا انتظام مصالحهم في الدنيا والآخر ومن لم يغتنم مغائم آثاره فإنما فرط في نفسه وحرمه حقه لا أنه تعالى حرمه عما يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار أمهم من الخسف والمسح والاستئصال حسبا ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (قل إنما يوحى إلي أنها إلهكم إله واحد) أي ما يوحى إلي إلا أنه لا إله لكم إلا ١٠٨ إله واحد لأنه المقصود الأصلي من البعثة وأما ما عداه فن الأحكام المنفردة عليه فإنما الأولى لقصر الحكم على الشيء كقولك إنما يقوم زيد أي ما يقوم إلا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك إنما زيد قائم أي ليس له إلا صفة القيام (فهل أنتم مسلمون) أي غلصون العبادة لله تعالى مخلصون لها به تعالى والفاء للدلالة على أن ما قبلها موجب لما بعدها قالوا فيه دلالة على أن صفة الوحدانية تصح أن يكون طريقها السمع (فإن تولوا) عن الإسلام ولم يلتفتوا إلى ما يوجبهم من الوحي (فقل) لهم (آذنتكم) أي أعلمتكم ١٠٩ ما أمرت به أو حربي لكم (على سواء) كائنين على سواء في الإعلام به لم أطوه عن أحد منكم أو مستوين به أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به أو في المعاداة أو لئذا أنا على سواء وقيل أعلمتكم أني على سواء أي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير (وإن أدرى) أي ما أدرى (أقرب أم بعيد ما توعدون) من غلبة المسلمين وظهور الدين أو الخسر مع كونه آتيا لا محالة (إنه يعلم الجهر من القول) أي ما تجاهرون به من الطعن في ١١٠ الإسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود (ويعلم ما تكتُمون) من الإحسان والأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا أو قطميرا (وإن أدرى لعله فتنة لكم) أي ما أدرى لعل تأخير ١١١ جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم أو امتحان لكم لينظر كيف تعملون (ومتاع إلى حين) أي وتمتع لكم إلى أجل مقدر تقتضيه مشيئته المبينة على الحكم البالغة ليسكون ذلك حجة عليكم .

قَالَ رَبِّ أَحْكَمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ٢١ الأنبياء

١١٢ (قال رب احكم بالحق) حكاية لدعائه ﷺ وقرىء قل رب على صيغة الأمر أى اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضى لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه ﷺ حيث عذبوا بيد رأى تعذيب وقرىء رب احكم بضم الباء وربى احكم على صيغة التفضيل وربى احكم من الاحكام (وربنا الرحمن) مبتدأ أى كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى (المستعان) أى المطلوب منه المعونة وخبر آخر للبتدأ وإضافة الرب فيما سبق إلى ضميره ﷺ خاصة لما أن الدعاء من الوظائف الخاصة به ﷺ كما أن إضافته ههنا إلى ضمير الجمع المنتظم للدوامين أيضاً لما أن الاستعانة من الوظائف العامة لهم (على ما تصفون) من الحال فإهم كانوا يقولون إن الشوكة تكون لهم وإن راية الإسلام تخفق ثم تركد وإن المتوعد به لو كان حقاً لنزل بهم إلى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله ﷺ فغيب آماهم وغير أحوالهم ونصر أوليائه عليهم فأصابهم يوم بدر ما أصابهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضنون ما قبله وقرىء يصفون بالياء التحتية وعن النبي ﷺ من قرأ اقرب حاسبه الله تعالى حساباً يسيراً وصالحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه فى القرآن .

٢٢ - سورة الحج
(مدنية وآياتها ثمان وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾
يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾

٢٢ الحج

٢٢ الحج

(سورة الحج مدنية إلا الآيات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ فبين مكة والمدينة وآياتها ٧٨)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يأيتها الناس اتقوا ربكم) خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلامتهم بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك إلى يوم القيامة وإن كان خطاب المشافهة مختصاً بالفريق الأول على الوجه الذي مر تقريره في مطلع سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والإناث حقيقة وأما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم تناوُلها للإناث حقيقة إلا عند الحنابلة والمأثور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الإيمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجاً أولياً والتعرض لعنوان الربوبية المنبثقة عن المالكية والنزبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأييد الأمر وتأكيده بحجاب الامتثال به ترهيباً وترغيباً أى احذروا عقوبة مالك أموركم ومريكم وقوله تعالى (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) تعليل لموجب الأمر بذكر بعض عقوباته الهائلة فإن ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مبادئه ومقدماته من الأحوال والأحوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والإزعاج الغنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الأشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها وإضافتها إلى الساعة إما إضافة المصدر إلى فاعله على المجاز الحكمي كأنها هي التي تزلزل الأشياء أو إضافته إلى الظرف إما بإجرائه مجرى المفعول به اتساعاً أو بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى إذا زلزلت الأرض زلزالها عن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن ابن عباس رضى الله عنهما زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي أنها قبل طلوع الشمس من مغربها فإضافتها إلى الساعة حينئذ لكونها من أشراطها وفي التعبير عنها بالشئ إيدان بأن العقول قاصرة عن إدراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها إلا على وجه الإبهام وقوله تعالى (يوم ترونها) ٢ منتصب بما بعده قدم عليه اهتماماً به والضمير للزلزلة أى وقت رؤيتكم إياها ومشاهدتكم لهول مطلعها (تذهل كل مرضعة) أى مباشرة للإرضاع (عما أرضعت) أى تغفل وتذهل مع دهشة عما هي بصدد

٢٢ الحج

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّרِيدٍ ﴿٢٢﴾

إرضاعه من طفلهما الذي ألقمته ثديها والتعبير عنه بما دون من لنا كيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها أنه ماذا لا أنها تعرف شيئته لكن لا تدرى من هو بخصوصه وقيل ماصدرية أى تذهل عن إرضاعها والاول أدل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الإذهال مبنياً للمفعول أو مبنياً للفاعل مع نصب كل أى تذهلها الزلزلة (وتضع كل ذات حمل حملها) أى تلقى جنينها لغير تمام كما أن المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي وأما على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فقد قيل إنه تمثيل لتحويل الأمر وفيه أن الأمر حينئذ أشد من ذلك وأعظم وأهول مما وصف وأطم وقيل إن ذلك يكون عند النفخة الثانية فإنهم يقومون على ما صمقوا في النفخة الأولى فتقوم المرضعة على إرضاعها والحامل على حملها ولا ريب في أن قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر (وترى الناس) بفتح التاء والراء على خطاب كل أحد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والإفراد لما أن المرتى في الأول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من إفراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فإن المراد بيان تأثير الزلزلة في المرتى لا في الرائي باختلاف شعاعه لأن مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كأنه قيل ويصير الناس سكارى الخ وإنما أوتر عليه ما في التنزيل للإيدان بكال ظهور تلك الحالة فيهم وبلغها من الجلاء إلى حد لا يكاد يخفى على أحد أى يراهم كل أحد (سكارى) أى كأنهم سكارى (وما هم بسكارى) حقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فيرهقهم هوله ويطير عقولهم ويسلب تمييزهم فهو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء مستنداً إلى المخاطب من أريتك قائماً أو رؤيتك قائماً والناس منصوب أى تظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على إسناد الفعل المجهول إليه والتأنيث على تأويل الجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء أى ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وسكرى كعطشى وجوعى لإجراء للسكرك مجرى العمل (ومن الناس) كلام مبتدأ جرى به إثريان عظم شأن الساعة المنبئة عن البعث بياناً لحال بعض المنكرين لها وحمل الجار الرفع على الابتداء إما بحمله على المعنى أو بتقدير ما يتعلق به كما مر مراراً أى وبعض الناس أو وبعض كائن من الناس (من يجادل في الله) أى في شأنه تعالى ويقول فيه مالا خير فيه من الأباطيل وقوله تعالى (بغير علم) حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر بها المجادلة من الجهل أى ملابساً بغير علم . روى أنها نزلت في النضر بن الحرث وكان جد لا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة لهؤلاء ضرابه من العتاة المتمردين (ويتبع) أى فيما يتعاطاه من المجادلة أو في كل ما يأتى وما يندر من الأمور الباطلة التي من جملتها ذلك (كل شيطان مرید) عات متمرّد متجرّد للفساد وأصله العرى المنهى عن التحض له كالشمر ولعله مأخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المرید والمراد المرتفع الأملس والمراد إما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر وإما إبليس وجنوده .

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٥٤﴾
 ٢٢ الحج
 يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
 مِن مَّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَّكُمْ وَنُقَرِّئَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
 طِفْلًا ثُمَّ لِنَبْلُوَكُمْ أَشَدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن
 بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأُنَبِّتُ مِن كُلِّ
 زَوْجٍ بَیْعٍ ﴿٥٥﴾
 ٢٢ الحج

وقوله تعالى (كتب عليه) أى على الشيطان صفة أخرى له وقوله تعالى (أنه) فاعل كتب والضمير للشان
 ٤ أى رقم به لظهور ذلك من حاله أن الشأن (من تولاه) أى اتخذه ولياً وتبعه (فأنه يضله) بالفتح على أنه
 خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف والجملة جواب الشرط إن جعلت من شرطية وخبر لها إن
 جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط أى من تولاه فشانه أنه يضله عن طريق الجنة أو طريق الحق أو
 لحق أنه يضله قطعاً وقيل فإنه معطوف على أنه وفيه من التعسف مالا يخفى وقيل وقيل مالا يخلو عن
 التمثل والتأويل وقرئ فإنه بالكسر على أنه خبر لمن أو جواب لها وقرئ بالكسر فهما على حكاية
 المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت إن الله يأمر بالعدل والإحسان أو على إضمار القول أو تضمنين
 الكتب معناه على رأى من يراه (ويهديه إلى عذاب السعير) بحمله على مباشرة ما يؤدى إليه من السيئات
 (بأيها الناس) إثر ما حكى أحوال المجادلين بغير علم وأشير إلى ما يؤول إليه أمرهم أقيمت الحجة الدالة
 ٥ على تحقق ما جادلوا فيه من البعث (إن كنتم في ريب من البعث) من إمكانه وكونه مقدوراً له تعالى أو
 من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب والجلب والتعيير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع التنكير
 المذموم عن القلة مع أنهم جازمون باستحالته وإيراد كلمة الشك مع تقرير حالهم في ذلك وإيثار ما عليه النظم
 الكريم على أن يقال إن أرتبتم في البعث فقد مرت حقيقة في تفسير قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا على
 عبدنا (فإننا خلقناكم) أى فانظروا إلى مبدأ خلقكم لينزل ريبكم فإننا خلقناكم أى خلقنا كل فرد منكم (من
 تراب) في ضمن خلق آدم منه خلقاً إجمالياً فإن خلق كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام
 إذا لم تسكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجاً منظوياً على فطرة سائر أفراد الجنس
 انطواء إجمالياً مستتبعا لجرى أنارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقاً للكل منه كما مر
 تحقيقه سراراً (ثم من نطفة) أى ثم خلقناكم خلقاً تفصيلياً من نطفة أى من منى من النطف الذى هو الصب
 (ثم من علقه) أى قطعة من الدم جامدة متكونة من المنى (ثم من مضغة) أى من قطعة اللحم متكونة
 من العلقه وهى فى الأصل مقدار ما يمتنع (مخلقة) بالجر صفة مضغة أى مستبينة الخلق مصورة (وغير
 مخلقة) أى لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها شيء.

من الأعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادئ البعيدة إلى القريبة أن يقدم غير المخلقة على المخلقة وإنما أخرت عنها لأنها عدم الملكة هذا وقد فسرنا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذلك وفي جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدأ لخلقهم لا لخلق ما بعدهما من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا السطة علة لخلقنا العلة مضغة الآية مزبد دلالة على عظيم قدرته تعالى وكسر لسورة استبعادهم (لنبين لكم) متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفاً أي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التي من جملتها سر البعث فإن من تأمل فيما ذكر من الخلق التدرجي تأملاً حقيقياً جزم جزماً ضرورياً بأن على خلق البشر أولاً من تراب لم يشم رائحة الحياة قط وإنشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد أخرى بتصرفه في أطوار الخلق وتحويله من حال إلى حال مع ما بين تلك الأطوار والأحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على إعادته بل هو أهون في القياس نظر إلى الفاعل والقابل وقرىء ليعين بطريق الالتفات وقوله تعالى (ونقر في الأرحام ما نشاء) استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه في سلك الخلق المعلن بالتبيين مع كونهما من متمماتهما ومن مبادئ التبيين أيضاً لما أن دلالة الأول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه أجلى وأظهر أي ونحن نقر في الأرحام بعد ذلك ما نشاء أن نقره فيها (إلى أجل مسمى) هو وقت الوضع وأدناه ستة أشهر وأقصاه سنتان وقيل أربع سنين وفيه إشارة إلى أن بعض ما في الأرحام لا يشاء الله تعالى إفراره فيها بعد تكامل خالقه فتسقطه والتعرض للإزلاق لا يناسب المقام لأن الكلام فيما جرى عليه أطوار الخلق وهذا صريح في أن المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصاً أو معيباً وأن ما فصل إلى هنا هي الأطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرىء يقر بالياء ونقر ويقر بضم القاف من قررت الماء إذا صببته (ثم نخرجكم) أي من بطون أمهاتكم بعد إقراركم فيها عند تمام الأجل المسمى (طفلاً) أي حال كونكم أطفالاً وإفراداً باعتبار كل واحد منهم أو بإعادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرىء يخرجكم بالياء وقوله تعالى (ثم لتبلغوا أشدكم) حلة لنخرجكم معطوفة على علة أخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئاً فشيئاً ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل إنه معطوف على نبين محل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرىء ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وغيبة فهو حينئذ عطف على نبين مثلهما والمعنى خلقناكم على التدرج المذكور لغايتين مترتبتين عليه إحداهما أن نبين شئونا والثانية أن نقركم في الأرحام ثم نخرجكم صغاراً ثم لتبلغوا أشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع أن حصوله بالفعل بعد الكل للإبذان بأنه غاية الغايات ومقصود بالذات وإعادة اللام ههنا مع تجريد الأولين عنها الإشعار بأصالتها في الفرضية بالنسبة إليهما إذ عليه يدور التكليف المؤدى إلى السعادة والشقاوة وإثبات البلوغ مسنداً إلى المخاطبين على التبليغ مسنداً إليه تعالى كالأفعال السابقة لأنه المناسب لبيان حال انصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية الآثار والأفعال والأشد من ألفاظ المجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقنود وكانها حين كانت شدة في غير شيء بنيت على لفظ الجمع (ومنكم من يتوفى) أي بعد بلوغ الأشد أو قبله

٢٢ الحج

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٠﴾

٢٢ الحج

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٦١﴾

- وقرىء بتوفي مبنياً للفاعل أى يتوفاه الله تعالى (و منكم من يرد إلى أرذل العمر) وهو الحرم والخوف وقرىء.
- بسكون الميم وإيراد الرد والتوفي على صيغة المبنى للفعول للجري على سنن الكبرياء لتعيين الفاعل (لكيلا يعلم من بعد علم) أى علم كثير (شيئاً) أى شيئاً من الأشياء أو شيئاً من العلم مبالغة في انتفاص علمه وانتكاس حاله أى ليعود إلى ما كان عليه فى أو ان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينسرك ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى (وترى الأرض هامدة) حجة أخرى على صحة البعث والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهى بصريته وهامدة حال من الأرض أى ميتة يابسة من همدت النار إذا صارت رماذاً (فاذا أنزلنا عليها الماء) أى المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربع) انتفخت وازدادت وقرىء ربأت أى ارتفعت (وأنبتت من كل زوج) أى صنف (مهيج) حسن رائق يسر ناظره (ذلك بأن الله هو الحق) كلام مستأنف جمى به لإثبات تحقيق حقيقة البعث وإقامة البرهان عليه من العالمين الإنسانى والنباتى لبيان أن ذلك من آثار ألوهيته تعالى وأحكام شئونه الذاتية والوصفية والفعلية وأن ما ينكرون وجوده بل إمكانه من إتيان الساعة والبعث من أسباب تلك الآثار العجيبة التى يشاهدونها فى الأنفس والآفاق ومبادئ صدور ما عنه تعالى وفيه من الإيذان بقوة الدليل وأصله المدلول فى التحقيق وإظهار بطلان إنكاره ما لا يخفى فإن إنكار تحقق السبب مع الجزم بتحقيق المسبب مما يقضى ببطلانه بديهية العقول والمراد بالحق هو الثابت الذى يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا لآثاره مطلقاً وذلك إشارة إلى ما ذكر من خلق الإنسان على أطوار مختلفة وتصرفه فى أحوال متباينة وإحياء الأرض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته فى الكمال وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور أى ذلك الصنع البديع حاصل بسبب أنه تعالى هو الحق وحده فى ذاته وصفاته وأفعاله المحقق لما سواه من الأشياء (وأنه يحيى الموتى) أى شأنه وعادته وإحياءها وحاصله أنه تعالى قادر على إحيائها بدءاً وإعادة وإلا لما أحيانا النطفة والأرض الميتة مراراً بعد مرار وما تفيد صيغة المضارع من التجدد إنما هو باعتبار تعلق القدرة ومعلقها لا باعتبار نفسها (وأنه على كل شيء قدير) أى مبالغ فى القدرة وإلا لما أوجد هذه الموجودات الفاتنة للحصر التى من جملتها ما ذكر وأما الاستدلال على ذلك بأن قدرته تعالى لذاته الذى نسبته إلى الكل سواء فلا دلت المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات لزوم اقتداره على إحياء كلهم فاشأه الغفول عما سيق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة الأمانة رمسياتها وتخصيص إحياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الأشياء المقدور عليها للتصريح بها فيه النزاع والدفع فى نحو المنكرين وتقديمه لإبراز الاعتبار به (وأن الساعة آتية) أى فيما سياتى وإشارة صيغة الفاعل على الفعل الدلالة على تحقيق إتيانها وتقرر البتة لاقتضاء الحكمة إياه لا محالة وتعليله بأن التغير من مقدمات الانصرام وطلانه مبنى على ما ذكر من الغفول وقوله تعالى (لا ريب فيه) إما خبر

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٢﴾

ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابٌ

الْحَرِيقِ ﴿٢٣﴾

الحج ٢٢

فان لأن أو حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها أنها في ظهور أمرها ووضوح دلائلها التكوينية والتزلية بحيث ليس فيها مظنة أن يرتاب في إتيانها حسبا مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها من الجملتين داخلة مثلها في حيز السببية وكذا قوله عز وجل (وأن الله يبعث من في القبور) لكن لا من حيث إن إتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من أفعاله تعالى تأثير القدرة فيها بل من حيث إن كلامهما سبب داع له عز وجل بموجب رأفته بالعباد المبنية على الحكم البالغة إلى ما ذكر من خلقهم ومن إحياء الأرض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على مكانهما ليتأملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين وينالوا به السعادة الأبدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم رأساً وهذا كما ترى من أحكام حقيقته تعالى في أفعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما أن ما قبله من أحكام حقيقته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل إتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيماً كما أنه قيل ذلك بسبب أنه تعالى قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد بالساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل إنما هو في سببها ما أمر من خلق الإنسان وإحياء الأرض فتأمل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى وأن الساعة آتية ليس معطوفاً على المجرور بالياء ولا داخلاً في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر أن الساعة آتية وأن الثانية معطوفة على الأولى وقيل المعنى ذلك لتعلموا بأن الله هو الحق لا يتين (ومن الناس من يجادل في الله) هو أبو جهل بن هشام حسبما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو من يتصدى لإضلال الناس وإغوائهم كاتناً من كان كما أن الأول من يقدّم على أن الشيطان عبارة عن المضل المغوى على الإطلاق (بغير علم) متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل أي كاتناً بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما أن المراد بالهدى في قوله تعالى (ولا هدى) هو الاستدلال والنظر الصحيح المهادى إلى المعرفة (ولا كتاب منير) وحي مظهر للحق أي يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا برهان سمعي كافي قوله تعالى ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وأما ما قبل من أن المراد به المجادل الأول والتكرير للتأكيد والتهديد لما بعده من بيان أنه لا استدلال أو وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وأن وصفه ٨ باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يقنى عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلي والسمعي (ثاني عطفه) ٩ حال أخرى من فاعل يجادل أي طائفاً لجانبه وطاويماً كشحه معرضاً متكبراً فإن ثنى العطف كناية عن

٢٢ الحج

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ؕ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ؕ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾

٢٢ الحج

- التكبر وقرىء بفتح العين أى مانعاً لتعطفه (ليضل عن سبيل الله) متعلق بجادل فإن غرضه الإضلال * عنه وإن لم يعترف بأنه إضلال والمراد به إما الإخراج من الهدى إلى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين أو الناس جميعاً بتغليب المؤمنين على غيرهم وإلا التثنية على الضلال أو الزيادة عليه مجازاً فالفعل هو الكفرة خاصة وقرىء بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجذاله من حيث إن المراد به الضلال المبين الذى لا هداية له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك (له فى الدنيا خزى) جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ماسلكه من الطريقة * أى ثبت له فى الدنيا بسبب ما فعله خزى وهو ما أصابه يوم بدر من القتل والصغار (ونذيقه يوم القيامة * عذاب الحريق) أى النار المحرقة (ذلك) أى ما ذكر من العذاب الدنيوى والآخرى وما فيه من معنى البعد للإبذان بكونه فى الغاية القاصية من الهول والفضاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بما قدمت يدك) أى بسبب ما أقرفته من الكفر والمعاصى وإسناده إلى يديه ما أن لاكتساب عادة يكون بالأيدي والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد وحل أن فى قوله عز وعلا (وأن الله ليس بظلام للعبيد) الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعاً على ما نقرر من قاعدة أهل السنة فضلاً عن كونه ظالماً بالآخذ من تحقيقه فى سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبلها وأما ما قيل من أن محل أن هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله فى سورة الأنفال (ومن الناس من يعبد الله على حرف) ١٠ شروع فى بيان حال المذنبين لإثريان حال المجاهرين أى ومنهم من يعبد الله تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى ينحرف إلى طرف الجيش فإن أحس بظفر قر وإلا فر (فإن أصابه خير) أى دنيوى من الصحة والسعة (اطمأن به) أى ثبت على ما كان عليه ظاهر ألا أنه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف (وإن أصابته فتنة) أى شىء يفتن به من مكروه يعتريه فى نفسه أو أهله أو ماله (انقلب على وجهه) روى أنها نزلت فى أغارب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه وتحت فرسه مهراسرياً وولدت امرأته ولداً سويماً وكثر ماله واشتبهت قال ما أصبت منذ دخلت فى دينى هذا إلا خيراً واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شراً وانقلب وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن يهودياً أسلم فأصابته مصائب فتشام بالاسلام فاتى النبي ﷺ فقال ألقى فقال ﷺ إن الإسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت فى المؤلفة قلوبهم (خسر الدنيا والآخرة) فقد هما وضيعهما بذهاب عصمته وجبوت عمله بالارتداد وقرىء خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير

يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ الحج ٢٢

يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبَيْتِ الْمَوْلَى وَلِبَيْتِ الْعَشِيرِ ﴿١٣﴾ الحج ٢٢

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ الحج ٢٢

- تنصيصاً على خسارانه أو على أنه خبر مبتدأ محذوف (ذلك) أى ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد الإيذان بكونه فى غاية ما يكون (هو الخسران المبين) الواضح كونه خسراناً إذ لا خسران مثله (يدعو من دون الله) استئناف مبين لعظم الخسران أى يعبد متجاوزاً عبادة الله تعالى (ملا يضره) إذا لم يعبد (وما لا ينفعه) إن عبده أى جماداً ليس من شأنه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة (ذلك) الدعاء (هو الضلال البعيد) عن الحق والهدى مستعار من ضلال من أبعد فى التيه ضالاً عن الطريق (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالاً بعيداً مع إزاحة ما عسى يتوهم من نفي الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبب أيضاً قال الدعاء بمعنى القول واللام داخل على الجملة الواقعة مفعولاً له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره أقرب والجملة صلة للببتدأ الأول وقوله تعالى (لبئس المولى ولبئس العشير) جواب لقسم مقدر هو وجوابه خبر للببتدأ الأول وإيثار من على ما مع كون معبوده جماداً وإيراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع المارة للمبالغة فى تقييح حاله والإيمان فى ذمه أى يقول ذلك الكافريوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى أضره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه أثر النفع أصلاً لمن ضره أقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز أن يكون يدعو إلى إعادة الأول لانتا كيداً له فقط بل وتمهيداً لما بعده من بيان سوء حال معبوده لإثبات سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كأنه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره أقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للنهك به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام أى يعبد من ضره أقرب من نفعه وإيراد كلمة من وصيغة التفضيل تهكم به أيضاً والجملة القسمية مستأنفة (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات) استئناف جرى به لبيان حال المؤمنين العابدين له تعالى وأن الله عز وجل يفضل عليهم بما لا غاية وراءه من أجل المنافع وأعظم الخيرات لإثبات غاية سوء حال الكفرة وما لهم من فريقين المجاهرين والمذنبين وأن معبودهم لا يجديهم شيئاً من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وأنهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة أامة وقوله تعالى (تجرى من تحتها الأنهار) صفة لجنان فإن أريد بها الأشجار المتكاثة السارة لما تحتها لجرى بالأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض فلا بد من تقدير مضاف

٢٢ الحج

هَلْ يَذْهَبُ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

٢٢ الحج

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾

أى من تحت أشجارها وإن جملة عبارة عن مجرّع الأرض والأشجار فاعتبار التحية بالنظر إلى الجزء
الظاهر المصحح لإطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في أوائل سورة البقرة وقوله تعالى (إن الله
يفعل ما يريد) تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق أى بفعل البتة كل ما يريد من الأفعال المتقنة اللازمة
المبنية على الحكم الرائقة التى من جملتها إثابة من آمن به وصدق رسوله ﷺ وعقاب من أشرك به وكذب
رسوله ﷺ ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له ﷺ عقب بقوله عز وجل (من كان يظن أن لن ينصره
الله في الدنيا والآخرة) تحقيقاً لها وتقريراً لشبوتها على أبلغ وجه وآكده وفيه إيجاز بارع واختصار رائع
والمعنى أنه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف بلويه ولا عاطف يشنيه فن كان يفيظه
ذلك من أعاديته وحساده ويظن أن لن يفعله تعالى بسبب مدافعتة ببعض الأمور ومباشرة ما رده من
المكاييد فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى أمره عاقبة مكروه أن يختنق
حنقاً مما يرى من ضلال مساعيه وعدم إنتاج مقدماته ومبادئه (فليمدد بسبب إلى السماء) فليمدد حبلاً
إلى سقف بيته (ثم ليقطع) أى ليختنق من قطع إذا اختنق لأنه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل
بعد الاختناق على أن المراد به فرض القطع وتقديره كما أن المراد بالنظر في قوله تعالى (فلينظر هل يذهبن
كيدته ما يغيظ) تقدير النظر وتصويره أى فليصور في نفسه النظر هل يذهبن كيدته ذلك الذى هو أقصى
ما انتهت إليه قدرته في باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصرة كلا ويجوز أن يراد فلينظر الآن أنه إن
فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلاً إلى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل
ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصرته وبأباه أن مساق النظم الكريم بيان أن الأمور المفروضة
على تقدير وقوعها وتحققها بمنزل من إذهاب ما يغيظ ومن البين أن لا معنى لفرض وقوع الأمور
الممتنعة وترتيب الأمر بالنظر عليه لاسيما قطع الوحي فإن فرض وقوعه محل بالمرام قطعاً وقبل كان
قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطنون ما وعد الله ورسوله ﷺ من النصر
وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ﷺ ويخشون أن لا يثبت أمره فزلت وقد فسر النصر بالرزق
فالمعنى أن الرزاق بيد الله تعالى لا تنال إلا بمشيئته تعالى فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فن ظن أن الله
تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يغلب القسمة ولا
يرده مرزوقاً (وكذلك) أى مثل ذلك الإنزال البديع المنطوى على الحكم البالغة (أنزلناه) أى القرآن
الكريم كله وقوله تعالى (آيات بينات) أى واخحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب
مدينة لما أشير إليه بذلك (وأن الله يهدي) به ابتداء أو يثبت على الهدى أو يزيد فيه (من يريد) هدايته

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰلِحِينَ وَالنَّصْرَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

الحج ٢٢

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ
وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ قِتَالَهُ مِنْ مَّكْرِمٍ
إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ ﴿١٨﴾

الحج ٢٢

- أو تثبته أو زيادته فيها ومحل الجملة إما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر أى ولأن الله يهدى
من يريد أنزله كذلك أو الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى والأمر أن الله يهدى من يريد هدايته
١٧ (إن الذين آمنوا) أى بما ذكر من الآيات البينات بهداية الله تعالى أو بكل ما يجب أن يؤمن به فيدخل
فيه ما ذكر دخولا أولياً (والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس) قيل هم قوم يعبدون النار وقيل
الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل أخذوا من دين النصارى
شيئاً ومن دين اليهود شيئاً وهم القائلون بأن للعالم أصليين نوراً وظلمة (والذين أشركوا) هم عبدة الأصنام
وقوله تعالى (إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) في حين الرفع على أنه خبر لإن السابقة وتصدير طرفي
الجملة بحرف التحقيق لزيادة التقرير وللتأكيد أى يقضى بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المنفقة على
ملة الكفر بإظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء بإثابة الأول وعقاب الثاني بحسب
استحقاق أفراد كل منهما وقوله تعالى (إن الله على كل شيء شهيد) تعليل لما قبله من الفصل أى عالم بكل
شيء من الأشياء ومراقب لأحواله ومن قضيته الإحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من أفراد الفرق
المذكورة وإجراء جزائه اللائق به عليه وقوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في
١٨ الأرض) الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور من أعمال الفرق المذكورة مع الإشارة إلى كيفية وكونه
بطريق التعذيب والإثابة والإكرام والإهانة إثر بيان ما يوجب من كونه تعالى شهيداً على جميع الأشياء
التي من جملتها أحوالهم وأفعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنها إشعاراً بظهور المعلوم والخطاب لكل أحد
من يتأتى منه الرؤية بناء على أنه من الجلاء بحيث لا يخفى على أحد والمراد بالسجود هو الانقياد التام
لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه بأكمل أفعال المكلف في باب الطاعة إيداناً بكونه في
أقصى مراتب التسخر والتذل لاسجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغیرهم أيضاً
وهو الانسب بالمقام لإفادته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما أو بطريق الجزئية منهما
* فيكون قوله تعالى (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) لإفرادها بالذكر لشهرتها
واستبعاد ذلك منها عادة وجعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبى عنه قوله تعالى
* (وكثير من الناس) فإنه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور أى ويسجد له كثير من الناس سجود

هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ
رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾

٢٢ الحج

يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾

٢٢ الحج

وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾

٢٢ الحج

كَلَّمَآ أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِّنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

٢٢ الحج

- طاعة وعبادة ومن قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسمه عليه نحو قوله الثواب والأول هو الأولى لما فيه من الترغيب في السجود والطاعة وقد جوز أن يكون من الناس خبراً له أى من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وأن يكون قوله تعالى (وكثير) معطوفاً على كثير الأول الإيذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس (حق عليه العذاب) أى بكفره واستمعائه وقرىء حق بالضم وحقاً أى حق عليه العذاب حقاً (ومن يهن الله) بأن كتب عليه الشقاوة حسبما عليه من صرف اختياره إلى الشر (فاله من مكرم) يكرمه بالسعادة وقرىء بفتح الراء على أنه مصدر ميمي (إن الله يفعل ما يشاء) من الأشياء التى من جملتها الإكرام والإهانة (هذان) تعيين لطرفي الخصام وإزاحة للماضى يتبادر إلى الوم من كونه ١٩ بين كل واحدة من الفرق الست وبين البواقى وتحرير لمحله أى فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم إلى الفرق الخمس (خصمان) أى فريقان مختصمان وإنما قيل (اختصموا فى ربهم) حملاً على المعنى أى اختصموا فى شأنه عز وجل وقيل فى دينه وقيل فى ذاته وصفاته والكل من شئونه تعالى فإن اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء أقواله وأفعاله عليه خصومة للفريق الآخر وإن لم يجر بينهما التناحر والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن أحق بالله وأقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله منكم آمناً بمحمد ونبينا وبما أنزل الله من كتاب وأتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسداً فزلت (فالذين كفروا) تفصيل لما أجمل فى قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم) أى قدرت على مقادير جهنم وقرىء بالتخفيف (ثياب من نار) أى نيران هائلة تحيط بهم إحاطة الثياب بلا بسما (يصب من فوق رؤوسهم الحميم) أى الماء الحار الذى انتهت حرارته قال ابن عباس رضى الله عنهما لو قطرت قطرة منها على جبال الدنيا لأذابتها والجملة مستأنفة أو خبر ثان للدو صول أو حال من ضمير لهم (يصر به) أى يذاب (ما فى بطونهم) من الأمعاء والأحشاء وقرىء يصر بالتشديد (والجلود) ٢٠ عطف على ما وناخيره عنه إما مراعاة الفواصل أو للإشعار بغاية شدة الحرارة بإيهام أن تأثيرها فى الباطن أقدم من تأثيرها فى الظاهر مع أن ملاستها على العكس والجملة حال من الحميم (ولهم) للكفرة أى لتعذيبهم ٢١ وأجلهم (مقامع من حديد) جمع مقمعة وهى آلة القمع (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أى أشرفوا على ٢٢

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

الحج ٢٢

وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

الحج ٢٢

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعِكْفُ
فِيهِ وَأَبَادٍ وَمَنْ يَرُدَّ فِيهِ بِالْحَادِمْ يُظْلَمَ نُذُقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

الحج ٢٢

- الخروج من النار ودنوا منه حسبا يروى أنها تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهروا فيها سبعين خريفاً (من غم) أى من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتغال من الهاء بإعادة الجار والرابط محذوف كما أشير إليه أو مفعول له للخروج (أعيدوا فيها) أى في قعرها بأن ردوا من أعاليها إلى أسافلها من غير أن يخرجوا منها (وذوقوا) على تقدير قول معطوف على أعيدوا أى وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) أى الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) بيان لحسن حال المؤمنين إثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الأسلوب فيه بإسناد الإدخال إلى الله عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق إيذاناً بكال مباينة حالهم لحال الكفرة وإظهار المزيد العناية بأمر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام (يحلون فيها) على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الإحلاء بمعنى الإلباس أى يحلبهم الملائكة بأمره تعالى وقرئ يحلون من حلية المرأة إذا لبست حليتها ومن في قوله تعالى (من أساور) إما للتبويض أى بعض أساور وهى جمع أسورة جمع سوار أو للبيان لما أن ذكر التحلية مما يذنب عن الحلى المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فإنه بمعنى يلبسون (من ذهب) بيان للأساور (ولؤلؤاً) عطف على محل من أساور أو على المفعول المحذوف أو منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون أى يؤتون وقرئ بالجر عطفاً على أساور وقرئ لؤلؤوا بقلب الهمزة الثانية واواً ولوليا بقلبها ياء بمد قلبهما واواً ولياليا بقلبها ياء (ولباسهم فيها حرير) غير الأسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريراً لكن لا للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة أو لجرد المحافظة على هيئة الفواصل بل للإيذان بأن ثبوت اللباس لهم أمر محقق غنى عن البيان إذ لا يمكن عراؤهم عنه وإنما المحتاج إلى البيان أن لباسهم ماذا بخلاف الأساور واللؤلؤ فإنها لبست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصوداً بالذات ولعل هذا هو الباعث إلى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس (وهدوا إلى الطيب من القول) وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نقبوا من الجنة الآية (وهدوا إلى صراط الحميد) أى الحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة ووجه تأخير هذه الهداية عن ذكر الهداية إلى القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية إلى طريقها لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الإسلام ووجه التأخير حينئذ أن ذكر الحمد يستدعى ذكر الحمود (إن الذين كفروا

٢٣

٢٤

٢٥

وَلَا بُرْءَ أَتَانَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ

الْحُجُودِ ٢٦

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧

٢٢ الحج

ويصدون عن سبيل الله) ليس المراد به حالا ولا استقبالا وإنما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى الذين آمنوا وطمعن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا أى وهم يصدون وخبر إن محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فإن من الحُد في الحرم حيث عوقب بالعذاب الأليم فلأن يعاقب من جمع إليه الكفر والصد عن سبيل الله بأشد من ذلك أحق وأولى (والمسجد الحرام) * عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى (الذى جعلناه للناس) أى كأننا من كان من غير فرق بين مكى وآفاقى (سواء العاكف فيه والباد) أى المقيم والطارىء وسواء أى مستويا مفعول * ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق به ظرف له وقائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادق عنه وقرىء سواء بالرفع على أنه خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرىء العاكف بالجر على أنه بدل من الناس (ومن يرد فيه) مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كأنه * قبل ومن برد فيه مراداً ما (بالحاد) بعدول عن القصد (بظلم) بغير حق وهما حالان مترادفان أو الثانى بدل من الأول بإعادة الجار أو صلة أى ملحداً بسبب الظلم كالإشراك واقتراف الآثام (نذرة من عذاب أليم) * جواب لمن (ولاذ بوأنا) يقال بوأه منزلاً أى أنزله فيه ولما لزمه جعل الثانى مباداة الأول قيل (لإبراهيم ٢٦ مكان البيت) وعليه مبنى قول ابن عباس رضى الله عنهما جعلناه أى اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباداة له عليه السلام أى مرجعاً يرجع إليه للعبادة والعبادة وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما فى أصل الاستعمال أى أنزلناه فيه قيل رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوته حمراء فأعلم الله تعالى إبراهيم عليه السلام مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ماحوله فبناه على أسسه القديم روى أن الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات إحداها بناء الملائكة وكانت من ياقوته حمراء ثم رفعت أيام الطوفان والثانية بناء إبراهيم عليه السلام والثالثة بناء قريش فى الجاهلية وقد حضر رسول الله ﷺ هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير والخامسة بناء الحجاج وقد أوردنا ما فى هذا الشأن من الأقاويل فى تفسير قوله تعالى ولإذ رفع إبراهيم القواعد من البيت وأن فى قوله تعالى (أن لا تشرك بى شيئاً) مفسرة بوأنا من حيث إنه متضمن لمعنى تعبدنا لأن التبوئة للعبادة أو مصدرية موصولة بالنهى وقد مر تحقيقه فى أوائل سورة هود أى فعلنا ذلك لئلا تشرك بى فى العبادة شيئاً (وطهر بيته للطائفين والقائمين والركع السجود) أى وطهر بيته من الأوثان والأقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعل التعبير عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرىء يشرك بالياء (وأذن فى الناس) أى نادى بهم وقرىء أذن (بالحج) بدعوة ٢٧

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَارَزَقِهِمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾

الحج ٢٢

ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

الحج ٢٢

ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾

الحج ٢٢

الحج والامر به روى أنه عليه السلام صعد أبا قيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من في أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب من سبق في علمه تعالى أن يحج وقيل الخطاب لرسول الله ﷺ أمر بذلك في حجة الوداع وبأباه كون السورة مكية (بأتوك) جواب للامر (رجالاً) أى مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقرى بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى (وعلى كل ضامر) عطف على رجالاً أى وركبانا على كل بعير مهزول أتعبه بعد الشقة فزله أو زاده زاله (بأتين) صفة لضمير محمولة على المعنى وقرى بأتون على أنه صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير للناس (من كل فج) طريق واسع (عميق) بعيد وقرى بمعيق يقال بئر بعيدة العمق وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجذب (ليشهدوا) متعلق بأتوك لا بأذن أى ليحضروا (منافع) عظيمة الخطر كثيرة العدد أو نوعاً من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام في قوله تعالى (لهم) متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع أى منافع كائنة لهم (ويذكروا اسم الله) عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي جملة غاية الإتيان إيدان بأنه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لأنه لا ينفك عنه (في أيام معلومات) هى أيام النحر كما ينبى عنه قوله تعالى (على مَارَزَقِهِمْ من بهيمة الأنعام) فإن المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هى عشر ذى الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريصاً على التقرب وتنبه على الذكر (فكلوا منها) التفات إلى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف للإشعار بأنه أمر محقق غير محتاج إلى التصريح به كما فى قوله تعالى فانفجرت أى فاذكروا اسم الله على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للإباحة وإزاحة ما كانت عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه أو للندب إلى مواساة الفقراء ومساواتهم (وأطعموا البائس) أى الذى أصابه بؤس وشدة (الفقير) المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به فى الاول أيضاً (ثم ليقضوا تفثهم) أى ليؤدوا إزالته وسخهم أو ليحكموها بقص الشارب والأظمار وتنف الإبط والاستعداد عند الإحلال (وليوفوا نذرهم) ما يندرون من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرى بفتح الواو وتشديد الفاء (وليأطوفوا) طواف الركن الذى به يتم التحلل فإنه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع (بالبيت العتيق) أى القديم فإنه أول بيت وضع للناس أو المعتقد من تسلط الجبابرة فكان من جبار سار إليه ليهدمه فقصمه الله عز وجل وأما الحاجاج الثقفى فإنما قصد إخراج ابن الزبير رضى الله عنهما منه لا التسلط عليه (ذلك) أى الامر بذلك وهذا وأمثاله ٣٠

حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ

الحج ٢٢

الرَّيْحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾

- يطلق للفصل بين الكلامين أو بين وجهي كلام واحد (ومن يعظم حرمت الله) أى أحكامه وسائر مالا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام (فهو خير له) أى فالتعظيم خير له ثواباً (عند ربه) أى في الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير من لتشريفه والإشعار بعلة الحكم (وأحلت لكم الأنعام) وهى الأزواج الثمانية على الإطلاق فقوله تعالى (إلا ما يتلى عليكم) أى إلا ما يتلى عليكم آية تحرمة استثناء متصل منها على أن ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جىء به تقريراً لما قبله من الأمر بالآكل والإطعام ودفعاً لما عسى يتوهم أن الإحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحمل الأنعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج إلى الاستثناء المذكور إذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعاً لمراعاة حسن التخلص إلى ما بعده من قوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) فإنه مترتب على ما يفيدته قوله تعالى ومن يعظم حرمت الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الأنعام من ذواعى التعاطى لا من مبادئ الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من المحرمات ثم أمر بالاجتناب عما هو أقصى الحرمات كأنه قيل ومن يعظم حرمت الله فهو خير له والأنعام ليست من الحرمات فإنها محلة لكم إلا ما يتلى عليكم آية تحرمة فإنه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الأمور التى يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى (واجتنبوا قول الزور) تعميم بعد تخصيص فإن عبادة الأوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبع ذلك رداً لما كانت الكفرة عليه من تحريم البعائر والسواحب ونحوهما والافتراء على الله تعالى بأنه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى أنه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الإشراف بالله تعالى ثلاثاً وتلاهذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كالإفك المأخوذ من الإفك الذى هو القلب والصرف فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو قول أهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك (حنفاء لله) ماثلين عن كل دين زانغ إلى الدين الحق مخلصين لله تعالى (غير مشركين به) أى شيئاً من الأشياء فيدخل في ذلك الأوثان دخولا أولاً وهما حالان من واو فاجتنبوا (ومن يشرك بالله) جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب عن الإشراف وإظهار الاسم الجليل لإظهار كمال قبح الإشراف (فكأنما خر من السماء) لأنه مسقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر (فتخطفه الطير) فإن الأوهام المردية توزع أفكاره وقرىء فتخطفه بفتح الحاء وتشديد الطاء وبكسر الحاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وأصلهما تخطفه (أو تهوى به الريح) أى تسقطه وتقذفه (في مكان سحيق) بعيد فإن الشيطان قد طوح به في الضلالة

ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٢٢﴾

٢٢ الحج

لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٣﴾

٢٢ الحج

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّذِكْرِهِمْ وَأَسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَاتٍ أَلَّا نَعْلَمَ فَإِنَّهُمْ كَرِهُوا

فَلَهُمْ وَأَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٢٤﴾

٢٢ الحج

- ٢٢ وأول التخيير كما في أو كصيب أو للتوزيع ويجوز أن يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكاً شديداً هلاك أحد الهالكين (ذلك) أي الأمر ذلك أو امثلوا ذلك (ومن يعظم شعائر الله) أي الهدايا فافانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبغي عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الأوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد أن التقرب بها من أجل القربات وأن يختارها حسناً سماناً غاية الأيمان روى أنه عليه السلام أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهم في أنفه برة من ذهب وأن عمر رضي الله عنه أهدى نجبية طلبت منه بثلاثمائة دينار (فإنها) أي فإن تعظيمها (من تقوى القلوب) أي من أفعال ذوى تقوى القلوب لحذفت هذه المضافات والعائد إلى من أو فإن تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالإضافة لأنهم أكرز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء (لكم فيها) أي في الهدايا (منافع) هي درها ونسلها وصرها وظهرها (إلى أجل مسمى) هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه (ثم محلها) أي وجوب نحرها أو وقت نحرها منتهية (إلى البيت العتيق) أي إلى ما يليه من الحرم وشم للنراخي الزمان أو الرتبى أي لكم فيها منافع دينوية إلى وقت نحرها ثم منافع دينية أعظمها في الدفع محلها أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها إلى البيت العتيق أي منتهية إليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك وإقامة شعائر الحج إلى أجل مسمى هو انقضاء أيام الحج ثم محلها أي محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق أي منتهية إليه بأن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فإضافة المحل إليها لا دنى ملايسة (ولكل أمة) أي لكل أهل دين (جعلنا منسكاً) أي متعبداً وقرباناً يتقربون به إلى الله عز وجل وقرى بكسر السين أي موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص أي لكل أمة من الأمم جعلنا منسكاً لا لبعض دون بعض (ليذكروا اسم الله) خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجه الكريم علل الجعل به تذكيراً على أن المقصود الأصل من المناسك تذكري المعبود (على ما رزقهم من بيمات الأنعام) عند ذبحها وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام والخطاب في قوله تعالى (فإنها لكم إلى واحد) للكل تغليظاً والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن جعله تعالى لكل أمة من الأمم منسكاً ما يدل على وحدانيته تعالى وإنما قيل إله واحد ولم يقل واحداً لأن المراد بيان أنه تعالى واحد في ذاته كما أنه واحد في إلهيته للكل والفاء في قوله تعالى (فله أسدوا) لترتيب ما بعدها من الأمر بالإسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الأمر

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾

الحج ٢٢

وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْتِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

الحج ٢٢

- للقصر أى فإذا كان إلهكم إلهاً واحداً فأخلصوا له التقرب أو الذكروا جعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك (وبشر المحبتين) تجريد للخطاب إلى رسول الله ﷺ أى المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبارات من الوظائف الخاصة بهم (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) منه تعالى لإشراق أشعة جلاله عليها ٣٥ (والصابرين على ما أصابهم) من مشاق التكليف ومؤانات النوائب (والمقيمى الصلاة) فى أوقانها وقرىء بنصب الصلاة على تقدير النون وقرىء والمقيمى الصلاة على الأصل (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخيرات (والبدن) بضم الباء وسكون الدال وقرىء بضمها وهما جمعا بدنة وقيل الأصل ضم الدال كشب ٣٦ وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرىء بتشديد النون على لفظ الوقف وإنما سميت بها الإبل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة فى الأجزاء عن سبعة بقوله ﷻ البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جمعا فى الشريعة جنساً واحداً وانتصابه بمضمر يفسره (جعلناها لكم) وقرىء بالرفع على أنه مبتدأ والجملة خبره وقوله تعالى (من شعائر الله) أى من أعلام دينه التى شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى (لكم فيها خير) أى منافع دينية ودنيوية جملة مستأنفة مقررلة لما قبلها (فاذكروا اسم الله عليها) بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك (صواف) أى قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرىء صواف من صفن الفرس إذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث وقرىء صوافاً بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف وقرىء صوافى أى خواص لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن الباء على الإطلاق كما فى قوله [لعلى أرى باقى على الحدثنان] (فإذا وجبت جنوبها) سقطت على الأرض وهو كناية عن الموت (فكلوا منها وأطعموا القانع) الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده أنه قرىء القنع أو السائل من قنع إليه قنوعاً إذا خضع له فى السؤال (والمعتر) أى المتعرض للسؤال وقرىء المعترى يقال عره وعراه واعتراه واعتراه (كذلك) مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف (سخرناها لكم) مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصى عليكم حتى تأخذوها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم قطعون فى لبايتها (لعلكم تشكرون) لتشكروا إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص (لن ينال الله) أى لن يباغ مرضاته ولن يقع منه موقع القبول (لحومها) ٣٧

٢٢ الحج

إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

٢٢ الحج

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

• المتصدق بها (ولا دماؤها) المرافقة بالنحر من حيث إنها لحوم ودماء (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التي تدعوكم إلى الامتثال بأمره تعالى وتعظيمه والتقرب إليه والإخلاص له وقيل كان أهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء قرايئهم فهم به المسلمون فنزلت (كذلك سخرها لكم) تكرير للتذكير والتعليل بقوله تعالى (لتكبروا الله) أي لتعرفوا عظيمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحده بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الإحلال أو الذبح (على ما هداكم) أي أرشدكم إلى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية أو موصولة أي على هدايته إياكم أو على ما هداكم إليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر (وبشر المحسنين) أي المخلصين في كل ما يأتون وما يذرون في أمور دينهم (إن الله يدفع عن الذين آمنوا) كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أن الله تعالى ناصرهم على أعدائهم بحيث لا يقدر أن يصدحهم عن الحج ليتفرغوا إلى أداء مناسكهم وتصديره بكلمة التحقيق لإبراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة إما للمبالغة أو للدلالة على تكرار الدفع فإنها قد تجرد عن وقوع الفعل المنكر من الجانبين فيبقى تكرره كافي الممارسة أي يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يقالب فيه أو يدفعها عنهم مرة بعد أخرى حسبما تجدد منهم القصد إلى الإضرار بالمسلمين كما في قوله تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وقرىء يدفع والمفعول محذوف

• وقوله تعالى (إن الله لا يحب كل خوان كفور) تعليل لما في ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وإيدان بأن دفعهم بطريق القهر والحزى ونفي المحبة كناية عن البغض أي إن الله يبغض كل خوان في أماناته تعالى وهي أوامره ونواهيه أو في جميع الأمانات التي هي معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان أهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الحياة والكفر أو للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي أولا وإيراد معنى المبالغة ثانياً (أذن) أي رخص وقرىء على البناء للمفاعلة أي أذن الله تعالى (للذين يقتلون) أي يقتلهم المشركون والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فإن مقاتلة المشركين إياهم دالة على مقاتلتهم إياهم دالة نيرة وقرىء على صيغة المبني للمفاعلة أي يريدون أن يقاتلوا المشركين فيما سيأتي ويحرسون عليه فدلالته على المحذوف أظهر (بأنهم ظلموا) أي بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب النبي ﷺ ورضى عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه ﷺ بين مضروب ومشجوج ويتظلمون إليه فيقول ﷺ لهم اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال حتى هاجرتم فأنزلت وهي أول آية نزلت في القتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية (وإن الله على نصرهم لقدير) وعد لهم بالنصر وتأكيده لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بأن المراد به ليس مجرد تخليصهم من أيدي المشركين بل تغليبهم وإظهارهم عليهم والإخبار بقدرته تعالى على نصرهم واردة على سنن التكبرياء وتأكيده بكلمة التحقيق واللام لما زيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَفُتِدَتْ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ
مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾

٢٢ الحج

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ
الْمُنْكَرِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ الْأُمُورِ ﴿٤٢﴾

٢٢ الحج

- وقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم) في حيز الجر على أنه صفة للوصول الأول أو بيان له أو بدل
منه أو في محل النصب على المدح أو في محل الرفع يا ضمير مبتدأ والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم
مكة المعظمة (بغير حق) متعلق بأخرجوا أى أخرجوا بغير ماوجب إخراجهم وقوله تعالى (إلا أن يقولوا
ربنا الله) بدل من حق أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجبا للإقرار والتكفين
دون الإخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة [ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم *
بهن فلول من قراع الكتائب] وقيل الاستثناء منقطع (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بتسليط
المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرىء دفاع (لهدمت) لخربت باسقيلاء المشركين على أهل
الملل وقرىء هدمت بالتخفيف (صوامع) للرهبنة (وبيع) للتصاري (وصلوات) أى وكنائس لليهود
سميت بها لأنها يصلى فيها وقيل أصلها صلواتا بالعبرية فخرت (ومساجد) للمسلمين (يذكر فيها اسم الله
كثيرا) أى ذكر كثيرا أو وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها
وقيل صفة للأربع وليس كذلك فإن بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ
شرعتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الأفهام (ولينصرن الله من ينصره) أى وبالله لينصرن الله من
ينصر أوليائه أو من ينصر دينه ولقد أنجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والأنصار على
صناديد العرب وأكاسرة العجم وقيصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم (إن الله لقوى) على كل
مايريد من مراداته التى من جملتها نصرهم (عزيز) لا يمانعه شيء ولا يدافعه (الذين إن مكناهم فى الأرض
أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وصف من الله عز وجل للذين أخرجوا
من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى إياهم فى الأرض وإعطائه إياهم زمام الأحكام
منى عن عدة كريمة على أبلغ وجه والطفه وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أنه تعالى
أننى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأنه تعالى لم يعط
التحكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ فى ذلك للأنصار والطلقاء وعن الحسن
رحمه الله هم أمة محمد ﷺ وقيل الذين بدل من قوله من ينصره (ولله) خاصة (طائفة الأمور) فإن مراجعها
إلى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد بإظهار أوليائه وإعلاء كلمته .

٢٢ الحج

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَنُحُودٌ ﴿٤٢﴾

٢٢ الحج

وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾

وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ٢٢ الحج

فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىءُ مَعْطَلَةٍ وَقَصْرِ

٢٢ الحج

مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾

- ٤٢ (وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح) تسلية لرسول الله ﷺ متضمنة للوعد الكريم بإهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع طائفة الأمور إليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما أن المقصود تسليته ﷺ عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع أى وإن تخزن على تكذيبهم إياك فاعلم أنك لست بأوحدى في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك إياك قوم نوح (وعاد وثمود) (وقوم إبراهيم وقوم لوط) (وأصحاب مدين) أى رسلمهم عن ذكر ومن لم يذكر وإنما حذف لكمال ظهور المراد أو لأن المراد نفس الفعل أى فعلت التكذيب قوم نوح إلى آخره (وكذب موسى) غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لا لأن قومه بنو إسرائيل وهم لم يكذبوه وإنما كذبه القبط لما أن ذلك إنما يقتضى عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على أن بنى إسرائيل أيضاً قد كذبوه مرة بعد أخرى حسماً ينطق به قوله تعالى إن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للإيضاح بأن تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون آياته في كمال الوضوح وقوله تعالى (فأملت للكافرين) أى أمهلهم حتى انصرفت جبال آجالهم والفاء لترتيب إمهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب إمهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد إلى المكذبين لئلا يظنهم بالكفر والتصريح بمكذبى موسى عليه السلام حيث لم يذكر وأما قبل صريحاً (ثم أخذتهم) أى أخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة إمهالهم وإمهالهم (فكيف كان نكير) أى إنكارى عليهم بالإهلاك أى فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفضاعة وقوله تعالى (فكأين من قرية) ٤٥ منصوب بمضمير يفسره قوله تعالى (أهلكناها) أى فأهلكنا كثيراً من القرى بإهلاك أهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير أو مرفوع على الابتداء وأهلكنا خبره أى فكثير من القرى أهلكناها وقرى أهلكناها على وفق قوله تعالى فأملت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير (وهي ظالمة) جملة حالية من مفعول أهلكناها وقوله تعالى (فهي خاوية) عطف على أهلكناها لا على وهي ظالمة لأنها حال والإهلاك ليس في حال خواتها فعل الأول لا محل له من الإعراب كالمعطوف عليه وعلى الثانى في محل الرفع لمعطفه على الخبر والخوات إما بمعنى السقوط من خوى النجم إذا سقط فالعنى فهي ساقطة حيطانها

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

٢٢ الحج

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾

٢٢ الحج

- (على عروشها) أى سقوفها بأن تعطل بنيانها فخرت - سقوفها ثم تهدمت حيطاتها فسقطت فوق السقوف
- وإسناد السقوف على العروش إلهما التنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه وأما بمعنى الخلو من خوى المنزل إذا خلا من أهله فالعنى فهمى خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فتكون على معنى مع وبجوز أن يكون على عروشها خبراً بعد خبر أى فهمى خالية وهى على عروشها أى قائمة مشرفة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت إلى الأرض وبقيت الحيطان قائمة فهمى مشرفة على السقوف الساقطة وإسناد الإشراف إلى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفاً (وبئر معطلة) عطف على قرية أى وكم بئر طارة فى البوادرى تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها وقرىء بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله (وقصر مشيد) مرفوع البنيان أو مجصص أخليناه عن ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلعة كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم الله تعالى وعطلهما (أفلم يسيرا فى الأرض) حث لهم أن يسافروا ٤٦ ليرى أمصار الممالك فىعتبروا وهم وإن كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحنوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدريه يقتضيه المقام أى أغفلوا فلم يسيرا فيها (فتكون لهم) بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار (قلوب يعقلون بها) ما يجب أن يعقل من التوحيد (أو آذان يسمعون بها) ما يجب أن يسمع من الوحي أو من أخبار الأمم المملوكة ممن يجاورهم من الناس فإنهم أعرف منهم بحالهم (فإنها لا تعمى الأبصار) الضمير للقصة أو مبهم يفسره الأبصار وفى تعمى ضمير راجع إليه وقد أقيم الظاهر مقامه (ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) أى ليس الخلل فى مشاعرهم وإنما هو فى عقولهم باتباع الهوى والاهتمام فى الغفلة وذكر الصدور للتأكيد ونفى توهم التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقى ليس المتعارف الذى يختص بالبصر قيل لما نزل قوله تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى قال ابن أم مكتوم يا رسول الله أنا فى الدنيا أعمى أفأكون فى الآخرة أعمى فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب) كانوا منكربين لمحبي العذاب المتنوع عذبه أشد الإنكار وإنما كانوا يستعجلون به ٤٧ استهزاء برسول الله ﷺ وتعجيزاً له على زعمهم لحكى عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى (ولن يخلف الله وعده) لإماجلة حاله جىء بها البيان بطلان إنكارهم لمحبيته فى ضمن استعجالهم به وإظهار خطئهم فيه كأنه قيل كيف ينكرون محبي العذاب الموعود والحال أنه تعالى لا يخلف وعده أبداً وقد سبق الوعد فلا بد من محبيته حتماً أو اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) جملة مستأنفة إن كانت الأولى حالة ومعطوفة عليها إن كانت اعتراضية سبقت لبيان

وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أُمْلِيَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾

٢٢ الحج

٢٢ الحج

قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِيْمًا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾

خطهم في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحه حلمه تعالى ووقاره وإظهار غاية ضيق عطهم المستنبح لكون المدة القصيرة عنده تعالى مدداً طويلاً عندم حسبما ينطق به قوله تعالى إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ولذلك يرون مجيئه بعيداً ويتخذونه ذريعة إلى إنكاره ويحتثون على الاستعجال به ولا يدرون أن معيار تقدير الأمور كلها وقوعاً وإخباراً ما عنده تعالى من المقدار وقراءة يعدون على صيغة الغيبة أي بعده المستعجلون أو وفق لهذا المعنى وقد جمل الخطاب في القراءة المشهورة لهم أيضاً بطريق الالتفات لكن الظاهر أنه الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل أمة من موعده معين وأجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملة الأولى حالية كانت أو اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استعماله مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الأخيرة بياناً لبطلانه ببيان ابتناء على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر بيانه فلا يكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لإنكارهم الذي دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنياً على ظاهر مقالهم ويكتفي في رد إنكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من أمثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشده أو عن أيام الآخرة الطويلة حقيقة أو المستطالة لشدة عذابها لا يساعده سباق النظم الجليل ولا سياقه فإن كلا منهما ناطق بأن المراد هو العذاب الدنيوي وأن الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الإيماء والإمهال لا الزمان المقارن له ألا يرى إلى قوله تعالى (وكاين من قرية) الخ فإنه كما سلف من قوله تعالى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم صريح في أن المراد هو الأخذ العاجل الشديد بعد الإمهال المديد أي وكم من أهل قرية لحذف المضاعف وأقيم المضاعف إليه مقامه في الإعراب ورجع الضمائر والأحكام مبالغة في التعميم والتحويل (أمليت لها) كما أمليت لهؤلاء حتى أنكروا بحجى ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسولهم كما فعل هؤلاء (وهي ظالمة) جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين أي أمليت لها والحال أم اظالمه مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء (ثم أخذتها) بالعذاب والنكال بعد طول الإمهال والإمهال وقوله تعالى (وإلى المصير) اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما أفاده ذلك بطريق التعريض من أن مال أمر المستعجلين أيضاً ما ذكر من الأخذ الويل أي إلى حكمى مرجع الكل جميعاً لا إلى أحد غيرى لا استقلالاً ولا شركة فأفعل بهم ما أفعل بما يليق بأعمالهم (قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) أنذركم إنذاراً بيناً بما أوحى من أنباء الأمم المهلكة من غير أن يكون لى دخل فى إتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الإنذار مع بيان حال الفريقين بعده لما أشير إليه من أن مساق الحديث للشركين وعقابهم وإنما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة فى غيظهم .

فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾

٢٢ الحج

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

٢٢ الحج

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا

يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾

٢٢ الحج

- (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لما ندر منهم من الذنوب (ورزق كريم) هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجتمع فضائله وبحوز كلالته (والذين سعوا في آياتنا معاجزين) أى سابقين أو مسابقين في ٥٠ زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم وأصله من عاجزه وعجزه فأعجزه إذا سبقه فسبقه لأن كلام المنسابقين يربد إعجاز الآخر عن اللحاق به وقرىء معجزين أى مشبطين الناس عن الإيمان على أنه حال مقدرة (أو أنك) الموصوفون بها ذكر من السعى والمعاجزة (أصحاب الجحيم) أى ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الرسول ٥٢ من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس إليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ولذلك شبه ﷺ علماء أمته بهم قالنبي أعم من الرسول ويدل عليه أنه ﷺ سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً قيل فكم الرسل منهم فقال ثلاثمائة وثلاثة عشر جماعاً غفيراً وقيل الرسول من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولن يوحى إليه في المنام (إلا إذا تمنى) أى هيا في نفسه ما يهواه (ألقي الشيطان في أمنيته) في تشبيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال ﷺ وإنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) فيطلبه ويذهب به بعصمته عن الركون إليه وإرشاده إلى ما يزيحه (ثم يحكم الله آياته) أى يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في شئون الحق وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددى وإظهار الجلالة في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإيدان بأن الألوهية من موجبات إحكام آياته الباهرة (والله عليم) مبالغ في العلم بكل مامن شأنه أن يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمداً أو خطأ (حكيم) في كل ما يفعله والإظهار ٥٠ ههنا أيضاً لما ذكر مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقرهم إليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ ومائة الثالثة الأخرى وسوس إليه الشيطان حتى سبق لسانه سهواً إلى أن قال تلك الغرائق العلا وإن شفاعتكم لترجى فقرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجدمؤمن ولا مشرك إلا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح قابله بتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه وقيل

لِيَجْعَلَ مَا يَأْتِي الشَّيْطَانَ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي

الحج ٢٢

شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾

وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ

الحج ٢٢

ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ

الحج ٢٢

عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

- تمنى بمعنى قرأ كقوله [تمنى كتاب الله أول ليلة] تمنى داود الزبور على رسل [وأمنيته قراءته وإلقاء الشيطان فيها أن يتكلم بذلك رافعاً صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي ﷺ] وقدرد بأنه أيضاً يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى فينسخ الله ما يأتى الشيطان ثم يحكم الله آياته لأنه أيضاً يحتمله ٥٣ وفى الآية دلالة على جواز السهو من الأنبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة إليهم (ليجعل ما يأتى الشيطان) علة لما ينبيء عنه ما ذكر من إلقاء الشيطان من تمكينه تعالى إياه من ذلك فى حق النبي ﷺ خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لما أن تمكينه تعالى إياه من الإلقاء فى حق سائر الأنبياء عليهم السلام لا يمكن تعليقه بما ساقى وفيه دلالة على أن ما يلقيه أمر ظاهر يعرفه الحق والمبطل (فتنة للذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق كما فى قوله تعالى فى قلوبهم مرض الآية (والقاسية قلوبهم) أى المشركين (وإن الظالمين) أى الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة (لى شقاق بعيد) أى عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع أن الموصوف به حقيقة هو معروضه للبالغة والجملة اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه) أى القرآن (الحق من ربك) أى هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجميلة لأنه مما جرت به عادته فى جنس الإنس من لدن آدم عليه السلام لحينئذ لا حاجة إلى تخصيص التمكين فيما سبق بالإلقاء فى حقه عليه السلام لكن يأباه قوله تعالى (فيؤمنوا به) أى بالقرآن أى يثبتوا على الإيمان به أو يزدادوا إيماناً برده ما يأتى الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والإذعان لما فيه من الأوامر والنواهي ورجع الضميرين لاسيما الثانى إلى تمكين الشيطان من الإلقاء مما لا وجه له (وإن الله لهادى الذين آمنوا) أى فى الأمور الدينية خصوصاً فى المداخل والمشكلات التى من جملة ما ذكر (إلى صراط مستقيم) هو النظر الصحيح الموصل إلى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله (ولا يزال الذين كفروا فى مرية) أى فى شك وجدال (منه) أى من القرآن وقيل من الرسول ﷺ والأول هو الأظهر بشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله تعالى أنه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا بآياتنا وأما تجوز كون الضمير

أَلَمْ لِكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ ٢٢ الحج

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ٢٢ الحج

لما ألقى الشيطان في أمنيته فيما لا مساغ له لأن ذلك ليس من هوانهم التي تستمر إلى الأبد المذكور بل إنما هي مريتهم في شأن القرآن ولا يجدي حل من على السببية دون الابتدائية لما أن مريتهم المستمرة كما أنها ليست مبتدأة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة أنها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم (حتى تأتهم الساعة) أي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى (بغثة) أي الجأة فإنها الموصوفة بالإتيان كذلك لا أشراطها وقيل الموت (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أي يوم لا يوم بعده كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام فما لا يوم بعده يكون عقبا والمراد به الساعة أيضاً كأنه قيل أو يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التحويل ولا سبيل إلى حمل الساعة على أشراطها لما عرفت وأما ما قيل من أن المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمى به لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لأن المقاتلين أبناء الحرب فإذا قتلوا صارت عقبا أي تكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعاً أو لأنه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم ينشأ مطراً ولم يلقح شجراً أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فما لا يساعده سياق النظم الكريم أصلاً كيف لا وإن تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الآخر وبين يقضى بأن المراد به يوم القيامة قضاء بيننا لا ريب فيه (الملك) أي السلطان الفاهر والاستيلاء التام والتصرف على الإطلاق (يومئذ الله) وحده بلا شريك ٥٦ أصلاً بحيث لا يكون فيه لا حد تصرف من التصرفات في أمر من الأمور لا حقيقة ولا مجازاً ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فإن للبعض فيها تصرفاً صورياً في الجملة وليس التنوين نائباً تدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من إيمانهم كما قيل لما أن القيد المعتبر مع اليوم حيث وسط بين طرفي الجملة يجب أن يكون مدار الحكما أعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الإثابة والتعذيب ولا ريب في أن إيمانهم أو زوال مريتهم ليس بماله تعلق بما ذكر فضلاً عن المدارية له فلا سبيل إلى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعاً وإنما الذي يدور عليه ما ذكر إتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور أحكام الملك الحق جل جلاله فإذا هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم إذ تأتهم الساعة أو عذابها لله تعالى وقوله تعالى (يحكم بينهم) جملة مستأنفة وقعت جواباً عن سؤال نشأ من الإخبار بكون الملك يومئذ الله كأنه قيل فإذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم بين فريقين المؤمنين به والممارين فيه بالمجازة وقوله تعالى (فالذين آمنوا) الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له أي فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه (وعملوا الصالحات) امتثالاً بما أمروا في تضاعيفه (في جنات النعيم) أي مستقرون فيها (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أي أصروا على ذلك واستمروا (فأولئك) إشارة إلى الموصول ٥٧ باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلتهم في

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾

الحج ٢٢

لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾

الحج ٢٢

ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

الحج ٢٢

- * الشر والفساد أى أو أهلك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى (لهم عذاب) جملة اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبراً لأولئك أو لهم خبر لأولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار فى الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ وأولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على أن تعذيب الكفار بسبب أعمالهم السيئة كما أن تجريد خبر الموصول الأول عنها الإيذان بأن إثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لإيجاب الأعمال الصالحة إياها وقوله تعالى (مهين) صفة لعذاب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى (والذين هاجروا فى سبيل الله) أى فى الجهاد حسباً يلوح به قوله تعالى (ثم قتلوا أو ماتوا) أى فى تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى (ليرزقنهم الله) جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبراً للبتداء يضمن قولاً هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى (رزقاً حسناً) إما مفعول ثان على أنه من باب الرعى والذبح أى مرزوقاً حسناً أو مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع أبداً من نعيم الجنة وإنما سوى بينهما فى الوعد لاستوائيهما فى القصد وأصل العمل على أن مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الأرزاق الحسنة وروى أن بعض أصحاب النبى ﷺ قالوا يابى الله هؤلاء الذين قتلوا فى سبيل الله قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فقالنا إن متنا معك فنزلت وقيل نزلت فى طوائف خرجوا من مكة إلى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقتلوا (وإن الله لهو خير الرازقين) فإنه يرزق بغير حساب مع أن ما يرزقه لا يقدر عليه أحد غيره والجملة اعتراض تذييل مقرر لما قبله وقوله تعالى (ليدخلنهم) مدخل يرضونه (بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله أو استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا إما اسم مكان أريد به الجنة فهو مفعول ثان للإدخال أو مصدر ميمي أكد به فعله قال ابن عباس رضى الله عنهما إنما قيل يرضونه لما أنهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه (وإن الله لهليم) بأحوالهم وأحوال معادهم (حلیم) لا يعاجلهم بالعقوبة (ذلك) خبر مبتدأ محذوف أى الأمر ذلك والجملة تقرير ماقبله والتنبية على أن مابعد كلام مستأنف (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أى لم يزد فى الاقتصاص وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذى هو جزاء الجنابة للشاكلة أو لكونه سبباً له (ثم بغى عليه) بالمعاودة إلى العقوبة (لينصرنه الله) على من بغى عليه لا محالة (إن الله لعفو غفور) أى مبالغ فى العفو والغفران

٥٨

٥٩

٦٠

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ٢٢ الحج

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ٢٢ الحج

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ٢٢ الحج

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ٢٢ الحج

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَخْرِقُ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۚ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ

تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ٢٢ الحج

- فيفعو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب إليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر إن ذلك أي ما ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الأمور فإن فيه حثاً بليغاً على العفو والمغفرة فإنه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره أولى بذلك وتنبيه أعلى أنه تعالى قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده (ذلك) إشارة إلى النصر وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى (بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي بسبب أنه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الأشياء المتضادة وغير عن ذلك بإدخال أحد الملوين في الآخر بأن يزيد فيه ما ينقص عن الآخر أو بتحصيل أحدهما في مكان الآخر لكونه أظهر المواد أو زحماً (وأن الله سميع) بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب (بصير) بجميع المبصرات ومن جملتها أفعاله (ذلك) أي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر آنفاً وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأن الله هو الحق) الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وأفعاله وحده فإن وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالمها بكل المعلومات أو الثابت إلهية فلا يصلح لها إلا من كان عالماً قادراً (وأن ما يدعون من دونه) إلهاً وقرىء على البناء للمفعول على أن الواو لما فإنه عبارة عن الآلهة وقرىء بالتاء على خطاب المشركين (هو الباطل) أي المعدوم في حد ذاته أو الباطل ألوهيته (وأن الله هو العلي) على جميع الأشياء (الكبير) عن أن يكون له شريك لا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر سلطاناً (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) استفهام تقرير كما يفصح عنه الرفع في قوله تعالى (فتصبح الأرض مخضرة) بالعطف على أنزل وإثارة صيغة الاستقبال الإشعار بتجدد أثر الإنزال واستمراره أو لاستحضار صورة الاخضرار (إن الله لطيف) يصل لطفه أو علمه إلى كل ما جل ودق (خبير) بما يليق من التداير الحسنة ظاهراً وباطناً (له ما في السموات وما في الأرض) خلقاً وملكا وتصرفاً (وإن الله هو الغني) عن كل شيء (الحميد) المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله (ألم تر أن الله يخرق لكم ما في الأرض) أي جعل ما فيها من الأشياء دالة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا

وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ٢٢ الحج

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ

هُدًى مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾ ٢٢ الحج

أصلب من الحجر ولا أشد من الحديد ولا أهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم لتعجيل المسرة والنشويق إلى المؤخر (والفلك) عطف على ما أو على اسم أن وقرئ بالرفع على الابتداء (تجرى في البحر بأمره) حال من الفلك على الأول وخبر على الأخيرين (ويمسك السماء أن تقع على الأرض) أي من أن تقع أو كراهة أن تقع بأن خلقها على هيئة متداعية إلى الاستمساك (إلا ياذنه) أي بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فإنها مساوية في الجسمية لساائر الأجسام القابلة لليل الهابط فتقبله كقبول غيرها (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) حيث هيأ لهم أسباب معاشهم وفتح عليهم أبواب المنافع وأوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية (وهو الذي أحياكم) بعد أن كنتم جماداً عناصر ونطقاً حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة (ثم يميتكم) عند مجيء آجالكم (ثم يحييكم) عند البعث (إن الإنسان لكفور) أي جحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض أفرادهم (لكل أمة) كلام مستأنف جرى به لجزر معاصريه ٦٦ ٦٧ من أهل الأديان السماوية عن منازعته ﷺ ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع وإظهار خطئهم في النظر أي لكل أمة معينة من الأمم الحالية والباقية (جعلنا) أي وضعنا وعيناً (منسكاً) أي شريعة خاصة لا لامة أخرى منهم على معنى عيننا كل شريعة لامة معينة من الأمم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى لا استقلالاً ولا اشتراكاً وقوله تعالى (هم ناسكوه) صفة لمنسكاً مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل أمة باعتبار خصوصها أي تلك الامة المعينة ناسكوه والعالمون به لا أمة أخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى عليه السلام إلى مبعث عيسى عليه السلام منسكهم التوراة هم ناسكوها والعالمون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى إلى مبعث النبي ﷺ منسكهم الإنجيل هم ناسكوه والعالمون به لا غيرهم وأما الامة الموجودة عند مبعث النبي ﷺ ومن بعدهم من الموجودين إلى يوم القيامة فهم أمة واحدة منسكهم الفرقان ليس إلا كما مر في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً والفاء في قوله تعالى (فلا ينزعك في الأمر) لترتيب الهي أو موجهه على ما قبلها فإن تعيينه تعالى لكل أمة من الأمم التي من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله ﷺ وعدم منازعتهم إياه في أمر الدين زعماً منهم أن شريعتهم ماعين لا باتهم الأولين من التوراة والإنجيل فإنهما شريعتان لمن مضى من الأمم قبل اتساخهما وهؤلاء أمة مستقلة منسكهم القرآن المجيد لحسب والنهي إما على حقيقته أو كناية عن نهيه ﷺ عن الالتفات إلى نزاعهم للنبي على زعمهم المذكور وأما جملة عبارة عن نهيه ﷺ

وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون ﴿٦٨﴾ الحج ٢٢

الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ﴿٦٩﴾ الحج ٢٢

ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴿٧٠﴾ الحج ٢٢
ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير ﴿٧١﴾ الحج ٢٢

عن منازعهم فلا يساعده المقام وقرىء فلا ينزعك على تهيجك ^{بالتلويح} والمبالغة في تزيينه وأياً ما كان فعل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بأمر الناسك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلوا ما قتلته الله تعالى عملاً سبيل إليه أصلاً كيف لا وأنه يستدعي أن يكون أكل الميتة وسائر ما يدنو منه من الأباطيل من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الأمم ولا يرتاب في بطلانه عاقل (وادع) أي وادعهم أو وادع الناس كافة على أنهم داخلون فيهم دخولا أولياً (إلى ربك) إلى توحيد وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم (إنك لعلى هدى مستقيم) أي طريق موصل إلى الحق سوى والمراد به إما الدين والشرعية أو أدانها (وإن جادلوك) بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم (فقل) ٦٨ لهم على سبيل الوعيد (الله أعلم بما تعملون) من الأباطيل التي من جملتها المجادلة (الله يحكم بينكم) يفصل ٦٩ بين المؤمنين منكم والكافرين (يوم القيامة) بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات (فما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين (ألم تعلم) استئناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير أي قد علمت (أن الله يعلم ما في السماء والأرض) فلا يخفى عليه شيء من الأشياء التي من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه (إن ذلك) أي ما في السماء والأرض (في كتاب) هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له (إن ذلك) أي ما ذكر من العلم والإحاطة به وإثباته في اللوح أو الحكم بينكم (على الله يسير) فإن علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور (ويعبدون) ٧١ من دون الله (حكاية لبعض الأباطيل المشركين وأحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم من بناء أمر دينهم على غير مبنى من دليل سمعى أو عقلى وإعراضهم عما ألقى عليهم من سلطان بين هو أساس الدين وقاعدته أشد إعراض أي يعبدون متجاوزين عبادة الله (مالم ينزل به) أي بجواز عبادته (سلطاناً) أي حجة (وما ليس لهم به) أي بجواز عبادته (علم) من ضرورة العقل أو استدلاله (وما للظالمين) أي الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقضى بإطلاقه وكونه ظلاماً بديهياً العقول (من نصير) يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رأيهم أو بدفع العذاب الذي يعترهم بسبب ظلمهم.

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونِ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَيِّنْ

الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾

الحج ٢٢

٧٢ (وإذا تلى عليهم آياتنا) عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددى (بينات) أى حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحققة والأحكام الصادقة أو على بطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام أو على كونها من عند الله عز وجل (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) أى الإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام أو الفظيع من التجهم والبسور أو الشر الذى يقصدونه بظهور مخايله من الأوضاع والهيئات وهو الأنسب بقوله تعالى (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) أى يثبون ويضطرون بهم من فرط الغيظ والغضب لأباطيل أخذوها تقليداً وهل جماله أعظم وأظم من أن يعبدوا ما لا يوم صحة عبادته شئ ما أصلاً بل يقضى ببطلانها العقل والنقل ويظهر والمن يهديهم إلى الحق البين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير (قل) رداً عليهم وإقناعاتاً عما يقصدونه من الإضرار بالمسلمين (أفأنتكم) أى أخطابكم فأخبركم (بشر من ذلكم) الذى فيكم من غيظكم على التالين وسطوكم بهم أو مما تبغونهم من الغوائل أو مما أصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم (النار) أى هو النار على أنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى (وعدها الله الذين كفروا) وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة

٧٣ الفعلية استئنافية كالوجه الأول أو حالا من النار بإضمار قد (وبئس المصير) النار (بأيها الناس ضرب مثل) أى بين لكم حال مستغربة أو قصة بديعة رائعة حقيقة بأن تسمى مثلاً وتسير فى الأمصار والأعصار أو جعل الله مثل أى مثل فى استحقاق العبادة وأريد بذلك ما حكى عنهم من عبادتهم للأصنام (فاستمعوا له) أى للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر أو فاستمعوا لآجله ما أقول فقوله تعالى (إن الذين تدعون من دون الله) الخ بيان للمثل وتفسير له على الأول وتعليل لبطلان جعلهم الأصنام مثل الله سبحانه فى استحقاق العبادة على الثانى وقرئ بياء الغيبة مبنياً للفاعل ومبنياً للدفعول والراجع إلى الموصول على الأولين محذوف (ان يخلقوا ذباباً) أى لن يقدر واعلى خلقه أبداً مع صغره وحقارته فإن ان بما فيها من تأكيد النفي دالة على مناقاة ما بين المنفى والمنفى عنه (ولو اجتمعوا له) أى لخلقهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية أخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها أى لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مرت تحقيقه مراراً وهما فى موضع الحال كأنه قيل ان يخلقوا ذباباً

- ٢٢ الحج مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾
- ٢٢ الحج اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾
- ٢٢ الحج يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾
- ٢٢ الحج يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾

على كل حال (وإن يسألهم الذباب شيئاً) بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه أى إن يأخذ الذباب منهم شيئاً (لا يستنقذوه منه) مع غاية ضعفه ولقد جعلوا غاية التجميل في إشرافهم بالله الفادر على جميع المقدورات المنفرد بإيجاد كافة الموجودات تماثيل هي أعجز الأشياء وبين ذلك بأنها لا تقدر على أقل الأحياء وأذلها ولو اتفقوا عليه بل لا تقوى على مقاومة هذا الأقل الأذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنفاذ ما يخطفه منها قيل كانوا يطيبونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من السكوى فيأكله (ضعف الطالب والمطلوب) أى عابد الصنم ومعبوده أو الذباب الطالب لما يسلبه من الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك أو الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم أضعف من الذباب بدرجات وعابده أجهل من كل جاهل وأضل من كل ضال (ما قدر والله حق قدره) ٧٤ أى ما عرفوه حق معرفته حيث أشركوا به وسماوا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة (إن الله لقوى) على خلق الممكنات بأسرها وإفناء الموجودات عن آخرها (عزيز) غالب على جميع الأشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لأذلها المعجزة عن أفعالها والجملة لتعليل لما قبلها من نفى معرفتهم له تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلاً) يتوسطون بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم السلام بالوحى (ومن الناس) وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكل العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون إلى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل إلى جناب الحق فيدعونهم إليه تعالى بما أنزل عليهم ويعلمونهم شرائعه وأحكامه كأنه تعالى لما قرر وحدانيته في الألوهية ونفى أن يشاركه فيها شئ من الأشياء بين أن له عباداً مصطفين للرسالة يتوسل بإجابتهم والافتداء بهم إلى عبادته عز وجل وهو أعلى الدرجات وأقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريراً للنبوّة وتزييفاً لقولهم لو شاء الله لا نزل ملائكة وقولهم ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله وغير ذلك من الأباطيل (إن الله سميع بصير) عليم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شئ من الأفعال والأفعال (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور) لا إلى أحد غيره لا اشتراكاً ولا استقلالاً (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أى في صلواتكم أمرهم بهما لما أنهم ما كانوا يفعلونها ٧٧ أوله الإسلام أو صلوا عبر عن الصلاة بهما لأنهما أعظم أركانها أو اخضعوا لله تعالى وخرؤا له سجداً

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ
إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ
عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ
النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

٢٢ الحج

(واعبدوا ربكم) بسائر ما تعبدكم به (وافعلوا الخير) وتحروا ما هو خير وأصاح في كل ما تاتون وما
تذرون كنوافل الطاعات وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق (لعلكم تفلحون) أى افعلوا هذه كلها وأنتم
راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين بأعمالكم والآية آية سجدة عند الشافعى رحمه الله اظاهر ما فيها
٧٨ من الأمر بالسجود وبقوله ﷺ فضلت سورة الحج بسجدة من لم يسجد هما فلا يقرأها (وجاهدوا
في الله) أى لله تعالى ولأجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه ﷺ أنه
• رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر (حق جهاده) أى جهادا فيه
حقا خالصا لوجهه فمكس وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم وأضيف الجهاد إلى الضمير
• اتساعا أو لأنه مختص به تعالى من حيث إنه مفعول لوجهه ومن أجله (هو اجتباكم) أى هو اختاركم
• لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضى الجهاد ويدعو إليه (وما جعل عليكم في الدين من حرج)
أى ضيق بتكليف ما يشق عليكم لإقامته إشارة إلى أنه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه أو إلى الرخصة
في إغفال بعض ما أمرهم به حيث يشق عليهم لقوله ﷺ إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل
ذلك بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجا بأن رخص لهم في المضايق وفتح لهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات
• في حقوقه والأروش والديات في حقوق العباد (ملة أبيكم إبراهيم) نصب على المصدر بفعل دل عليه
مضمون ما قبله بحذف المضاف أى وسع عليكم دينكم توسعة ملة أبيكم أو على الإغراء أو على
الاختصاص وإنما جعله أباهم لأنه أبورسول الله ﷺ وهو كالأب لأنه من حيث إنه سبب لحياتهم
الابتدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته ﷺ فغلبوا على
غيرهم (هو سماكم المسلمين من قبل) في الكتب المتقدمة (وفي هذا) أى في القرآن والضمير لله تعالى
ويؤيده أنه قرىء الله سماكم أو لإبراهيم وتسميتهم بالمسلمين في القرآن وإن لم تكن منه ﷺ كانت بسبب
تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته بإياكم
• المسلمين (ليكون الرسول) يوم القيامة متعلق بسماكم (شهيذا عليكم) بأنه بلغكم فيدل على قبول شهادته
لنفسه اعتمادا على عصمته أو بطاعة من أطاع وعصيان من عصى (وتكونوا شهداء على الناس) ببلوغ
الرسول إليهم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى فتقربوا إلى الله بأنواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر
لأنافتهما وفضلهما (واعتصموا بالله) أى ثقوا به في مجامع أموركم ولا تطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه
• (هو مولاكم) ناصركم ومولى أموركم (فنعم المولى ونعم النصير) هو إذ لا مثل له في الولاية والنصرة

٢٣ - سورة المؤمنون

(مكية وآياتها مائة وثمان عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٣ المؤمنون

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

٢٣ المؤمنون

الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾

بل لا ولي ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل . عن النبي ﷺ من قرأ سورة الحج أعطى من الاجر كحجة حبيبها وعمره اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى .

(سورة المؤمنون)

(مكية وهي عند البصريين مائة وتسع عشرة آية وعند الكوفيين مائة وثمان عشرة آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قد أفلح المؤمنون) الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه وقيل البقاء في الخير والإفلاح الدخول في ذلك كالإبشار الذي هو الدخول في البشارة وقد يحى متعدياً بمعنى الإدخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للفعول وكلمة قد ههنا لإفادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا متوقع الإخبار به ضرورة أن المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الإخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقفاً من حالهم فإن إيمانهم وما تفرع عليه من أعمالهم الصالحة من دواعي الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا أنه إن أريد بالإفلاح حقيقة الدخول في الفلاح الذي لا يتحقق إلا في الآخرة فالإخبار به على صيغة الماضي الدلالة على تحققه لا محالة بتزيله منزلة الثابت وإن أريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها وقرئ أفلحوا على الإبهام والتفسير أو على أكلوني البراغيث وقرئ أفلح بضممة اكتفى بها عن الواو كما في قول من قال [ولو أن الأطباء كان حولي] والمراد بالمؤمنين [المصدقون بما علم ضرورة أنه من دين نبينا ﷺ من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرهما] ف قوله تعالى (الذين هم في صلاتهم خاشعون) وما عطف عليه صفات مخصصة لهم ٢ وإما الآتون بفروعه أيضاً كما ينبغي عنه إضافة الصلاة إليهم فهي صفات موصفة أو مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلاة من المعاني مع الإيمان إجمالاً أو تفصيلاً كما مر في أوائل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل أى خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم روى أنه ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فلما نزل رعى يبصره نحو مسجده وأنه رأى مصلياً يعبت بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (والذين هم عن اللغو) أى عما لا يعينهم من الأقوال والأفعال ٣

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾

٢٣ المؤمنون

إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾

٢٣ المؤمنون

فَمَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾

• (معرضون) أى فى عامة أوقانهم كما ينبىء عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل فى ذلك إعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولا أولياً ومدار إعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية إلى الإعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد فى أمور الدين كما قيل فإن ذلك ربما يؤهم أن لا يكون فى اللغو نفسه ما يجرهم عن تعاطيه وهو أبان من أن يقال لا يلبون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه وإقامة الإعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه رأساً مباشرة وتسياً وميلاً وحضوراً فإن أصله أن يكون فى عرض غير عرضه (والذين هم الزكاة فاعلون) وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلاة للدلالة على أنهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروءة اجتنابه وتوسيط حديث الإعراض بينهما كمال ملاسته بالخشوع فى الصلاة والزكاة مصدر لأنه الأمر الصادر عن الفاعل لا المحل الذى هو موقعه ومعنى الفعل قد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى فإن لم تفعلوا وإن تفعلوا ويجوز أن يراد بها العين على تقدير المضاف ٦٥٠ (والذين هم لفروجهم حافظون) مسكون لها فالاستثناء فى قوله تعالى (إلا على أزواجهم) من نفي الإرسال الذى ينبىء عنه الحفظ أى لا يرسلونها على أحد إلا على أزواجهم وفيه إيذان بأن قوتهم الشهوية داعية لهم إلى ما لا يخفى وأنهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز أن تكون على بمعنى من وإليه ذهب الفراء كما فى قوله تعالى إذا اكتالوا على الناس أى حافظون لها من كل أحد إلا من أزواجهم وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون أى حافظون لها فى جميع الأحوال إلا حال كونهم والين أو قوامين على أزواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين وحمل الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون فزوجهم على الأزواج لا يتعداهن ثم يقال غير حافظين إلا عليهن تأكيذاً على تأكيد تكلف على تكلف (أو ما ملكت أيمانهم) أى سراريهم عبر عنهم بما أجزأهم من الملوكيتين مجرى غير العقلاء أو لأنوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى (فإنهم غير ملومين) تعليل لما يفيد الاستثناء من عدم حفظ فزوجهم منهم أى ٧ فإنهم غير ملومين على عدم حفظها منهم (فمن ابتغى وراء ذلك) الذى ذكر من الحد المتسع وهو أربع من الحرائر وما شاء من الإماء (فأولئك هم العادون) الكاملون فى العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل حتماً على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فإنه قال إنها ليست زوجة له فوجب أن لا تحمل له أما

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾

٢٣ المؤمنون

أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾

٢٣ المؤمنون

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

٢٣ المؤمنون

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾

- أنها ليست زوجة له فلائهما لا يتوارثان بالإجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولستم نصف ما نرك أزواجكم فوجب أن لا تحل لقوله تعالى إلا على أزواجهم لأن لهم أن يقولوا إنها زوجة له في الجملة وأما أن كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها وأما ما قيل من أنه إن أريد لو كانت زوجة حال الحياة لم يفد وإن أريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس المكان له وجه (والذين هم ٨ لآلئاناهم وعهدهم) لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق (راعون) أى قائمون عليها حافظون لها على وجه الإصلاح وقرىء لا مائتهم (والذين هم على صلواتهم) المفروضة عليهم (يحافظون) يواظبون ٩ عليها ويؤدونها فى أوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلاة من التجدد والتكرار وهو السر فى جمعها وليس فيه تكرير لما أن الخشوع فى الصلاة غير المحافظة عليها وفصلهما بالإيدان بأن كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا فى الذكر لربما توهم أن بجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة (أولئك) إشارة إلى ١٠ المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وإيثارها على الإضمار للإشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار إليه حسا وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو طبقتهم وبعدهم رجتهم فى الفضل والشرف أى أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة (هم الوارثون) أى الأحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم من ورث رغائب الأموال والذخائر وكرائهم (الذين يرثون الفردوس) بيان لما يرثونه وتقيد ١١ للوراثاة بعد إطلاقها وتفسير لها بعد إدراجها ما تفخيم الشأنها ورفعاً لمحلها وهى استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم حسبا يقتضيه الوعد الكريم بالمبالغة فيه وقيل إنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل إنسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار (هم فيها) أى فى الفردوس والتأنيث لأنه اسم للجنة أو لطبقتهما العليا وهو البستان الجامع لأصناف الثمر روى أنه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفرو فى رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان (خالدون) لا يخرجون منها أبداً والجملة إما مستأنفة مقررلة لما قبلها وإما حال مقدرة من فاعل يرثون أو مفعوله إذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها (ولقد ١٢ خلقنا الإنسان) شروع فى بيان مبدأ خلق الإنسان وتقلبه فى أطوار الخلقة وأدوار الفطرة بياناً لإجمالاً

٢٣ المؤمنون

ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا

٢٣ المؤمنون

ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾

لأثر بيان حال بعض أفراده السعداء واللام جوارب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد
 بالإنسان الجنس أى وبالله لقد خلقنا جنس الإنسان فى ضمن خلق آدم عليه السلام خلقاً إجمالياً حسبما
 تحققت فى سورة الحج وغيرها وأما كونه مخلوقاً من سلالات جعلت نطفاً بعد أدوار وأطوار فبعيد
 (من سلالة) السلالة ماسل من الشيء واستخرج منه فإن فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة تكون
 مقصوداً منه كالتخلص وأخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الأول فإنها
 مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن فى قوله تعالى (من طين) بيانية متعلقة بمحذوف وقع
 صفة لسلالة أى خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز أن تتعلق بسلالة على أنها بمعنى مسلوقة فهى ابتدائية
 كالأولى وقيل المراد بالإنسان آدم عليه السلام فإنه الذى خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقفت على
 التحقيق (ثم جعلناه) أى الجنس باعتبار أفراده المغايرة لآدم عليه السلام أو جعلنا نسله على حذف
 المضاف إن أريد بالإنسان آدم عليه السلام (نطفة) بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير
 بتأويل الجوهر أو المسلول أو الماء (فى قرار) أى مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذى هو مصدر
 مبالغة وقوله تعالى (مكين) وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر أو بمكانتها فى نفسها فإنها
 مكنت بحيث هى وأحرزت (ثم خلقنا النطفة علقه) أى دماً جامداً بأن أحلنا النطفة البيضاء علقه حمراء
 (خلقنا العلقه مضغه) أى قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها (خلقنا المضغه) أى غالبها ومعظمها أو كلها
 (عظاماً) بأن صلبناها وجعلناها عموداً للبدن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة (فكسونا
 العظام) المعهودة (لحمًا) من بقية المضغه أو مما أنبتنا عليها بقدرتنا بما يصل إليها أى كسونا كل عظم من
 تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لا تقب به وهيته مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت
 الاستعدادات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الأول فقط
 وبتوحيد الثانى فحسب (ثم أنشأناه خلقاً آخر) هى صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخه فيه أو المجموع
 وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به أبو حنيفة رحمه الله على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لذه
 ضمان البيضة لا الفرخ لأنه خلق آخر (فتبارك الله) فتعالى شأنه فى علمه الشامل وقدرته الباهرة والانتفات
 إلى الاسم الجليل لربية المهابة وإدخال الروعة والإشعار بأن ما ذكر من الأفاعيل العجيبة من أحكام
 الألوهية والإيدان بأن حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عز وعلا أو لاحظ أنه يسارع إلى التكلم
 به لإجلال وإعظاماً لشئونه تعالى (أحسن الخالقين) بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على أن الإضافة
 ليست لفظية وقيل خبر مبتدأ محذوف أى هو أحسن الخالقين خلقاً أى المقدرين تقديره حذف المميز

٢٣ المؤمنون

ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَعْتُونَ ﴿١٥﴾

٢٣ المؤمنون

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

٢٣ المؤمنون

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ ﴿١٧﴾

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ ٢٣ المؤمنون

لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه في قوله تعالى أذن الذين يقتلون لدلالة الصلة عليه أى أحسن الخالقين خلقاً فالحسن للخلق قيل نظيره قوله ﷺ إن الله جميل يحب الجمال أى جميل فعله لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فأنقلب مرفوعاً فاستكن روى أن عبد الله بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله ﷺ الوحى فلما انتهى ﷺ إلى قوله خلقاً آخر سارع عبد الله إلى النطق به قبل إملائه ﷺ فقال اكتبه هكذا نزلت فبكك عبد الله فقال إن كان محمد يوحى إليه فأنا كذلك فلحق بكه كافرأ ثم أسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضى الله عنه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله ﷺ هكذا نزل يا عمر وكان رضى الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربى في أربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولى لمن أو ليبدله الله خيراً منك فنزل قوله تعالى عسى ربه إن طلقكن أن يبدله الآية والرابع فتبارك الله أحسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سبباً لسمعة عمر رضى الله عنه وشقاوة ابن أبى سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قاذح في إعجازه لما أن الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار أفصر السور على أن إعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها كما تعرب عنه الفاء فإنها اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله (ثم إنكم بعد ذلك) أى بعد ما ذكر من الأمور العجيبة حسبما ينبى عنه ما فى اسم الإشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته فى الفضل والكمال وكونه بذلك ممتازاً منزلاً منزلة الأمور الحسية (لميتون) اصتارون إلى الموت لا محالة كما تؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذى تفيد صيغة الفاعل وقد قرئ لما تنون (ثم إنكم يوم القيامة) أى عند النفخة الثانية (تبعثون) من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب ١٦ (ولقد خلقنا فوقكم) بيان لخلق ما يحتاج إليه بقاؤهم إثر بيان خلقهم أى خلقنا فى جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لأن تلك النسبة إنما تعرض لها بعد خلقهم (سبع طرائق) هى السموات السبع سميت بها لأنها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فإن كل ما فوقه مثله فهو طريقة أو لاسم طرائق الملازمة أو الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) عن ذلك المخلوق الذى هو السموات أو عن جميع المخلوقات التى هى من جملتها أو عن الناس (غافلين) مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندير أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ويصل إلى ما فى الأرض منافعها كما يبدى عنه قوله تعالى (وأزلنا من السماء ماء) هو المطر أو الأنهار النازلة من ١٨

فَأَلْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٣﴾ المؤمنون

وَشَجَرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِّلْأَكْلَيْنِ ﴿٢٤﴾ المؤمنون

الجنة قيل هي خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في فنون معاشهم ومن ابتدائية متعلقة بأنزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر والعدول عن الإضمار لأن الإنزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو (بقدر) بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم أو بتقدير ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم (فأسكننا في الأرض) أي جعلناها ثابتاً قاراً فيها (وإننا على ذهاب به) أي إزالته بالافساد أو التصعيد أو التغير بحيث يتعذر استنباطه (لقادرون) كما كنا قادرين على إزاله وفي تنكير ذهاب إيماء إلى كثرة طرقه ومبالغة في الإبعاد به ولذلك جعل أبلغ من قوله تعالى قل أرايتم ١٩ إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين (فأنشأنا لكم به) أي بذلك الماء (جنات من نجيل وأعنا ب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) تنفكهون بها (ومنها) من الجنات (تأكلون) تغذياً أو ترزقون وتحصلون معاشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز أن يعود الضمير إلى النجيل والأعنا ب أي لكم في ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام يأكلونه ٢٠ (وشجرة) بالنصب عطف على جنات وقرى بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله أي وما أنشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين الأشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى (تخرج من طور سيناء) وهو جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فإما أن يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة أضيف إليها أو المركب منهما علم له كأمري القيس ومنع صرفه على قرأة من كسر السين للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لالآلف لأنه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفع أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعالان كعلباء من السين إذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء فإنه فيعال ككيسان أو فعلاء كصحراء إذ لا فعال في كلامهم وقرى بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع أيضاً لتعظيمها ولأنه المنشأ الأصلي لها وقوله تعالى (تنبت بالدهن) صفة أخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالاً منها أي تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية أي تنبته بمعنى تضرته وتحصله فإن النبات حقيقة صفة للشجرة لا الدهن وقرى تنبت من الإفعال وهو إما من الإنبات بمعنى النبات كما في قول زهير [رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم * قطيناً لهم حتى إذا أنبت البقل] أو على تقدير تنبت زيتونها ملتبساً بالدهن وقرى على البناء للمفعول وهو كالآول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان (وصبغ لآكلين) معطوف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء على

وَأَنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً تُمْسِكُمْ بِمَا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٣﴾

٢٣ المؤمنون

٢٣ المؤمنون

وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٤﴾

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٤﴾ ٢٣ المؤمنون

- الآخر أى تثبت بأشياء الجاسع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج منه وكونه إداماً يصنع فيه الخبز أى يغمس فيه للاتتماد وقرىء وصباغ كدباغ فى دبغ (ولأن لكم فى الأنعام لعبرة) بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان إثر بيان النعم الواصلة إليهم من جهة الماء والنبات وقد بين أنها مع كونها فى نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من أن يعتبروا بها ويستدلوا بأحوالها على عظم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما أن محل العبارة فيه أظهر مما فى النبات وقوله تعالى (نسقيكم ما فى بطونها) تفصيل لما فيها من مواقع العبارة وما فى بطونها عبارة عما عن الألبان فمن تبعية وية والمراد بالبطون الجوف أو عن العلف الذى يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرىء بفتح النون وبالتاء أى تسقيكم الأندام (ولكم فيها منافع كثيرة) غير ما ذكر من أصوافها وأشعارها (ومنها تأكلون) فتنتفعون بأعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها (وعليها) أى على الأنعام فإن الحمل عليها لا يقتضى الحمل على جميع أنواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالإبل ونحوه وأقبل المراد هى الإبل خاصة لأنها هى المحمول عليها عندهم والماسب للفلك فإنها سفائن البر قال ذو الرمة [سفينة بر تحت خدى زمامها] فالضمير فيه كما فى قوله تعالى وبعولتهن أحق بردهن (وعلى الفلك تحمّلون) أى فى البر والبحر وفى الجمع بينها وبين الفلك فى إنداع الحمل عليها مباينة فى تحملها للحمل وهو الداعى إلى تأخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها عن ذكر منفعة الأكل المتعلقة بعينها (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) شروع فى بيان إهمال الأمم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من ٢٣ النعم الفائضة للحصر وعدم تذكريهم بتذكير رسالهم وراحق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيراً للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفى إيرادها إثر قوله تعالى وعلى الفلك تحمّلون من حسن الموقع لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها أى وبأنه لقد أرسلنا نوحاً الخ ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكيفية إبعثه فيما بينهم قد مر تفصيله فى سورة الأعراف وسورة هود (فقال) متعظاً عليهم واستملاً لهم إلى الحق (يا قوم اعبدوا الله) أى اعبدوه وحده كما يفتح عنه قوله تعالى فى سورة هود أن لا تعبدوا إلا الله وترك التقييد به للإبذان بأنها هى العبادة فقط وأما العبادة بالإشراك فليست من العبادة فى شيء رأساً وقوله تعالى (ما لكم من إله غيره) استئناف مسوق لتعليل العبادة بالمأمور بها أو لتعليل الأمر بها وغيره بالرفع صفة

فَقَالَ أَمَلُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ

شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

٢٣ المؤمنون

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبِّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴿٢٥﴾

٢٣ المؤمنون

إليه باعتبار محله الذي هو الرفع على أنه فاعل أو مبتدأ خبره لكم أو محذوف ولكم للتخصيص والتبيين
 • أى مالكم فى الوجود أو فى العالم إله غيره تعالى وقرىء بالجر باعتبار لفظه (أفلا تتقون) أى أفلا تقون
 أنفسكم عذابه الذى يستوجب ما أنتم عليه من ترك عبادته كما يفصح عنه قوله تعالى إني أخاف عليكم عذاب
 يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم أليم وقيل أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذى هو ربكم الخ وليس
 بذلك وقيل أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه الخ وفيه ما فيه والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والقاء
 للمطف على مقدر يقتضيه المقام أى أنعرفون ذلك أى مضمون قوله تعالى مالكم من إله غيره فلا تتقون
 عذابه بسبب إشراككم به فى العبادة مالا يستحق الوجود لولا إجماد الله تعالى إياه فضلا عن استحناق
 العبادة فالنكر عدم الانقضاء مع تحقق ما يوجبها أو ألا تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالنكر كلا الأمرين
 ٢٤ فالأمة حينئذ فى الكمية وفى الأول فى الكيفية (فقال الملائة) أى الأشراف (الذين كفروا من قومه)
 وصف الملائة بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للإبذان بكال عرافتهم فى الكفر وشدة شكيتهم فيه أى قالوا
 • لعوامهم (ما هذا إلا بشر مثلكم) أى فى الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام
 بذلك مباغلة فى وضع رتبته العالية وخطها عن منصب النبوة (يريد أن يتفضل عليكم) أى يريد أن يطلب
 الفضل عليكم ويتقدمكم بأدعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك إغضابا للخاطبين عليه عليه السلام
 • وإغراء لهم على مبادئه عليه السلام وقوله تعالى (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) بيان لعدم رسالة البشر على
 الإطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام أى لو شاء الله تعالى إرسال الرسول لأرسل
 رسلا من الملائكة وإنما قيل لا نزل لأن إرسال الملائكة لا يكون إلا بطريق الإزال ففعل المشيئة مطلق
 • الإرسال المفهوم من الجواب لانفس مضمونه كما فى قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظائره (اسمعنا بهذا)
 أى يمثل هذا الكلام الذى هو الأمر بعبادة الله خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام فى
 • دعوى النبوة (فى آياتنا الأولين) أى الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه إما لكونهم وآبائهم فى فترة
 متطاولة وإما لفرط غلوهم فى التكذيب والعناد وانهما كهم فى الغنى والفساد وأيا ما كان فقولهم هذا
 ينبغي أن يكون هو الصادر عنهم فى مبادئ دعوته عليه السلام كما تنبى عنه الهاء فى قوله تعالى فقال الملائة
 الخ رقيق معناه ما سمعنا به عليه السلام أنه نبي فالمراد بآبائهم الأولين الذين مضوا قبلهم فى زمن نوح عليه
 السلام وقولهم المذكور هو الذى صدر عنهم فى أواخر أمره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية
 ٢٥ دعائه عليه السلام وقولهم (إن هو) أى ما هو (إلا رجل به جنة) أى جنون أو وجن يخيلونه ولذلك يقول
 ما يقول (فتربصوا به) أى احتملوه واصبروا عليه وانتظروا (حتى حين) لعله يفيق بما فيه محمول حينئذ

٢٣ المؤمنون

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبْتُ ﴿٢٦﴾

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْوُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الدِّينِ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ

٢٣ المؤمنون

مُغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

على ترائى أحوالهم في المكابرة والعناد وإضرابهم عما وصفوه عليه السلام به من البشرية وإرادة التفضل إلى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون أنه عليه السلام أرجح الناس عقلاً وأرزنهم قولاً وعلى الأول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قائلهم الله أنى يؤفكون (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من ٢٦ حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فإذا قال عليه السلام بعد ما سمع منهم هذه الأباطيل فويل قال لما رأيهم قد أصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال حتى يئس من إيمانهم بالكلية وقد أوحى الله إليه إنه إن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (رب انصرني) ياهلاكهم بالمرة فإنه حكاية إجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً الخ (بما كذبوني) أى بسبب تكذيبهم إياي * أو بدل تكذيبهم (فأوحينا إليه) عند ذلك (أن اصنع الفلك) أن مفسرة لما في الوحي من معنى القول ٢٧ (بأعيننا) ملتبساً بحفظنا وكلام تناكح معه عليه السلام منه عزو وعلاحفاظاً وحراساً يكتونه بأعينهم من التعدى أو من الزبغ في الصنعة (ووحينا) وأمرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء في قوله تعالى (فإذا جاء أمرنا) لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالأمر العذاب كما في قوله تعالى لا عصم اليوم من أمر الله لا الأمر بالركوب كما قيل وبمجيشه كال اقترابه أو ابتداء ظهوره أى إذا جاء لإتمام الفلك عذابنا وقوله تعالى (وفار التنور) عطف بيان ليجيء الأمر روى أنه قيل له عليه السلام إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فصار إلى نوح عليه السلام فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا واختلف في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة أى في موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان في عين وردة من الشام وقد مر تفصيله في تفسير سورة هود عليه السلام (فاسلك فيها) أى ادخل فيها يقال سلك فيه أى دخل فيه وسلكه فيه أدخله فيه ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر (من كل) أى من كل أمة (زوجين) أى فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى (اثنين) فإنه نص في الفردين دون الجمعين أو الفريقين وقرىء بالإضافة على أن المفعول اثنين أى من كل أمتى زوجين وهما أمة الذكور وأمة الإناث كالجبال والنوق والحصن والرمالك وهذا صريح في أن الأمر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه أن يحمل إما على أنه حكاية لأمر آخر تنجيزى ورد عند فوران التنور الذى يبط به الأمر التعليق اعتناء بشأن المأمور به أو على أن ذلك هو الأمر السابق بعينه لكن لما كان الأمر التعليق قبل تحقق المعلق به في حق إيجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه إنما حدث عند تحققه فحكى على صورة التنجيز وقد مر في تفسير قوله

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ ٢٣ المؤمنون

وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ٢٣ المؤمنون

إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَنْتِ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ٢٣ المؤمنون

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ ٢٣ المؤمنون

فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ٢٣ المؤمنون

- تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم (وأهلك) منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين أو اثنين على القراءتين لا دأته إلى اختلال المعنى أى واسلك أهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الأمر بإدخالهم عما ذكر من إدخال الأزواج فيها لكونه عريقاً فيما أمر به من الإدخال فإنه يحتاج إلى مزاوله الأعمال منه عليه السلام بل إلى معاونة من أهله وأتباعه وأمامهم فإنما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولأن في المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدى إلى الإخلال بتجاوب أطراف
- النظم الكريم (إلا من سبق عليه القول منهم) أى القول بإهلاك الكفرة وإنما جيء بعلى لكون السابق ضاراً كما جيء باللام في قوله تعالى إن الذين سبقتم من الحسنى لكونه نافعاً (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) بالدعاء لإنجائهم (لأنهم مغرّقون) تعليل للنهى أو لما ينبى عنه من عدم قبول الدعاء أى لإنهم مقضى عليهم بالإغراق لا محالة لظلمهم بالإشراك وسائر المعاصى ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف
- ٢٨ لا وقد أمر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى (فإذا استويت أنت ومن معك) أى من أهلك وأشيا عك (على الفلك) قل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين (على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) (وقل رب أنزلنى) فى السفينة أو منها (منزلاً مباركاً) أى أنزالاً أو موضع أنزال يستتبع خيراً كثيراً وقرىء منزلاً أى موضع نزول (وأنت خير المنزّلين) أمر عليه السلام بأن يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلاً به إلى الإجابة وإفراده عليه السلام بالأمر مع شركة الكل فى الاستواء والنجاة لإظهار فضله عليه السلام والإشعار بأن فى دعائه وثباته مندوحة عما عاده (إن فى ذلك) الذى ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه (آيات) جميلة يستدل بها أولو الأبصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار (وإن كنا لمبتلين) إن عطفة من أن واللام فارقة بينهما وبين النافية وضمير الشأن محذوف أى وإن الشأن كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مخبرين بهذه الآيات عبادنا للنظر من يعتبر
- ٣١ ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر (ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد إهلاكهم (قرناً آخرين) هم عاد حسباروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعليه أكثر المفسرين وهو الأقوى لما هو
- ٣٢ المعمود فى سائر السور الكريمة من إيراد قصتهم إثر قصة قوم نوح وقيل هم نود (فأرسلنا فيهم) جعلوا

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٢٣﴾

٢٣ المؤمنون

وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٢٤﴾

٢٣ المؤمنون

أَيَعِدُّكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنَّكُمْ تُحْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

٢٣ المؤمنون

موضعا للإرسال كما في قوله تعالى كذلك أرسلناك في أمة ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه للإبذان من أول الأمر بأن من أرسل إليهم لم يأثمهم من غير مكانهم بل إنما نشأ فيما بين أظهرهم كما ينبي عنه قوله تعالى (رسولا منهم) أي من جملتهم نسباً فإنهما عليهما السلام كانا منهم * وأن في قوله تعالى (أن اعبدا الله) مفسرة لأرسلنا لتضمنه معنى القول أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدا الله تعالى وقوله تعالى (مالك من إله غيره) تعليل للعبادة المأمورة بها أو الأمر بها أو لوجوب الامتثال به (أفلا تتقون) أي عذابه الذي يستدعيه ما أنتم عليه من الشرك والمعاصي والكلام في العطف كالذي مر في قصة نوح عليه السلام (وقال الملأ من قومه) حكاية لقولهم الباطل لإثر حكاية القول الحق ٣٣ الذي ينطق به حكاية إرسال الرسول بطريق العطف على أن المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام إجمالا لا حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاوراة والمقابلة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبني على السؤال كما ينبي عنه ماسياتي من حكاية سائر الأمم أي وقال الأشراف من قومه (الذين كفروا) في محل الرفع على أنه صفة للملأ وصفوا بذلك ذما لهم وتنبها على غلوهم في الكفر وتأخيرهم عن من قومه لعطف قوله تعالى (وكذبوا بقاء الآخرة) وما عطف عليه على الصلة الأولى أي كذبوا بقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب أو بمعادهم إلى الحياة الثانية بالبعث (وأترفناهم) ونعمناهم (في الحياة الدنيا) بكثرة الأموال والأولاد أي قالوا لا عقابهم مضلين لهم (ما هذا إلا بشر مثلكم) أي في الصفات والأحوال وإيثار مثلكم على مثلنا للبالغة في تهوين أمره عليه السلام وتوهينه (يأكل مما تأكلون منه * ويشرب مما تشربون) تقرير للمثالة وما خبرية والعائد إلى الثاني منصوب محذوف أو مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه (ولئن أطعتم بشراً مثلكم) أي فيما ذكر من الأحوال والصفات أي إن امتثلتم بأوامره (إنكم إذا) أي على تقدير الاتباع (لخاسرون) عقولكم ومغبونون في آرائكم حيث أذلتكم أنفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم إلى سعادة الدارين خسراناً دون عبادة الأصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله أنى يؤفكون وإذا وقع بين اسم إن وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف قبل إن الشرطية المصدرة باللام الموطئة أي وبالله لئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون (أي بعدكم) استئناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بإنكار وقوع ما يدعونه إلى الإيمان به واستبعاده (أنكم إذا متم) بكسر الميم من مات يموت وقرئ بضمها من مات

٣٥

٢٣ المؤمنون

هَيَّاتْ هَيَّاتْ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾

٢٣ المؤمنون

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾

٢٣ المؤمنون

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾

٢٣ المؤمنون

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٣٩﴾

٢٣ المؤمنون

قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾

٢٣ المؤمنون

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُلَاءً فَبَعَدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

- يموت (وكنتم ترأباً وعظاما) نخرة مجردة عن اللعوم والاعصاب أى كان بعض أجزائكم من اللحم ونظائره ترأباً وبعضها عظاماً وتقديم الزراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية أو كان متقدماً وكم ترأباً صرفاً ومتأخراً وكم عظاماً وقوله تعالى (أنكم) تأكيد الأول لطول الفصل بينه وبين خبره الذى هو قوله تعالى (مخرجون) أى من القبور أحياء كما كنتم وقيل أنكم مخرجون مبتدأ وإذا متم خبره على معنى إخراجكم إذا متم ثم أخبر بالجملة عن أنكم وقيل رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل إذا متم وقع إخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية خبراً عن أنكم والذى تقتضيه جزالة النظم الكريم هو الأول وقرئ أيعدكم إذا متم الخ (هيات هيات) تكرير لتأكيد البعد أى بعد الوقوع أو الصحة (لما توعدون) وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما فى هيات لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لما إذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منوناً للتكثير وبالضم منوناً على أنه جمع هية وغيره منون تشبيهاً بقبول وبالكسر على الوجوهين وبالسكون على لفظ الوقف وإبدال التاء هاء (إن هى إلا حياتنا الدنيا) أصله إن الحياة إلا حياتنا فأقيم الضمير مقام الأولى لدلالة الثانية عليها حذراً من التكرار وإشعاراً بإغنائها عن التصريح كما فى هى النفس تتحمل ما حملت وهى العرب تقول ما شامت وحيث كان الضمير بمعنى الحياة الدالة على الجنس كانت إن النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى (نموت ونحيا) جملة مفسرة لما ادعوه من أن الحياة هى الحياة الدنيا أى يموت بعضها ويولد بعض إلى انقراض العصر (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (إن هو) أى ما هو (إلا رجل افتري على الله كذباً) فيما يدعيه من إرساله وفيما يعدنا من أن الله يبعثنا (وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين فيما يقوله (قال) أى هود عليه السلام عند بأسه من إيمانهم بعد ماسلك فى دعوتهم كل مسلك متضرعاً إلى الله عز وجل (رب انصرنى) عليهم وانتقم لى منهم (بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم لإياى وإصرارهم عليه (قال) تعالى إجابة لدعائه وعدة بالقبول (عما قليل) أى عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة كازيدت فى قوله تعالى فيما رحمة من الله أو نكرة موصوفة أى عن شئ قليل (ليصبحن نادمين) على ما فعلوه من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب (فأخذتهم الصيحة) لعلمهم حين أصابتهم

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ٢٣ المؤمنون

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ٢٣ المؤمنون

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدًا لِلْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ٢٣ المؤمنون

الريح العقيم أصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة أيضاً وقد روى أن شداد بن عاد حين أتم بناء إرم سار إليها بأهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم قال قائلهم [صاح الزمان بآل برمك صيحة * خروا لشدها على الأذقان] (بالحق) متعلق بالآخذ أي بالامر الثابت الذي لا دفاع له أو بالعدل من الله تعالى أو بالوعد الصدق (لجعلناهم غناء) أي كغناء السيل وهو حميله (فبعداً للقوم الظالمين) لإخبار أو دعاء وبعداً من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا أي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعداً ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل (ثم أنشأنا من بعدهم) أي بعد هلاكهم (قروناً آخرين) هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام ٤٢ وغيرهم (ما تسبق من أمة أجلها) أي ما تقدم أمة من الأمم المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم أي ماتهلك ٤٣ أمة قبل مجيء أجلها (وما يستأخرون) ذلك الأجل بساعة وقوله تعالى (ثم أرسلنا رسلنا) عطف على ٤٤ أنما نال السكون لا على معنى أن إرسالهم متراخ عن إنشاء القرون المذكورة جميعاً بل على معنى أن إرسال كل رسول متأخر عن إنشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كأنه قيل ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين قد أرسلنا إلى كل قرن منهم رسولاً خاصاً به والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناعقة بعدم تقدم الأمم أجلها المضروب لهلاكهم للسرعة إلى بيان هلاكهم على وجه إجمالي (تترى) أي متواترين واحداً بعد واحد من الوتر وهو الفرد والثناء بدل من الواو كما في توج ويتقوا والالف للتأنيث باعتبار أن الرسل جماعة وقرىء بالتنوين على أنه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالاً وقوله تعالى (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) * استئناف مبين لمجيء كل رسول لأمة ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء إما التبليغ وإما حقيقة المجيء للإبذان بأنهم كذبوه في أول الملاقاة وإضافة الرسول إلى الأمة مع إضافة كلهم فيما سبق إلى نون العظمة لتحقيق أن كل رسول جاء أمة الخاصة به لأن كلهم جاءوا كل الأمم والإشعار بكال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لأن الإرسال لا تنق بالمرسل والمجيء بالمرسل إليهم (فاتبعنا بعضهم بعضاً) في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضاً في مباشرة أسبابه التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي (وجعلناهم أحاديث) لم يبق منهم إلا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحوالهم وهي ما يتحدث به تلميهاً كطاجيب جمع أعجوبة وهي ما يتعجب منه أي جعلناهم أحاديث يتحدث بها تلميهاً وتعجباً (فبعداً للقوم لا يؤمنون) اقتصر هنا على وصفهم بعدم الإيمان حسبما *

٢٣ المؤمنون

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٤٥

٢٣ المؤمنون

إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ٤٦

٢٣ المؤمنون

فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرٍ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ٤٧

٤٥ اقتصر على حكاية تكذيبهم إجمالاً وأما القرون الأولون فحيث نقل عنهم ماسر من الغلو وتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا) هي الآيات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساع لعد فلق البحر منها إذ المراد هي الآيات التي كذبوها واستكبروا عنها (وسلطان مبين) أي حجة واضحة ملزمة للخصم وهي إما العصا وإفراها بالذكر مع اندراجها في الآيات لما أنها أم آياته عليه الصلاة والسلام وأولاهما وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعباناً وتلقفها لما أفكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه وأما التعرض لانقلاب البحر وانفجار العيون من الحجر بضرها وحرستها وصيرورتها شجرة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام ولما نفس الآيات كقوله إلى الملك القرم وابن الهمام الخ عبر عنها بذلك على طريقة العطف تبييناً على جمعها لعنوانين جليلين وتزيلاً لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي (إلى فرعون وملئه) أي أشراف قومه خصوا بالذكر لأن إرسال بني إسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء أعقابهم (فاستكبروا) ٤٦ عن الانقياد وتمرّدوا (وكانوا قوماً عالين) متكبرين متمردين (فقالوا) عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار أي كانوا أقوماً عادتهم الاستكبار والتمرّد أي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة (أنتم لبشرٍ مثلنا) ثنى البشر لأنه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشر أسوأ بما يطلق على الجمع كما في قوله تعالى فإما ترين من البشر أحداً ولم يشنّ المثل نظر إلى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على أن مدار شبه المنكرين للنسبة قياس حال الأنبياء على أحوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات أفرادها في مراقب الكمال وماوى النقصان بحيث يكون بعضها في أعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقةون لصفاء جواهرهم بكل العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون إلى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل إلى جناب الحق وبعضها في أسفل سافلين كأوائك الجهلة الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً (وقومهما) يعنون بني إسرائيل (لما عابدون) أي خادعون منقادون لما كالعبيد وكانهم قصدوا بذلك التعريض بشأنهما عليهم الصلاة والسلام وخطر تبتلها العلية عن منصب الرسل من وجه آخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون قدمت عليهم رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل تؤمن مؤكدة لإنكار الإيمان لهما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ

٢٣ المؤمنون

فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾

٢٣ المؤمنون

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

٢٣ المؤمنون

وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا لو كان خير أما سبقونا إليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بأن مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية وإحراز الملكات السنية جلبة واكتساباً (فكذبوهما) أي فتموا على تكذيبهما وأصرروا واستكبروا ٤٨ استكباراً (فكانوا من المهلكين) بالفرق في بحر قلزم (ولقد آتينا) أي بعد إهلاكهم وإنجاء بني إسرائيل ٤٩ من ملكهم (موسى الكتاب) أي النوراة وحيث كان إيتاؤه عليه الصلاة والسلام إياها لإرشاد قومه إلى الحق كما هو شأن الكتب الإلهية جعلوا كأنهم أوتوها فقليل (لعلهم يهتدون) أي إلى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والأحكام وقيل أريد آتينا قوم موسى فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملثهم أي من آل فرعون وملثهم ولا سبيل إلى عود الضمير إلى فرعون وقومه لظهور أن التوراة إنما نزلت بعد إغراقهم لبني إسرائيل وأما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى فما لا سبيل إليه ضرورة أن ليس المراد بالقرون الأولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الأمم المملكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتي في سورة القصص (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) وآية آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية أمر واحد نسب إليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وأمه آية بأنها ولدتها من غير مسيس لحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العناوين وهما كونه عليه الصلاة والسلام ابنها وكونها أمه عليه الصلاة والسلام للإبذان من أول الأمر بحيثية كونهما آية فإن نسبته عليه الصلاة والسلام إليها مع أن النسب إلى الآباء دالة على أن لا أب له أي جعلنا ابن مريم وحدها من غير أن يكون له أب وأمّه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الأب آية وتقديمه عليه الصلاة والسلام لآصالته فيما ذكر من كونه آية كما أن تقديم أمه في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين لآصالتهما فيما نسب إليها من الإحصان والنفخ (وآويناها إلى ربوة) أي أرض مرتفعة قيل هي أيليا أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة وأنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء ثمانية عشر ميلاً على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرمّة وقيل مصر فإن قراها على الربا وقرى بكسر الراء وضمتها وربوة بالكسر والضم (ذات قرار) مستقر من أرض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وذورع لا تجلها يستقر فيها ساكنوها (ومعين) أي وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء إذا جرى وأصله الإبعاد في المشي أو من الماء عون

يَتَأَيَّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ٢٣ المؤمنون

وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ٢٣ المؤمنون

وهو النفع لأنه نفاع أو مفعول من عانه إذا أدركه بالعين فإنه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك للإيدان بكونه جامعاً لفنون المنافع من الشرب وسقى ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتزده ٥١ بمنظرة الموقن (بأيها الرسل كلوا من الطيبات) حكاية لرسول الله ﷺ على وجه الإجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جرى به الأثر حكاية لإبراهيم عليه السلام وأمه إلى الربوة إيداناً بأن ترتيب مبادئ التنعم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل لإباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به أي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات وامل صالحاً فغير عن تلك الأوامر المتعددة المتعلقة بالرسول بصيغة الجمع عند الحكاية إجمالاً للإيجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهابة من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وأمه عند إيوائهما إلى الربوة ليقتهما بالرسول في تناول مارزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكبي رحمهم الله تعالى أنه خطاب لرسول الله ﷺ وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه إبانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات المأكل والفواكه حسبما ينبغي عنه سياق النظم الكريم فالأمر للترفيه (واعملوا صالحاً) أي عملاً صالحاً فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم (إني بما تعملون) من الأعمال الظاهرة والباطنة (عليهم) فأجازيكم عليه ٥٢ (وإن هذه) استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان أن ملة الإسلام والتوحيد أمر به كافة الرسل عليهم السلام والأئمة وإنما أشير إليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور أمرها في الصحة والساد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة (أمتكم) أي ملتكم وشريعتكم أيها الرسل (أمة واحدة) أي ملة وشريعة متحدة في أصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الأعصار وقيل هذه إشارة إلى الأئمة المؤمنة للرسول والمعنى إن هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة (وأنا ربكم) من غير أن يكون لي شريك في الربوبية وضمير المخاطب فيه وفي قوله تعالى (فاتقون) أي في شق العصا والمخالفة بالإخلال بما يجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بالرسول والأئمة جميعاً على أن الأمر في حق الرسل للتبجيل والإلهاب وفي حق الأئمة للتحذير والإيجاب والغناء لترتيب الأمر أو وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الأئمة فإن كلا منهما موجب للاتقاء حتماً وقرئ. وأن هذه بفتح الهمزة على حذف اللام أي ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون أي إن تتقون فاتقون كما مر في قوله تعالى وإياي فارهبون وقيل على العطف على ما أي إني عليهم بأن أمتكم أمة الخ وقيل على حذف فعل عامل فيه أي واعدوا أن هذه أمتكم الخ وقرئ. وإن هذه على أنها مخففة من إن .

٢٣ المؤمنون

فَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾

٢٣ المؤمنون

فَذَرُّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴿٥٤﴾

٢٣ المؤمنون

أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾

٢٣ المؤمنون

نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

٢٣ المؤمنون

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾

- (فقطعوا أمرهم) حكاية لما ظهر من أمم الرسل بعدم من مخالفة الأمر وشق العصا والضمير لما دل عليه ٥٣ الآية من أربابها أو لها على التفسيرين والفاء لترتيب عصيانهم على الأمر لزيادة تقبيح حالهم أى تقطعوا أمر دينهم مع اتحادهم وجعلوه قطعاً متفرقة وأدياناً مختلفة (بينهم زبراً) أى قطعاً جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبراً بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من أمرهم أو من واو تقطعوا أو مفعول ثان له فإنه متضمن لمعنى جعلوا وقبل كتباً فيكون مفعولاً ثانياً أو حالاً من أمرهم على تقدير المضاف أى مثل زبر وقرىء بتخفيف الباء كرسل في رسل (كل حزب) من أولئك المتحزبين (بما لديهم) من الدين الذى اختاروه (فرحون) معجبون معتقدون أنه الحق (فذرهم في غمرتهم) شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذى يغمر القامة لأنهم مغمورون فيها لا عبون بها وقرىء غمراتهم والخطاب لرسول الله ﷺ والفاء لترتيب الأمر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فإن انهماكهم فيها وإصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعاً على قلوبهم أى اتركهم على حالهم (حتى حين) هو حين قتلهم أو موتهم على الكفر أو عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسليية لرسول الله ﷺ ونهى له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيرهم وفى التنكير والإيهام ما لا يخفى من النهويل (أيحسبون أنما نمدمهم به) أى ٥٤ نعطيهم إياه ونجعله مدداً لهم فما موصولة وقوله تعالى (من مال وبنين) بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه قدم وجهه فى سورة الكهف لا خبر لأن وإنما الخبر قوله تعالى (نسارع لهم فى ٥٥ الخيرات) على حذف الراجع إلى الاسم أى أيحسبون أن الذى نمدمهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم وإكرامهم على أن الهمزة لإنكار الواقع واستقبحه وقوله تعالى (بل لا يشعرون) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشئ أصلاً كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا أن ذلك الإمداد استدراج لهم واستجرا إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات وقرىء يمدمهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممدب وقرىء يسارع مبنياً للمفعول (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) استئناف مسوق لبيان من له المسارعة ٥٦ فى الخيرات إثر إقناط الكفار عنها وإبطال حسابهم الكاذب أى من خوف عذابه حذرون .

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ هُمْ بِعَاقِبَتِ رَبِّهِمْ يَوْمِنُونَ ﴿٥٨﴾

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ يَتُوتُونَ مَآءَاتُوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾

٢٣ المؤمنون

أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾

٥٨ ٥٩ (والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة (بؤمنون) بتصديق مدلولها (والذين هم بربهم لا يشركون) شركاً جليلاً ولا خفياً ولذلك أخر عن الإيمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع الثلاثة للإشعار بعليتها للإشفاق والإيمان وعدم الإشراك (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوه من الصدقات وقرىء يأتون ما آتوا أى يفعلون ما فعلوه من الطاعات وأياً ما كان فصيغة الماضى فى الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع فى الأولى للدلالة عن الاستمرار (وقلوبهم وجلة) حال من فاعل يؤتون أو يأتون أى يؤتون ما آتوه أو يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال أن قلوبهم خائفة أشد الخوف (أنهم إلى ربهم راجعون) أى من أن رجوعهم إليه عز وجل على أن مناط الوجل أن لا يقبل منهم ذلك وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم إليه تعالى وقيل لأن مرجعهم إليه تعالى والموصولات الأربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر فى حين صلاحها من الأوصاف الأربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من الأوصاف المذكورة كأنه قيل إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبيات ربهم يؤمنون الخ وإنما كرر الموصول إيداناً باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حياها وتزيلاً لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها (أولئك) إشارة إليهم باعتبار انصافهم بها وما فيه من معنى البعد الإشعار ببعدهم فى الفضل أى أولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم (يسارعون فى الخيرات) أى فى نيل الخيرات التى من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الأعمال الصالحة كما فى قوله تعالى فتأثم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وقوله تعالى وآتيناه أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين فقد أثبت لهم ما نفي عن أعدادهم خلا أنه غير الأسلوب حيث لم يقل أولئك تسارع لهم فى الخيرات بل أسند المسارعة إليهم إيماناً على كمال استحسانهم لنيل الخيرات بمحاسن أعمالهم وإيثار كلمة فى على كلمة إلى للإيدان بأنهم متقبلون فى فنون الخيرات لا أنهم خارجون عنها متوجهون إليها بطريق المسارعة فى قوله تعالى كما وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة الآخرة (وهم لها سابقون) أى إياها سابقون واللام لتقوية العمل كما فى قوله تعالى هم لها عاملون أى يتألمون قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون فى الطاعات والعبادات أشد الرغبة وهم لا يجلبها سابقون فاعلون السبق أو لا يجلبها الناس

وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
 بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ ٢٣ المؤمنون

والأول هو الأولى (ولا تكلف نفساً إلا وسعها) جملة مستأنفة سبقت للتحريرض على ما وصف به ٦٢
 السابقون من فعل الطاعات المؤدى إلى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع
 والطاقة أى عادتنا جارية على أن لا تكلف نفساً من النفوس إلا ما فى وسعها على أن المراد استمرار النفي بمعونة
 المقام لاننى الاستمرار كما مر مراراً أو للنرخيص فيما هو قاصر عن درجة أعمال أولئك الصالحين ببيان
 أنه تعالى لا يكلف عباده إلا ما فى وسعهم فإن لم يبلغوا فى فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد
 أن يبذلوا طاقتهم ويستغفروا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعداً ومن لم يستطع القعود
 فليوم إيماء وقوله تعالى (ولدينا كتاب) الخ تنمة لما قبله ببيان أحوال ما كلفوه من الأعمال وأحكامها
 المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الأعمال التى يقرؤها عند الحساب
 حسبما يعرب عنه قوله تعالى (ينطق بالحق) كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ
 ما كنتم تعملون أى عندنا كتاب قد أثبت فيه أعمال كل أحد على ما هى عليه أو أعمال السابقين والمقتصدین
 جميعاً لا أنه أثبت فيه أعمال الأولين وأهمل أعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم أيضاً وقوله بالحق متعلق
 وينطق أى يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتاً ووصفاً ويدينه للنظر كما يدينه اللطوق ويظهره للسامع
 فيظهر هنالك جلائل أعمالهم ودقائقها ويرتب عليها أجزئتها إن خير أخير وإن شرأ فشر وقوله تعالى (وهم
 لا يظلمون) بيان لفضله تعالى وعدله فى الجزاء إثر بيان لطفه فى التكليف وكتب الأعمال أى لا يظلمون
 فى الجزاء بنقص ثواب أو بزيادة عذاب بل يجزون بقدر أعمالهم التى كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق
 وقد جوز أن يكون تقريراً لما قبله من التكليف وكتب الأعمال أى لا يظلمون بتكليف ما ليس فى وسعهم
 ولا بعدم كتب بعض أعمالهم إلى من جعلتها أعمال المقتصدین بناء على قصورها عن درجة أعمال السابقين
 بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الأمور بالظلم مع أن شيئاً منها ليس بظلم
 على ما تقرر من أن الأعمال الصالحة لا توجب أصل الثواب فضلاً عن إيجاب مرتبة معينة منه حتى تعد
 الإنابة بما دونها نقصاً وكذلك الأعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما
 فوقها زيادة وكذا تكليف ما فى الوسع وكتب الأعمال ليس بما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظاهراً
 لكامل تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله
 تعالى (بل قلوبهم فى غمرة من هذا) لإضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله أى بل قلوب
 الكفرة فى غملة غامرة لها من هذا الذى بين فى القرآن من أن لديه تعالى كتاباً ينطق بالحق ويظهر لهم
 أعمالهم السيئة على رؤوس الأشهاد فيجزون بها كما ينبى عنه ما سياتى من قوله تعالى قد كانت آياتى تنلى
 عليكم الخ وقيل بما عليه أولئك الموصوفون بالأعمال الصالحة (ولهم أعمال) سيئة كثيرة (من دون ذلك)

٢٣ المؤمنون

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾

٢٣ المؤمنون

لَا تَجْعَرُوا أَلْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴿٦٥﴾

٢٣ المؤمنون

قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَادِي عَلَيْكُمْ فَاكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾

الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة بما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سياتي من طعنهم في القرآن حسبما ينبي عنه قوله تعالى مستكبرين به سامراً تهجرون وقيل متخطفة لما وصف به المؤمنون من الأعمال الصالحة المذكورة وفيه أنه لا مزية في وصف أعمالهم الخبيثة بالتخطف للأعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطفة عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره (هم لها عاملون) مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها (حتى إذا أخذنا مترفيهم) أي متنعيمهم وهم الذين أمدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لأعمالهم المذكورة مبدأ لما بعدها من مضمون الشرطية أي لا يزالون يعملون أعمالهم إلى حيث إذا أخذنا رؤسهم (بالعذاب) قيل هو القتل والأسريوم بدر وقيل هو الجوع الذي أصابهم حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بقوله اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والأولاد والحق أنه العذاب الأخرى إذ هو الذي يفاجئون عنده الجوار فيجابون بالرد والإقناط عن النصر وأما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جوار حسبما ينبي عنه قوله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا للربهم وما يتضرعون فإن المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر حتماً وأما عذاب الجوع فإن أبا سفيان وإن تضرع فيه إلى رسول الله ﷺ - إكن لم يرد عليه بالإقناط حيث روى أنه ﷺ قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك (إذا هم يجأرون) أي فاجئوا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فإليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الأخذ بالعذاب ومفاجأة الجوار مع عمومهم لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس أمرهم وكون ذلك أشق عليهم ولأنهم مع كونهم متمنعين محيين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عذابهم من الحماية والخدم أولى وأقدم (لاتجأروا اليوم) على إضمار القول مسوقاً لردهم وتبكيهم وإقناطهم مما علقوا به أطماعهم الفارغة من الإغاثة والإعانة من جمته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتحويله والإيذان بتفويتهم وقت الجوار وقد جوز كونه جواب الشرط وأنت خير بأن المقصود الأصل في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدى ذلك إلى أن يكون مفاجأتهم إلى الجوار غير مقصود أصلي وقوله تعالى (إنكم منا لا تنصرون) تعليل للنهي عن الجوار ببيان عدم إفادته ونفعه أي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سباق النظم الكريم لأن جوارهم ليس إلى غيرة تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فإن قوله تعالى (قد كانت آياتي تنادي عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) الخ صريح في أنه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته

٢٣ المؤمنون

مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَعِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾

٢٣ المؤمنون

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾

٢٣ المؤمنون

أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾

تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان النصر المنفي متوهماً من الغير لعل بعجزه وذلّه أو بعزة الله تعالى وقوته أى قد كانت آياتى تتلى عليكم فى الدنيا (فكنتم على أعقابكم تنكصون) أى تعرضون عن سماعها أشد الإعراض فضلاً عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقري (مستكبرين به) أى بالبيت الحرام أو بالحرم والإضمار قيل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بأنهم خدامه وقوامه أو بكتابه الذى عبر عنه بآياتى على تضمين الاستكبار معنى التكذيب أو لأن استكبارهم على المسلمين قد حدث بسبب استماعه وبجوز أن تتعلق الباء بقوله تعالى (ساعراً) أى تسمرون بذكر القرآن وبالطمع فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً والسائر كالحاضر فى الإطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرىء سمرأ وسمارأ وأن تتعلق بقوله تعالى (تهجرون) من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان أو الترك أى يتهذون فى شأن القرآن أو تركونه أو من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من أهرج فى منطقته إذا غش فيه وقرىء تهجرون من هجر الذى هو مبالغة فى هجر إذا هذى (أفلم يدبروا القول) الهمة لإنكار الواقع واستقبحه ٦٨ والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى أفعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من إعجاز النظم وصحة المدلول والإخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلاً عما فعلوا فى شأنه من القبايح وأم فى قوله تعالى (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين) منقطعة وما فيها من معنى بل للإضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخر الهمة لإنكار الوقوع لأنكار الواقع أى بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعنى أن يحىء الكتب من جهته تعالى إلى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد ينسى إنكاره وأن يحىء القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه وقيل أم جاءهم من الأمن من عذابه تعالى ما لم يأت آباءهم الأولين كما سماعيل عليه السلام وأعقابهم من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب وأسدي بن خزيمه وتميم بن مرة وتبع وضبة بن أدفانموا به تعالى وبكتبه ورسله وأطاعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) إضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بوجه ٦٩ آخر الهمة لإنكار الوقوع أيضاً أى بل ألم يعرفوه بالآيات والآمانه والصدق وحسن الأخلاق وكالعلم مع عدم التعلم من أحد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللانفقه بالأنبياء عليهم السلام (فهم له منكرون) أى جاحدون بنبوته فجحدتهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشأنه عليه السلام ومن ضرورة انتفاء المبنى بطلان ما بنى عليه أى فهم غير عارفين له عليه السلام فهو تأكيد لما قبله .

٢٣ المؤمنون

أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾

وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ

٢٣ المؤمنون

عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾

- ٧٠ (أم يقولون به جنة) انتقال إلى توبيخ آخر والهمزة لإنكار الواقع كالأولى أى بل يقولون به جنة أى جنون مع أنه أرجح الناس عقلاً وأتقنهم ذمناً وأتقنهم رأياً وأوفرهم رزاقاً واقدر وعى في هذه التوبيخات الأربعة التى اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان به ﷺ الترقى من الأدنى إلى الأعلى حيث وبخوا أولاً بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشئ لو اتصف به القول لكان سيئاً لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول ﷺ من عدم معرفتهم به ﷺ وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخبر ولا شئ مما لو كان فيه ﷺ ذلك أقدم في رسالته ﷺ (بل جاءهم بالحق) إضراب عما يدل عليه ما سبق أى ليس الأمر كما زعموا في حق القرآن والرسول ﷺ بل جاءهم ﷺ بالحق أى الصدق الثابت الذى لا محيد عنه أصلاً ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه (وأكثرهم للحق) من حيث هو حق أى حق كان لاهذا الحق فقط كإنيى عنه الإظهار في موقع الإضمار (كارهون) لما في جبابتهم من الزيف والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الأبلج وزاغوا عن الطريق الأنهج وتخصيص أكثرهم بهذا الوصف لا يقتضى إلا عدم كرامة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافى كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالآثار كثر لأن منهم من ترك الإيمان استنكافاً من توبيخ قومه أو لقلة فطنته وعدم تفكره لا لكراهته الحق وأنت خير بأن تعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام أصلاً (ولو اتبع الحق أهواءهم) استئناف مسوق لبيان أن أهواءهم الزائفة التى ما كرهوا الحق إلا لعدم موافقته إياها مقتضية للطامة أى لو كان ما كرهوه من الحق الذى من جملته ما جاء به ﷺ
- ٧١ موافقاً لأهوائهم الباطلة (فسدت السموات والأرض ومن فيهن) وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لأن مناط النظام ليس إلا ذلك وفيه من تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى وأما ما قيل لو اتبع الحق الذى جاء به ﷺ أهواءهم وانقلب شركاء لجاهل الله تعالى بالقيامة ولا هلك العالم ولم يؤخر فيه أنه لا يلائم فرض مجيئه ﷺ به وكذا ما قيل لو كان في الواقع إلهان لا يناسب المقام وأما ما قيل لو اتبع الحق أهواءهم لخرج عن الإلهية فهما لا احتمال له أصلاً (بل آتيناكم بذكرهم) انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذى به يقوم العالم إلى تشنيعهم بالإعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذى هو غرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وإله لذكركم ولقومك أى بل أتيناكم بغرهم وشرفهم الذى كان يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكمل إقبال (فهم) بما فعلوه من النكوص (عن ذكرهم) أى غرهم وشرفهم خاصة (معرضون) لا عن غير ذلك مما لا يوجب الإقبال عليه والاعتناء به وفى وضع للظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع والغناء لترتيب ما بعدها من إعراضهم عن ذكرهم

٢٣ المؤمنون

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا نَخْرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾

٢٣ المؤمنون

وَإِنَّكَ لَنَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾

٢٣ المؤمنون

وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّبُ ﴿٧٤﴾

٢٣ المؤمنون

وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودُ فِي طَغْيِهِمْ يَعَْمَهُونَ ﴿٧٥﴾

- على ما قبلها من إيتاء ذكرهم لا لترتيب الإعراض على الإيتاء مطلقاً فإن المستتبع لكون إعراضهم إعراضاً عن ذكرهم هو إيتاء ذكرهم لا الإيتاء مطلقاً وفي إسناد الإتيان بالذكر إلى نون العظمة بعد إسناده إلى ضميره ﷺ تنويه لشأن النبي ﷺ وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفي إيراد القرآن الكريم عند نسبته إليه ﷺ بعنوان الحقيقة وعند نسبته إليه تعالى بعنوان الذكر من النكسة السرية والحكمة العبرية مالا يخفى فإن التصريح بحقيقته المستلزمة لحقيقة من جاء به هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون في شأنه وأما التشريف فإنا يليق به تعالى لا سيما رسول الله ﷺ أحد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو أن عندنا ذكر من الأولين وقيل وعظمهم وأيد ذلك بأنه قرئ بذكرهم والنشيع على الأولين أشد فإن الإعراض عن وعظمهم ليس في مثابة إعراضهم عن شرفهم أو عن ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة (أم تسألهم) انتقال من توبيخهم بما ذكر من قوله أم يقولون به جنة إلى التوبيخ بوجه ٧٢ آخر كأنه قيل أم يزعمون أنك تسألهم على أداء الرسالة (خرجا) أى جعلاً للأجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالى (نخراج ربك خير) أى رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار أى لا تسألهم ذلك فإن ما رزقك الله تعالى في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من تعليل الحكم وتشريفه ﷺ مالا يخفى والخرج بإزاء الدخول يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الأرض وقبل الخرج ما تبرعت به والخراج مالزمك وقبل الخرج أخص من الخراج ففي النظم الكريم إشعار بالكثرة والازدحام وقرئ خراجاً فخرج وخراجاً فخراج (وهو خير الرازقين) تقرير لخيرية خراجه تعالى (وإليك تندعوهم إلى صراط مستقيم) ٧٣ تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة أعوجاج توهم اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد ألزمهم الله عز وعلا وأزاح عنهم في هذه الآيات حيث حصر أقسام ما يؤدي إلى الإنكار والاتهام وبين انتفاء ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنهم (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة) وصفوا بذلك تشبيهاً لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم أن لا حياة إلا الحياة الدنيا وإشعار أبعلة الحكم بأن الإيمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من أقوى الدواعي إلى طلب الحق وسلوك سبيله (عن الصراط) أى عن جنس الصراط (لناكون) لعداؤون فضلاً عن الصراط المستقيم أو عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم إليه والأول أدل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما أنه ينبي عن كون ما ذهبوا إليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجاً (ولو رحمتهم وكشفنا ما بهم من ضر) أى قحط وجذب (للجوا) لتنادوا (في) ٧٥

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِلرَّبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ٢٣ المؤمنون

حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ٢٣ المؤمنون

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ٢٣ المؤمنون

طغيانهم) إفراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول ﷺ والمؤمنين (يعمهمون) أى عامهمين عن الهدى روى أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليامة ومنع الميرة عن أهل مكة وأخذهم الله تعالى بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال له أنشدك الله والرحم ألسنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما أصابهم من القحط والهزال برحمتنا إياهم ووجدوا الخصب لا رتدوا إلى ما كانوا عليه من الإفراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التعلق والإبلاس وقد كان كذلك وقوله تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب) استئناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالههم يوم بدر من القتل والأسر وما أصابهم من فنون العذاب التي من جملتها القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف أى وبالله لقد أخذناهم بالعذاب (فما استكانوا الربهم) بذلك أى لم يخضعوا ولم يتذللوا على أنه لما استفعال من الكون لأن الخاضع ينتقل من كون إلى كون أو افتعال من السكون قد أشبعت فتحته كمتزاح في متزح بل أقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى (وما يتضرعون) اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أى وليس من عادتهم التضرع إليه تعالى (حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد) هو عذاب الآخرة كما ينبي عنه النهي بل يفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالشديد (إذا هم فيه مبلسون) أى متحيرون آيسون من كل خير أى محامهم بكل محنة من القتل والأسر والجوع وغير ذلك فما روى منهم لين مقادة وتوجه إلى الإسلام قط وأما ما أظهره أبو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع إليه تعالى في شيء وإنه هو نوع خنوع إلى أن يتم غرضه لحاله كما قيل إذا جاع ضغوا وإذا شبع طغوا وأكثرهم مستمررون على ذلك إلى أن يروا عذاب الآخرة حينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فإنه أشد وأعم من القتل والأسر والمعنى أخذناهم أولاً بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأمرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أطم وأنتم فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجماع أعتامهم وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الأول (وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار) لنشاهدوا بها الآيات التنزيلية والنكوبية (والأفئدة) لتتفكروا بها ما تشاهدونه وتعتبروا اعتباراً لا نفقاً (قليلًا ما تشكرون) أى شكراً قليلاً غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما أن العمدة في الشكر صرف تلك القرى التي هي في أنفسها نعم باهرة إلى ما خلقت هي له وأنتم تخلون بذلك إخلالاً عظيماً.

وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ٢٣ المؤمنون

وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ٢٣ المؤمنون

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالِ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ ٢٣ المؤمنون

قَالُوا إِذْ أَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنْنا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ٢٣ المؤمنون

لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ٢٣ المؤمنون

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ٢٣ المؤمنون

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ٢٣ المؤمنون

- (وهو الذي ذرأكم في الأرض) أى خلقكم وبشكم فيها بالتناسل (وإليه تحشرون) أى تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم لا إلى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه (وهو الذي يحيى ويميت) من غير أن يشاركه فى ذلك شئ من الأشياء (وله) خاصة (اختلاف الليل والنهار) أى هو المؤثر فى اختلافهما أى تعافيهما أو اختلافهما ازدياداً وانتقاصاً أو لأمرو وقضائه اختلافهما (أفلا تعقلون) أى ألا تفكرون فلا تعقلون أو أن تفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل أن الكل منا وأن قدرتنا تعم جميع الممكنات التى من جملتها البعث وقرئ يعقلون على أن الالتفات إلى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل على أن الخطاب الأول لتغليب المؤمنين وليس بذلك (بل قالوا) عطف على مضمير يقتضيه المقام أى فلم يعقلوا بل قالوا (مثل ما قال الأولون) أى آباؤهم ومن دان بدينهم (قالوا أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أننا لمبعوثون) تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الإجمال وقد مر الكلام فيه (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أى البعث (من قبل) متعلق بالفعل من حيث إسناده إلى آباءهم لا إلههم أى ووعد آباؤنا من قبل أو بمحذوف وقع حالا من آباؤنا أى كائنين من قبل (إن هذا) أى ما هذا (إلا أساطير الأولين) أى أكاذيبهم التى سطرها جمع أسطورة كحدوثه وأعجوبة وقيل جمع أسطار جمع سطر (قل لمن الأرض ومن فيها) من المخلوقات تغليباً للعقلاء على غيرهم (إن كنتم تعلمون) جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه أى إن كنتم تعلمون شيئاً ما فأخبروني به فإن ذلك كاف فى الجواب وفيه من المبالغة فى وضوح الأمر وفى تجهيلهم ما لا يخفى أو إن كنتم تعلمون ذلك فأخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك أخبر بجهلهم قبل أن يجيبوا حيث قيل (سيعقلون لله) لأن بداهة العقل تضطرهم إلى الاعتراف بأنه تعالى خالقها (قل) أى عند اعترافهم بذلك تبكيتاً لهم (أفلا تذكرون) أى أن تعلمون ذلك أو أنقولون ذلك فلا تتذكرون أن من فطر الأرض وما فيها ابتداء قادر على إعادتها ثانياً فإن البدء ليس بأهون من الإعادة

٢٣ المؤمنون

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾

٢٣ المؤمنون

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾

٢٣ المؤمنون

قُلْ مَنْ يَدِيهِ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾

٢٣ المؤمنون

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

٢٣ المؤمنون

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾

٢٣ المؤمنون

مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى

٢٣ المؤمنون

بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾

- ٨٦ بل الأمر بالعكس في قياس العقول وقرىء تنذكرون على الأصل (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) أعيد الرب تنويعاً لشأن العرش ورفعاً لمحلّه عن أن يكون تبعاً للسموات وجوداً وذكراً ولقد روعي في الأمر بالسؤال النقيض من الأدنى إلى الأعلى (سيقولون لله) باللام نظراً إلى معنى السؤال فإن قولك من ربه ولما هو في معنى واحد وقرىء هو وما بعده بغير لام نظراً إلى لفظ السؤال (قل) إلهاماً لهم وتوبيخاً (أفلا تتقون) أي أتعدون ذلك ولا تقون أنفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكاً في الربوبية (قل من يده ملكوت كل شيء) بما ذكر وما لم يذكر أي ملكه التام القاهر وقيل خزائنه (وهو يحير) أي يغيب غيره إذا شاء (ولا يجار عليه) أي ولا يغيب أحد عليه أي لا يمنع أحد منه بالنصر عليه (إن كنتم تعلمون) أي شيئاً ما أو ذلك فأجيبوني على ما سبق (سيقولون لله) أي لله ملكوت كل شيء وهو الذي يحير ولا يجار عليه (قل فأنى تسحرون) أي فمن أين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به إلى ما أنتم عليه من الغي فإن من لا يكون مسحوراً مختل العقل لا يكون كذلك (بل أتيناكم بالحق) الذي لا يحيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث (وإلهم لكاذبون) فيما قالوا من الشرك وإنكار البعث (ما اتخذ الله من ولد) كما يقوله النصاري والقائلون إن الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً (وما كان معه من إله) يشاركه في الألوهية كما يقوله عبدة الأوثان وغيرهم (إذن لذهب كل إله بما خلق) جواب لمخاجتهم وجزاء لشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه أي لو كان معه آلهة كما يزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك (ولعلنا بعضهم على بعض) فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجب الوجود واحد بالذات (سبحانه الله عما يصفون) أي يصفونه

٢٣ المؤمنون

عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

٢٣ المؤمنون

قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾

٢٣ المؤمنون

رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾

٢٣ المؤمنون

وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾

٢٣ المؤمنون

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾

٢٣ المؤمنون

وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾

- ٩٢ من أن يكون له أنداد وأولاد (عالم الغيب والشهادة) بالجر على أنه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وأياً ما كان فهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقه في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى (فتعالى عما يشركون) فإن تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن أن يكون له شريك (قل رب إماما تريني) أى إن كان لابد من أن تريني (ما يوعدون) من العذاب ٩٣ الدينوى المستأصل وأما العذاب الآخرى فلا يناسبه المقام (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) أى قريناً ٩٤ لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه إيذان بكال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب أن يستعبد منه من لا يكاد يمكن أن يحيق به ور لا نكارهم إياه واستعجابهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل أمر به ﷺ هضم نفسه وقيل لأن شؤم الكفرة قد يحيق بمن وراهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصبئ الذين ظلموا منكم خاصة وروى أنه تعالى أخبر نبيه ﷺ بأن له في أمته نقمة ولم يطلع على وقفها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لإبراز كمال الضراعة والابتهال (وإنا على أن نريك ما نعدهم) من العذاب (لقادرون) ولكننا نؤخره لعلنا بأن بعضهم أو بعض أعقابهم سيؤمنون أو لا نالنا نعدهم وأنت فيهم وقيل قد أراه ذلك وهو ما أصابهم يوم بدر أو فتح مكة ولا يخفى بعده فإن المتبادر أن يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذاباً هائلاً مستأصلاً لا يظهر على يديه ﷺ للحكمة الداعية إليه (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) وهو الصفح عما والإحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي إلى وهن ٩٦ في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الأمر بالمعروف والسيئة المنكر وهو أبغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام (نحن أعلم بما يصفون) أى بما يصفونك به أو بوصفهم إياك على خلاف ما أنت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسليية لرسول الله ﷺ وإرشاد له ﷺ إلى تفويض أمره إليه تعالى (وقول رب أعوذ بك من همزات الشياطين) أى وسأوسهم المغرية على خلاف ما أمرت به من المحاسن التي من جملتها

وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ٢٣ المؤمنون

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ٢٣ المؤمنون

لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ٢٣ المؤمنون

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ٢٣ المؤمنون

دفع السيئة بالحسنة وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حشم للناس على المعاصي بهمز الرائض
 ٩٨ الدواب على الإسراع أو الوئب والجمع للترات أو لتتويع الوسواس أو لتعدد المضاف إليه (وأعوذ بك
 رب أن يحضرون) أمر ﷺ بأن يعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما أمر بالعوذ من همزاتهم للبالغه
 في التحذير من ملاستهم وإعادة الفعل مع تكرير النداء لإظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية
 الابتهاال في الاستدعاء أى أعوذ بك من أن يحضرونى ويحوموا حولى فى حال من الأحوال وتخصيص
 حال الصلاة وقراءة القرآن كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وحال حلول الأجل كما روى
 ٩٩ عن عكرمة رحمه الله لأنها أخرى الأحوال بالاستعاذه منها (حتى إذا جاء أحدهم الموت) حتى هى التى
 يتبدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهى مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيهفون وما بينهما
 اعتراض مؤكدا للإغضاء بالاستعاذه به تعالى من الشياطين أن يزله ﷺ عن الحلم ويغروه على الانتقام
 لكن لا بمعنى أنه العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى أنه معمول لمخدوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون
 فى غاية البعد لفظاً ومعنى أى يستمرون على الوصف المذكور حتى إذا جاء أحدهم أى أحد كان الموت
 الذى لا مرد له وظهرت له أحوال الآخرة (قال) تحسراً على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة (رب
 ارجعون) أى ردى إلى الدنيا والوالتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل فى قفانك
 ١٠٠ ونظائره (لعلى أعمل صالحاً فيما تركت) أى فى الإيمان الذى تركته لم ينظمه فى سلك الرجاء كسائر الأعمال
 الصالحة بأن يقول لعلى أو من فأعمل الخ الإشعار بأنه أمر مقرر الوقوع غنى عن الإخبار بوقوعه قطعاً
 فضلاً عن كونه مرجو الوقوع أى لعلى أعمل فى الإيمان الذى آتى به البتة عملاً صالحاً وقيل فيما تركته من
 المال أو من الدنيا وعنه ﷺ إذا عابن المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم
 والاحزان بل قدوما إلى الله تبارك وتعالى وأما الكافر فيقول ارجعونى (كلا) ردع عن طلب الرجعة
 واستبعادها (إنها) أى قوله رب ارجعون الخ (كلمة هو قائلها) لا بحالة تسلط الحسرة عليه (ومن
 ورائهم) أى أمامهم والضمير لا أحدهم والجمع باعتبار المعنى لأنه فى حكم كلمهم كما أن الأفراد فى الضمائر
 الأول باعتبار اللفظ (برزخ) حائل بينهم وبين الرجعة (إلى يوم يبعثون) يوم القيامة وهو إقناط كلى
 عن الرجعة إلى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا وإنما الرجعة يودئذ إلى الحياة الآخروية
 ١٠١ (فإذا نفخ فى الصور) لقيام الساعة وهى النفخة الثانية التى يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فإذا نفخ

٢٣ المؤمنون

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾

٢٣ المؤمنون

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾

٢٣ المؤمنون

تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

٢٣ المؤمنون

أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْنِي نُتْقَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾

٢٣ المؤمنون

قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾

في الأجزاء الواحدة على أن الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد (فلا أنساب بينهم) تنفعهم لزوال الزاحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفرار من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه أولاً أنساب يفتخرون بها (يومئذ) كما هي بينهم اليوم (ولا يتساءلون) أي لا يسأل بعضهم بعضاً لا اشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لأن هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذلك بعد ذلك (فمن ثقلت موازينه) موازنات حسناته من العقائد ١٠٢ والأعمال أي فمن كانت له عقائد صحيحة وأعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب الساجون من كل مهروب (ومن خفت موازينه) أي ومن لم يكن له ١٠٣ من العقائد والأعمال ماله وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً وقد مر تفصيل ما في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الأعراف (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الإشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما أن أفراد الضميرين في الصلتين باعتبار لفظه (في جهنم خالدون) بدل من الصلة أو خبر ثان لا أولئك (تلفح وجوههم النار) تحرقها والفتح كالنفخ إلا أنه أشد تأثيراً منه وتخصيص ١٠٤ الوجوه بذلك لأنها أشرف الأعضاء فيبيان حالها أخرج عن المعاصي المؤدية إلى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل (وهم فيها كالحون) من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان وقرىء كالحون (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) على إضمار القول أي يقال لهم تعنيفاً وتوبيخاً وتذكيراً لما به استحقوا ما ابتلوا ١٠٥ به من العذاب ألم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا (فكنتم بها تكذبون) حينئذ (قالوا ربنا غلبت علينا) ١٠٦ أي ملكتنا (شقوتنا) التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبغي عنه إضافتها إلى أنفسهم وقرىء شقوتنا بالفتح وشقوتنا أيضاً بالفتح والكسر (وكنا) بسبب ذلك (قوماً ضالين) عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بأن ما أصابهم قد أصابهم بسوء صنيعهم وأما ما قبل من أنه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الزلية فع أنه باطل في نفسه لما أنه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة إلا ما علم الله تعالى أنهم يفعلونه باختيارهم ضرورة أن العلم تابع للمعلوم يردده قوله تعالى

٢٣ المؤمنون

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾

٢٣ المؤمنون

قَالَ اخْسَعُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾

إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ٢٣ المؤمنون

٢٣ المؤمنون

فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرًا بِحَتَّىٰ أَنسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾

٢٣ المؤمنون

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾

٢٣ المؤمنون

قُلْ كَرِهْتُ لِبَيْتِي فِي الْأَرْضِ عِدَّةَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾

- ١٠٧ (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) أى أخرجنا من النار وارجعنا إلى الدنيا فإن عدنا بعد ذلك إلى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فإنا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم أنهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة إلى الدنيا ولما وعدوا الإيمان والطاعة بل قولهم فإن عدنا صريح في أنهم حينئذ على الإيمان والطاعة وإنما الموعود على تقدير الرجعة إلى الدنيا الثبات عليهما لا إحداهما
- ١٠٨ (قال اخسعوا فيها) أى اسكنوا في النار سكوت هوان وذل وانزجروا وانزجروا الكلاب إذا زجرت من خسأت الكلب إذا زجرته فحسأ أى انزجر (ولا تكلمون) أى باستدعاء الإخراج من النار والرجوع إلى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل الآتي وقيل لا تكلمون رأساً وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشبهق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطاب بالآنية قطعاً وقوله تعالى (إنه) تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء أى إن الشأن وقرئ بالفتح أى لأن الشأن (كان فريق من عبادي) وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم
- ١١٠ أجمعين (يقولون) في الدنيا (ربنا آمنا فاعف لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) (فاتخذتموهم سحراً) أى اسكنوا عن الدعاء بقولكم بنا الخ لأنكم كنتم تستهزئون بالداعين بقولهم ربنا آمنا الخ وتشاغلون باستهزائهم (حتى أنسوكم) أى الاستهزاء بهم (ذكرى) من فرط اشتغالكم باستهزائهم (وكنتم منهم تضحكون) وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى (إنِّي جزيتهم اليوم) استنشاف لبيان حسن حالهم وأنهم انتفعوا بما آذوهم (بما صبروا) بسبب صبرهم على أذيتكم وقوله تعالى (أنهم هم الفائزون) ثاني مفعولى الجزاء أى جزيتهم فوزهم بجماع مراداتهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على أنه تعليل للجزاء وبيان لكونه
- ١١٢ في غاية ما يكون من الحسن (قال) أى الله عز وجل أو الملك المأمور بذلك تذكيراً لما لبثوا فيها سألوا الرجوع إليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالة بقوله اخسعوا فيها الخ وقرئ قل على الأمر للملك (كم لبثتم في الأرض) التى تدعون أن ترجعوا إليها (عدد سنين) تمييز لكم .

- ٢٣ المؤمنون قالوا لبئنا يوماً أو بعض يوم فسنل العادين ﴿١١٣﴾
- ٢٣ المؤمنون قل إن لبئتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون ﴿١١٤﴾
- ٢٣ المؤمنون أخسبتم أنما خلقنكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴿١١٥﴾
- ٢٣ المؤمنون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴿١١٦﴾
- ٢٣ المؤمنون ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكفرون ﴿١١٧﴾

(قالوا لبئنا يوماً أو بعض يوم) استقصاراً لمدة لبئتم فيها (فاسأل العادين) أى المتمكنين من العد فإنما بما ١١٣
 دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك أو الملائكة العادين لأعمار العباد وأعمالهم وقرى العادين بالتخفيف أى
 المعتدين فإنهم أيضاً يقولون ما نقول كأنهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم إياهم إضلالهم وقرى
 العاديين أى القدماء المعمرين فإنهم أيضاً يستقصرون مدة لبئتم (قال) أى الله تعالى أو الملك وقرى قل كما ١١٤
 سبق (إن لبئتم إلا قليلاً) تصديقاً لهم فى ذلك (لو أنكم كنتم تعلمون) أى تعلمون شيئاً أو لو كنتم من أهل
 العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه أى لعلمتم يومئذ لعلكم لبئتم فيها كما علمتم اليوم ولعلمتم بوجه
 ولم تخلدوا إليهما (أخسبتم أنما خلقناكم عبثاً) أى ألم تعلموا شيئاً أخسبتم أنما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى ١١٥
 أنكرتم البعث فعبيثاً حال من نون العظمة أى عابثين أو مفعول له أى أنما خلقناكم للبعث (وأنكم إلينا
 لا ترجعون) عطف على أنما فإن خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وإنما خلقناكم لتعيدكم ونجازيكم على
 أعمالكم وقرى ترجعون بفتح التاء من الرجوع (فتعالى الله) استعظام له تعالى ولشئونه التى تصرف ١١٦
 عليها عباده من البدء والإعادة والإثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة أى ارتفع بذاته وتزه عن مماثلة
 المخلوقين فى ذاته وصفاته وأحواله وأفعاله وعن خلوه أفعاله عن الحكيم والمصالح والغايات الحميدة (الملك
 الحق) الذى يحق له الملك على الإطلاق لإيجاداً وإعداماً بدءاً وإعادة إحياء وإماتة عقاباً وإثابة وكل ما سواه
 مملوك له مقهور تحت مملكته (لا إله إلا هو) فإن كل ما عداه عبده (رب العرش الكريم) فكيف
 بما تحته ومحاط به من الموجودات كائناتاً ما كان ووصفه بالكريم إما لأنه منه ينزل الوحي الذى منه القرآن
 الكريم أو الخير والبركة والرحمة أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين وقرى الكريم بالرفع على أنه صفة الرب
 كفاً قوله تعالى ذو العرش المجيد (ومن يدع مع الله إلهاً آخر) يعبده فرداً أو إلهاً (لا برهان له به) ١١٧
 صفة لازمة لإله كقوله تعالى يطير بجناحيه جىء بها للأكيد وبناء الحكم عليه تنبيهاً على أن التدين بما
 لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من

أحسن إلى زيد لا أحق منه بالإحسان فاقه مثيبه (فإنما حسابه عند ربه) فهو مجاز له على قدر ما يستحقه (إنه لا يفلح الكافرون) أى إن الشأن الخ وقرئ بالفتح على أنه تعليل أو خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والأصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لأن من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه أنه لا يفلح في معنى حسابهم أنهم لا يفلحون . بدأت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفى الفلاح عن الكافرين ثم أمر رسول الله ﷺ بالاستغفار والاسترحام فقليل (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) إيذاناً بأنهما من أهم الأمور الدينية حيث أمر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه . عن النبي ﷺ من قرأ سورة المؤمنین بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه ﷺ أنه قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى أن أولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح .

٢٤ - سورة النور
(مدنية وهي أربع وستون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

٢٤ النور

٢٤ النور

(سورة النور مدنية وهي اثنتان أو أربع وستون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سورة) خبر مبتدأ محذوف أى هذه سورة وإنما أشير إليها مع عدم سبق ذكرها لأنها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى (أنزلناها) مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات وأما كونها مبتدأ محذوف الخبر على أن يكون التقدير فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها فيأباه أن مقتضى المقام بيان شأن السورة الكريمة لا أن في جملة ما أوحى إلى النبي ﷺ سورة شأنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوم أن غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات وقرىء بالنصب على إضمار فعل يفسره أنزلناها فلا محل له حينئذ من الإعراب أو على تقدير اقرأ ونحوه أو دونك عند من يسوغ حذف أداة الإغراء فحمل أنزلنا النصب على الوصفية (وفرضاها) أى أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً وفيه من الإيدان بغاية وكادة الفرضية مالا يخفى وقرىء فرضناها بالتشديد لتأكيد الإيجاب أو لتعدد الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف (وأنزلنا فيها) أى في تضاعيف السورة (آيات بينات) إن أريد بها الآيات التي نيطة بها الأحكام المفروضة وهو الأظهر فكونها في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالاتها على أحكامها لا على معانيها على الإطلاق فإنها أسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير أنزلنا مع استلزام إنزال السورة لإنزالها لإبراز كمال العناية بشأنها وإن أريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من أجزائه وتكرير أنزلنا مع أن جميع الآيات عين السورة وإنزالها عين إنزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع إلى تخصيص إنزالها بالذكريات لخطر هاورها لمحلها كقوله تعالى ونجيناه من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هوذا والذين آمنوا معه برحمة منا (لعلكم تذكرون) محذوف إحدى التامين وقرىء بإدغام الثانية في الذال أى تتذكرونها فنعلمون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية إلى إجراء أحكامها وفيه إيدان بأن حقها أن تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة إليها استحضروها (الزانية والزاني) شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان أحكامها
- ٢

الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴿٣﴾

٢٤ النور

والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما تنبئ عنه الصيغة لا المازنية كرهاً وتقديمها على الزاني لأنها الأصل في الفعل لكون الداعية فيها أوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعها على الابتداء والخبر قوله تعالى (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط إذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى كما في قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف أى فيما أنزلنا أو فيما فرضنا الزانية والزاني أى حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان هذا عامي حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعاً ويكفي في تعيين الناسخ القطع بأنه عليه السلام قد رجم ماعز وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الإيضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة المنفق عليها لحازت الزيادة بها على الكتاب وروى عن علي رضي الله عنه جلدتها بكتاب الله ورجمها بسنة رسول الله عليه السلام وقيل نسخ بآية منسوخة التلاوة هي الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روى عن علي رضي الله عنه (ولا تأخذكم بهما رأفة) وقرئ بفتح الهمزة والمد أيضاً على فعالة أى رحمة ورقة (في دين الله) في طاعته وإقامته حده فتعطلوه أو تساحوا فيه وقد قال رسول الله عليه السلام لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب النهي والإلهاب فإن الإيمان بهما يقتضى الجد في طاعته تعالى والاجتهاد في إجراء أحكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير مافيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل (وليشهد عذابهم طائفة من المؤمنين) أى لتحضره زيادة في التكميل فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء من الطوف وأقلها ثلاثة كما روى عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أربعة إلى أربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكح إلا زان أو مشرك) حكم مؤسس على الغالب المعتاد جرى به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين في نكاح وسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله عليه السلام في ذلك فنفر وأعنه ببيان أنه من أفعال الزناة وخصائص المشركين كأنه قيل الزاني لا يرغب إلا في نكاح إحداهما والزانية لا يرغب في نكاح إلا أحدهما فلا تحو. واحوله كيلا تنتظموا في سلككم ما أو تسموا بسمتهما فيراد الجملة الأولى مع أن مناط التنفير هي الثانية إما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استأذنوا في نكاحهن أولئنا كيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على أن مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الإشراف وإنما تعرض لها في الأولى إشباعاً في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة (وحرم ذلك) أى نكاح الزواني (على المؤمنين) لما أن فيه من التشبيه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء القالة والطعن في النسب واختلال

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾

٢٤ النور

أمر المعاش وغير ذلك من المفاسد مالا يكاد يليق بأحد من الآداني والآراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرىء به والتحريم على حقيقته والحكم إما مختصر بسبب الزول أو منسوخ بقوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم فإنه متناول للمساخات ويؤيده ما روى أنه ﷺ سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من أن المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان (والذين يرمون المحصنات) بيان لحكم العفاف إذا نسب إلى الزنا بعد بيان حكم الزواني ويعتبر في الإحصان ههنا مع مدلوله الوضعي الذي هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والإسلام وفي التعبير عن النفوة بما قالوا في حقهم بالرمي المنبئ عن صلافة الآلة وإيلاء المرمى وبعده عن الرأى إيدان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجماً بالغيب والمراد به رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بإيرادهن عقيب الزواني ووصفهن بالإحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فإن ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك إلى الاستشهاد باعتبار الأربعة من الشهداء على أن فيه مؤنة بيان تأخر نزول الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن أربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على أن فيه شبهة المصادرة كأنه قيل والذين يرمون العفاف المزاهات عما رمين به من الزنا (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم إشعار بجواز تأخير الإتيان بالشهود كما أن في كلمة لم إشارة إلى تحقيق العجز عن الإتيان بهم وتقرره خلافاً لاجتماع الشهود لا بد منه عند الأداء خلافاً للشافعي رحمه الله تعالى فإنه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز أن يكون أحدهم زوج المقدوفة خلافاً له أيضاً وقرىء بأربعة شهداء (فاجلدوهم ثمانين جلدَةً) لظهور كذبهم واقتراثهم بعجزهم عن الإتيان بالشهداء لقوله تعالى فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدَةً على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع أن حكم رمي المحصنين أيضاً كذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن (ولا تقبلوا لهم شهادة) عطف على اجدوا داخل في حكمه تنمة له لما فيه من معنى الزجر لأنه مؤلم للقلب كما أن الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقدوف بلسانه فعوقب بأهدار منافعه جزاء وفاقا للام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها الكونه انكسرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وقائدها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن أهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والإسلام لأنها ليست ناشئة عن أهليته السابقة بل عن أهلية حدثت له بعد إسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من أن المسلمين لا يعاؤون بسبب الكفار فلا يلحق المقدوف بقذف الكافر من الشين والشار ما يلحقه بقذف المسلم فإن ذلك بدون ما مر من الاعتبار تعليل في مقابلة النص ولا يخفى حاله فالعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها

٢٤ النور

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ

٢٤ النور

بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾

حاصلة لهم عند الرمي (أبداً) أى مدة حياتهم وإن تابوا وأصلحوا لما عرفت من أنه تنمة للحد كأنه قبل فاجلدوهم وردوا وشهادتهم أى فاجمعوا لهم الجلد والرديف بقى كأمه (وأولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما فى اسم الإشارة من معنى البعد للإيدان ببعدهم من منزلتهم فى الشر والفساد أى أولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاهلون ٥ فيه كأنهم هم المستحقون لإطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى (إلا الذين تابوا) استثناء من الفاسقين كما ينبىء عنه التعليل الآتى ومحل المستثنى النصب لأنه من موجب وقوله تعالى (من بعد ذلك) لتحويل المتوب عنه أى من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل (وأصلحوا) أى أصلحوا أعمالهم التى من جملتها ما فرط منهم بالتلافى والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقدوف (فإن الله غفور رحيم) تعليل لما يفيد الاستثناء من العفو عن المؤاخذه بموجب الفسق كأنه قيل لحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم فى سلك الفاسقين لأنه تعالى مبالغ فى المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعى رحمه الله الاستثناء بالنهى فحمل المستثنى حينئذ الجرح على البدلية من الضمير فى لهم وجعل الأبد عبارة عن مدة كونه قاذفاً فتنتهى بالتوبة فتقبل شهادته بعدها (والذين يرمون أزواجهم) ٦ بيان لحكم الرامين لأزواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا بأن يكون هذا مخصصاً للمحصنات بالأجنبيات ليلزم بقاء الآية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فإن من شرائط التخصيص أن لا يكون المخصص متراخياً النزول بل بكونه ناسخاً لعمومها ضرورة تراخى نزولها كما سيأتى فتبقى الآية السابقة قطعية الدلالة فيما بقى بعد النسخ لما بين فى موضعه أن دليل النسخ غير معلل (ولم يكن لهم شهداء) يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرىء بتأنيث الفعل (إلا أنفسهم) بدل من شهداء أو صفة لها على أن إلا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء لإيداناً من أول الأمر بعدم إلغاء قولهم بالمرّة ونظمه فى سلك الشهادة فى الجملة وبذلك ازداد حسن إضافة الشهادة إليهم فى قوله تعالى (فشهادة أحدهم) أى شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى (أربع شهادات) خبره أى فشهادتهم المشروعة أربع شهادات (بالله) متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرىء أربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على أنه إما خبر لمبتدأ محذوف أى قالوا يجب شهادة أحدهم وإما مبتدأ محذوف الخبر أى فشهادة أحدهم واجبة (لأنه لمن الصادقين) أى فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه الخ لخداف الجار وكسرت إن وعلق العامل عنها للتأكيّد .

- وَالْخَمِيسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٧﴾ ٢٤ النور
- وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٨﴾ ٢٤ النور
- وَالْخَمِيسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ ٢٤ النور
- وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ٢٤ النور

- ٧ (والخامسة) أى الشهادة الخامسة للأربع المتقدمة أى الجماعة لها خمساً بانضمامها إلىهن وإفرادها عنهن مع كونها شهادة أيضاً لاستقلالها بالفحوى ووكداتها فى إفادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر وإظهار الصدق وهى مبتدأ خبره (أن لعنة الله عليه إن من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا فإذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم أو تلاعن (ويدرأ عنها العذاب) أى العذاب الدنيوى وهو الحبس المغيا
- ٨ على أحد الوجهين بالرجم الذى هو أشد العذاب (أن تشهد أربع شهادات بالله إنه) أى الزوج (لمن الكاذبين) أى فيما رمانى به من الزنا (والخامسة) بالنصب عطفًا على أربع شهادات (أن غضب الله عليها إن كان) أى الزوج (من الصادقين) أى فيما رمانى به من الزنا وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ أن بالتخفيف فى الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ أن غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما أنها مادة الفجور ولأن النساء كثيرًا ما يستعملن اللعن فرما يجترئن على النفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روى أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله ﷺ على المنبر فقام عاصم بن عدى الأنصارى رضى الله عنه فقال جعلنى الله فداك إن وجد رجل مع امرأته رجلاً فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وإن ضربه بالسيف قتل وإن سكى سكى على غيط وإلى أن يحىء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويم فقال ما وراءك قال شر وجدت على امرأتى خولة وهى بنت عاصم شريك بن سحماه فقال والله هذا سؤالى ما أسرع ما تبليت به فرجعا فأخبر رسول الله ﷺ فكلّم خولة فأنكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان فى حكم التطليقة البائنة عند أبى حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا يتأبد حكمها حتى إذا كذب الرجل نفسه بعد ذلك لحد جازله أن يتزوجا وعند أبى يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعى رحمهم الله هى فرقة بغير طلاق
- ١٠ توجب تحريراً مؤبداً ليس لهما اجتماع بعد ذلك أبداً (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) التفات إلى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لنهويله والإشعار بضيق العبارة عن حصره كأنه قيل ولو لا تفضله تعالى عليكم ورحمته وأنه تعالى مبالغ فى قبول التوبة حكيم فى جميع أفعاله وأحكامه التى من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملة أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدق لانه أعرف بحال زوجته وأنه لا يفترى عليها الا شرا كهما فى الفضاحة وبعد ما شرع لهم ذلك لوجعل

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُم لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

٢٤ التور

شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتما دارنة لما توجه إليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلى الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو أنعم مما درأته عنه وأطمع في ذلك من أحكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى أما على الصادق فظاهر وأما على الكاذب فهو إهماله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبغي عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته (إن الذين جاءوا بالإفك) ١١ أي بأبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الإفك وهو القلب لأنه مأفوك عن وجهه وسنته والمراد به ما أفك به الصديقة أم المؤمنين رضى الله عنها وفي لفظ الجيـء إشارة إلى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهم خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضى الله عنها فأقرع بيننا في غزوة غزاها قبل غزوة بنى المصطلق فخرج سهمي فخرجت معي ﷺ بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى إذا قفلنا ودونا من المدينة نزلنا منزلاً ثم نودي بالرحيل فقممت وهديت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدرى فإذا عقدى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتصته فحبسنى ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى وهم يحسبون أنى فيه لحفتى فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدى بعد ما استمرت الجيش فحنت منازلهم وليس فيها داع ولا يحيب فتيمنت منزلى وظننت أنى سيفقدوننى ويعودون فى طلبى فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فتمت وكان صفوان بن المعطل السلى من وراء الجيش فلما رآنى عرفنى فاستيقظت باسترجاعه فخرمت وجهى بجلابى ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فقممت إليها فركبتها وانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين فى نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدنى الناس حين نزلوا وماج القوم فى ذكرى فبينما الناس كذلك إذ هجمت عليهم نخاض الناس فى حديثى فهلك من هلك وقوله تعالى (عصبة منكم) خبر إن أى جماعة وهى من العشرة إلى الأربعين وكذا العصاة وهم عبد الله بن أبى وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمزة بن جحش ومن ساعدكم وقوله تعالى (لا تحسبوه شراً لكم) استئناف خوطب به رسول الله ﷺ وأبو بكر وعائشة وصفوان رضى الله عنهم تسلياً لهم من أول الأمر والضمير الإلك (بل هو خير لكم) لا كدسا بكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بإزال ثمانى عشرة آية فى نزادة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيراً (لكل امرئ)

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ٢٤ النور

لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَافْوَكَ لَيْكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٤﴾ ٢٤ النور

منهم) أى من أولئك العصابة (ما كنتسب من الإثم) بقدر ما خاض فيه (والذى تولى كبره) أى معظمه وقرىء بضم الكاف وهى لغة فيه (منهم) من العصابة وهو ابن أبى فإنه بدأ به وأذاعه بين الناس عداوة لرسول الله ﷺ وقيل هو وحسان ومسطح فإنهما شايعا بالتصريح به فإفراد الموصول حينئذ باعتبار الفوج أو الفريق أو نحوهما (له عذاب عظيم) أى فى الآخرة أو فى الدنيا أيضاً فإنهم جلدوا وردت شهاداتهم وصار ابن أبى مطروداً مشهوداً عليه بالنفاق وحسان أعمى وأشل البدين ومسطح مكفوف البصر وفى التعبير عنه بالذى وتكرير الإسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطاب مالا يخفى (لولا إذ سمعتموه) تلوين للخطاب وحرف له عن رسول الله ﷺ وذويه إلى الخائضين ١٢ بطريق الالتفات لتشديد مافى لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه إلى الغيبة فى قوله تعالى (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) لئلا كيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الإعراض عنهم وحكاية جناياتهم اغيهم على وجه المثابة بل بالتوسل بذلك إلى وصفهم بما يوجب الإتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاماً وبزجرهم عن ضده زجراً بليغاً فإن كون وصف الإيمان بما يحملهم على إحسان الظن ويكفهم عن أسأته بأنفسهم أى بأبناء جنسهم النازلين منزلة أنفسهم كقوله تعالى ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وقوله تعالى ولا تلبسوا أنفسكم مما لا يب فيه فأخلاهم بموجب ذلك الوصف أقبح وأشنع والتوبيخ عليه أدخل مع مافيه من التوسل به إلى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم إن كان المراد بالإيمان الإيمان الحقيقى فأجابه لما ذكر وأضحى والتوبيخ خاص بالمؤمنين وإن كان مطلق الإيمان الشامل لما يظهره المنافقون أيضاً فأجابه له من حيث إنهم كانوا يحتززون عن إظهار ما ينافى مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه إلى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض بأول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تأخير الإتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد أن عدم الإتيان به رأساً فى غاية ما يكون من القباحة والشناعة أى كان الواجب أن يظن المؤمنون والمؤمنات أول ماسمعه من اختراعه بالذات أو بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيراً (وقالوا) فى ذلك الآن (هذا إفك مبين) أى ظاهر مكشوف كونه إفكاً فكيف بالصديقة ابنة الصديق أم المؤمنين حرمة رسول الله ﷺ (لولا جاءوا عليه ١٣ بأربعة شهداء) إمامن تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على إلزام المسمعين وتكذيبهم لئلا تكذيب ماسمعه منهم بقولهم هذا إفك مبين وتوبيخهم على تركه أى هلا جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ما قالوا (فإذ لم يأتوا) بهم وإنما قيل (بالشهداء) لزيادة التقرير (فأولئك) إشارة إلى الخائضين ومافيه من معنى البعد للإبذان بغلوهم فى الفساد وبعد منزلتهم فى الشر أى أولئك المفسدون (عند الله) أى فى حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة (هم الكاذبون) الكاملون فى الكذب المشهود

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

٢٤ النور

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

٢٤ النور

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ٢٤ النور

- عليهم بذلك المستحقون لإطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة وإما كلام مبتدأ مسوق من جهة تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولاً لا يساعده الدليل أصلاً (ولولا فضل الله عليكم) خطاب للسامعين والمسموعين جميعاً (ورحمته في الدنيا) من فنون النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة (والآخرة) من الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة (لمسكم) عاجلاً (فيما أفضتم فيه) بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك والإبهام لتحويل أمره والاستمجان بذكره يقال أفاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى (عذاب عظيم) يستحق دونه التوبيخ والجلد (إذ تلقونه) بحذف إحدى التاءين ظرف البس أي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم إياه من المخترعين (بالسنتكم) والتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلاً أن في الأول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والأخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذف والمهارة وقرئ تلتقونه على الأصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من إلقاء بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والإلق وهو الكذب وثقفونه من ثقفته إذا طلبته فوجدته وثقفونه أي تتبعونه (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أي تقولون قولاً مخفياً بالأفواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ في القلوب لأنه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه هيناً) سهلاً لا تبعه له أو ليس له كثير عقوبة (وهو عند الله) والحال أنه عنده عز وجل (عظيم) لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب (ولولا إذ سمعتموه) من المخترعين أو المشايخين لهم (قلتم) تكذيباً لهم وتهويلاً لما ارتكبوه (ما يكون لنا) ما يمكننا (أن نتكلم بهذا) وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لأنفي وجوده على وجه الصحة والاستقامة والإنبغاء وهذا إشارة إلى مسمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم ما مر من تخصيص التحضيض بأول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد أنه المحتمل للوقوع المقتدر إلى التحضيض على تركه وأما ترك القول نفسه رأساً فما لا يترهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي أن يحمل ما قيل إن المعنى إنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول مسمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم وأما ما قيل من أن ظروف الأشياء منزلة منزلة أنفسهم لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا

٢٤ النور

يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

٢٤ النور

وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

٢٤ النور

- يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما تستعمل فيما إذا وضع الظرف موضع المظروف بأن جعل مفعولا صريحا لفعل مذكورا في قوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء أو مقدر كعامة الظروف المنصوبة بإخبار اذكروا أما ههنا فلا حاجة إليها أصلا لما تحققت أن مناط التقديم توجهه التخصيص إليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل كما في قوله تعالى فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعوا نها (سبحانك) تعجب من تقوه به وأصله أن يذكر عند معاناة العجيب من صنائعه تعالى تنزيها له سبحانه عن أن يصعب عليه أمثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو تنزيه له تعالى عن أن تكون حرمة نبيه فاجرة فإن فجورها تنفير عنه ومغل بمقصود الزواج فيكون تقريراً لما قبله وتميذاً لقوله تعالى (هذا بهتان عظيم) لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه فإن حقارة الذنوب وعظمتها باعتبار متعلقاتها (يعظمكم الله) أي يصححكم (أن تعودوا لمثله) أي كراهة أن تعودوا أو يجرمكم من أن تعودوا أو في أن تعودوا من قولك وعظنته في كذا فتركه (أبداً) أي مدة حياتكم (إن كنتم مؤمنين) فإن الإيمان وازع عنه لاحالة وفيه تهبيج وتقريع (ويبين الله لكم الآيات) الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتنعظوا وتنادبوا بها أي ينزلها كذلك أي مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا أنه يبينها بعد أن لم تكن كذلك وهذا كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أي خلقهما صغيراً وكبيراً ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع أسفلها وإظهار الاسم الجليل في موقع الإخبار لتفخيم شأن البيان (والله عليم) بأحوال جميع مخلوقاته جلالاتها وقائتها (حكيم) في جميع تدابيرها وأفعاله فأنى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاها لرسالاته وبعثه إلى كافة الخلق ليرشدهم إلى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيراً وإظهار الاسم الجليل ههنا لتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي والإشعار بعلو الألوهية للعلم والحكمة (إن الذين يحبون) أي يريدون ويقصدون (أن تشيع الفاحشة) أي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي الزنا أو نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها أي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لإشاعتها وإنما لم يصرح بها ككتفاء بذكر المحبة فإنها مستتبعة له لاحالة (في الذين آمنوا) متعلق بتشيع أي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنون لأنهم العمدة فيهم أو بمضمهر وحوال من الفاحشة فالمراد بعبارة عن المؤمنين خاصة أي يحبون أن تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنون وفي شأنهم (لهم) بسبب ما ذكر (عذاب أليم في الدنيا) من الحذر وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حمانا ضربة بالسيف وكف بصره

٢٤ النور

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ
بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ
يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

٢٤ النور

(والآخرة) من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل (والله يعلم) جميع الأمور التي من جملتها
ما في الضمائر من المحبة المذكورة (وأنتم لا تعلمون) ما يعلمه تعالى بل إنما تعلمون مظهر لكم من الأقوال
والأفعال المحسوسة فابتلوا أموركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الأحوال الظاهرة
والله سبحانه هو المتولى للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور هذا إذا جعل العذاب الآليم
في الدنيا عبارة عن حد القذف أو منتظما له كما أطبق عليه الجمهور أما إذا بقي على إطلاقه يراد بالمحبة نفسها
من غير أن يقارنها التصدي للإشاعة وهو الأنسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها
تنبيها على أن عذاب من يباشر الإشاعة ويتولاها أشد وأعظم ويكون الاعتراض التذييل أعنى قوله تعالى
والله يعلم وأنتم لا تعلمون تقريراً لثبوت العذاب الآليم لهم وتعليلاً له (ولولا فضل الله عليكم ورحمته)
تكرير للمنة بترك المعالجة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريمة (وأن الله رءوف رحيم) عطف على فضل
الله وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والإشعار باستنباع صفة الألوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه
وتصديده بحرف التحقيق لما أن بيان انصافه تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة والرحيمية التي هي
المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا يبان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما أنه المراد بالمعطوف عليه
٢١ وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه (بأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تسلكوا
مسالكه في كل ما نأتون وما تذكرون من الأفاعيل التي من جملتها إشاعة الفاحشة وحبها وقرىء خطوات
بسكون الطاء وبفتحها أيضاً (ومن يتبع خطوات الشيطان) وضع الظاهران موضع ضميريهما حيث لم يقل
ومن يتبعهما أو ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير (فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر)
علة للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لأن دأبه المستمر أن يأمر بهما فن
اتبع خطواته فقد امتثل بأمره قطعاً والفحشاء ما أفرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضمير
إنه للشيطان وقيل للشأن على رأي من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية إلى اسم الشرط أو على أن
الأصل يأمره وقيل هو عائذ إلى من أي فإن ذلك المتبع يأمر الناس بهما لأن شأن الشيطان هو الإضلال
فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد إلى رتبة الإضلال والإفساد (ولولا فضل الله عليكم ورحمته)
بما من جلته هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحضة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها (ما زكا) أي
ما طهر من دنسها وقرىء ما زكى بالتشديد أي ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى (منكم) بيانية وفي قوله

وَلَا يَأْتِلْ أُولَؤُا أَتَفْضِلُ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ٢٤ النور
 إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ٢٤ النور

تعالى (من أحد) زائدة وأحد في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الأولى وفي محل النصب على المفعولية
 على القراءة الثانية (أبدأ) لا إلى نهاية (ولكن الله يزكى) يطهر (من يشاء) من عباده بإضافة آثار
 فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم (والله سميع) مبالغ في سماع الأقوال التي من
 جملتها ما أظهره من التوبة (عليم) بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الإخلاص
 في التوبة وإظهار الاسم الجليل للإيدان باستدعاء الألوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تأكيد استقلال
 الاعتراض التذليل (ولا يأتل) أي لا يحلف افتعال من الآلية وقيل لا يقصر من الأول والأول هو الأظهر ٢٢
 لزوله في شأن الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن
 خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يتأل (أولو الفضل منكم) في الدين وكفى به
 دليلاً على فضل الصديق رضى الله تعالى عنه (والسعة) في المال (أن يؤتوا) أي على أن لا يؤتوا وقرئ
 بناء الخطاب على الالتفات (أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) صفات لموصوف واحد
 جرى بها طريق العطف تنبيهاً على أن كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الإيتاء وقيل لموصوفات أقيمت
 هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية ظهوره أي على أن لا يؤتوه شيئاً (وليصفوا) ما فرط منهم
 (وليصفحوا) بالإغضاء عنه وقد قرئ الأمران بناء الخطاب على وفق قوله تعالى (ألا تحبون أن يغفر
 الله لكم) أي بمقابلة عفوك وصفحككم وإحسانكم إلى من أساء إليكم (والله غفور رحيم) مبالغ في
 المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذه وكثرة ذنوب الداعية إليها وفيه ترغيب عظيم في العفو
 ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل ألا تحبون أن يغفر الله لكم فهذا من موجباته روى أنه ﷺ قرأها
 على أبي بكر رضى الله عنه فقال بلى أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبداً
 (إن الذين يرمون المحصنات) أي العفاف بما رمين به من الفاحشة (الغافلات) عنها على الإطلاق بحيث ٢٣
 لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها أصلاً فقيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات أي
 السليكات الصدور التقيات القلوب عن كل سوء (المؤمنات) أي المنتصفت بالإيمان بكل ما يجب أن يؤمن
 به من الواجبات والمحظورات وغيرها إيماناً حقيقياً تفصيلاً كما ينبغي عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع أصالة
 وصف الإيمان فإنه للإيدان بأن المراد بها المعنى الوصفى المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لإطلاق
 الاسم في الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها عائشة الصديقة رضى الله عنها والجمع باعتبار

٢٤ النور

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾

٢٤ النور

يَوْمَ يُؤْمَضُ فِيهِمْ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

أن رمها رمى لسائر أمهات المؤمنين لاشتراك الكل في العصمة والزاهة والانتساب إلى رسول الله ﷺ كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظائره وقيل أمهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا أولياً وأما ما قيل من أن المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للتصافات بالصفات المذكورة من نساء الأمة فيأباه أن العقوبات المترتبة على رمى هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب في أن رمى غير أمهات المؤمنين ليس بكفر فيجب أن يكون المراد إياهن على أحد الوجهين فإنهن قد خصصن من بين سائر المؤمنات فجعل رميهن كفراً إرزاذاً لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحق الرسالة من أن يحوم حوله أحد بسوء حتى أن ابن عباس رضى الله عنهما جعله أغلظ من سائر أفراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة رضى الله عنها وهل هو منه رضى الله عنه إلا أنهويل أمر الإفك والتنبيه على أنه كفر غليظ (لعنوا) بما قالوه في حقهن (في الدنيا والآخرة) حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة أبداً (ولهم) مع ما ذكر من اللعن الأبدي (عذاب عظيم) هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى (يوم تشهد عليهم) الخ إما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جنائياتهم الموجبة له مع سائر جنائياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجوار والمجور المتقدم من معنى الاستقرار للعذاب وإن أغضينا عن وصفه لإخلاله بجزالة المعنى وإما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم وتهويل ما يحويه على أنه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحاً للإبذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة كأنه قيل يوم تشهد عليهم (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) يكون من الأحوال والأحوال مالا يحيط به حيلة المقال على أن الموصول المذكور عبارة عن جميع أعمالهم السيئة وجنائياتهم القبيحة لاعتبار جنائياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها أنه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جراحة منها بما صدر عنها من أفعال صاحبها لا أن كلامها يخبر بجنائياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها كافة لاعتبار إحداها خاصة فقيه من ضروب التهويل بالإجمال والتفصيل مالا مزيد عليه وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جنائياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على إخبار الكل بها فقط تحجيراً للواسع وتهوين لآمر الوازع والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للسارعة إلى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر كما مر مراراً وقوله تعالى (يومئذ يوفيه الله دينهم الحق) أي يوم إذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذي يحقق أن يثبت

الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

٢٤ النور

لهم لا محالة وإفياً كاملاً كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الإجمال ويجوز أن يكون يوم يشهد ظرقاً ليوافقهم ويومئذ بدلاً منه وقيل هو منصوب على أنه مفعول لفعل مضمر أى اذكر يوم تشهد بالتذكير للفصل (ويعلمون) عند معاينتهم الأهل والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم (أن الله هو الحق) الثابت الذى يحق أن يثبت لا محالة فى ذاته وصفاءه وأفعاله التى من جملتها كلفانه التامات المنبئة عن الشئون التى يشاهدونها منطبقه عليها (المبين) المظاهر للأشياء كما هى فى أنفسها أو الظاهر أنه هو الحق وتفسيره بظهور ألوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما أن تفسير الحق بذى الحق البين أى العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعمت ما فى الفرقان المجيد من آيات الوعيد الواردة فى حق كل كفار مرید وجبار عنيد لا تجد شيئاً منها فوق ما نيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك إلا لإظهار منزلة النبي ﷺ فى علو الشأن والنباهة وإبراز رتبة الصديقة رضى الله عنها فى العفة والزاهة وقوله تعالى (الخبيثات) الخ كلام مستأنف مسوق على قاعدة السنة الإلهية الجارية فيما بين الخلق على موجب أن ٢٦ لله تعالى ملكا يسوق الأهل إلى الأهل أى الخبيثات من النساء (للخبِيثِينَ) من الرجال أى مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم إلى غيرهم على أن اللام للاختصاص (والخبِيثُونَ) أيضاً (للخبِيثَاتِ) لأن المجامسة من دواعى الانضمام (والطيبات) منهن (للطيبين) منهم (والطيبون) أيضاً (للطيبات) منهن بحيث لا يكادون يجاوزوهن إلى من عداهن وحيث كان رسول الله ﷺ أطيّب الأطيبين وخيرة الأولين والآخرين تبين كون الصديقة رضى الله عنها من أطيّب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل فى حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى (أولئك مبرءون مما يقولون) على أن الإشارة إلى أهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاماً أولاً وقيل إلى رسول الله ﷺ والصديقة وصفوان وما فى اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليهم وبعد منزلتهم فى الفضل أى أولئك الموصوفون بعلو الشأن مبرءون مما نقوله أهل الإفك فى حقهم من الأكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبِيثِينَ من الرجال والنساء أى مختصة ولائقة بهم لا ينبغى أن تقال فى حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين أحفاء بأن يقال فى حقهم خبائث القول والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين مختصة وحقبة بهم وهم أحفاء بأن يقال فى شأنهم طيبات الكلام أولئك الطيبون مبرءون مما يقول الخبيثون فى حقهم فآله تنزيه الصديقة أيضاً وقيل خبيثات القول مختصة بالخبِيثِينَ من فريقى الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبِيثُونَ من الفريقين مخصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين أى مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مخصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها أولئك الطيبون مبرءون مما يقول الخبيثون من

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

٢٤ النور

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾

٢٤ النور

الحجائب أى لا يصدر عنهم مثل ذلك فآله تنزيه القائلين سبحانه هذا بهتان عظيم (لهم مغفرة) عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنوب (ورزق كريم) هو الجنة (بأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم) إثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمى العفاف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدى إلى أحدهما من مخالطة الرجال والنساء ودخولهم عليهم في أوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والأفاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغارة بيوتهم خارج مخرج العادة التى هى سكنى كل أحد في ملكه وإلا فالماجر والمعير أيضاً منهيان عن الدخول بغير إذن وقرىء بيوتاً غير بيوتكم بكسر الباء لأجل الياء (حتى تستأنسوا) أى تستأذنوا من يملك الإذن من أصحابها من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا أبصره فإن المستأنس مستعلم للحال مستكشف أنه هل يؤذن له أو من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش لما أن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن له استأنس (وتسلموا على أهلها) عند الاستئذان روى عن النبي ﷺ أن التسليم أن يقول السلام عليكم أَدْخَلَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَإِنْ أذِنَ لَهُ دَخَلَ وَإِلَّا رَجَعَ (ذَلِكَ) أى الاستئذان مع التسليم (خير لكم) من أن تدخلوا بغتة أو على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتاً غير بيته يقول حينئذ صباحاً حينئذ مساءً فيدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروى أن رجلاً قال للنبي ﷺ أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي قَالَ لَهُ نَعَمْ قَالَ لَيْسَ لَهَا خَادِمٌ غَيْرِي أَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا كَمَا دَخَلْتُ قَالَ ﷺ أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً قَالَ لَا قَالَ ﷺ فَاسْتَأْذِنْ (لعلكم تذكرون) متعلق بمضمر أى أمرتم به أو قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه (فإن لم تجدوا فيها أحداً) أى ممن يملك الإذن على أن من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقده أو أحداً أصلاً على أن مدلول النص الكريم عبارة هو النهى عن دخول البيوت الحالية ما فيه من الإطلاع على ما يعتاد الناس إخفاءه مع أن التصرف في ملك الغير محظور مطلقاً وأما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لأن الدخول حيث حرم مع ما ذكر من العلة فلأن يحرم عند انضمام ما هو أقوى منه إليه أعنى الإطلاع على العورات أولى (فلا تدخلوها) واصبروا (حتى يؤذن لكم) أى من جهة من يملك الإذن عند إتيانه ومن فسر به قوله حتى يأتي من يأذن لكم أو حتى تجدوا من يأذن لكم فقد أبرز القطعي في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهى مغنياً بالإذن عما يوم الرخصة في الانتظار على الأبواب مطلقاً بل في تكرير الاستئذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى (وإن قيل لكم آرجعوا فارجعوا) أى إن

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

٢٤ النور

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

٢٤ النور

أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع سواء كان الأمر من يملك الإذن أولاً فارجعوا ولا تلجوا بتكرير الاستئذان كما في الوجه الأول ولا تلجوا بالإصرار على الانتظار إلى أن يأتي الإذن كما في الثاني فإن ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة أى قدح (هو) أى الرجوع (أزكى لكم) أى أظهر مما لا يتخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الأبواب من دنس الدنائة والردالة (والله بما تعملون عليم) فيعلم ما تأتون وما تذكرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا) أى بغير استئذان (بيوتاً) ٢٩ غير مسكونة) أى غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر إليها كائناً من كان من غير أن يتخذها سكناً كالربط والخانات والخوانيت والحمامات ونحوها فإنها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبى عنه قوله تعالى (فيها متاع لكم) فإنه صفة للبيوت أو استئناس جار مجرى التعليل لعدم الجناح أى فيها حق تمتع لكم كالأستكنان من الحرو البرد وإيواء الأمتعة والرجال والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت ودخلها فلا بأس بدخولها بغير استئذان من داخلها من قبل ولا ممن يتولى أمرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات وأصحاب الخوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم ويروى أن أبا بكر رضى الله عنه قال يا رسول الله إن الله تعالى قد أنزل عليك آية في الاستئذان وإنما تختلف في تجارتنا فنزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن فزلت وقيل هى الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر أنها من جملة ما ينتظمه البيوت لأنها المرادة فقط وقوله تعالى (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد أو اطلاق على عورات (قل للمؤمنين) شروع في بيان ٣٠ أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجاً أولياً وتلويح الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله ﷺ وتفويض ما في حيزه من الأوامر والنواهي إلى رآيه ﷺ لأنها تكاليف متعلقة بأمور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بأن يكون الأمر بهار المتصدى لتدبيرها حافظاً ومهيئاً عليهم ومفعول الأمر أمر آخر قد حذف تعويلاً على دلالة جوابه عليه أى قل لهم غضوا (يغضوا من أبصارهم) عما يحرم ويقتصر وابه على ما يحل (ويحفظوا فروجهم) إلا على أزواجهم أو ماملكت أيامهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في أمر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر (ذلك) أى ما ذكر من الغض والحفظ (أزكى لهم) أى أظهر لهم من دنس الريبة (إن الله خبير بما يصنعون) لا يخفى عليه شئ مما يصدر عنهم من الأفاعيل التي من جملتها إجمالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَاتِ
النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

٢٤ النور

٣١ الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما يأتون وما يندرون (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه (ويحفظن فروجهن) بالتستر أو التصون عن الزنا وتقديم الغض لأن النظر ريد الزنا ورائد الفساد (ولا يبدين زينتهن) كالخلى وغيرها مما يزين به وفيه من المبالغة في النهي عن إبداء مواضعها ما لا يحل (إلا مظهر منها) عند مزاوله الأمور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فإن في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لأنها ليست بعورة (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) إرشاد إلى كيفية إخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهي عن إبدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدن خمرهن من خلفهن فتبدون نحو رهن وقلاندن من جيوبهن لوسعها فأمرن بإرسال خمرهن إلى جيوبهن سترًا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الإلقاء فعدى بعلى وقرىء بكسر الجيم كما تقدم (ولا يبدين زينتهن) كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعدما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور (إلا لبعولتهن) فإنهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الموضع المعبود (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن) لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الأعمام والأخوال لما أن الأحوط أن يتسترن عنهم حذارًا من أن يصفوهن لأبنائهم (أو نساءهن) المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فإن الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال (أو مملكت أيمانهن) أى من الإماء فإن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها وقيل من الإماء والعبيد لما روى أنه عليه السلام أنى فاطمة رضى الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها وإذا غطت رجلها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلماك (أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال) أى أولى الحاجة إلى النساء وهم الشيوخ الهمل والمسوحون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئًا من أمور النساء وقرىء غير بالنصب على الحالالية (أو الطفل الذين لم يظهروا على عوارت النساء)

وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ ﴿٣٢﴾

٢٤ النور

لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو اعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف (ولا يضر بن بارجلهن ليعلم ما يخفين) أى ما يخفيه من الرؤية (من زينتهن) أى ولا يضر بن بارجلهن الأرض ليتحقق خلخالهن فيعلم أنهن ذوات خلخال فإن ذلك مما يورث الرجال ميلا إليهن ويوم أن لهن ميلا إليهم وفي النهى عن إبداء صوت الحلى بعد النهى عن إبداء عينها من المبالغة في الزجر عن إبداء موضعها ما لا يخفى (وتوبوا إلى الله جميعاً) تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله ﷺ إلى الكل بطريق التغليب لإبراز كمال العناية بما في حيزه من أمر التوبة وأنها من معظمت المهمات الحقيقة بأن يكون سبحانه وتعالى هو الأمر بها لما أنه لا يكاد يخلو أحد من المكلفين عن نوع تفریط في إقامة مواجب النكاح كما ينبغي وناهيك بقوله ﷺ شيدتني سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما أمرت لا سيما إذا كان المأمور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فإنه وإن جب بالإسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى (أيها المؤمنون) تأكيد للإيجاب وإيدان بأن وصف الإيمان موجب للامثال حتما وقرىء أيه المؤمنون (لعلكم تفلحون) تفوزون بذلك بسعادة الدارين (وأنكحوا الأيما منكم) بعد ٣٢ ما زجر تعالى عن السفاح ومبادئه القريبة والبعيدة أمر بالنكاح فإنه مع كونه مقصوداً بالذات من حيث كونه منوطاً لبقاء النوع خير من جرة عن ذلك وأيما مقلوب أيام جمع أيم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكر أو ثيباً كما يفصح عنه قول من قال [فإن تنكحني أنكح وإن تنأيمني * وإن كنت أقرى منكم أنأيمني] أي زوجوا من لا زوج له من الأحرار والحرائر (والصالحين من عبادكم وإمائكم) على أن الخطاب الأولياء والسادات واعتبار الصلاح في الأرقاء لأن من لا صلاح له منهم معزل من أن يكون خليفاً بأن يعتنى مولاه بشأنه ويشق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعاً وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه أن يستبقيه عنده وأما عدم اعتبار الصلاح في الأحرار والحرائر فلأن الغالب فيهم الصلاح على أنهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بأنفسهم وأموالهم فإذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الأولياء لهم إذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلاتها غنيمة عائدة إليهم عاجلة أو آجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه (إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله) إزاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر أحد الجانبين أى لا يمنع فقر الخاطب أو المخاطوبة من المناكحة فإن في فضل الله عز وجل غنية عن المال فإنه غادورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب أو وعد منه سبحانه بالإغناء لقوله ﷺ اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء (والله واسع) غنى ذو سعة لا يرزوه إغناء الخلاق إذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته مع ذلك (عليم) يبسط

وَلَيْسَتْغْفِيرُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا
 مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا
 تُكْرَهُوا فَتَبَيَّنَّكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ ۚ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحْصُنَا لَنَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهْهُنَّ
 فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾

٢٤ النور

٣٣ الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة (وليستغفر) لإرشاد للعاجزين عن مبادئ النكاح
 وأسبابها إلى ما هو أولى لهم وأحرى بهم بعد بيان جواز منة الفقراء أى ليجتهدوا في العفة وقمع الشهوة (الذين
 لا يجدون نكاحاً) أى أسباب نكاح أو لا يتمكنون ما ينكح به من المال (حتى يغنيهم الله من فضله) عدة كريمة
 بالفضل عليهم بالغنى والطف لهم في استغفارهم وتقوية لقلوبهم وإيدان بأن فضله تعالى أولى بالأعفاء وأدنى
 من الصلحاء (والذين يبتغون الكتاب) بعد ما أمر بإنكاح صالحي المالك الأحقاء بالإنكاح أمر بكتابة من
 • ستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة أى الذين يطلبون المكاتبه (بما ملكت أيمانكم) عبداً كان أو أمة
 • وهى أن يقول المولى للمملوك كاتبتك على كذا درهماً تؤديه إلى وتعتق ويقول المملوك قبلته أو نحو ذلك فإن آداه
 إليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسى أن تعتق منى إذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تفي بذلك أو
 كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق عنده والتحقيق أن المكاتبه اسم للعقد الحاصل من مجموع
 كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالإيجاب والقبول ولا ريب فى أن ذلك لا يصدر حقيقة إلا من
 المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما فى الحقيقة إلا الإتيان بأحد شرطيه معرباً عما يتم من قبله ويصدر عنه
 من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به إلا أن كلا من
 ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه فى نفسه إلا منوطاً بتحقيق الآخر ضرورة أن التزام العتق
 بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله إلا بالتزام البدل من طرف العبد كما أن عقد البيع
 الذى هو تملك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه إلا بتماكه به من جانب المشتري لم يكن بد من
 تضمين أحدهما الآخر وقت الإنشاء فكما أن قول البائع بعث لإنشاء لعقد البيع على معنى أنه إيقاع لما يتم من
 قبله أصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمناً إيقاعاً متوقفاً على رأيه توقفاً شديداً بتوقف عقد الفضولى كذلك قول
 المولى كاتبتك على كذا لإنشاء لعقد الكتابة أى إيقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل أصالة ولما
 يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمناً إيقاعاً متوقفاً على قبوله فإذا قبل تم العقد ومحل الوصول الرفع على
 • الابتداء خبره (فكاتبوهم) والفاء لتضمنه معنى الشرط أو النصب على أنه مفعول لمضمر يفسره هذا
 • والأمر فيه للندب لأن الكتابة عقد يتضمن الإرفاق فلا تجب كغيرها ويجوز حالاً وموجلاً ومنجماً
 • وغير منجم وعند الشافعى رحمه الله لا يجوز إلا مؤجلاً منهما وقد فصل فى موضعه (إن علمتم فيهم خيراً)
 أى أمانة ورشداً وقدرة على أداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاًحاً لا يؤذى الناس بعد العتق
 • وإطلاق العنان (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) أمر للمولى ببذل شئ من أموالهم وفى حكمه حظ شئ.

من مال الكتابة وبكفي في ذلك أقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه خط الربيع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي للوجوب ويرده قوله عليه السلام المكاتب عبد مابق عليه درهم إذ لو وجب الخط لسقط عنه الباقي حتماً وأيضاً لو وجب الخط لكان وجوبه معلقاً بالعقد فيكون العقد موجباً ومسقطاً معاً وأيضاً فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الخطيئة كالبيع وقيل معنى آتوم أقرضوم وقيل هو أمر لهم بأن ينفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وإضافة المال إليه تعالى ووصفه بإيائه إياهم للاحث على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به كافي قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فإن ملاحظة وصول المال إليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من أقوى الدواعي إلى صرفه إلى الجهة المأمور بها وقيل هو أمر بإعطاء سهمهم من الصدقات فالأمر للوجوب حتماً والإضافة والوصف لتعيين المآخذ وقيل هو أمر نذب لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للولي وإن كان غنياً لتبديل العنوان حسبما ينطق به قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية (ولا تكرر هو فتياكم) *
 أي إمامكم فإن كلام من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبني قوله عليه السلام ليقبل أحدكم فتاى وفتاى ولا يقبل عبدى وأمتى ولهذا العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الأصل حسن موقع ومزبد مناسبة لقوله تعالى (على البغاء) وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لأنهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالباً دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى (إن أردن تحصناً) ليس لتخصيص النهى بصورة إرادتهن التعفف عن الزنا وإخراج ما عداها من حكمه كما إذا كان الإكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني أو لخصوص الزمان أو لخصوص المكان أو لغير ذلك من الأمور المصححة للإكراه في الجملة بل للحفاظ على عاداتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الأمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الأمور الداعية إلى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبايح فإن عبدالله بن أبي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب ففسكت اثنتان منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا عليه من القبايح مالا يخفى فإن من له أدنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمة من إمامه فضلاً عن أمرهن به أو إكراههن عليه لاسيما عند إرادتهن التعفف فتأمل ودع عنك ما قيل من أن ذلك لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وما قيل من أنه إن جعل شرطاً للنهى لا يلزم من عدمه جواز الإكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهى لا امتناع المنهى عنه فإنهما بمنزلة من التحقيق وإثبات كلفة إن على إذا مع تحقق الإرادة في مورد النص حتماً للإبذان بوجوب الانتهاء عن الإكراه عند كون إرادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف إذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بأن الإرادة المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية ياباه اعتبار تحققها بإباضها وقوله تعالى (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) قيد للإكراه *
 لكن لا باعتبار أنه مدار للنهى عنه بل باعتبار أنه المعناد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعاً لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لأجل النذر الحقيقى أى لا تفعلوا ما أنتم عليه من إكراههن على البغاء لطلب المنافع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل إذ

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤﴾ النور

- هو الصالح لكونه غاية للإكراه مترتباً عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه (ومن يكرهه من) الخ جملة مستأنفة سبقت لتقرير النهي وتأكيده وجوب العمل به ببيان خلاص المكروهات عن عقوبة المكروه عليه عبارة ورجوع غائلة الإكراه إلى المكروهين إشارة أى ومن يكرهه من على ما ذكر من البقاء (فإن الله من بعد إكراهه من غفور رحيم) أى لمن كما وقع فى مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهم وكما ينبى عنه قوله تعالى من بعد إكراهه من أى كونهن مكروهات على أن الإكراه مصدر من المبنى للمفعول فإن توسطه بين اسم إن وخبرها الإيذان بأن ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصرى رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول لمن والله لمن والله وفى تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكروهين أيضاً فى الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كأنه قيل لا للمكروه وظهور هذا التقدير اكتفى به عن العائد إلى اسم الشرط فتجوز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلاً لا أو معهن إخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لأمر النهي فى مقام التهويل وحاجتهن إلى المغفرة المنبئة عن سابقة الإثم إما باعتبار أنهن وإن كن مكروهات لا يخلون فى تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما يحكم الجبلية البشرية وإما باعتبار أن الإكراه قد يكون قاصراً عن حد الإلجاء المزيل للاختيار بالمرة وإما لغاية تهويل أمر الزنا وحث المكروهات على التثبت فى التجافى عنه والتشديد فى تحذير المكروهين ببيان أنهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا أن تداركنهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر فى حقهن فما حال من يكرهه من فى استحقاق العذاب (ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات) كلام مستأنف جرى به فى تضاعيف ماورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شئونها المستوجبة للإقبال الكلى على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذى تعرب عنه اللام لإبراز كمال العناية بشأنه أى وبالله لقد أنزلنا إليكم فى هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة إلى بيانه من الحدود وسائر الأحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادئ بيانها على أن إسناد النبیین إليها مجازى أو آيات واضحة تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على أن مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى عينين وقرى على صيغة المفعول أى التى بينت وأوضحت فى هذه السورة من معانى الأحكام والحدود وقد جوز أن يكون الأصل مبيناً فيها الأحكام فانسع فى الظرف بإجرائه مجرى المفعول (ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم) عطف على آيات أى وأنزلنا مثلاً كأننا من قبيل أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والأمثال المضروبة لهم فى الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الانبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضى الله عنها المحاكمية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم رضى الله عنها وسائر الأمثال الواردة فى السورة الكريمة انتظاماً واضحاً وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط ياباه تعقيب الكلام بما سيأتى من التمثيلات (وموعظة) تنعظون به وتنزجرون عما لا ينبغى من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهى عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى المذكور

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ ۚ كَمَشْكُورَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

٢٤ النور

ومدار العطف هو النفاير العنواى المنزل منزلة النفاير الذاتى وقد خصت الآيات بما يبين الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رافة فى دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة فى شأن الآداب وإنما قيل (للمتقين) مع شمول الموعظة لكل حسب شمول * الإنزال لقوله تعالى أنزلنا إليكم حشا لدخاطبين على الاعتناء بالانتظام فى سلك المتقين ببيان أنهم المغتصمون لأنوارها المقتبسون من أنوارها فحسب وقيل المراد بالآيات الميّنات والمثل والموعظة جميع ما فى القرآن المجيد من الآيات والأمثال والمواعظ فقوله تعالى (الله نور السموات والأرض) الخ حينئذ استئناف مسوق ٣٥ لتقرير ما فيها من البيان مع الإشعار بكونه فى غاية الكمال على الوجه الذى ستعرفه وأما على الأول فلتنحقيق أن بيانه تعالى ليس مقصوراً على ما ورد فى السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحق بيانه من الأحكام والشرائع ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها فى الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل فى البيان وأنه واقع منه تعالى على أتم الوجوه وأكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذى هو أقوى مراتب البيان وأجلاها وعبر عن المنور بنفس النور تذييها على قوة التنوير وشدة التأثير وإيداناً بأنه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر بإظهاره كما أن النور نير بذاته وما عاده مستنير به وأضيف النور إلى السموات والأرض للدلالة على كمال شيوخ البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق به من الأمور التى لها مدخل فى إرشاد الناس بواسطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الأجرام العلوية والسفلية فإنهما قطران للعالم الجسمانى الذى لا مظهر للنور الحسى سواه أو على شمول البيان لأحوالها وأحوال ما فيها من الموجودات إذ ما من موجود إلا وقد بين من أحواله ما يستحق البيان إما تفصيلاً وإجمالاً كيف لا ولا ريب فى بيان كونه دليل على وجود الصانع وصفاته وشاهد بوضحة البعث أو على تعلق البيان بأهلها كما قال ابن عباس رضى الله عنهما هادى أهل السموات والأرض فهم بنوره يهتدون وبهده من حيرة الضلالة ينجون هذا وأما حمل التنوير على إخراج الله تعالى للماهيات من العدم إلى الوجود إذ هو الأصل فى الإظهار كما أن الإعدام هو الأصل فى الإخفاء أو على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها من الأنوار أو بالملائكة عليهم السلام وتزيين الأرض بالأنبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين أو بالنبات والأشجار أو على تدبيره تعالى لأنوارهما وأمر ما فيها لا يلائم المقام ولا يساعده حسن النظام (مثل نوره) أى نوره الفاضل منه تعالى على * الأشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالإنزال والتبيين وقد صرح بكونه نوراً أيضاً فى قوله تعالى وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن وزيد

ابن أسلم رحمهم الله تعالى وجعله عبارة عن الحق وإن شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل ياباه مقام بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولأن المعتبر في مفهوم النور هو الظهور والإظهار كما هو شأن القرآن الكريم وأما الحق فالمعتبر في مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الإظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة أى صفة نوره العجيبة (كشكاة) أى كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الإنارة والتنوير (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة (المصباح في زجاجة) أى قنديل من الزجاج الصافي الأزهر وقرىء بفتح الزاى وكسرها في الموضعين (الزجاجة كأنها كوكب درى) متلألئ وقاد شبيه بالدرى صفائه وزهرته ودرارى الكواكب عظامها المشهورة وقرىء درى بدال مكسورة وراء مشددة وياه عمودة بعددها همزة على أنه فعيل من الدرى وهو الدفع أى مبالغ في دفع الظلام بضوئه أو في دفع بعض أجزاء ضيائه لبعض عند البريق واللبعان وقرىء بضم الدال والباقي على حاله وفي إعادة المصباح والزجاجة معرفين لثمر سبقهما منكرين والإخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بأن يقال كشكاة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب درى من تفخيم شأنهما ورفع مكانهما بالنفسير لثمر الإبهام والتفصيل بعد الإجمال وإثبات ما بعدهما لطريق الإخبار المنبئ عن القصد الأصلي دون الوصف المبني على الإشارة إلى الثبوت في الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الأولى الرفع على أنها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على أنها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط كأنه قيل فيها مصباح هو في زجاجة هي كأنها كوكب درى (يوقد من شجرة) أى يبتدأ بإيقاد المصباح من شجرة (مباركة) أى كثيرة المافع بأن رويت ذبالبته بزيتها وقيل إنما وصفت بالبركة لأنها تنبت في الأرض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين (زيتونة) بدل من شجرة وفي إبهامها ووصفها بالبركة ثم الإبدال منها تفخيم لشأنها وقرىء توقد بالذاء على أن الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرىء توقد على صيغة الماضي من التفعّل أى ابتداء ثقب المصباح منها وقرىء توقد بحذف إحدى التامين من توقد على إسناده إلى الزجاجة (لا شرقية ولا غربية) تقع الشمس عليها حيناً دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على قلة أو صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقناة وقال الفراء والزجاج لاشرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية وغربية أى تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضوأ وقيل لا ياتى في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فإن زيوتها أجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائماً فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها دائماً فتتركها نائياً وفي الحديث لا خير في شجرة ولا في نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى (يكاد زيتها يضىء ولولم تمسه نار) أى هو في الصفاء والإنارة بحيث يكاد يضىء بنفسه من غير مساس نار أصلاً وكلية لو في أمثال هذه المواقف ليست لبيان انتفاء شيء في الزمان الماضي لا انتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية إلا عند القصد إلى بيان الإعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفى على

كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له إجمالا بإدخالها على أبعدها منه إما لوجود المانع كما في قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإما لعدم الشرط كما في هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفاؤه مع ماعداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع أو عدم الشرط فلأن يتحقق بدون ذلك أولى ولذلك لا يذكر معه شيء آخر من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم إنها لاستقصاء الأحوال على سبيل الإجمال وهذا أمر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فإنك إذا قلت فلان جواد يعطى ولو كان فقيراً أو بخيل لا يعطى ولو كان غنياً تريد بيان تحقق الإعطاء في الأول وعدم تحققه في الثاني في جميع الأحوال المفروضة والتقدير يعطى لو لم يكن فقيراً أو لو كان فقيراً ولا يعطى لو لم يكن غنياً ولو كان غنياً فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حين النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب أو المنفي أى يعطى أولاً يعطى كائناً على جميع الأحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زينها يضئ لو مسته نار ولوم تمسسه نار أى يضئ كائناً على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الأولى حسبها هو المطرد في الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة (نور) خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (على نور) متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة والجملة فذلك للتنثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه أى ذلك النور الذى عبر به عن القرآن ومثلت صفته الدجبية الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك لا على أنه عبارة عن نور واحد معين أو غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بمحدد معين وتحديد مراتب تضاعف مامثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه أقصى مراتب تضاعفه عادة فإن المصباح إذا كان في مكان متضابق كالمشكاة كان أضواؤه وأجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه إلى أصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فإن الضوء ينبعث فيه وينتشر والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفائه وليس وراء هذه المراتب بما يزيد نوره إشرافاً ويمده باضائة مرتبة أخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل (يهدى الله لنوره) أى يهدى هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتماً لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن وإظهاره في مقام الإضمار لزيادة تقريره وتأكيده فخامته الذاتية بفخامته الإضافية الناشئة من إضافته إلى ضميره عز وجل (من يشاء) هدايته من عباده بأن يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيقته وكونه من عند الله تعالى من الإعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الإيمان به وفيه إيدان بأن ما ط هذه الهداية وملاكها ليس إلا مشيئته تعالى وأن تظاهر الأسباب بدورها بمعزل من الإفضاء إلى المطالب (ويضرب الله الأمثال للناس) في تضاعيف الهداية حسبما يقتضى حالهم فإن له دخلاً عظيماً في باب الإرشاد لأنه إبراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لا وابد المعاني بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار للإيدان

فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٢٤﴾ النور

باختلاف حال ما أسند إليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الأمثال الذي هو من قبيل الهداية العامة
 • كما يفسح عنه تعليق الأولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة (والله بكل شيء عليم) مفعولاً كان أو محسوساً
 ظاهر أكان أو باطناً ومن قضيته أن تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداها
 لمخالفته الحكمة التي عليها مبنى التكوين والنشريع وأن تكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق
 شتى حسبما تقتضيه أحوالهم والجملة اعترض تذييل مقرر لما قبله وإظهار الاسم الجليل لنا كيد استقلال
 ٢٦ الجملة والإشعار بعلّة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتاً وتعلقاً (في بيوت أذن الله أن
 ترفع ويذكر فيها اسمه) لما ذكر شأن القرآن الكريم في بيانه للشرائع والأحكام ومبادئها وغاياتها المترتبة
 عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من أحوال الآخرة وأحوالها وأشير إلى كونه في غاية ما يكون من
 التوضيح والإظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة وأشير إلى أن ذلك النور مع كونه في أقصى
 مراتب الظهور إنما يمتد بهداه من تعلقت مشيئته الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر
 الفريقين وتصوير بعض أعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد
 كلها حسبما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هي المساجد التي بناها نبي من أنبياء الله تعالى الكعبة
 التي بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد
 المدينة ومسجد قباء اللذان بناهما رسول الله ﷺ وتكبيرها للتفخيم والمراد بالإذن في رفعها الأمر ببنائها
 رفيعة لا كسائر البيوت وقيل هو الأمر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه
 من قبيل العطف التفسيري وأياً ما كان ففي التعبير عنه بالإذن تلويح بأن اللائق بحال المأمور أن يكون
 مترجماً إلى المأمور به قبل ورود الأمر به ناوياً لتحقيقه كأنه مستأذن في ذلك فيقع الأمر به موقع
 • الإذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع أذكاره تعالى وكلية في متعلقة بقوله تعالى (يسبح له) وقوله
 • تعالى (فيها) تكريهاً لنا كيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة والإيذان بأن التقديم للاهتمام لا لقصر
 التوسيع على الوقوع في البيوت فقط وأصل التوسيع التنزيه والتعديس يستعمل باللام وبدونها أيضاً كما في
 قوله تعالى سبّح اسم ربك الأعلى قالوا أريد به الصلوات المفروضة كما ينبي عنه تعيين الأوقات بقوله
 • تعالى (بالغـو والاصـال) أي بالغدوات والعشايا على أن الغدو إما جمع غداة كقفي في جمع قناة كما قيل أو
 مصدر أطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالاصال وهو جمع أصيل وهو العشي وهو شامل للأوقات
 ماعدا صلاة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز أن يراد به نفس التنزيه على أنه عبارة عما يقع منه في أثناء
 الصلوات وأوقاتها لزبادة شرفه وإنافته على سائر أفراده أو عما يقع في جميع الأوقات وأفراد طر في النهار
 بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها بكونهما مشهودين وكونهما أشهر ما يقع فيه المباشرة
 للأعمال والاشتغال بالاشتغال وقرئ والإيصال وهو الدخول في الإصيل وقوله تعالى :

رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا
تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾

٢٤ النور

لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

٢٤ النور

- (رجال) فاعل يسبح وتأخيره عن الظروف لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ولأن
في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرىء يسبح على البناء المفعول بإسناده إلى أحد الظروف
ورجال مرفوع بما ينبيء عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله [ليبك يزيد ضارع
لخصوصية] كأنه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرىء تسبح بتأنيث الفعل مبنياً للفاعل لأن جمع
التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنياً للمفعول على أن يسند إلى ضمير التسبيحة أى تسبح له التسبيحة على المجاز
المسرى لإسناده إلى الوقتين كما خرجوا قراءة أبي جعفر ليجزى قوماً أى ليجزى الجزاء قوماً بل هذا أولى من
ذلك إذ ليس هنا مفعول صريح (لا تلهيهم تجارة) صفة لرجال مؤكدة لما أفاده التكسير من الفخامة مفيدة لكمال
تبتليهم إلى الله تعالى واستغراقهم فيها حتى يحكى عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كأنها
ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها أقوى الصوارف عندهم وأشهرها أى لا يشغلهم نوع من أنواع
التجارة (ولا بيع) أى ولا فرد من أفراد البياعات وإن كان في غاية الربح وإفراده بالذكر مع اندراجه تحت
التجارة للإيذان بإنافته على سائر أنواعها لأن ربحه متيقن ناجز وربح ماعداه متوقع في ثانی الحال عند
البيع فلم يلزم من نفي إلهاء ماعداه نفي إلهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفي وتأكيده وقد نقل عن
الواقدي أن المراد بالتجارة هو الشراء لأنه أصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لأنه الغالب فيها ومنه يقال
تجر في كذا أى جلبه (عن ذكر الله) بالتسبيح والتحميد (وإقام الصلاة) أى إقامتها لمواقيتها من غير
تأخير وقد أسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالأللال وعوض عنها الإضافة كما في قوله [وأخلقوك
عد الأمر الذى وعدوا] أى عدة الأمر (وإيتاء الزكاة) أى المال الذى فرض لإخراجه للمستحقين
وإبراده ههنا وإن لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قريبة لا تفارق إقامة الصلاة في عامة المواضع مع ما فيه
من التنبيه على أن محاسن أعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله تعالى (يخافون) الخ
فإنه صفة ثانية لرجال أو حال من مفعول لا تلهيهم وأياً ما كان فليس خوفهم مقصوراً على كونهم في
المساجد وقوله تعالى (يوماً) مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى (تتقلب فيه القلوب والأبصار)
صفة ليوماً أى تضطرب وتتغير في أنفسها من الهول والفرع وتشخص كما في قوله تعالى وإذ زاغت
الأبصار وبلغت القلوب الحناجر أو تتغير أحوالها وتتقلب فتتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعاً عليها
وتبصر الأَبصار بعد أن كانت عمياء أو تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والأبصار من أى
ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم (ليجزىهم الله) متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكى من أعمالهم المرضية أى ٣٨

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ
اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾

٢٤ النور

يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وإيتاء الزكاة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك
* ليجزيهم الله تعالى (أحسن ما عملوا) أى أحسن جزاء أعمالهم حسبا وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشرة
* أمثالها إلى سبعمئة ضعف (ويزيدهم من فضله) أى يتفضل عليهم بأشياء لم توعدهم بخصوصياتها أو
بمقاديرها ولم تخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل إنما وعدت بطريق الإجمال فى مثل قوله تعالى للذين
أحسنوا الحسنى وزيادة وقوله يُتْلَى حكاية عنه عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا
* أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التى من جملتها قوله تعالى (والله
يرزق من يشاء بغير حساب) فإنه تذييل مقرر للزيادة وعد كريم بأنه تعالى يعطيهم غير أجزية أعمالهم
من الخيرات ما لا يقى به الحساب وأما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو لإجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه
ما فإياه نظمها فى سلك الغاية والموصول عبارة عن ذكرت صفاتهم الجميلة كأنه قيل والله يرزقهم بغير
حساب ووضع موضع ضميرهم للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى
لا أعمالهم المحكية كما أنها الماط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا لظاهر الأسباب والإيذان بأنهم عن
شاء الله تعالى أن يرزقهم كما أنهم ممن شاء الله تعالى أن يهديهم لنوره حسبا يعرب عنه ما فصل من أعمالهم
الحسنة فإن جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وخوف اليوم الآخر وأحواله
ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذى هو المعنى بالنور وبه يتم بيان أحوال من اهتدى بهداه
على أوضح وجه وأجلاله هذا وقد قيل قوله تعالى فى بيوت الخ من تنمة التمثيل وكلمة فى متعلقة بمحذوف
هى صفة لمشكاة أى كائنة فى بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيو قد والكل لا يليق بشأن
التنزيل الجليل كيف لا وأن ما بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق أو ما بعد قوله تعالى نور
على نور على ما قيل إلى قوله تعالى بكل شئ عليم كلام متعلق بالممثل قطعاً فتوسطه بين أجزاء التمثيل مع
كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالأجنبي يودى إلى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهديين
لنور القرآن الكريم بطريق الاستنباع والاستطراد مع كون بيان حال أضدادهم مقصوداً بالذات ومثل
٣٩ هذا مما لا عهد به فى كلام الناس فضلا أن يحمل عليه الكلام المعجز (والذين كفروا) عطف على ما ينساق
إليه ما قبله كأنه قيل الذين آمنوا أعمالهم حالا وما لا كما وصف والذين كفروا (أعمالهم) أى أعمالهم التى
هى من أبواب البر كصلة الأرحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت وإغاثة الملهوفين وقرى
الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الإيمان لاستتبع الثواب كما فى قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم
كر ما دالآية (كسراب) وهو ما يرى فى الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن أنه ماء
يسرب أى يجرى (بقية) متعلق بمحذوف هو صفة لسراب أى كائن فى قاع وهى الأرض المنبسطة

أَوْ كُظِّلُمْتُ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أُتْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكْدِرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ٢٤ النور

- المستوية وقيل هي جمع قاع بكيرة جمع جار وقرى. بقيعات بناء ممدودة كدييات إما على أنها جمع قبعة أو على أن الأصل قبعة قد أشبعت فتحة العين فتولد منها ألف (بحسبه الظمان ماء) صفة أخرى لسراب وتخصيص
- * الحسبان بالظمان مع شموله لكل من يراه كائناتاً من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الذي هو المطعم والمقطع الموثس (حتى إذا جاءه) أى إذا جاء العطشان
 - * ما حسبه ماء وقيل موضعه (لم يجده) أى ما حسبه ماء وعلق به رجاءه (شيئاً) أصلاً لا محققاً ولا متوهماً كما كان يراه من قبل فضلاً عن وجدانه ماء وبه تم بيان أحوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى (ووجد الله عنده فوقاه حسابه والله سريع الحساب) بيان لبقية أحوالهم المعارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم أن قصارى أمرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمان ويظهر أنه يعترفهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة أصلاً فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئاً بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عيناً ولا أثراً كما في قوله تعالى وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً كيف لا وأن الحكم بأن أعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً حكم بأنها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الآخرة حتى إذا جاءوها لم يجدوها شيئاً كأنه قيل حتى إذا جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئاً ووجدوا الله أى حكمه وقضاه عند المحيى وقيل عند العمل فوقاهم أى أعطاهم وأفياً كاملاً حسابهم أى حساب أعمالهم المذكورة وجزاءها فإن اعتقادهم لنفعها بغير إيمان وعملهم بموجبه كفر على كفره وجب للعقاب قطعاً وإفراد الضميرين الراجعين إلى الذين كفروا إما لإرادة الجنس كالظمان الواقع في التمثيل وإما للحمل على كل واحد منهم وكذا أفراد ما يرجع إلى أعمالهم هذا وقد قيل نزلات في عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الإسلام كفر (أو كظلمات) عطف على كسراب وكلمة أو للتنويع
 - * ٤٠ إثر ما مثلت أعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها أقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت أعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية يغتر بها المغترون بظلمات كائنة (في بحر لجى) أى عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل إلى اللجة وهي أيضاً معظمه (يغشاه) صفة أخرى للبحر أى يستره ويغطيه بالكلية (موج) وقوله تعالى (من فوقه موج) جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على أنها صفة لموج أو الصفة هي الجار والمجرور وموج الثانى فاعل له لا اعتناؤه على الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور أى يغشاه أمواج متراكمة متراكبة بعضها على بعض وقوله تعالى (من فوقه سحاب) صفة لموج الثانى على أحد الوجهين المذكورين أى من فوق ذلك الموج سحاب ظلماتى ستر أضواء النجوم وفيه إيماء إلى غاية تراكم الأمواج وتضاعفها حتى كأنها بلغت

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَهُ مَنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْأَطْيَرُ صَنَفَتْ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ
وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾

٢٤ النور

• السحاب (ظلمات) خبر مبتدأ محذوف أي هي ظلمات (بعضها فوق بعض) أي متكايفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما أن قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا أن ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الإبدال من الأولى وقرئ بإضافة السحاب إليها (إذا أخرج) أي من ابتلى بها وإضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة (يده) وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر إليها (لم يكدرها) وهي أقرب شيء منه فضلا عن أن يراها (ومن لم يجعل الله له نورا) الخ اعتراض تذييلي جرى به لتقرير ما أفاذه التمثيل من كون أعمال الكفرة كما فصل وتحقيق أن ذلك لعدم هدايته تعالى إياهم لنوره وإيراد الموصول للإشارة بما في حيز الصلة إلى علة الحكم وأنهم من لم يشأ الله تعالى هدايتهم أي ومن لم يشأ الله أن يهديه لنوره الذي هو القرآن هداية خاصة مستتعبة للاهتداء حتما ولم يوفقه للإيمان به (فما له من نور) أي فما له هداية ما من أحد أصلا وقوله تعالى (ألم تر) الخ استئناف خوطب به النبي ﷺ للإيدان بأنه تعالى قد أفاض عليه ﷺ أعلى مراتب النور وأجلاها وبين له من أسرار الملك والملكوت أدقها وأخفاها والهمزة للتقرير أي قد علمت علما يقينيا شيها بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح (أن الله يسبح له) أي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل مالا يليق بشأنه الجليل من نقص أو خلل (من في السموات والأرض) أي ما فيهما إما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنات ما كان أو بطريق الجزئية منهما تنزيها تفهمه العقول السليمة فإن كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان أو بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده وأحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل مالا يليق بشأنه الجليل وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو أقوى مراتب التنزيه وأظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال وكذلك بإيثار كلمة من على ما كان كل شيء مما عجز وهان وكل فرد من أفراد الأعراض والأعيان قائل ناطق وخبر صادق بعلو شأنه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال أيضا لما أن مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة في إخلالهم بالتنزيه بمجملهم الجادات شركاءه في الألوهية ونسبتهم إياه إلى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من أنواع المخلوقات بأن يراد به معنى مجازي شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه يرد أن بعضا من العقلاء وم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وإنما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشاركون فيها غير العقلاء أيضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعمير ببيان أنهم يسبحونه تعالى باعتبار أخس جهاتهم التي هي الجادية والجسمية والحيوانية ولا

- يسبحونه باعتبار أشرفها التي هي الإنسانية (والطير) بالرفع عطفاً على من وتخصيصها بالذكر مع اندارجها * في جملة ما في الأرض لعدم استقرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وإنشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح إنبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى (صافات) أي تسبيحه تعالى حال كونها صافات أجنحتها فإن إعطائه تعالى للأجرام الثقيلة ما تتمكن من الوقوف في الجو والحركة كيف تشاء من الأجنحة والأذاب الخفيفة وإرشادها إلى كيفية استعمالها بالقض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدىء المعبد وقوله تعالى (كل قد علم صلاته وتسبيحه) بيان لكامل عرافة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الأفعال فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلاروية وقد أدمج في تضاعيفه الإشارة إلى أن لكل واحد من الأشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية إليه تعالى واستفاضة منه لما يهيمه بلسان استعداده وتحقيقه أن كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لأن يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشأنه من الوجود وما يتبعه من الكالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فيوض الفنون المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلاة التي هي الدعاء والابتهال لتسكيل التمثيل وإفادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر لقدمها عليه في الرتبة هذا ويجوز أن يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الإدراك وبما تاب عنه التنوين في كل أنواع الطير وأفرادها وبالصلاة والتسبيح ما ألهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على أن يكون الطير معطوفاً على كلمة من مرفوعاً رافعاً فإنه يؤدي إلى أن يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمحل أريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما مر في قوله تعالى وكثير من الناس أي وتسبح الطير تسبيحاً خاصاً بها حال كونها صافات أجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه أي دعاءه وتسبيحه اللذين ألهمهما الله عز وجل إياه لبيان كمال رسوخه فيهما وأن صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بلاروية بل عن علم وإيقان من غير إخلال بشيء منهما حسبما ألهمه الله تعالى فإن إلهامه تعالى لكل نوع من أنواع المخلوقات علوماً دقيقة لا يكاد يهتدى إليه جهابذة العقلاء مما لا سبيل إلى إنكاره أصلاً كيف لا وأن القنفذ مع كونه أبعد الأشياء من الإدراك قالوا إنه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبها فيغير المدخل إلى جحره حتى روى أنه كان بقسطنطينية قبل الفتح الإسلامي رجل قد أثرى بسبب أنه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بإنذاره بتدارك أمور سفائنهم وغيرها وكان السبب في ذلك أنه كان يقنن في داره قنفذاً يستدل بأحواله على ما ذكر وتخصيص الطير بهذا المعنى بالذكر لما أن أصواتها أظهر وجوداً وأقرب حملاً على التسبيح وقوله تعالى (والله عليم بما يفعلون) أي ما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الأول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مستنداً

٢٤ النور

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ
يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾

٢٤ النور

إلى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثاني إما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معاً أو عن تسبيح
الطير فقط فالفعل على حقيقته وإسناده إلى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير
فقط وعلى الأولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل إن الضمير في قوله تعالى قد علم الله عز وجل وفي صلاته
وتسبيحه لكل أى قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما في السموات والأرض وتسبيحه فلا اعتراض
حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على أن تكون ماعبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلاته
وتسبيحه بل عن جميع أحواله العارضة له وأفعاله الصادرة عنه وهما داخلان فيها دخولا أولاً (ولله
ملك السموات والأرض) لا لغيره لأنه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في
جميعها إيجاداً وإعداماً بدءاً وإعادة وقوله تعالى (وإلى الله) أى إليه تعالى خاصة لا إلى غيره (المصير)
أى رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى في المعاد إثر بيان اختصاصه به تعالى في
المبدأ وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لثبوت المهابة والإشعار بعلّة الحكم (ألم تر أن الله يرجي سحاباً)
الإزجاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب في سوق شيء يسير أو غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه إيماء
إلى أن السحاب بالنسبة إلى قدرته تعالى مما لا يعتد به (ثم يؤلف بينه) أى بين أجزائه بضم بعضها إلى
بعض وقرىء يواف بغير همزة (ثم يجعله ركاماً) أى متراكماً بعضه فوق بعض (فترى الودق) أى المطر إثر
تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى (يخرج من خلاله) أى من فتوقه حال من الودق لأن الرؤية بصرية وفي
تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجاً لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا
اضرب بعصاك البحر فانقلب ومن الاعتناء بتقرير الرؤية مالا يخفى والخلال جمع خلل لجبال وجبل وقيل
مفرد كجباب وحجاز ويؤيده أنه قرىء من خلله (وينزل من السماء) من الغمام فإن كل ما علاك سماء (من
جبال) أى من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنه (فيها) وقوله تعالى (من برد) مفعول ينزل على أن من
تبعيضية والاوليان لا ابتداء للغاية على أن الثانية بدل اشتمال من الأولى بإعادة الجار أى ينزل مبتدئاً من السماء
من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال أى ينزل مبتدئاً من السماء من جبال فيها
من جنس البرد برداً والاول أظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والنصريح ببعضية المنزل وقيل المفعول من
جبال على أن من تبعيضية ومن برد بيان للجبال أى ينزل من السماء بعض جبال كائنه فيها من برد أى
مشبهة بالجبال في الكثرة وأياً ما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم

٢٤ النور

يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ

٢٤ النور

مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾

والتشويق إلى المؤخر وقيل المراد بالسما المظلة وفيها جبال من برد كما أن في الأرض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور أن الأبخرة إذا تصاعدت ولم تحلها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد اجتمع هناك وصار سحاباً وإن لم يشتد البرد تقاطر مطراً وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجاً وإلا نزل برداً وقد يبرد الهواء برداً مفرداً فينقبض وينتقد سحاباً وينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك مستند إلى إرادة الله تعالى ومشينته المبنية على الحكم والمصالح (فيصيب به) أي بما ينزله من البرد (من يشاء) أن يصيبه به فيناله ما يناله من ضرر في نفسه * وماله (ويصرفه عن يشاء) أن يصرفه عنه فينجو من غائلته (يكادسنا برقه) أي ضوء برق السحاب * الموصوف بما مر من الإزجاء والتأليف وغيرهما وإضافة البرق إليه قبل الإخبار بوجوده فيه للإبذان بظهور أمره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبإدغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء على أنه جمع رقة وهي مقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع لضمة الباء (يذهب بالأبصار) أي يخطفها من فرط الإضاءة وسرعة ورودها وفي إطلاق الأبصار مزيد تهويل لأمره وبيان لشدة تأثيره فيها كأنه يكاد يذهب بها ولو عند الإغماض وهذا من أقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث إنه توأيد للضد من الضد وقرئ يذهب من الإذهاب على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة ٤٤ بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الأمور التي من جملتها ما ذكر من إزجاء السحاب وماترتب عليه (إن في ذلك) إشارة إلى مافصل آنفاً وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار إليه للإبذان بعلو رتبته وبعد منزلته (لعبرة) أي لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكالقدرته وإحاطة علمه بجميع الأشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلي (لأولي الأبصار) لكل من له بصر (والله خلق كل دابة) أي كل حيوان يدب على الأرض وقرئ ٤٥ خالق كل دابة بالإضافة (من ماء) هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلاً للغالب منزلة الكل لأن من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق (فمنهم) من يمشي على بطنه) كالحية وتسمية حركاتها مشياً مع كونها زحفاً بطريق الاستعارة أو المشاكلة (ومنهم من يمشي على رجلين) كالإنس والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على أكثر من أربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الأنصاف بكلمة من ليوافق التفصيل الإجمال والترتيب لتقديم ما هو أعرف في القدرة (يخلق الله ما يشاء) مما ذكر ومالم يذكر بسيطاً كان أو مركباً على ما يشاء من الصور والأعضاء

لَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ٢٤ النور

وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٢٤ النور

وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ٢٤ النور

وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ ٢٤ النور

والهيئات والحركات والطبائع والقوى والأفاعيل مع اتحاد العنصر وإظهار الاسم الجليل في موضع الاختصار لتفخيم شأن الخلق المذكور والإيذان بأنه من أحكام الألوهية (إن الله على كل شيء قدير) فيفعل ما يشاء ٤٦ كما يشاء وإظهار الجلالة لما ذكر مع تأكيد استقلال الاستئناف التعليلي (لقد أرسلنا آيات مبينات) أي لكل ما يليق بيانه من الأحكام الدينية والأسرار النكوبية (والله يهدي من يشاء) أن يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وإرشاده إلى التأمل في مطاويها (إلى صراط مستقيم) موصل إلى حقيقة الحق والفوز بالجنة ٤٧ (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) شروع في بيان أحوال بعض من لم يشأ الله هدايته إلى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه إلى كعب بن الأشرف واليهودي يدعو إلى النبي ﷺ وقيل في المغيرة بن وائل خاصم علياً رضي الله عنه في أرض وماء فأبى أن يحاكم إلى الرسول ﷺ وأياً ما كان فصيغة الجمع للإيذان بأن للقاتل طائفة يساعدهونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلاناً والقاتل واحد منهم (وأطعنا) أي أطعناهما في الأمر والنهي (ثم يتولى) عن قبول حكمه (فريق منهم من بعد ذلك) أي من بعد ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الإيمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للإيذان بكونه أمراً معتداً به واجب المراجعة (وما أولئك) إشارة إلى القائلين لا إلى الفريق المتولى منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الإيمان عنهم نفيه عن الأولين بخلاف العكس فإن نفيه عن القائلين مقتضى لنفيه عنهم على أبلغ وجه وأكثره وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعده منزلتهم في الكفر والفساد أي وما أولئك الذين يدعون الإيمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقيدة والعمل (بالمؤمنين) أي المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام أي ليسوا بالمؤمنين المعمودين بالإخلاص ٤٨ في الإيمان والثبات عليه (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم) أي الرسول (بينهم) لأنه المباشر حقيقة للحكم وإن كان ذلك حكم الله حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه ﷺ والإيذان بجلالته محلّه عنده تعالى (إذا فريق منهم معرضون) أي فاجأ فريق منهم الإعراض عن المحاكمة إليه ﷺ لكون الحق عليهم وعليهم ٤٩ بأنه ﷺ يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه (وإن يكن لهم الحق) لا عليهم (يأتوا إليه مذعنين) منقادين لجزمهم بأنه ﷺ يحكم لهم وإلى صلة ليأتوا فإن الإتيان والحجى يعديان بالي أو لمذعنين

أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾

٢٤ النور

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾

٢٤ النور

٥٠. على تضمين معنى الإسراع والإقبال كما في قوله تعالى فأقبلوا إليه يزفون والتقديم للاختصاص (أفي قلوبهم مرض) إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور وبيان لمنشئته بعد استقصاء عدة من القبايح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشئة بينها فدار الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وأم من الأمور الثلاثة بل هو منشئتها له كأنه قيل أذلك أى إعراضهم المذكور لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم (أم) لأنهم (ارتابوا) في أمر نبوته ﷺ مع ظهور حقيقتها (أم) لأنهم (يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) ثم أضرب عن الكل وأبطلت منشئته وحكم بأن المنشأ شئ آخر من شأناتهم حيث قيل (بل أولئك هم الظالمون) أى ليس ذلك لشئ بما ذكر أما الأولان فلا نه لو كان لشئ منها لأعرضوا عنه ﷺ عند كون الحق لهم ولما أتوا إليه ﷺ مذنعين لحكمه لتحقيق نفاقهم وارتبابهم حينئذ أيضاً وأما الثالث فلا نتفائه رأساً حيث كانوا لا يخافون الخيف أصلاً لمعرفتهم بتفاصيل أحواله ﷺ في الأمانة والثبات على الحق بل لأنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة إليه ﷺ لعلمهم بأنه ﷺ يقضى عليهم بالحق فغناط النفي المستفاد من الإضراب في الأولين هو وصف منشئتهما للإعراض فقط مع تحققهما في نفسيهما وفي الثالث هو الأصل والوصف جميعاً هذا وقد خص الارتباب بماله منشأ مصحح لعروضه لهم في الجملة والمعنى أم ارتابوا بأن رأوا منه ﷺ تهمة فزال ثقتهم وبقينهم به ﷺ فدار النفي حينئذ نفس الارتباب ومنشئته معاً فتأمل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما يقتضيه النظر الجليل (إنما كان قول المؤمنين) بالنصب على أنه خبر كان وأن مع ما في حيزها اسمها ٥١ وقرئ بالرفع على العكس والأول أقوى صناعة لأن الأولى للاسمية ما هو أوغل في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بأن إذ لا سبيل إليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فإنه يحتمله كما إذا اعتزلت عنه الإضافة لكن قراءة الرفع أقعد بحسب المعنى وأوفى لمقتضى المقام لما أن مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالأحق بالخبرية ما هو أكثر إفادة وأظهر دلالة على الحدوث وأوفر اشتمالاً على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب في أن ذلك ههنا في أن مع ما في حيزها أتم وأكمل فإذا هو أحق بالخبرية وأما ما تفيد الإضافة من النسبة المطلقة الإجمالية حيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول غار جاوزها كان حقها أن تلاحظ ملاحظة مجملة تجعل عنواناً للوضع فالمعنى إنما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين (إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم) أى الرسول ﷺ (بينهم) أى وبين *

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِشْ إِلَهُهُ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ ٢٤ النور

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجْنَ قُلْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ٢٤ النور

- خصوصهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أى خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولاً آخر أصلاً وأما قراءة النصب فعنها إما كان قول المؤمنين أى إنما كان قولاً لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكى عنهم ففيه من جعل أخص النسبتين وأبعدهما وقوعاً وحضوراً فى الأذهان وأحقهما بالبيان مفروغاً عنها عنواناً للموضوع وإبراز ما هو بخلافها فى معرض القصد الأصيل ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسنداً إلى مصدره مجاوباً لقوله تعالى إذا دعوا أى ليفعل الحكم كما
- فى قوله تعالى لقد تقطع بينكم أى وقع التقطع بينكم (وأولئك) إشارة إلى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو مرتبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل أى أولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجليل (هم المفلحون) أى هم الفائزون بكل مطلب والناجون من كل محذور (ومن يطع الله ورسوله) استئناف جرى به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عدام فى الانتظام فى سلكهم أى ومن يطعم ما كائناً من كان فيما أمراه من الأحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل فى الفرائض والسنن والأول هو الأنسب بالمقام (ويحش الله ويتقه) بإسكان القاف المبني على تشبيهه بكشف وقرئ بكسر القاف والهاء وإسكان الهاء أى ويحش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل (فأولئك) الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والافتقار (هم الفائزون) بالنعيم المقيم لا من عدام (وأقسموا بالله) حكاية لبعض آخر من أكاذيبهم مؤكداً بالآيمان الفاجرة وقوله تعالى (جهد أيمانهم) نصب على أنه مصدر مؤكد لفعله الذى هو فى حيز النصب على أنه حال من فاعل أقسموا أى أقسموا به تعالى يجهدون أيمانهم جهداً ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وطاقاتها أى جاهدن بالغين أقصى مراتب اليمين فى الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لا أقسموا أى أقسموا أقسام اجتهاد فى اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد فى اليمين (لئن أمرتهم) أى بالخروج إلى الغز ولا عن ديارهم وأموالهم كما قيل لأنه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله ﷺ أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وإن أقت أقتنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى (ليخرجن) جواب لا أقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية قولهم وحيث كانت مقالنتهم هذه كاذبة ويمنهم فاجرة أمر ﷺ بردها حيث قيل (قل) أى رداً عليهم ووجراً لهم عن التفوه بها وإظهاراً لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها (لا تقسموا) أى على ما ينهى عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى (طاعة معروفة) خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهى أى لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لأن طاعتكم طاعة نفاقية راقعة باللسان فقط من غير مواطاة من القلب وإنما عبر عنها بمعروفة للإيذان بأن كونها كذلك

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾

٢٤ النور

- مشهور معروف لكل أحد وقرى بالنصب والمعنى ططيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدأ أو خبر أو فعل مثل الذى يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لانفاقية أو طاعة معروفة أمثل أو ليسكن طاعة معروفة أو أطيعوا طاعة معروفة بما لا يساعده المقام (إن الله خير بما تعلمون) • من الأعمال الظاهرة والباطنة التى من جملتها ما تظهر منه من الأكاذيب المؤكدة بالإيمان الفاجرة وما تضر منه فى قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بأن طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بأن مدار شهره أمرها فيما بين المؤمنين لإخباره تعالى بذلك ووعد لهم بأنه تعالى مجازيهم بجميع أعمالهم السيئة التى منها نفاقهم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) كرر ٥٤ الأمر بالقول لإبراز كمال العناية به والإشعار باختلافهما من حيث أن المقول فى الأول نهى بطريق الرد والتقريع كما فى قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وفى الثانى أمر بطريق التكليف والتشريع وإطلاق الطاعة المأمور بها عن وصف الصحة والإخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على أنها ليست من الطاعة فى شىء أصلا وقوله تعالى (فإن تولوا) خطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد • لنا كيد الأمر بها والمبالغة فى إيجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما أن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعانى وصرفه عن سننه المسلوكة يبنى عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما أشير إليه فى تفسير قوله تعالى ولو جئنا مثله مدداً لاسيما إذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة إلى الخطاب بالذات فإن فى خطابه تعالى إياهم بالذات بعد أمره تعالى إياهم بوساطته ﷺ وتصدية لبيان حكم الامتثال بالأمر والتولى عنه إجمالاً وتفصيلاً من إقادة ما ذكر من التأكيد والمبالغة مالا غاية وراءه وتوهم أنه داخل تحت القول بالمأمور بحكايته من جهته تعالى وأنه أبلغ فى التبكيث تعكيس للأمر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه ﷺ للمأمور به إياهم وعدم التصريح به للإيدان بغاية ظهور مسارعة ﷺ إلى تبليغ ما أمر به وعدم الحاجة إلى الذكر أى إن تولوا عن الطاعة إثر ما أمرتم بها (فإنما عليه) • أى فاعلموا أنما عليه ﷺ (ما حمل) أى أمر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (وعليكم ما أمركم) أى ما أمرتم به من الطاعة وأعمل التعبير عنه بالتحميل للإشعار بثقله وكونه مؤنة باقية فى عهدتهم بعد كونه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة (وإن طيعوه) أى فيما أمركم به من الطاعة (تهتدوا) إلى الحق الذى هو المقصد الأصل • الموصل إلى كل خير والمنجى من كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولى لما فى تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه عما هو من بابيه من الوعد الكريم وقوله تعالى (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) اعتراض • مقرر لما قبله من أن غائلة التولى وفائدة الإطاعة مقصورتان عليهم واللام إما للجنس المنتظم له ﷺ

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

٢٤ النور

انظاما أولياً أو للعهد أى ماعلى جنس الرسول كائناً من كان أو ماعليه ﷺ إلا التبليغ الموضح لسلك ما يحتاج إلى الإيضاح أو الواضح على أن المبين من أبان بمعنى بان وقد علمتم أنه قد فعله بما لا مزيد عليه وإنما بقى ما حلتم وقوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم) استئناف مقرر لما في قوله تعالى وإن تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما أجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدينية التي هي من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي ينط بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالإيمان بعد الكفر على الإطلاق من أى طائفة كان وفي أى وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب في منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية (وعملوا الصالحات) عطف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التي أمر بها ورتب عليها ما نظم في سلك الوعد الكريم كما أشير إليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لإظهار أصالة الإيمان وعراقته في استنباع الآثار والأحكام والإيذان بكونه أول ما يطلب منهم وأهم ما يجب عليهم وأما تأخيرها عنهما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا فلأن من هناك بيانية والضمير الذين معه ﷺ من خلص المؤمنين ولا ريب في أنهم جامعون بين الإيمان والأعمال الصالحة مثابرون عليهما فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعمتهم الجليلة بكاملها هذا ومن جعل الخطاب للنبي ﷺ ولأمة عموماً على أن من تبعيضية أوله ﷺ ولأن معه من المؤمنين خصوصاً على أنها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه بمنازل وأبعد عما يليق بشأنه ﷺ بمراحل (ليستخلفنهم في الأرض) جواب للقسم إما بالإضمار أو بتزليل وعده تعالى منزلة القسم لتحقيق إنجازة لا محالة أى ليجملهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في مالهم أو خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الإيمان والأعمال الصالحة (كما استخلف الذين من قبلهم) هم بنو إسرائيل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام بعد إهلاك فرعون والجبارة أوهم ومن قبلهم من الأمم المؤمنة التي أشير إليهم في قوله تعالى ألم يأتكم نبياً الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءهم رسالهم بالبينات إلى قوله تعالى فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ومحل الكاف النصب على أنه مصدر تشبيهى مؤكد للفعل بعد تأكيد كيدهم بالقسم وما مصدرية أى ليستخلفنهم استخلاقاً كائناً كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرىء كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل في الكاف حينئذ الفعل المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل مبنى هو للمفعول جار منه مجرى المطاوع فإن استخلافه تعالى لإياهم مستلزم لكونهم مستخلفين

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾

لا محالة كأنه قيل ليستخلفنهم في الأرض فيستخلفن فيها استخلاقاً أى مستخلفية كائنة كاستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه في قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى وأنبئنا نباتاً حسناً على أحد الوجهين أى فنبئت نباتاً حسناً وعليه قول من قال [وعصه دهرى ابن مروان لم تدع * من المال إلا مسحت أو مجلف] أى فلم يبق إلا مسحت الخ (وليمكن لهم دينهم) عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتأخير عنه مع كونه أجل الرغائب الموعودة وأعظمها المأان النفوس إلى الحظوظ العاجلة أميل فتصدير المواعيد بها في الاستمالة أدخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتاً مقررأ بحيث يستمرون على العمل بأحكامه ويرجعون إليه في كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذى هو جعل الشيء مكاناً لاخر يقال مكن له فى الأرض أى جعلها مقرأ له ومنه قوله تعالى إنا مكننا له فى الأرض ونظائر وكلمة فى للإبذان بأن ما جعل مقرأ له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة أحكامه وسلامته من التغيير والتبديل لا بثنائه على تشبيهه بالأرض فى الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف فى الأرض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة إلى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقهم اليه وترغيباً لهم فى قبوله عند وروده ولأن فى توسيطها بينه وبين وصفه أعنى قوله تعالى (الذى ارتضى لهم) وفى تأخيرها عنه من الإخلال بجزالة النظم الكريم مالا يخفى وفى إضافة الدين إليهم وهو دين الإسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه (وليبذلهم) بالتشديد وقرىء بالتخفيف من الإبدال (من بعد خوفهم) أى من الأعداء (أمنأ) * حيث كان أصحاب النبي ﷺ قبل الهجرة عشر سنين بل أكثر خائفين ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتى علينا يوم نأمن فيه فقال ﷺ لا تعبرون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم فى المأى العظيم محتبياً ليس معه حديدة فأنزل الله عز وجل هذه الآية وأنجز وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا إلى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للإخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه مالا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والأمن منه فى الآخرة (يعبدوننى) حال من الموصول الأول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضى للاستخفاف وما انتظم معه فى سلك الوعد (لا يشركون بى شيئاً) حال من الواو أى يعبدوننى غير مشركين بى فى العبادة شيئاً (ومن كفر) أى اتصف بالكفر بأن ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الزهيب والترغيب فإن الإصرار عليه بعدم مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائدة على الأصل وقيل كفر بعد الإيمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والأول هو الأنسب بالمقام (بعد ذلك) أى بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعى الجميل فى حيازتها (فأولئك) البعداء عن الحق التائبون فى تبه الغواية والضلال (م الفاسقون) الكاملون فى الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان (وأقيموا الصلاة وآتوا ٥٦

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ٢٤ النور

الزكاة) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فإن خطابه تعالى للمؤمنين بالطاعة على طريق التهيب من التولي بقوله تعالى فإن تولوا الخ وترغيبه تعالى إياهم في الطاعة بقوله تعالى وإن تطيعوه تهتدوا الخ ووعدته تعالى إياهم على الإيمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعدته على الكفر بما يوجب الأمر بالإيمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكانه قيل فآمنوا واعملوا صالحاً وأقيموا أو فلا تكفروا وأقيموا وعطفه على أطيعوا الله بما لا يليق بجزالة النظم الكريم (وأطيعوا الرسول) أمرهم الله سبحانه وتعالى بالذات بما أمرهم به بواسطة الرسول ﷺ من طاعته التي هي طاعته تعالى في الحقيقة تأكيداً للأمر السابق وتقريراً لمضمونه على أن المراد بالمطاع فيه جميع الأحكام الشرعية المنتظمة للأداب المرضية أيضاً أي وأطيعوه في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه أو تكملاً لما قبله من الأمرين الخاصين المتعلقةين بالصلاة والزكاة على أن المراد بما ذكر ماعداهما من الشرائع أي وأطيعوه في سائر ما يأمركم به الخ وقوله تعالى (لعلكم ترحمون) متعلق على الأول بالأمر الأخير المشتمل على جميع الأمر وعلى الثاني بالأمر الثلاثة أي افعلوا ما ذكر من الإقامة والإيتاء ٥٧ والإطاعة راجعين أن ترحموا (لا تحسبن الذين كفروا) لما بين حال من أطاعه ﷺ وأشير إلى فوزه بالرحمة المطلقة المستتعة لاسمادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه ﷺ ومآل أمره في الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه في الفسق تكملاً لأمر الترغيب والتهيب والخطاب إما لكل أحد ممن يصلح له كائناً من كان وإما للرسول ﷺ على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للإيدان بأن الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على أنه مفعول أول للحسبان وقوله تعالى (معجزين) ثانيهما وقوله تعالى (في الأرض) ظرف للمعجزين لكن لا لإفادة كون الإعجاز المنفي فيها لا في غيرها فإن ذلك مما لا يحتاج إلى البيان بل لإفادة شمول عدم الإعجاز بجميع أجزائها أي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن إدراكهم وإهلاكهم في قطر من أقطار الأرض بما رحبت وإن هربوا منها كل مهرب وقرى لا يحسبن بيا الغيبة على أن الفاعل كل أحد والمعنى كما ذكر أي لا يحسبن أحد الكافرين معجزين له سبحانه في الأرض أو هو الموصول والمفعول الأول محذوف لكونه عبارة عن أنفسهم كأنه قيل لا يحسبن الكافرون أنفسهم معجزين في الأرض وأما جعل معجزين مفعولاً أول وفي الأرض مفعولاً ثانياً فمعتزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة أن مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة في بيان كون المعجزين في الأرض وقد مر في قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة وقوله تعالى (وما واهم النار) معطوف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية لأن المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كأنه قيل ليس الذين كفروا معجزين وما واهم الخ أو على جملة مقدرة وقعت تعليلاً للنهي كأنه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض فإنهم مدركون وما واهم الخ وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون فتدبر (ولبئس المصير)

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَعِذَّ بِكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدُهَا أَنْ طَوَّفُوا عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

٢٤ النور

- جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف أى وبالله لبئس المصير هى أى النار والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفى إيراد النار بعنوان كونها مأوى ومصير ألهم لئلا نرى فوهم بالحرب فى الأرض كل مهرب من الجزالة مالا غاية وراه فته در شأن النزول (بأيها الذين آمنوا) رجوع إلى بيان تنمة الأحكام السابقة ٥٨ بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالأوامر والنواهي الواردة فيها وفى الأحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب إما للرجال خاصة وللنساء داخلات فى الحكم بدلالة النص أو للفريقين جميعاً بطريق التغليب روى أن غلاماً لأسماء بنت أبى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت وقيل أرسل رسول الله ﷺ مدج بن عمرو الأنصارى وكان غلاماً وقت الظهيرة ليدعو عمر رضى الله عنه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله عنه لوددت أن الله تعالى نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى رسول الله ﷺ فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) من العبيد والجواري (والذين لم يبلغوا الحلم) * أى الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعمود والتعبير عنه بالحلم لكونه أظهر دلائله (منكم) أى من الأحرار (ثلاث مرات) أى ثلاثة أوقات فى اليوم واللييلة والتعبير عنها بالمرات للإبذان بأن مدار وجوب الاستئذان مقارنة تلك الأوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين لأنفسها (من قبل صلاة الفجر) * لظهور أنه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب البقظة ومحله النصب على أنه بدل من ثلاث مرات أو الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى أحدها من قبل الخ (وحين تضعون ثيابكم) أى ثيابكم التى تلبسونها فى النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى (من الظهيرة) وهى شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والنصريح بمدار الأمر أعنى وضع الثياب فى هذا الحين دون الأول والآخر لما أن التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلّة زمانها كما ينهى عنها إيراد الحين مضافاً إلى فعل حادث متعقّب ووقوعها فى النهار الذى هو مئة لكثرة الورد والصدور ومظنة لظهور الأحوال وبروز الأمور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما فى الوقتين المذكورين فإن تحقق التجرد واطراده فيها أمر معروف لا يحتاج إلى التصريح به (ومن بعد صلاة العشاء) ضرورة أنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف بالتحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقاً هما المتحقق فى الوقت الممتد المتخلل بين الصلاتين كما فى قوله تعالى وإن كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين أخوتى بل ما يعرض منهما
- ٢٥ - أبى السعود ج ٦ ،

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾

٢٤ النور

- * لطف في ذلك الوقت الممتد المتصلين بالصلاتين المذكورتين اتصالاً عادياً وقوله تعالى (ثلاث عورات)
- * خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (لكم) متعلق بمحذوف هو صفة لثلاث عورات أى كائنة لكم والجملة
- استئناف مسوق لبيان علة وجوب الاستئذان أى هن ثلاثة أوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في
- الأصل هو الخلل غلب في الخلل الواقع فيما بهم حفظه ويعتفى بستره أطلقت على الأوقات المشتملة عليها
- * مبالغة كأنها نفس العورة وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا من ثلاث مرات (ليس عليكم ولا عليهم)
- أى على المماليك والصبيان (جناح) أى إثم في الدخول بغير استئذان لعدم ما يوجب من مخالفة الأمر
- * والاطلاع على العورات (بعدهن) أى بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وهى الأوقات المتخللة
- بين كل اثنتين منهن وإيرادها بعنوان البعدية مع أن كل وقت من تلك الأوقات قبل عورة من العورات
- فإنها بعد أخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذى هو عبارة عن رفعه إذا الرخصة إنما تتصور
- في فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد
- والعكس وقد جوز على القراءة الأولى كونها في محل الرفع على أنها صفة أخرى لثلاث عورات وأما
- على القراءة الثانية فهى مستأنفة لا غير إذ لو جعلت صفة لثلاث عورات وهى بدل من ثلاث مرات لكان
- التقدير ليستأنذنكم هؤلاء في ثلاث عورات لا إثم في ترك الاستئذان بعدهن وحيث كان انتفاء الإثم
- حينئذ لم يعلبه السامع إلا بهذا الكلام لم يتسن إبرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فإن انتفاء
- * الإثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى (طوافون عليكم) استئناف ببيان العذر المرخص في ترك
- الاستئذان وهى المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الأحكام وكذا في الفرق بين
- * الأوقات الثلاثة وبين غيرها بكونها عورات (بعضكم على بعض) أى بعضكم طائف على بعض طوافا
- * كثيرا أو بعضكم يطوف على بعض (كذلك) إشارة إلى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد لما
- مر مرارا من تفخيم شأن المشار إليه والإيدان ببعده منزله وكونه من الوضوح بمنزلة المشار إليه حسا أى
- * مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الأحكام أى ينزلها بينة واضحة الدلالات عليها لا أنه
- تعالى يبينها بعد أن لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة
- وسطا أولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والنشويق إلى
- * المؤخر وقيل بين علل الأحكام وليس بواضح مع أنه مؤد إلى تخصيص الآيات بما ذكره منا (والله عليم)
- * مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم أحوالكم (حكيم) في جميع أفعاله فيشرع لكم ما فيه صلاح أمركم
- ٥٩ معاشا ومعادا (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم) لما بين فيما مر أنفأ حكم الأطفال في أنه لا جناح عليهم في
- ترك الاستئذان فيما عدا الأوقات الثلاثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم أنهم وإن كانوا

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

٢٤ النور

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاحِهِمْ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّتُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَشِّرَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

٢٤ النور

- أجانب ليسوا كسائر الأجانب بسبب اعتيادهم الدخول أى إذا بلغ الأطفال الأحرار الأجانب (فليستأذنوا) إذا أرادوا الدخول عليكم وقوله تعالى (كما استأذن الذين من قبلهم) في حين النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قبل لما أن المقصود بالتشبيه بيان كيفية استئذان هؤلاء زيادة إيضاحه ولا يتسنى ذلك إلا بتشبيهه باستئذان المعهودين عند السامع ولا ريب في أن بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال أحد وإن كان الأمر كذلك في الواقع وإنما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكرهم أى فليستأذنوا استئذاناً كأننا مثل استئذان المذكورين قبلهم بأن يستأذنوا في جميع الأوقات ويرجعوا إن قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) الكلام فيه كالذى سبق والتكرير للتأكيد والمبالغة في الأمر بالاستئذان وإضافة الآيات إلى ضمير الجلالة لتشريفها (والقواعد من النساء) أى العجائز ٦٠ اللاتي قعدن عن الحيض والحمل (اللاتي لا يرجون نكاحاً) أى لا يطمعن فيه لكبرهن (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أى الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لأن اللام في القواعد بمعنى اللاتي أو الوصف بها (غير متبرجات بزينة) غير مظاهرات لزينة بما أمر بإخفائه في قوله تعالى ولا يبدن زينتهن وأصل التبرج التكلف في إظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطاً بسوادها كله إلا أنه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها الرجال (وأن يستعففن) بترك الوضع (خير لهن) من الوضع لبعده من التهمة (والله سميع) مبالغ في سمع جميع ما يسمع فيسمع ما يجرى بينهن وبين الرجال من المقالوة (عليم) فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب مالا يخفى (ليس على الأعشى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) كانت هؤلاء الطوائف يتخرجون من المؤاكلة الأصحاء حذاراً من استقذارهم إياهم وخوفاً من تاذيهم بأفعالهم وأوضاعهم فإن الأعشى ربما سيقته يده إلى ما سبقته إليه عين أكله وهو لا يشعر به والأعرج يتفلسخ في مجلسه فيأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جلسيه

والمرضى لا يخلو عن حالة تؤذى قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فإذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو إلى بعض من سماهم الله عز وجل في الآية الكريمة فكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا إلى بيت غيره ولعل أهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتخرجون من الأكل من أموال الذين كانوا إذا خرجوا إلى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا إليهم مفاتيحها وأذنوا لهم أن يأكلوا مما فيها مخافة أن لا يكون لإذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء أيضاً يتخرجون من الأكل في بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة (ولا على أنفسكم) * أى عليكم وعلى من يماثلكم فى الأحوال من المؤمنين حرج (أن تأكلوا) أى تأكلوا أنتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة أيضاً بأباه ما قبله وما بعده فإن الخطاب فيهما لغير أولئك الطوائف حتماً * (من بيوتكم) أى البيوت التى فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيتهم كبيتة لقوله ﷺ أنت ومالك لأبيك وقوله ﷺ إن أطيب مال الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم) وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الأولى وفتح الثانية (أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملكتكم مفاتيحه) من البيوت التى تملكون التصرف فيها بإذن أربابها على الوجه الذى مر بيانه وقيل هى بيوت المماليك والمفاتيح جمع مفتاح وجمع المفاتيح مفاتيح وقرئ مفتاحه (أو صديقكم) أى أو بيوت صديقكم وإن لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فإنهم أَرْضَى بالتبسط وأمر به من كثير من الأقرباء روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الصديق أكبر من الوالدین إن الجمنمين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالأباء والأمهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين وأضرابهما وهذا فيما إذا علم رضا صاحب البيت بصريح الإذن أو بقرينة دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لا اعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كفى لبيت ابن عمرو من كثرة يتخرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمسك يومه حتى يجد ضيفاً يأكل معه فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح إلى الرواح وربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشار به فإذا أمسى ولم يجد أحداً أكل وقيل كان الغنى منهم يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصدقته فيدعوه إلى طعامه فيقول إني أخرج أن أكل معك وأنا غنى وأنت فقير وقيل كان قوم من الأنصار لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاءوا وقيل كانوا إذا اجتمعوا لياكلوا اطعموا معزولاً للأعمى وأشباهه طعاماً على عده فبين الله تعالى أن ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعاً حال من فاعل تأكلوا وأشتاتاً عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على أنه صفة كالحق يقال أمر شت أى متفرق أو على أنه فى الأصل مصدر وصف به مبالغة أى ليس عليكم جناح أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين (فإذا دخلتم) شروع فى بيان الآداب التى تجب رعایتها عند مباشرة ما رخص فيه إثر بيان الرخصة فيه (بيوتاً) أى من البيوت

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ
 إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِّنْ
 لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾

٢٤ النور

- المذكورة (فسلوا على أنفسكم) أى على أهل الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك (تحية من عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن يكون صلة للتحية فإنها طلب الحياة التى هى من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لأنها بمعنى التسليم (مباركة) مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما (طيبة) تطيب بها نفس المستمع وعن أنس رضى الله عنه أنه ﷺ قال متى لقيت أحداً من أمتى فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الوابين (كذلك يبين الله لكم الآيات) تذكير لنا كيد الأحكام المختمة به وتفخيمها (لعلكم تعلقون) أى ما فى تضاعيفها من الشرائع والأحكام وتعملون بموجبها وتحوزون بذلك سعادة الدارين وفى تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الأولين بما يوجههما من الجزالة ما لا يخفى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) استئناف جىء به فى أواخر الأحكام السابقة تقريراً لها وتأكيذاً لوجوب مراعاتها وتسكيلاً لها ببيان بعض آخر من جنسها وإنما ذكر الإيمان بالله ورسوله فى حيز الصلة للوصول الواقع خبراً للابتداء مع تضمينه له قطعاً تقريراً لما قبله وتمهيداً لما بعده وإذناً بأنه حقيق بأن يجعل قريناً للإيمان بهما منتظماً فى سلكه فقله تعالى (وإذا كانوا معه على أمر جامع) الخ معطوف على آمنوا داخل معه فى حيز الصلة أى إنما الكاملون فى الإيمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوهما فى جميع الأحكام التى من جملتها ما فصل من قبل من الأحكام المتعلقة بعامة أحوالهم المطردة فى الوقوع وأحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما إذا كانوا معه ﷺ على أمر مهم يجب اجتماعهم فى شأنه كالجمعة والأعياد والحروب وغيرها من الأمور الداعية إلى اجتماع أولى الآراء والتجارب ووصف الأمر بالجمع للبالغة وقرئ أمر جميع (لم يذهبوا) أى من المجمع مع كون ذلك الأمر مما لا يوجب حضورهم لأحالة كما عند إقامة الجمعة وإقامة العدو بل يسوغ التخلف عنه (حتى يستأذنه) ﷺ فى الذهاب لا على أن نفس الاستئذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هى الإذن المنوط برأيه ﷺ والاقتصار على ذكره لأنه الذى يتم من قبلهم وهو المعتبر فى كمال الإيمان لا الإذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره فى ذلك لما أنه كالمصدق لصحته والمميز للخلص فيه عن المناق فإن ديدنه التسليم للفرار ولتعظيم ما فى الذهاب بغير إذنه ﷺ من الجنابة والتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) ففضى بأن المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم فى الأول بأن الكاملين فى الإيمان هم الجامعون بين الإيمان بهما وبين الاستئذان وفى أولئك من تفخيم شأن المستأذنين ما لا يخفى (فإذا استأذنتك) بيان لما هو وظيفته ﷺ فى هذا الباب إثر بيان ما هو وظيفته المؤمنين وأن الإذن عند الاستئذان

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ
الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٣﴾

٢٤ النور

- ليس بأمر محتوم بل هو مفوض إلى رآيه ﷺ والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى بعد ما تحقق أن
- الكاملين في الإيمان هم المستأذنون فإذا استأذنوك (لبعض شأنهم) أى لبعض أمرهم المهم وخطيبهم الملم
- (فأذن لمن شئت منهم) لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة (واستغفر لهم الله) فإن الاستئذان وإن
- كان لعذر قوى لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة (إن الله غفور) مبالغ في مغفرة
- فرطها العباد (رحيم) مبالغ في إفاضة آثار الرحمة عليهم والجملة لتلليل للمغفرة الموعودة في ضمن الأمر
- ٦٣ بالاستغفار لهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) استئناف مقرر لمضمون ما قبله والاتفات لإبراز مزيد
- الاعتناء بشأنه أى لا تجعلوا دعوته ﷺ إياكم في الاعتقاد والعمل بها (كدعاء بعضكم بعضاً) أى
- لا تقبسوا دعاءه ﷺ إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في حال من الأحوال وأمر من الأمور التي من
- جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه ﷺ بغير استئذان فإن ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه
- ﷺ ربه كدعاء صغيركم كبيركم بحبيبه مرة ويرده أخرى فإن دعاءه مستجاب لامرء له عند الله عز وجل
- وتقرير الجملة حينئذ لما قبلها إما من حيث إن استجابته تعالى لدعائه ﷺ مما يوجب امتثالهم بأوامره ﷺ
- ومتابعهم له في الورد والصدور أكمل لإيجاب وإما من حيث إنها موجهة للاحتراز عن التعرض لسخطه
- ﷺ المؤدى إلى ما يوجب هلاكهم من دعائه ﷺ عليهم وأما ما قيل من أن المعنى لا تجعلوا نداءه ﷺ
- كنداء بعضكم بعضاً باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بقلبه المعظم مثل يارسول الله
- يا نبى الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فإن قوله تعالى (قد يعلم
- الله الذين يتسللون منكم) الخ وعيد لمخالفي أمره ﷺ فيما ذكر من قبل فتوسط ما ذكر بينهما بما لا وجه له
- والتسلل الخروج من البين على التدرج والخفية وقد لا تحقيق كما أن رب تجمي للتكثير حسبما بين في مطلع
- سورة الحجر أى يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلاً قليلاً على خفية (لوإذا) أى ملاوذة بأن يستتر
- بعضهم ببعض حتى يخرج أو بأن يلوذ بهم يخرج بالإذن إرادة أنه من أتباعه وقرىء بفتح اللام وانتصابه
- على الحالية من ضمير يتسللون أى ملاوذين أو على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمّر هو الحال في الحقيقة أى
- يلوذون لوإذا والفاء في قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) لترتيب الحذر أو الأمر به على
- ما قبلها من عليه تعالى بأحوالهم فإنه مما يوجب الحذر البتة أى يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون
- سمتاً خلاف سمتة وعن إما لتضمنه معنى الإعراض أو حمله على معنى يصدون عن أمره دون المؤمنين من
- خالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما أن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير
- له تعالى لأنه الأمر حقيقة أو للرسول ﷺ لأنه المقصود بالذكر (أن تصيبهم فتنة) أى محنة في
- الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أى في الآخرة وكلية أو لمنع الخلو دون الجمع وإعادة الفعل صريحاً

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْذِرُهُمْ بِمَا
عَمَلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

٢٤ النور

- للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على أن الأمر بالإيجاب فإن ترتب العذاب على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن إصابتها بوجوب وجوب الامتنال به حتماً (ألا إن لله ما في السموات والأرض) من ٦٤ الموجودات بأسرها خلقاً وملكاً وتصرفاً لإيجاداً وإعداداً بدءاً وإعادة (قد يعلم ما أنتم عليه) أيها المكلفون من الأحوال والأوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والإخلاص والنفاق (ويوم يرجعون إليه) *
- عطف على ما أنتم عليه أي يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للأمر إليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق عليه تعالى بيوم رجوعهم لا يرجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما أن العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على أبلغ وجه وآكده وفيه إشعار بأن علمه تعالى لنفس رجوعهم من الظهور بحيث لا يحتاج إلى البيان قطعاً ويجوز أن يكون الخطاب أيضاً خاصاً بالمنافقين على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون مبنياً للفاعل (فيذنبهم بما عملوا) من الأعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الأمر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مروجع التعبير عن الجزاء بالتنبيه في قوله تعالى إنما بغضكم على أنفسكم الآية (والله بكل شيء عليم) لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . عن النبي ﷺ من قرأ سورة النور أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيها مضى وفيها بقي والله سبحانه وتعالى أعلم .

٢٥ — سورة الفرقان
(مكية وهي سبع وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٥ الفرقان

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ

٢٥ الفرقان

شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

(سورة الفرقان مكية إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنية وآياتها ٧٧)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (تبارك الذي نزل الفرقان) البركة النماء والزيادة حسية كانت أو معنوية وكثرة الخير ودوامه أيضاً ونسبتها إلى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فإن ما لا يتصور نسبته إليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب إليه تعالى إلا باعتبار غايتها وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لاسيما على الإنسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدنيوية والدنيوية والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لإفادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئاً فشيئاً وأنا فأتانا بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولا استقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحقيقها بالفعل والإشعار بالتعجب المناسب للإنشاء والإنشاء عن نهاية التعظيم لم يحز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشينين أى فصل بينهما سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل بأحكامه أو بين الحق والمبطل بإعجازه أو لكونه مفصلاً بعضه من بعض في نفسه أو في إنزاله (على عبده) محمد ﷺ وإيراده ﷺ بذلك العنوان لتشريفه والإيذان بكونه ﷺ في أقصى مراتب العبودية والتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبداً للرسول رداً على النصارى (ليكون) غاية للتنزيل أى نزله عليه ليكون هو ﷺ أو الفرقان (للعالمين) من الثقلين (نذيراً) أى منذراً أو إنذاراً مبالغة أو ليكون تنزيهه إنذاراً أو عدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على أحوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وإبراز تنزيل الفرقان في معرض الصلة التي حقها أن تكون معلومة الثبوت للوصول عند السامع مع إنكار الكفرة له لإجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيهاً على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله أحد كقوله تعالى لا ريب فيه (الذي له ملك السموات والأرض) أى له خاصة دون غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٢٥﴾

٢٥ الفرقان

السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة النامة والتصرف الكلى فيهما وفيما فيهما الإيجاد وإعدام وإحياء وإماتة وأمرأ ونهيأ حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومجمله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها أو على أنه نعت البوصول الأول أو بيان له أو بدل منه وما يذمهما ليس بأجنبي لأنه من تمام صلاته ومعلومية مضمونه للكفرة بما لا ريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظاره أو مدح له تعالى بالرفع أو بالنصر (ولم يتخذ ولداً) كما يزعم الذين يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظمه في سلك الصلة الإبدان بأن مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يحمله جاهل لا سيما بعد تقرير ما قبله (ولم يكن له شريك في الملك) أى ملك السموات والأرض وهو أيضاً عطف على الصلة وإفراده بالذكر مع أن ما ذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعاً للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والدرء في نحورهم وتوسيط نفى اتخاذ الولد بينهما للأنبياء على استقلاله وأصانته والاحتراز عن توهم كونه تنمة الأول (وخلق كل شيء) أى أحدث كل موجود من الموجودات إحداثاً جاريّاً على سنن التقدير حسبما اقتضته إرادته المبنية على الحكم البالغة بأن خلق كلامها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الآثار والأحكام (فقدرة) أى هياها لما أراد به من الخصائص والأفعال اللاتقة به (تقديراً) بديعاً لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهبته الإنسان للفهم والإدراك والنظر والتدبر في أمور المعاش والمعاد واستنباط الصانع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة وهكذا أحوال سائر الأنواع وقبل أريد بالخلق مطلق الإيجاد والإحداث مجازاً من غير ملاحظة معنى التقدير وإن لم يخجل عنه في نفس الأمر فالمعنى أوجد كل شيء فقدرة في ذلك الإيجاد تقديراً وأما ما قيل من أنه سمي إحداثه تعالى خلقاً لأنه تعالى لا يحدث شيئاً إلا على وجه التقدير من غير تفاوت فقيه أن ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الإحداث لتجريده عن معنى التقدير فاعتباره فيه بوجه من الوجوه مغل بالمرام قطعاً وقبل المراد بالتقدير الثانى هو التقدير للبقاء إلى الأجل المسمى وأياً ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها في سلك الصلة فإن خلقه تعالى لجميع الأشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضى استقلاله تعالى باتصافه بصفات الألوهية يقتضى انتظام كل ماسواه كائناً ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شيء من ذلك قطعاً وما كان كذلك كيف يتوهم كونه، لذا له سبحانه أوشريكاً في ملكه (واتخذوا من دونه آلهة) بعدما بين حقيقة الحق في مطلع السورة الكريمة بذكر ٣ تنزيهه تعالى للفرقان العظيم على رسوله ﷺ ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية أباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل والمزول عليه على الترتيب وإظهار بطلانها

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا
وَزُورًا ﴿٢٥﴾

٢٥ الفرقان

والإضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم أى اتخذوا لأنفسهم متجاوزين
الله تعالى الذى ذكر بعض شئونه الجليلة من اختصاص ملك السموات والأرض به تعالى وانتفاء الولد
والشريك عنه وخلق جميع الأشياء وتقديرها أبداع تقدير آلهة (لا يخلقون شيئاً) أى لا يقدرُونَ على
خلق شئ من الأشياء أصلاً (وهم يخلقون) كساتر المخلوقات وقيل لا يقدرُونَ على أن يخلقوا شيئاً وهم
يخلقون حيث تختلفهم عبادتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى (ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً)
لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فإن بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك
دفع الضرر وجلب النفع فى الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرُونَ على التصرف فى ضرر ما ليدفعوه عن أنفسهم
ولا فى نفع ما حتى يجلبوه إليهم فكيف يملكون شيئاً منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضرر لأن دفعه مع كونه
أهم فى نفسه أول مراتب النفع وأقدمها والتخصيص على قوله تعالى (ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا
نشوراً) أى لا يقدرُونَ على التصرف فى شئ منها بإماتة الأحياء وإحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم
عما هو أهم من هذه الأمور من دفع الضرر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على
التفصيل والتنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادراً على جميع ذلك وفيه إيذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم
كانهم غير عارفين بانتفاء مانع عن آلهتهم من الأمور المذكورة مفتقرون إلى التصريح بذلك (وقال الذين
كفروا إن هذا إلا إفك) شروع فى حكاية أباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معاً وإبطالها والموصول
إمعايرة عن غلاتهم فى الكفر والطغيان وهم النضر بن الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد ومن
ضامهم وروى عن الكلبي ومقاتل أن القائل هو مضر بن الحرث والجمع لمشايعة الباقيين له فى ذلك وأما عن
كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لزمهم بما فى حيز الصلة والإيذان بأن ما تفوهوا به كفر عظيم وفى
كلمة هذا حطرتبة المشار إليه أى ما هذا إلا كذب مصروف عن وجهه (افتراه) يريدون أنه اختلقه
رسول الله ﷺ (وأعانه عليه) أى على اختلاقه (قوم آخرون) يعنون اليهود بأن يلقوا إليه أخبار الأمم
الدارجة وهو يعبر عنها بعبارة وقيل هما جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل
وقيل هو عابس وقدمر تفصيله فى سورة النحل (فقد جاءوا ظلماً) منصوب بجاءوا فإن جاءوا أى يستعملان
فى معنى فعل فيعديان تعديته أو بنزع الخافض أى بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم أى جاءوا بما قالوا
ظلماً هاتلاً عظيماً لا يقدر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
إنكافتمنى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على
مباراته لجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتباهه على الحكم الخفية والأحكام المستتعبة
للسعادات الدينية والدنيوية والأمور الغيبية بحيث لا يناله عقول البشر ولا ينفى بفهمه القوى والقدر

وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِبَ فِيهَا فَيُحْيَى ثُمَّ يُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٦٠﴾ ٢٥ الفرقان

قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦١﴾ ٢٥ الفرقان

وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ

نَذِيرًا ﴿٦٢﴾ ٢٥ الفرقان

- (وزورا) أى كذباً كبيراً لا يبلغ غايته حيث نسبوا إليه ﷺ ما هو برىء منه والفاء لترتيب ما بعدها *
على ما قبلها لكن لا على أنهما أمران متغايران حقيقة يقع أحدهما عقيب الآخر أو يحصل بسببه بل
على أن الثانى هو عين الأول حقيقة وإنما الترتيب بحسب التغاير الاعتبارى وقد لتحقيق ذلك المعنى فإن
ما جاءه من الظلم والزور هو عين ما حكى عنهم لكنهم لما كان مغايراً له فى المفهوم وأظهر منه بطلاناً ترتب
عليه بالفاء ترتيب اللازم على المألوم تهويلاً لأمره (وقالوا أساطير الأولين) بعد ما جعلوا الحق الذى *
لا يحيد عنه إفاً مختلفاً بإعانة البشرينوا على زعمهم الفاسد كيفية الإعانة والأساطير جمع أسطار أو أسطورة
كأن حدوثه وهى ما سطره المتقدمون من الخرافات (اكتتبها) أى كتبها لنفسه على الإسناد المجازى أو *
استكتبها وقرىء على البناء المفعول لأنه ﷺ أى وأصله اكتبها له كاتب لحذف اللام وأفضى الفعل
إلى الضمير فصار اكتبها إياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلى بخصوصه وبني الفعل
للضمير المنفصل فاستتر فيه (فهى تملى عليه) أى تلقى عليه تلك الأساطير بعد اكتبها ليحفظها من أفواه *
من يملها عليه من ذلك المكتتب لكونه أمياً لا يقدر على أن يتلقاها منه بالقراءة أو تملى على الكاتب على
أن معنى اكتبها أراد اكتبها أو استكتبها ورجع الضمير المجزور إليه ﷺ لإسناد الكتابة فى ضمن
الاكتتاب إليه ﷺ (بكرة وأصلاً) أى دائماً أو خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون إلى مساكنهم *
انظر إلى هذه الرتبة من الجراءة العظيمة قائلهم الله أنى يؤفكون (قل) لهم رداً عليهم وتحقيقاً للحق (أنزله) *
الذى يعلم السر فى السموات والأرض) وصفه تعالى بإحاطة علمه بجميع المعلومات الجليلة والخفية للإيدان
بانطواء ما أنزله على أسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجأيا منهم المحكية
التي هى من جملة معلوماته تعالى أى ليس ذلك مما يفترى ويفتعل بإعانة قوم وكتابة آخرين من الأحاديث
الملفقة وأساطير الأولين بل هو أمر سماوى أنزله الله الذى لا يعزب عن علمه شيء من الأشياء
وأودع فيه فنون الحكم والأسرار على وجه بديع لا يحوم حوله الأفهام حيث أعجزكم قاطبة بفصاحته
وبلاغته وأخبركم بمغيبات مستقبلية وأمور مكنونة لا يهتدى إليها ولا يوقف عليها إلا بتوفيق العلم
الخبير وقد جعلتموه إفاً مفترى من قبيل الأساطير واستوجبتم بذلك أن يصب عليكم سوط
العذاب صبا فقله تعالى (إنه كان غفوراً رحيماً) لتعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة أى أنه *
تعالى أزلاً وأبداً مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون
فى حقه مع كمال استيجابه إياها وغاية قدرته تعالى عليها (وقالوا مال هذا الرسول) شروع فى حكاية ٧

أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٢٥﴾ الفرقان

أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٢٥﴾ الفرقان

جنايتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى إنكار الوقوع وفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشأنه ﷺ وتسميته ﷺ رسولا بطريق الاستهزاء به ﷺ كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم وقوله تعالى (ياكل الطعام) حال من الرسول والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار أى شئ وأى سبب حصل لهذا الذى يدعى الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل (ويمشى فى الأسواق) لا بتغاء الأرزاق كما نفعله على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب الذى هو مضمون الجملة الحالية كما فى قوله تعالى فإلهم لا يؤمنون وقوله ما لكم لا ترجون لله وقاراً فكما أن كلا من عدم الإيمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر واستبعد تحققه لا انتفاء سببه بل لوجود سبب نقيضه كذلك كل من الأكل والمشى أمر محقق قد استبعد تحققه لا انتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا أن استبعاد المسبب وإنكار السبب وفيه عدم الإيمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفى الأكل والمشى بطريق التهكم والاستهزاء فإنهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقيق سببهما وإنما الذى يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون أنه إن صح ما يدعيه فإله لم يخالف حاله حالنا وهل هو إلا لهمهم وركاكة عقولهم وقصور أنظارهم على المحسوسات فإن تميز الرسل عن عداهم ليس بأمور حسانية وإنما هو بأمور نفسانية كما أشير إليه بقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما ألهمكم إله واحد (لولا أنزل إليه ملك) أى على صورته • وهيمته (فيكون معه نذيراً) تنزل منهم من اقتراح أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والشرب إلى اقتراح أن يكون معه ملك يصدقه ويكون ردهاً له فى الإنذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى (أو يلقى إليه كنز) تنزل من تلك المرتبة إلى اقتراح أن يلقى إليه من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج إلى طلب المعاش ويكون دليلاً على صدقه وقوله تعالى (أو تكون له جنة يأكل منها) تنزل من ذلك إلى اقتراح ما هو أيسر منه وأقرب من الوقوع وقرىء نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم (وقال الظالمون) هم القائلون الأولون وإنما وضع المظهر ووضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه ليكونوا أضلالاً خارجاً عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته ﷺ إلى المسحورية أى قالوا للؤمنين (إن تتبعون) أى ما تتبعون (إلا رجلاً مسحوراً) قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهى الرئة أى بشرأ لا ملكاً على أن الوصف لزيادة التقرير والأول هو الأنسب بحالهم (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) استعظام للأباطيل التى اجترعوا على التفوه بها وتعجب منها أى انظر كيف قالوا فى حقك تلك الأقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الأمثال واختاروا لك تلك الصفات والأحوال الشاذة البعيدة من الوقوع (فضلوا) أى عن طريق المحااجة حيث لم يأتوا بشئ يمكن صدوره

تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ

٢٥ الفرقان

قُصُورًا ﴿١٠﴾

٢٥ الفرقان

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

- عمن له أدنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين (فلا يستطيعون سبيلا) إلى القدح في نبوتك بأن يحدوا قولاً * يستقرون عليه وإن كان باطلاً في نفسه أو فضلوا عن الحق ضلالاً مبيهاً فلا يجدون طريقاً موصلاً إليه فإن من اعتاد استعمال أمثال هذه الأباطيل لا يكاد يهتدى إلى استعمال المقدمات الحقّة (تبارك الذي) أى ١٠ تكاثر وتزايد خير الذي (إن شاء جعل لك) في الدنيا عاجلاً شيئاً (خيراً) لك (من ذلك) الذي اقترحوه من أن يكون لك جنة تأكل منها بأن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى (جنات تجري من تحتها الأنهار) بدل من خيراً ومحقق لخيريته مما قالوا لأن ذلك كان مطلقاً عن قيد التعدد وجريان الأنهار (ويجعل لك قصوراً) عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفاً على نفسه لأن الشرط * إذا كان ماضياً جاز في جزائه الرفع والجزم كافي قول القائل [وإن أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالى ولا حرم] ويجوز أن يكون استئنافاً بوعده ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على أنه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للإيدان بأن عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الأولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومناقفتهما للحكمة التشريعية وإنما الذى له وجه في الجملة هو الاقتراح الأخير فإنه غير مناف للحكمة بالكلية فإن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أو توافى الدنيا مع النبوة ملكاً عظيماً (بل ١١ كذبوا بالساعة) إضراب عن توبيخهم بحكاية جنائياتهم السابقة وانتقال منه إلى توبيخهم بحكاية جنائياتهم الأخرى للتخلص إلى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) الخ أى أعتدنا لهم ناراً عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم وأولكل من كذب بها كائناً من كان وهم داخلون في زميرتهم دخولا أولاً ووضع الساعة موضع ضميرها للبالغة في التشنيع ومدار إعتاد السعير لهم وإن لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاء به الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هى العلة القريبة لدخولهم السعير أشير إلى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على وقالوا ما لهذا الخ على معنى بل أتوا بأعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وأنكروها والحال أن أعتدنا لكل من كذب بها سعيراً فإن جرائتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما أعد لمن كذب بها من أنواع العذاب أعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المنبئ عن الوعد بالجنات في الآخرة مسوق لبيان أن ذلك لا يجدى نفعاً ولا يحل بطائل على طريقة قول من قال [عوجوا لنعم فحوا دمنة الدار * ماذا تحبون من نوى وأحجار] والمعنى أنهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل

٢٥ الفرقان

إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾

٢٥ الفرقان

وَإِذَا أَلْقَاوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾

٢٥ الفرقان

لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾

- مثل ما وعدك في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت أنظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا أن الكرامة ليست إلا بالمال وجعلوا فترك ذريعة إلى تكذيبك وقوله تعالى (إِذَا رَأَتْهُمْ) الخ صفة للسعير أى إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله ﷺ لا تترامى نارهما أى لا تتقاربان بحيث تكون إحداهما بمرأى من الأخرى على المجاز كأن بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية إليها لا إليهم للإيذان بأن التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها لإيهاهم حقيقة أو تمثيلاً ومن في قوله تعالى (من مكان بعيد) * إشعار بأن بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لأمرها قال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة (سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) أى صوت تغيظ على تشبيهه صوت غليانها بصوت المغناط وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وإن الحياة لما تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتغيط وتزفر
- ١٢ وقبل إن ذلك لربانيتها فتنسب إليها على حذف المضاف (وإذا ألقوا منها مكاناً) نصب على الظرفية ومنها حال منه لأنه في الأصل صفته (ضيقاً) صفة لمكاناً مفيدة لزيادة شدة فإن الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة وهو السرفي وصف الجنة بأن عرضها السموات والأرض وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي ﷺ عن ذلك فقال والذي نفسى بيده إنهم ليستكروهون في النار كما يستكروه الوتد في الحائط قال الكلبي الأسفلون يرفعهم اللهم والاعلون يحطمهم الداخولون فيزدحمون فيها وقرىء ضيقاً بسكون الياء (مقرنين) حال من مفعول ألقوا أى إذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً حال كونهم مقرنين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين * مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطان وفي أرجلهم الأصفاد (دعوا هنالك) أى في ذلك المكان
- ١٤ الهائل والحالة الفظيعة (ثبوراً) أى يتمنون هلاكاً وينادونه ياثبوراه تعال فهذا حينك وأوانك (لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً) على تقدير قول إما منصوب على أنه حال من فاعل دعوا أى دعوه مقولاً لهم ذلك حقيقة بأن مخاطبتهم الملائكة به لتنبههم على خلود عذابهم وأنهم لا يجابون إلى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنون منه من الهلاك المنجى أو تمثيلاً وتصويراً لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير أن يكون هناك قول ولا خطاب أى دعوه حال كونهم أحقاه بأن يقال لهم ذلك وإما مستأنف وقع جواباً عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك إقناطاً بما علقوا به أطماعهم من الهلاك وتنبهياً على أن عذابهم الملجئ لهم إلى استدعاء الهلاك بالمرّة أبدى لا خلاص لهم منه أى

قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ ٢٥ الفرقان

لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ ٢٥ الفرقان

- لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد (وادعوا ثبوراً كثيراً) أى بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته *
 فى نفسه فإن ما يدعونه ثبور واحد فى حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الأدعية الكثيرة صار كأنه
 ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحداً وادعوه أدعية كثيرة فإن ما أنتم فيه
 من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء فى كل آن وهذا أدل على فظاعة العذاب
 وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب بتعدد أنواعه وألوانه أو لتعدد جلوده كما لا يخفى
 وأما ما قيل من أن المعنى إنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحداً إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع
 وألوان كل نوع منها ثبور لشدة وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم
 فلا يلائم المقام كيف لا وهم إنما يدعون هلاكاً ينهى عذابهم وينجيهم منه فلا بد أن يكون الجواب إقناطاً
 لهم من ذلك ببيان استحالة ودوام ما يوجب استدعاه من العذاب الشديد وتقييد النهى والأمر باليوم
 لمزيد التهويل والتفطيع والتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام المعهودة (قل) تقرعاً لهم وتهكاً بهم وتحسيراً ١٥
 على ما فهمهم (أذلك) إشارة إلى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الأحوال الهائلة وما فيه
 من معنى البعد للإشعار بكونها فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة أى قل لهم أذلك الذى ذكر من السعير
 التى أعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها كيت وكيت وشأن أهلها ذيت وذيت (خير أم جنة الخلد التى وعد
 المتقون) أى وعد المتقون وإضافة الجنة إلى الخلد للدخ وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين
 المنتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية ولا الثالثة منها فقط (كانت) تلك الجنة (لهم) فى علم الله تعالى
 أو فى اللوح المحفوظ أولاً لأن ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة فحكي تحقيقه ووقوعه (جزاء) على أعمالهم
 حسب ما مر من الوعد الكريم (ومصيراً) ينقلبون إليه (لهم فيها ما يشاءون) أى ما يشاءونه من فنون الملاذ
 والمشتهيات وأنواع النعيم كما فى قوله تعالى ولستم فيها ما تشتهى أنفسكم ولعل كل فريق منهم يقتنع بما أتبع
 له من درجات النعيم ولا تمتد أعناقهم همهم إلى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا
 تساوى مراتب أهل الجنان (خالدين) حال من الضمير المستكن فى الجار والمجرور لاعتداده على المبتدأ
 وقيل من فاعل يشاءون (كان) أى ما يشاءونه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون (على ربك
 وعداً مسئولاً) أى موعوداً حقيقة أبان يسأل ويطلب لكونه بما يتنافس فيه المتنافسون أو مسئولاً يسأله
 الناس فى دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو الملائكة بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى
 وعدتهم وما فى على من معنى الوجوب لا امتناع الخلف فى وعده تعالى ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز
 فإن تعلق الإرادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للإنجاز وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
 إلى ضميره ﷻ من تشريفه والإشعار بأنه ﷻ هو الفائز أثر ذى أثر بمغانم الوعد الكريم ما لا يخفى .

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا

٢٥ الفرقان

السَّبِيلَ ١٧

قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا

٢٥ الفرقان

الَّذِ كَرَّ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ١٨

- ١٧ (ويوم يحشرهم) نصب على أنه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل أذلك الخ أى واذكر لهم بعد التقرير والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة أو على أنه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هول وفظاعة ما فيه والإيدان بقصور العبارة عن بيانه أى يوم يحشرهم يكون من الأحوال والآهوال * مالا ينفى ببيانه المقال وقرىء بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة إلى التكلم وبكسر الشين أيضاً (وما يعبدون من دون الله) أريد به ما يعبد العقلاء وغيرهم إما لأن كلمة ما موضوعة للكل كما ينبى عنه أنك إذا رأيت شبحاً من بعيد تقول ما هو أو لأنه أريد به الوصف لا الذات كأنه قيل ومعبودهم أول تغليب الأصنام على غيرها تنبيهاً على أنهم مثلها في السقوط عن رتبة المعبودية أو اعتباراً لغلبة عبدتها أو أريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب أو الأصنام ينطقها الله تعالى أو تكلم بلسان الحال * كما قيل في شهادة الأيدي والأرجل (فيقول) أى الله عز وجل للمعبودين إثر حشر الكل تقريراً للعبدة وتبكيته لهم وقرىء بالنون كما عطف عليه وقرىء هذا بالياء والأول بالنون على طريق الالتفات إلى الغيبة (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء) بأن دعوتهم إلى عبادتكم كفى قوله تعالى أأنتم قلت للناس اتخذوني * وأى إلهين من دون الله (أم هم ضلوا السبيل) أى عن السبيل بأنفسهم لإخلاهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد لحذف الجار وأوصل الفعل إلى المفعول كقوله تعالى وهو يهدى السبيل والأصل إلى السبيل أو للسبيل ١٨ وتقديم الضميرين على الفعلين لأن المقصود بالسؤال هو المتصدى للفعل لا نفسه (قالوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية السؤال كأنه قيل فاذا قالوا فى الجواب فليل قالوا (سبحانك) تعجباً بما قيل لهم لأنهم إماملائك معصومون أو جمادات لا قدرة لها على شيء أو إشعاراً بأنهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتأتى منهم إضلال عباده أو تنزيهاً له تعالى عن الانداد (ما كان ينبغى لنا) أى ما صح وما استقام لنا * (أن نتخذ من دونك) أى متجاوزين إياك (من أولياء) نعبدهم لما بنامن الحالة المنافية له فأنى تصور أن نحمل غيرنا على أن يتخذ ولياً غيرك فضلاً أن يتخذنا ولياً أو أن نتخذ من دونك أولياء أى أتباعاً فإن الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الأعلى والأسفل ومنه أولياء الشيطان أى أتباعه وقرىء على البناء للمفعول من المتعدى إلى المفعولين كفاى قوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً ومفعوله الثانى من أولياء على أن من للتبعيض أى أن نتخذ بعض أولياءه وهى على الأول مزيدة وتكثير أولياءه من حيث إنهم أولياء مخصوصون

فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مَنكُم نَذِقْهُ عَذَابًا

٢٥ الفرقان

كَبِيرًا ﴿١٩﴾

- وهم الجن والأصنام (ولكن متعتهم وآباءهم) استدارك مسوق لبيان أنهم هم الضالون بعد بيان تزهيمهم عن إضلالهم وقد نفى عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا أسباب الهداية أسباباً للضلالة أى ما أضللاهم ولكنك متعتهم وآباءهم بأنواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها (حتى نسوا الذكر) أى غفلوا عن ذكرك أو عن التذكر فى آلائك والتدبر فى آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة إلى الغواية (وكانوا) أى فى قضائك المبنى على علمك الا زلى المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الأعمال السيئة (قوما بوراً) أى هالكين على أن بوراً مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع أو جمع باثر كعمود فى جمع طائد والجملة اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى (فقد كذبوكم) حكاية لاحتجاجه تعالى على العبداء بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه إلى العبداء مبالغة فى تزييمهم وتبكييتهم على تقدير قول مرتب على الجواب أى فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبوكم المعبودون أيها الكفرة (بما تقولون) * أى فى قولكم إنهم آلهة وقيل فى قولكم هؤلاء أضلونا وآباءهم أن تكذيبهم فى هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر أصلاً وإنما الذى يستتبعه تكذيبهم فى زعمهم أنهم آلهتهم وناصروهم وآباءهم ما كان قابلاً بمعنى فى أوهى صلة للتكذيب على أن الجار والمجرور بدل اشتغال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء أى كذبوكم بقولهم سبحانه الآية (فما تستطيعون) أى ما تملكون (صرفاً) أى * دفعاً للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير أى لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم إنه ليتصرف فى أموره أى يحتال فيها وقيل توبة (ولا نصرأ) أى فرداً من أفراد النصر لا من جهة أنفسهم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى أنه لولا لوجدت الاستطاعة حقيقة بل فى زعمهم حيث كانوا يزعمون أنهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة أى ما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو يحتالوا لكم ولا ينصروكم وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه (ومن يظلم منكم) أيها المكلفون كذاب هؤلاء * حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا فى اللجاج كل حد معتاد (نذقه) فى الآخرة (عذاباً كبيراً) لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على أن الضمير * لله سبحانه وتعالى وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطاً وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر فى إذاقة العذاب الكبير فإن الشرط فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والإحباط بالطاعة لإجماعاً وبالعفو عندنا .

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ

لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

٢٥ الفرقان

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَيِّكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

وَعَتَوْعَتُوا كِبِيرًا ﴿٢١﴾

٢٥ الفرقان

- ٢٠ (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) جواب عن قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق والجملة الواقعة بعد إلا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه وأقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم والمعنى ما أرسلنا أحداً قبلك من المرسلين إلا آكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير إلا وإنهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للفعول أي يمشيهم حوائجهم أو الناس (وجعلنا بعضكم) تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الأمم فإن اختصاصهم بالرسول وتبعيتهم لهم مصحح لأن يعدوا بعضاً منهم وبما في قوله تعالى (لبعض) رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الأول (فتنة) أي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من أفراد البعض الأول فتنة لكل فرد من أفراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضاً مبهماً من الأولين فتنة لبعض مبهم من الآخرين ضرورة أن مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الأمم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الأمم ولا بعض مبهم من الأولين ببعض مبهم من الآخرين على بل معنى جعلنا كل بعض معين من الأمم فتنة لبعض معين من الرسل كأنه قيل وجعلنا كل أمة مخصوصة من الأمم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث إليها وإنما لم يصرح بذلك تعويلاً على شهادة الحال هذا أو ما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وإبقاء البعضين على العموم والإبهام على معنى وجعلنا بعضكم أيها الناس فتنة لبعض آخر منكم
- فيأباه قوله تعالى (أتصبرون) فإنه غاية للجعل المذكور ومن البين أن ليس ابتلاء كل أحد من آحاد الناس مغنياً بالصبر بل بما يناسب حاله على أن الافتصار على ذكره من غير تعرض لمعادله بما يدل على أن اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدورهم عنهم هو الصبر لا غير فلا بد أن يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسليته ﷺ فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بأهمهم وبمناصبهم لهم العداوة وإيذانهم لهم وأقاولهم الخارجة عن حدود الإنصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى (وكان ربك بصيراً) وعد كريم للرسول ﷺ بالأجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له ﷺ بالالتفات إلى اسم الرب مضافاً إلى ضميره
- ٢١ (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) شروع في حكاية بعض آخر من أقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها إثر إبطال أباويلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول الخ ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على أن ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عن معتقد المصير إلى الله

عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته من غير أن يمنع مانع من إدراكه بوجه من الوجوه والمراد ببقائه تعالى إما الرجوع إليه تعالى بالبعث والحشر أو لقاء حسابه تعالى كافي قوله تعالى إني ظننت أني ملاق حسابه وبعدهم رجائهم إياه عدم توقعهم له أصلاً لا نكارهم البعث والحساب بالكلية لعدم أملهم حسن اللقاء وعدم خوفهم سوء اللقاء لأن عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وإنكار البعث والحساب رأساً أي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع إلينا أو حسابنا المؤدى إلى سوء العذاب الذي تستوجبه مقاتلتهم (لولا أنزل علينا الملائكة) أي هلا أنزلوا علينا لينخبرونا بصدق محمد ﷺ وقيل هلا أنزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الأنسب لقولهم (أو نرى ربنا) من حيث أن كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى (لقد استكبروا في أنفسهم) أي في شأنها حتى اجتمروا على النفوس بمثل هذه العظيمة الشنعاء (وعتوا) أي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان (عتوا كبيراً) بالغاً أقصى غاياته حيث أملاوا نيل مرتبة المفاضة الإلهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم أنفسهم الحبيشة أمانى لا تكاد ترنو إليها أحداق الأمم ولا تمتد إليها أعناق الهمم ولا ينالها إلا أولو العزائم الماضية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واللام جواب قسم محذوف أي والله لقد استكبروا الآية وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والإشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى (يوم يرون الملائكة) استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وإنما قيل يوم يرون دون أن يقال يوم ينزل الملائكة إيداناً من أول الأمر بأن رؤيتهم لهم ليست على طريق الإجابة إلى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى (لا بشرى يومئذ للمجرمين) فإنه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول إلى نفي الجنس لللباقة في نفي البشرى وما قيل من أنه بمعنى يمنعون البشرى أو يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فإن منع البشرى وفقدانها مشعران بأن هناك بشرى يمنعونها أو يفقدونها وأين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن إثبات ضدها كما أن نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت النذر لهم على أبلغ وجه وأكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكد بشرى على أن لا غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه أي أذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتأكيد والتهويل مع ما فيه من الإيدان بأن تقديم الظرف للاهتمام لا لقصر نفي البشرى على ذلك الوقت فقط فإن ذلك غل بتفطيع حالهم وللمجرمين تبين على أنه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالأجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في إخراجهم عن الحرمان الكلي إلى أن نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع الأوقات فيجوز أن يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت آخر بمعزل عن الحق بعيد

٢٥ الفرقان

وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٥﴾

٢٥ الفرقان

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٥﴾

- (ويقولون) عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنفي عن كمال فظاعة ما يحق بهم من الشر وغاية هول
- مطلعهم ببيان أنهم يقولون عند مشاهدتهم له (حجراً محجوراً) وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو متور وجوهم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى أن يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل الله تعالى أن يمنع ذلك منعاً ويحجّره حجراً وكسر الحاء تصرف فيه لا اختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجراً بالضم والمعنى أنهم يطلبون نزول الملائكة عليهم السلام ويقترحونه وهم إذا رأوهم كرهوا لقاءهم أشد كراهة وفزعوا منهم فزعاً شديداً وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس شديد فظيع ومحجوراً صفة للحجراً وأرادة للتأكيد كما قالوا ذبل ذائل وليل أليل وقيل يقولها الملائكة إفتناً للكفرة بمعنى حراماً محرماً عليكم الغفران أو الجنة أو البشرى أى جعل الله تعالى ذلك حراماً عليكم وليس بواضح (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا يعملوها مع الإيمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال أعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستمعوا عليه فقدم إلى أشياءهم وقصد ما تحت أيديهم فأنهى عليها بالإفساد والتحريق ومزقها كل تمزيق بحيث لم يدع لها عيناً ولا أثراً أى همدنا إليها وأبطالنا ما أى أظهرنا بطلانها بالكلية من غير أن يكون هناك قدوم ولا شيء يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من السكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثوراً صفة شبه به أعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه أو مفعول ثالث من حيث إنه كالخبر بعد الخبر
- كما في قوله تعالى كونوا فرقة خاسئين (أصحاب الجنة) هم المؤمنون المشار إليهم في قوله تعالى قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون الخ (يومئذ) أى يوم إذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجراً محجوراً وجعل أعمالهم هباءً منثوراً (خير مستقراً) المستقر المكان الذي يستقر فيه في أكثر الأوقات
- للتجالس والتحدث (وأحسن مقيلاً) المقيلاً المكان الذي يؤوى إليه للاسترواح إلى الأزواج والتمتع بمغازلتهم سمي بذلك لما أن التمتع به يكون وقت القيلولة غالباً وقيل لأنه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر ومنز إلى أنه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما إما لإرادة الزيادة على الإطلاق أى هم في أقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيلاً ولما بالإضافة إلى ماله الكفرة المنتعمين في الدنيا أولى ما لهم في الآخرة بطريق التهمك بهم كما مر في قوله تعالى قل أذلك خير الآية هذا وقد جوز أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان إشارة إلى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الأمكنة والأزمنة

وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَتُزَلُّ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٢٥ الفرقان

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ٢٥ الفرقان

وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ٢٥ الفرقان

(ويوم تشقق السماء) أى تفتح وأصله تشقق لحذف إحدى التاءين كما فى تطفى وقرىء بإدغام التاء فى ٢٥
 الثين (بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذى ذكر فى قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتهم
 الله فى ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضباب ولم يكن إلا لبنى إسرائيل (ونزل
 الملائكة تنزيلاً) أى تنزيلاً عجيبيّاً غير معمول وقيل تشقق سماء سماء وينزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف
 أعمال العباد وقرىء ونزلت الملائكة ونزل ونزل على صيغة المتكلم من الإنزال والتنزيل ونزل الملائكة
 وأنزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذى هو فاء الفعل من تنزل (الملك يومئذ الحق الرحمن) ٢٦
 أى السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلى العام الثابت صورة ومعنى ظاهراً وباطناً بحيث لا زوال له أصلاً
 ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للبستدأ وقائدة
 التقيد أن ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون لغيره أيضاً
 تصرف صورى فى الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق أو بمحذوف على التبيين
 أو بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعمت للملك وللرحمن على ما ذكر
 وأياً ما كان فالجملة بمعناها عاملة فى الظرف أى ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب
 بما ذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان أحواله وأهواله وإيراده تعالى بعنوان الرحمانية للإيذان بأن
 اتصافه تعالى بغاية الرحمة لايهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما فى قوله تعالى يا أيها
 الإنسان ما عرك ربك الكريم والمعنى أن الملك الحقيقى يومئذ للرحمن (وكان) ذلك اليوم مع كون
 الملك فيه لله تعالى المبالغ فى الرحمة لعباده (يوماً على الكافرين عسيراً) شديداً لهم وتقدير الجار والمجرور
 مراعاة الفواصل وأما للؤمنين فيكون يسيراً بفضل الله تعالى وقد جاء فى الحديث أنه يهون يوم القيامة
 على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاحها فى الدنيا والجملة اعتراض تذييل مقرر لما قبله
 (ويوم يعص الظالم على يديه) عض اليدين والأنامل وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايةات عن ٢٧
 العيظ والحسرة لأنها من رواد فهمما والمراد بالظالم إما عقبة بن أبى معيط على ما قبل من أنه كان يكثر
 مجالسة النبي ﷺ فدعاه ﷺ يوماً إلى ضيافته فأبى ﷺ أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل
 وكان أبى بن خلف صديقه فدأبسه فقال صبات فقال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامى وهو فى بيتى
 فاستحييت منه فشهدت له فقال إني لأرضى منك إلا أن تأتبه فتطأ قفاه وتبرق فى وجهه فوجده ساجداً
 فى دار الندوة ففعل ذلك فقال ﷺ لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر

٢٥ الفرقان

يَنْوِيْلَتْنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾

٢٥ الفرقان

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

٢٥ الفرقان

وَقَالَ الرَّسُولُ يُرَبِّ إِنَّا قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾

علياً رضى الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الأنصاري وطعن عليه السلام أيأ يوم أحد في المبارزة فرجع إلى مكة ومات وإما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا أولياً وقوله تعالى (يقول) الخ حال من فاعل بعض وقوله تعالى (يا ليتني) الخ محكي به وبالإمام مجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه أو المنادى محذوف

* أي يا هؤلاء ليتني (اتخذت مع الرسول سبيلاً) أي طريقاً واحداً منجياً من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طريق الضلالة أو حصلت في محبته عليه السلام طريقاً ولم أكن ضالاً لا طريق لي قط

٢٨ (يا ويلتنا) بقلب ياء المتكلم ألفاً كما في صحاري ومداري وقرىء على الأصل يا ويلتي أي هلكتي تعالى واحضري فهذا أوانك (ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً) يريد من أضله في الدنيا فإن فلاناً كناية عن الأعلام كما أن الهم كناية عن الأجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم إناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة ممن يعقل من الإناث والفلان والفلانة من غير العاقل ويخص فل بالنداء إلا في ضرورة كما في قوله [في لجة أمسك فلاناً عن فل] وقوله [خذنا حدثاً ثانياً عن فل وفلان] وليس فل مرخماً من فلان خلافاً للفراء واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فإن أريد بالظالم عقبة ففلان كناية عن أبي وإن أريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضل كائناً من كان من شياطين الإنس والجن وهذا التمثيل منه وإن كان مسوقاً لإبراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل

٢٩ واعتذار بتوريتك جنابته إلى الغير وقوله تعالى (لقد أضلني عن الذكر) تعليل لتنبه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للبالغة في بيان خطئه وإظهار ندمه وحسرتة أي والله لقد أضلني عن ذكر الله تعالى أو عن القرآن أو عن موعظة الرسول عليه السلام أو كلمة الشهادة (بعد إذ جاءني) وتمسكت منه وقوله تعالى (وكان الشيطان للإنسان خذولاً) أي مبالغاً في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله إمامن جهته تعالى أو من تمام كلام الظالم على أنه سمى خليله شيطاناً بعد وصفه بالإضلال الذي هو أخص الأوصاف الشيطانية أو على أنه أراد بالشيطان إبليس لأنه الذي حمله على مخالطة المضلين ومخالفة الرسول الهادي عليه السلام بوسوسته وإغوائه لكن وصفه بالخذلان يشعر بأنه كان يبعده في الدنيا ويمنيه بأنه ينفعه في الآخرة وهو أوفق بحال إبليس (وقال الرسول) عطف على قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحق بهم في الآخرة من الأحوال والخطوب وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على منحورم حيث كان ما حكى عنهم قدحا في رسالته عليه السلام أي قالوا أكبت وكبت وقال الرسول إثر ما شاهد منهم غاية

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ٢٥ الفرقان

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ

تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ٢٥ الفرقان

- * العتو ونهاية الطغيان بطريق البث إلى ربه عز وجل (يارب إن قومي) يعنى الذين حكى عنهم ما حكى من الشنائع (اتخذوا هذا القرآن) الذى من جملة هذه الآيات الناطقة بما يحق بهم فى الآخرة من فنون العقاب كما ينبى عنه كلمة الإشارة (مهجوراً) أى متروكاً بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يعرفوا إليه راساً ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بأن من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فإنه روى عنه ﷺ أنه قال من تعلم القرآن وعلق مصحفاً لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلفاً به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذ من مهجوراً أقض بيني وبينه وقيل هو من هجر إذا هذى أى جعله مهجوراً فيه إما على زعمهم الباطل وإما بأن هجروا فيه إذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وقد جوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالعنى اتخذوه هجراً وهذياناً وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين) تسلياً لرسول ٣١ الله ﷺ وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أى كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الأباطيل جعلنا لكل نبي من الأنبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة إليها عدواً من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى (وكفى بربك هادياً ونصيراً) وعد كريم له ﷺ بالهداية إلى كافة مطالبه والنصر على أعدائه أى كفائك مالك أمرك ومبلغك إلى الكمال هادياً لك إلى ما وصلك إلى غاية الغايات التى من جملتها تبليغ الكتاب أجله وإجراء أحكامه فى أكناف الدنيا إلى يوم القيامة ونصيراً لك على جميع من يعاديك (وقال الذين كفروا) حكاية لاقتراحهم الخاص ٣٢ بالقرآن الكريم بعد حكاية اقتراحهم فى حقه ﷺ والقائلون هم القائلون أولاً وإيرادهم بعنوان الكفر لئلا يظن أنهم يأتونهم بالإشعار بعلّة الحكم (لولا نزل عليه القرآن) التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدرج كما فى قوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء ويجوز أن يراد به الدلالة على كثرة المنزل فى نفسه أى هلا أنزل كله (جملة واحدة) كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحقاها لا يكاد يخفى على أحد * فإن الكتب المتقدمة لم يكن شاهد محتها ودليل كونها من عند الله تعالى إعجازها وأما القرآن الكريم فينبى صحتها وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق فى كل جزء من أجزائه المقطرة بمقدار أقصر السور حسبما وقع به التحدى ولا ريب فى أن ما يدور عليه فلك الإعجاز هو المطابقة لما تقتضيه الأحوال ومن ضرورة تغييرها وتجددها تغيير ما يطابقها حتماً على أن فيه فوائد جمة قد أشير إلى بعض منها بقوله تعالى (كذلك لنثبت به فؤادك) فإنه استئناف وارد من جهته تعالى لرد مقاتلهم الباطلة *

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٢٣﴾

وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده وذلك إشارة إلى ما يفهم من كلامهم أي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قد حو افيه واقترحوا خلافه ونزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوى بذلك التنزيل المفرق فوادك فإن فيه تيسير الحفظ النظم وفهم المعاني وضبط الأحكام والوقوف على تفاصيل ما روى فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على أنها منوطة بأسبابها الداعية إلى شرعها ابتداء أو تبديلا بالنسخ من أحوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد في القرآن المجيد من الأخبار وغيرها متعلقة بأمر حادث من الأقاويل والأقاعيل ومن قضية تجدها متجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية إلى حكايتها وإبطالها وبيان ما يؤول إليه حالهم في الآخرة على أنهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حقه بظلمه حيث أمروا بالإتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاعت عليهم الأرض بما رحبت فكيف لو تحدوا بكلمة وقوله تعالى (ورتلناه ترتيلا) عطف على ذلك المضمر وتسكير ترتيلا للتفخيم أي كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضى الله عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه في إثربعض وقيل هو الأمر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل عليه السلام شيئا فشيئا في عشرين أو في ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل (ولا يأتونك بمثل) من الأمثال التي من جملتها ما حكى من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الأمثال أي لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن (إلا جئناك) في مقابلته (بالحق) أي بالجواب الحق الثابت الذي ينحى عليه بالإبطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الأجوبة الحق القالعة لعل روق أسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى (وأحسن تفسيراً) عطف على الحق أي جئناك بأحسن تفسير أو على محل بالحق أي أتيناك بالحق وأحسن تفسير أي بيانا وتفصيلا على معنى أنه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لأن ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا أحسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية أي لا يأتونك بمثل إلا حال إيتائنا إياك الحق الذي لا يحيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة إلى إبطال ما أتوا به وتثبيت فواده ﷺ ما لا يخفى وهذا بعبارة ناطق ببطلان جميع الأسئلة وبصحة جميع الأجوبة ويأشارته منبه عن بطلان السؤال الأخير وصحة جوابه إذ لولا أن تنزيل القرآن على التدرج لما أمكن إبطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فواده ﷺ من تلك الحثيثة هذا وقد جوز أن يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه ﷺ عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الكل والشرب وحياسة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحال عجيبة يقترحون اتصافك بها فائلمن هلا كان على هذه الحالة إلا أعطيناك نحن من الأحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن نعطاء وما هو أحسن تكشفاً لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي أنت عليه في الذات

الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ ٢٥ الفرقان

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ٢٥ الفرقان

فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ٢٥ الفرقان

والصفات وبأبواب الاستثناء المذكور فإن المتبادر منه أن يكون ما أعطاه الله تعالى من الحق مترتباً على ما أتوا به من الأباطيل دافعاً لها ولا ريب في أن ما آتاه الله تعالى من الملكات السنية اللاتمة بالرسالة قد آتاه من أول الأمر لا بمقابلة ما حكى عنهم من الافتراحت لأجل دمعها وإبطائها (الذين يحشرون على وجوههم ٣٤ إلى جهنم) أي يحشرون كائنين على وجوههم يسبحون عليها ويمجرون إلى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وأرجلهم إلى فوق. روى عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلًا وأما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم إليها فبعيد لأن هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات أو توجه إليها في الجملة ومحل الوصول إما النصب أو الرفع على الذم أو الرفع على الابتداء وقوله تعالى (أولئك) بدل منه أو بيان له وقوله تعالى (شر مكاناً وأضل سبيلاً) خبر له أو اسم الإشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر * للدووصول ووصف السبيل بالضلال من باب الإسناد المجازي للبالغة والمفضل عليه الرسول عليه السلام على مهاج قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل إن حاملهم على هذه الافتراحت تحقير مكانه عليه السلام بتضليل سبيله ولا يعملون حالهم ليعلموا أنهم شر مكاناً وأضل سبيلاً وقيل هو متصل بقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً (ولقد آتينا موسى) ٣٥ جملة مستأنفة سبقت لنا كيد مامر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هادياً ونصيراً بحكاية ما جرى بين من ذكر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين قومهم حكاية لإجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف أي وبالله لقد آتينا موسى للتوراة أي أنزلناها عليه بالآخرة (وجعلنا معه) الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى (أخاه) مفعول أول له وقوله تعالى (هارون) بدل من أخاه أو عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى (وزيراً) مفعول ثان له وقد مر ثمة * معنى الوزير أي جعلناه في أول الأمر وزيراً له (فقلنا) لها حينئذ (اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) ٣٦ هم فرعون وقومه والآيات هي المعجزات القسع المفصلات الظاهرة على يدى موسى عليه السلام ولم يوصف القوم لهما عند إرسالهما إليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن إظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الأمر به بل إنما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله عليه السلام بياناً لعل استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير أي فذهبا إليهم فأرياهم آياتنا كلها فكذبوها تكذيباً مستمراً (فدمرناهم) إثر ذلك * التكذيب المستمر (تدميراً) عجيباً هائلاً لا يقدر قدره ولا يدرك كنهه فاقصر على حاشيتي القصة اكتفاء

وَقَوْمٌ نُوِّجَ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا

أَلِيمًا ﴿٢٧﴾

٢٥ الفرقان

٢٥ الفرقان

وَعَادًا وَنَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٢٨﴾

بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا بما لا وجه له إذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض في مطلع القصة لإيتاء الكتاب مع أنه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات الإيذان من أول الأمر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي إنجاء بني إسرائيل من ملكة فرعون وإرشادهم إلى طريق الحق بما في التوراة من الأحكام إذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مريانه وقرىء فدمرهم ٢٧ وفدمرناهم وفدمرناهم على التأكيد بالنون الثقيلة (وقوم نوح) منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم أي ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتيب تدميرهم على ما قبله ترتيب تدميرهم هؤلاء عليه لاسيما وقديين سببه بقوله تعالى (لما كذبوا الرسل) أي نوحا ومن قبله من الرسل أو نوحا وحده لأن تكذيبه تكذيب لكل لا تفاقمهم على التوحيد والإسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى (أغرقناهم) وإنما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان وأما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لأنه حينئذ جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبله مع أنه محل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما أن إهلاكهم ليس بالإغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى أغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم (وجعلناهم) أي جعلنا إغراقهم أو قصتهم (للناس آية) أي آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها أو سمعها وهي مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغوله أو متعلق بمحذوف وقع حالا من آية إذ لو تأخر عنها كان صفة لها (وأعتدنا للظالمين) أي لهم والإظهار في موقع الإضمار للإيذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب (عذابا أليما) هو عذاب الآخرة إذ لا فائدة في الإخبار بإعتاد العذاب الذي قد أخبر بوقوعه من قبل أو لجميع الظالمين الباقيين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زميرهم قرين دخول أوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والأخروي (وعادا) عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الأول لجعلناهم وقيل على محل الظالمين إذ هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد (ونمود) الكلام فيه وفيما بعده كافيا قبله وقرىء ونمودا على تأويل الحى أو على أنه اسم الأب الاقصى (وأصحاب الرس) هم قوم يعبدون الأصنام فبعث الله تعالى إليهم شعبيا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر التي لم تطو بعد إذ انهارت تخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا نمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هو الأخدود وقيل بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاه الله تعالى بطير عظيم كان فيهم من كل لون وسموها عتقاء أطول عتقا وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح أو دخ فتتقض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد

٢٥ الفرقان

وَكَلَّا ضَرْبًا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا ﴿٣٩﴾

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ

٢٥ الفرقان

نُشُورًا ﴿٤٠﴾

- ولذلك سميت مغرباً فدعا عليها حنظلة عليه السلام فأصابها الصاعقة ثم إنهم قتلوه عليه السلام فأهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه أى دسوه فى بئر (وقروناً) أى أهل قرون قبل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقبل مائه وقيل مائة وعشرون (بين ذلك) أى بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك وبحسب الحاسب أعداداً متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب (كثيراً) لا يعلم مقدارها إلا العليم الخبير ولعل الاكتفاء فى شئون تلك القرون بهذا البيان الإجمالى لما أن كل قرن منها لم يكن فى الشهرة أو غرابة القصة بمثابة الامم المذكورة (وكلا) ٣٩ منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فإن ضرب المثل فى معنى التذكير والتحذير والمخوف الذى عوض عنه التووين عبارة إما عن الامم التى لم يذكر أسباب إهلاكهم وإما عن الكل فإن ما حكى عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسول لا عدم التأثير من الأمثال المضروبة أى ذكرنا وأندرنا كل واحد من المذكورين (ضربنا له الأمثال) أى بينا له القصص العجيبة الزاجرة مما هم عليه من الكفر والمعاصى بواسطة الرسل (وكلا) أى كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض (تبرنا تنبيراً) عجباً هائلاً لما أنهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له رأساً وتنادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان وأصل التنبير التفتيت قال الزجاج كل شيء كسرتة وفتنته فقد تبرته ومنه التبر لفئات الذهب والفضة (ولقد أتوا) جملة مستأنفة مسوقة ٤٠ لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها أى وبالله لقد أتى قريش فى متاجرهم إلى الشام (على القرية التى أمطرت) أى أهلكت بالحجارة وهى قرى قوم لوط وكانت خمس قرى ما نجت منها إلا واحدة كان أهلها لا يعملون العمل الخبيث وأما البواق فأهلكها الله تعالى بالحجارة وهى المرادة بقوله تعالى (مطر السوء) وانتصابه إما على أنه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل فى أنبته الله تعالى نباتاً حسناً أى أمطار السوء أو على أنه مفعول ثانٍ إذ المعنى أعطيت أو أوليت مطر السوء (أفلم يكونوا يرونها) توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبها والهمزة لإنكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار ما يوجبها من إتيانهم عليها لا لإنكار استمرار نفي رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها فى الجملة والفاء اعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام أى ألم يكونوا ينظرون إليها فلم يكونوا يرونها أو أكانوا ينظرون إليها فلم يكونوا يرونها فى مرار مرورهم لينتظروا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر فى الأول ترك النظر وعدم الرؤية معاً وفى الثانى عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى (بل كانوا لا يرجون نشوراً) إما لضرب عما قبله من عدم رؤيتهم لا آثار ما جرى على أهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب إنكارهم لكون ذلك عقوبة

وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي بعث الله رسولا ④١

٢٥ الفرقان

إن كاد ليضلنا عن ءلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ④٢

٢٥ الفرقان

أرأيت من اتخذ إلهه هوته أفأنت تكون عليه وكيلا ④٣

٢٥ الفرقان

- لما صيهم لا لعدم رؤيتهم آثارها خلا أنه اكتفى عن التصريح بإنكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من إنكارهم للجزاء الآخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كفى عن ذلك بعدم رجاء النشور أى عدم توقعه كأنه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الآخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشورا أصلا مع تحقيقه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدينوى فى حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصى حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وإنما يحملونه على الاتفاق وإما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكير إلى التوبيخ بما هو أعظم منه من عدم توقع النشور (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً) أى ما يتخذونك إلا مهزوماً به على معنى قصر معاملتهم معه ﷺ على اتخاذهم إياه ﷺ هزواً لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزواً كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما يفعلون بك إلا اتخاذك هزواً وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلى من سورة الأنعام وقوله تعالى (أهذا الذى بعث الله رسولا) محكى بعد قول مضمحل هو حال من فاعل يتخذونك أى يستهزئون بك قائلين أهذا الذى الخ والإشارة للاستحقاق وإبراز بعث الله رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة للبوصول الذى هو صفته ﷺ مع كونهم فى غاية التكبر لبعثه ﷺ بطريق التهكم والاستهزاء وإلا لقالوا أبعث الله هذا رسولا أو أهذا الذى يزعم أنه بعثه الله رسولا (إن كاد) إن مخففة من إن وضمير الشأن محذوف أى إنه كاد (ليضلنا عن آلهتنا) أى ليصرفنا عن عبادتها صرفاً كلياً بحيث يبعدنا عنها لاهن عبادتها فقط والعدول إلى الإضلال لغاية ضلالهم بادعاء أن عبادتها طريق سوى (لولا أن صبرنا عليها) ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا فى أمثال هذا الكلام تجرى مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما أشير إليه فى قوله تعالى ولقد همت به الخ وهذا اعتراف منهم بأنه ﷺ قد بلغ من الاجتهاد فى الدعوة إلى الحق وإظهار المعجزات وإقامة الحجج والبيئات إلى حيث شarfوا أن يتركوا دينهم لولا فرط لجأهم وغاية عنادهم . يروى أنه من قول أبى جهم (وسوف يعلمون) جواب من جهته تعالى لا آخر كلامهم ورد لما نبى عنه من نسبته ﷺ إلى الضلال فى ضمن الإضلال أى سوف يعلمون البتة وإن تراخى (حين يرون العذاب) الذى يستوجب كفرهم وعنادهم (من أضل سبيلا) وفيه مالا يخفى من الوعيد والتنبيه على أنه تعالى لا يهملهم وإن أهملهم ④٣ (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) تعجيب لرسول الله ﷺ من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الأقوال

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ٢٥ الفرقان

والأفعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبية على أن ذلك من الغرابة بحيث يجب أن يرى ويتعجب منه وإلهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الأول للاعتناء به لأنه الذي يدور عليه أمر التعجيب ومن توهم أنهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زل منه أن المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة أى أرايت من جعل هو إلهاً لنفسه من غير أن يلاحظه وبنى عليه أمر دينه معرضاً عن استماع الحججة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر إليه وتعجب منه وقوله تعالى (أفأنت تكون عليه * وكيلاً) إنكار واستبعاد لكونه ﷺ حفيظاً عليه بجزء عما هو عليه من الضلال ويرشده إلى الحق طوعاً أو كرهاً والفاء لترتيب الإنكار على ما قبله من الحالة للموجبة له كأنه قيل أبعد ما شاهدت غلوه في طاعة الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تقصره على الإيمان شاء أو أبى وقوله تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون ٤٤ أو يعقلون) إضراب وانتقال عن الإنكار المذكور إلى إنكار حسبانته ﷺ لهم عن يسمع أو يعقل حسبما ينبنى عنه جده ﷺ في الدعوة واهتمامه بالإرشاد والتذكير لكن لا على أنه لا يقع كالأول بل على أنه لا ينبغي أن يقع أى بل أمحسب أن أكثرهم يسمعون ماتلو عليهم من الآيات حق السماع أو يعقلون مافي تضاعفها من المواضع الزاجرة عن القبايح الداعية إلى المحاسن فتعنى بشأنهم وتطمع في إيمانهم وضمير أكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناها كما أن الأفراد في الضمائر الأول باعتبار لفظها وضمير الفعلين لا كثير لا لما أضيف هو إليه وقوله تعالى (إن هم إلا كالأنعام) الخ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير النكير وتأكيده وحسم مادة الحسبان بالمرّة أى ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات إلا كالبهايم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة (بل هم * أضل) منها (سبيلاً) لما أنها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهد لها وتعرف من يحسن إليها من يسئ إليها * وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وتأوى إلى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لرهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو أعدى عدوم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهلك ولا يهتمدون للحق الذي هو المشرع الهني والمورد العذب الروى ولأنها إن لم تعتقد حقاً مستتبهاً لا كتساب الخير لم تعتقد باطلاً مستوجباً لا قتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث هودوا قواعد الباطل وفرعوا عليها أحكام الشرور ولأن أحكام جهالتهم وضلالتهم مقصورة على أنفسهم لا تتعدى إلى أحد وجهالة هؤلاء مؤدية إلى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولا نهائهم معطلة لقوة من القوى المودعة بل صارفة لها إلى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال وأما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة الأصلية التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك أعظم العقاب وأشد النكال .

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٢٥﴾ الفرقان

٤٥ (ألم ترالى ربك) بيان لبعض دلائل التوحيد لإثبات بيان جملة المعرضين عنها وضلائهم والخطاب لرسول الله ﷺ والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ لتشريفه ﷺ وللإيدان بأن ما يعقبه من آثار ربوبيته ورحمته تعالى أى ألم تنظر إلى بديع صنعه تعالى (كيف مد الظل) أى كيف أنشأ ظل أى مظل كان من جبل أو بناء أو شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتداً لا أنه تعالى مده بعد أن لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار إلى غروبها فإن ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بإنشائه تعالى وإحداثه بأباه سياق النظم الكريم وأما ما قيل من أن المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وأنه أطيب الأوقات فإن الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل محدود فغير سديد إذ لا ريب في أن المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد أن يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضح الشمس وما ذكر وإن كان في الحقيقة ظلاً للأفق الشرقى لكنهم لا يعدونه ظلاً ولا يصفونه بأوصافه المعهودة ولعل توجيه الرؤية إليه سبحانه وتعالى مع أن المراد تقرير رؤيته ﷺ لكيفية مد الظل للتنبيه على أن نظره ﷺ غير مقصور على ما يطالع من الآثار والصنائع بل مطمح أنظاره معرفة شئون الصانع المجيد وقوله تعالى (ولو شاء لجعله ساكناً) جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من أول الأمر على أنه لا مدخل فيما ذكر من المد للأسباب العادية وإنما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة مخوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزء أى ولو شاء سكونه لجعله ساكناً أى ثابتاً على حاله من الطول والامتداد وإنما عبر عن ذلك بالسكون لما أن مقابله الذى هو تغير حاله حسب تغير الأوضاع بين المظل وبين الشمس يرى رأى العين حركة وانتقالاً وحاصله أنه لا يعتريه اختلاف حال بأن لا تنسخه الشمس وأما التعليل بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فداره الغفول عما سيق له النظم الكريم ونطق به صريحاً من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الأمور الحادثة إليه تعالى بالذات وإسقاط الأسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات لا بد كقدرته تعالى على بعض الخوارق كإقامة الشمس في مقام واحد على أنها أعظم من إبقاء الظل على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها ففى أولى وأحق بالإيراد في معرض البيان وقوله تعالى (ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) عطف على مد داخل في حكمه أى جعلناها علامة يستدل بأحوالها المتغيرة على أحواله من غير أن يكون بينهما سببية وتأثير قطعاً حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات إلى نون العظمة لما في الجمل المذكور العارى عن التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في إيراد كلمة التراخي وقوله تعالى :

٢٥ الفرقان

ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾

٢٥ الفرقان

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ٢٥ الفرقان

- (ثم قبضناه) عطف على مد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما أن في بيان كون القبض والمدرتين ٤٦ دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز أن تكون للتراخي الرتبي أي أولناه بعد ما أنشأناه ممتداً ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيتنا عند إيقاع شعاع الشمس موقعه من غير أن يكون له تأثير في ذلك أصلاً وإنما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه لما أنه قد عبر عن إحداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى (إلينا) للتنصيص على كون مرجعه إليه تعالى كما أن حدوثه منه عز وجل (قبضاً يسيراً) أي على مهل قليلاً قليلاً حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتمة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقبل إن الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض تحتها ألقت القبة ظلها على الأرض لعدم النير وذلك مده تعالى إياه ولو شاء لجمعه ساكناً مستقراً على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أي سلطها عليه ونصبها دليلاً متبوعاً له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويقص ثم نسخه بها قبضه قبضاً سهلاً يسيراً غير عسير أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهي الأجرام التي تاتي الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه كما ذكر إنشاؤه بإنشائها ووصفه باليسر على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً) بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته ٤٧ وروائع أحكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلويح الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفي تعقيب بيان أحوال الظل ببيان أحكام الليل الذي هو ظل الأرض من لطف المسلك مالا مزيد عليه أي هو الذي جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس (والنوم سباتاً) أي وجعل النوم الذي يقع في الليل غالباً قطعاً عن الأفاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي هو الموت لما بينها من المشابهة التامة في انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها (وجعل النهار نشوراً) أي زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أو نفس البعث على طريق المبالغة وفيه إشارة إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام بابني كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر (وهو الذي أرسل الرياح) ٤٨ وقرىء بالتوحيد على أن المراد هو الجنس (بشراً) تخفيف بشر جمع بشور أي مبشرين وقرىء بشري وقرىء نشراً بالنون جمع نشور أي ناشرات للسحاب وقرىء بالتخفيف وفتح النون أيضاً على أنه مصدر

لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مِّيتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِي كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ٢٥ الفرقان

وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَابْتِئَا كَثُرُوا نَاسًا إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ٢٥ الفرقان

- وصف به مبالغة وقوله تعالى (بين يدي رحمة) استعارة بديعة أى قدام المطر والالتفات إلى نون العظمة
- فى قوله تعالى (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً) لإبراز كمال العناية بالإزال لأنه نتيجة ما ذكر من إرسال الرياح أى أنزلنا بعظمتنا بما رتبنا من إرسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغاً فى الطهارة وما قيل إنه ما يكون طاهراً فى نفسه ومطهراً لغيره فهو شرح لبلاغته فى الطهارة كما ينبى عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فإن الطهور فى العربية إما صفة كما تقول ماء طهور أو اسم كما فى قوله طاهر التراب طهور المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما فى قولك تطهرت طهوراً أحسنأ كقولك وضوء أحسنأ ومنه قوله طاهر لا صلاة إلا بطهور ووصف الماء به إشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده فإن الماء الماء الطهور أهناً وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغى أن يطهروها فبواطهم أحق بذلك وأولى (لنحيى به) أى بما أنزلنا من الماء الطهور (بلدة ميتاً) يانبات النبات والتذكير لأن البلدة بمعنى البلد ولأنه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فأجرى مجرى الجامد والمراد به القطعة من الأرض عامرة كانت أو غامرة (ونسقيه) أى ذلك الماء الطهور عند جريانه فى الأودية أو اجتماعه فى الحياض والمنافع أو الآبار (مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً) أى أهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والأناسي وتخصيصهم بالذكر لأن أهل القرى والأوصار يقيمون بقرب الأنهار والمنابع فهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعث فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالباً مع أن مساق الآيات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة والانعام حيث كانت قنية للإنسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيا على سقيهم كما قدم عليها إحياء الأرض فإنه سبب لحياتها وتعيشها وقرىء نسقيه وأسقى وسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا وأناسي جمع أنسى أو أنسان كظرايى فى ظربان على أن أصله أناسين فقلبت نونه ياء وقرىء أناسي بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كأنعام فى أناعيم (ولقد صرفناه) أى وبالله لقد كررنا هذا القول الذى هو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر لما مر من الغايات الجميلة فى القرآن وغيره من الكتب السماوية (بينهم) أى بين الناس من المتقدمين والمتأخرين (ليذكروا) ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته فى ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيام وقيل الضمير للطير وأصريفه بينهم لإنزاله فى بعض البلاد دون غيرها أو فى بعض الأوقات دون بعض أو جعله تارة وبلا وأخرى طلاً وحينا
- ديمة ووقتاً رهمة والأول هو الأظهر (فأبى أكثر الناس) ممن سلف وخلف (إلا كفوراً) أى لم يفعل إلا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو إلا جحودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكر وصنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الأمطار إلا من الأنواء فهو كافر بخلاف من يرى أن الكل بخلق الله تعالى

٢٥ الفرقان

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾

٢٥ الفرقان

فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا

٢٥ الفرقان

مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾

- والأنواء أمارات لجعله تعالى (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً) نبياً ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة ٥١
 لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الأمر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيراً لإجلال
 لك وتعظيماً وتفضيلاً لك على سائر الرسل (فلا تطيع الكافرين) أى فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في ٥٢
 الدعوة وإظهار الحق والتشدد معهم كأنه نهى لرسول الله ﷺ عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة لما
 أنه ﷺ كان يود أن يدخلوا في الإسلام ويجتهد في ذلك بتأليف قلوبهم أشد الاجتهاد (وجاهدكم به) أى
 بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ ونذكير أحوال الأمم المكذبة (جهاداً
 كبيراً) فإن دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفاً وقيل الضمير المحرور
 لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة وأنت خبير بأن مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة أصلاً وليس
 فيه شائبة الجهاد فضلاً عن الجهاد الكبير اللهم إلا أن تجعل الباء للدلالة على الجهاد كما ذكر
 من أحكام القرآن الكريم ملائمة بترك طاعتهم كأنه قيل فجاهدكم بالشدّة والعنف لا بالملازمة والمداراة
 كما في قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم. وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى
 ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً من كونه ﷺ نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل
 نذير مجاهدة قرينته فاجتمعت على رسول الله ﷺ تلك المجاهدات كلها فكبر من أجل ذلك جهاده وعظم
 فقيل له ﷺ وجاهدكم بسبب كونك نذير كافة القرى جهاداً كبيراً جامعاً لكل مجاهدة وأنت خبير بأن بيان
 سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فإنه بين بنفسه وإنما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها
 وعظمتها في الكيفية (وهو الذي مرج البحرين) أى خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج ٥٣
 دابته إذا خلاهما (هذا عذب فرات) قانع للعطش لغاية عذوبته (وهذا ملح أجاج) بليغ الملوحة وقرى
 ملح فلعله تخفيف ملح كبرد في بارد (وجعل بينهما برزخاً) حاجزاً غير مرتق من قدرته كما في قوله تعالى
 بغير عمد ترونها (وحجراً محجوراً) وتنافراً مفراطاً كأن كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل
 حداً محدوداً وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجري في خلاله فرائس لا يتغير طعمها وقيل المراد
 بالبحر العذب البحر العظيم وبالمالح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الأرض فيكون أثر القدرة في
 الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية.

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ٢٥ الفرقان

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ٢٥ الفرقان

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ ٢٥ الفرقان

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ٢٥ الفرقان

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٢٥ الفرقان

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْأَلُ بِهِ

خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ٢٥ الفرقان

- ٥٤ (وهو الذي خلق من الماء بشراً) هو الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام أو جعله جزءاً من مادة البشر ليجمع ويسلس ويستعد لقبول الأشكال والهيئات بسهولة أو هو النطفة (لجعله نسباً وصهراً) أي قسمه قسمين ذوى نسب أي ذكر وأُنثى ينتسب إليهم وذوات صهر أي إناثاً يصاهر بهن كقوله تعالى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (وكان ربك قديراً) مبالغاً في القدرة حيث قدر على أن يخلق من مادة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة وطباع متباينة وجملة قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين
- ٥٥ ذكر أو أنثى (ويعبدون من دون الله) الذي شأنه ما ذكر (مالا ينفعهم ولا يضرهم) أي مالم يس من شأنه النفع والضرر أصلاً وهو الأصنام أو كل ما يعبد من دونه تعالى إذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضرر * (وكان الكافر على ربه) الذي ذكرت آثاره بوبه (ظهيراً) يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس أو أبو جهل وقيل هيتا مهنياً لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به إذا نبذته خلف ظهره فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم (وما أرسلناك إلا مبشراً) للمؤمنين (ونذيراً) للكافرين (قل) لهم (ما أسألكم عليه) أي على تبليغ الرسالة الذي ينهى عنه الإرسال (من أجر) من جهنم (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً) أي لا فاعل من يريد أن يتقرب إليه تعالى ويطلب الزاقي عنده بالإيمان والطاعة حسبما أدعوا إليهم فصور ذلك بصورة الأجر من حيث أنه مقصود الإتيان به واستثنى منه قلعاً كلياً لشأبه الطمع وإظهاراً لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائداً إليهم عائداً إليه ^{٥٨} وقيل الاستثناء منقطع أي لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل (وتوكل على الحي الذي لا يموت) في الاستكفاء عن شرورهم والإغناء عن أجورهم فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين من شأنهم الموت فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم (وسبح بحمده) ونزهه عن صفات النقصان مثبناً عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الإنعام بالشكر على سوابغه (وكفى به بذنوب عباده) مظهر منها ٥٩ وما بطن (خبيراً) أي مطلعاً عليهم بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزئهم جزاء وافياً (الذي خلق السموات

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ ٢٥ الفرقان

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ ٢٥ الفرقان

- والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على أنه صفة أخرى للحي وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالأبدية التي هي من الصفات الذاتية والإشارة إلى الصافه بالعالم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيد كيدته فإن من أنشأ هذه الأجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين في أوقات معينة مع كمال قدرته على إبداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول أحق من يتوكل عليه وأولى من يفوض الأمر إليه (الرحمن) مرفوع على المدح أي هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تأكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى وإن لم يتبعه في الإعراب لما تقرر من أن المنصوب والمرفوع مدحا وإن خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الإعراب وبذلك سميا قطعاً لكنهما تابعا له حقيقة ألا يرى كيف ألزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع وما للتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيهاً على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى (فاسأل به) أي بتفاصيل ما ذكر إجمالاً من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط إذ بعد بيانهما لا يبق إلى السؤال حاجة ولا في تعديته بالبلاء فائدة فإنها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعى لكون المستول أمراً خطيراً مهتماً بشأنه غير حاصل للسائل وظاهر أن نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من أن التقدير إن شككت فيه فاسأل به خبيراً على أن الخطاب له ﷺ والمراد غيره بمعزل من السداد بل التقدير إن شئت تحقيق ما ذكر أو تفصيل ما ذكر فاسأل معنياً به (خبيراً) عظيم الشأن محيطاً بظواهر الأمور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جليلة الأمر وقيل فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ إلى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى إن أنكروا إطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا بحجى ما يرداه في كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبراً وقرئ فسل (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) ٦٠ قالوا ما أنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى أولاً منهم ظنوا أن المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا (أنسجد لما تأمرنا) أي الذي تأمرنا بسجوده أو لا نملك إيماناً من غير أن نعرف أن المسجود له ماذا وقيل لأنه كان معرباً لم يسمعه وقرئ بأمرنا بياء الغيبة على أنه قول بعضهم لبعض (وزادهم) أي الأمر بسجود الرحمن (نفوراً) عن الإيمان (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً) هي البروج الاثنا عشر سميت به وهي القصور العالية لأنها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من الراج لظهوره (وجعل فيها سراجاً) هي الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجاً وقرئ سراجاً وهي

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ ارَادَ اَنۡ يَذَّكَّرَ اَوْ اَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ٢٥ الفرقان

وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِيۡنَ يَمْشُوۡنَ عَلَى الْاَرْضِ هَوۡنًا وَاِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُوۡنَ قَالُوۡا سَلٰمًا ﴿٦٣﴾ ٢٥ الفرقان

وَالَّذِيۡنَ يَبْتَغُوۡنَ لِرَبِّهِمۡ سُبْحًا وَّقِيۡمًا ﴿٦٤﴾ ٢٥ الفرقان

وَالَّذِيۡنَ يَقُوۡلُوۡنَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ اِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ٢٥ الفرقان

- * الشمس والكواكب السكبار (وقرأ منيراً) مضياً بالليل وقرىء قرأ أى ذا قر وهى جمع قراء ولما أن الليالى بالقمر تكون قراء أضيف إليهم حذف وأجرى حكمه على المضاف إليه القائم مقامه كما فى قول حسان رضى الله عنه [بردى يصفق بالرحيق الساسل] أى ماء بردى ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه) أى ذوى خلفه يخلف كل منهما الآخر ٦٢ بأن يقوم مقامه فيما ينبغى أن يعمل فيه أو بأن يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهى اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس (لمن أراد أن يذكر) أى يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر فى بدائع صنعه فيعلم أنه لا بد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد (أو أراد شكوراً) أى أن يشكر الله تعالى على ما فيهما من النعم أو ليسكونا وقتين للذاكرين من فانه ورده فى أحدهما تداركه ٦٣ فى الآخر وقرىء أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر (وعباد الرحمن) كلام مستأنف مسوق لبيان أو صاف خلص عباد الرحمن وأحوالهم الدنيوية والأخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والإضافة للتشريف وهو مبتدأ خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما فى آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة الإشارة وقرىء عباد الرحمن أى عباداه المقبولون (الذين يمشون على الأرض هوناً) أى بسكينة وتواضع وهوناً مصدر وصف به ونصبه إما على أنه حال من فاعل يمشون أو على أنه نعت لمصدره أى يمشون هينين لئنى الجانب من غير فظاظة أو مشياً هيناً وقوله تعالى (وإذا خاطبهم الجاهلون) أى السفهاء كما فى قول من قال [ألا لا يجملن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا] (قالوا سلاماً) بيان لحالهم فى المعاملة مع غيرهم إثر بيان حالهم فى أنفسهم أى إذا خاطبهم بالسوء قالوا تسليماً منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شرو قبل سداداً من القول يسلمون به من الأذية والإثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل عن أبى العالية وقوله تعالى (والذين يبتغون لهم سجداً وقياماً) بيان لحالهم فى معاملتهم مع ربهم أى يكونون ساجدين لربهم وقائمين أى يحيون الليل كلاً أو بعضاً بالصلاة وقيل من قرأ شيئاً من القرآن فى صلاة وإن قل فقد بات ساجداً وقائماً وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل (والذين يقولون) أى فى أعقاب صلواتهم أو فى عامة أوقانهم (ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

٢٥ الفرقان

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾

٢٥ الفرقان

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾

٢٥ الفرقان

إن عذابها كان غراماً) أى شراً دائماً وهلاكاً لازماً وفيه مزيد مدح لهم ببيان أنهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتلون إلى الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين بأعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون (إنها ساءت مستقراً ومقاماً) ٦٦

تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها إثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز أن يكون تعليلاً للأولى وليس بذلك وساءت في حكم بدست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقراً والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقراً ومقاماً هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إن وجعلها خبراً لها قبل ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم إن ومستقراً حال أو تمييز وهو بعيد خال عما في الأولى من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين من جمته تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا ٦٧ حد الكرم (ولم يقتروا) ولم يضيّقوا تضيق الشحيح وقيل الإسراف هو الإنفاق في المعاصي والقتل منع الواجبات والقرب وقرىء بكسر التاء مع فتح الياء وبكسرهما مخففة ومشدة مع ضم الياء (وكان بين ذلك) أى بين ما ذكر من الإسراف والقتل (قواماً) وسطاً وعدلاً سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي به سواء لاستوائهما وقرىء بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان أو حال مؤكدة أو هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز أن يكون اسم كان على أنه مبنى لإضافته إلى غير متمسك ولا يخفى ضعفه فإنه بمعنى القوام فيكون كالإخبار بشيء عن نفسه (والذين لا يدعون مع الله ٦٨ إلهاً آخر) شروع في بيان اجتنباهم عن المعاصي بعد بيان إتيانهم بالطاعات وذكر نفي الإسراف والقتل لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنبي الإشراف مع ظهور إيمانهم بإظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والإخلاص وتهويل أمر القتل والزنا بنظمهما في سلكه وللتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم أى لا يعبدون معه تعالى إلهاً آخر (ولا يقتلون النفس التي حرم الله) أى حرماً بمعنى حرم قتلها *

لخذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه مبالغة في التحريم (إلا بالحق) أى لا يقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها أو لا يقتلون قتلاً ما إلا قتلاً ملتبساً بالحق أو لا يقتلونها في حال من الأحوال إلا حال كونهم ملتبسين بالحق (ولا يزنون) أى الذين لا يفعلون شيئاً من هذه العظائم القبيحة التي جمعها الكفرة حيث كانوا مع إشرافهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جللتها المودة مكبين على الزنا لا يرفعون عنه أصلاً (ومن يفعل ذلك) أى ما ذكر كما هو دأب الكفرة

٢٥ الفرقان

يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيُجَدُّ فِيهِ مَهَانًا ﴿٦٩﴾

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

٢٥ الفرقان

رَحِيمًا ﴿٧٠﴾

٢٥ الفرقان

وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

٢٥ الفرقان

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾

- المذكورين (بلق) في الآخرة وقرىء بلى بالشديد مجزوما (أناما) وهو جزاء الإثم كالوالب والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الإثم أى بلى جزاء الإثم والتنوين على التقديرين للتفخيم وقرىء أيا ما أى شدائد
- ٦٩ يقال يوم ذو أيام لليوم الصعب (يضاعف له العذاب يوم القيامة) بدل من بلى لاتحادهما فى المعنى كقوله [مضى] تأتينا نلهم بنا فى ديارنا * نجد خطبا جزلا ونارا * أنا ججا] وقرىء بالرفع على الاستئناف أو على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرىء يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب (ويجلى فيه) أى فى ذلك العذاب المضاعف (مهانا) ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرىء يجلد ويجلد مبنيا للفعول من الإخلاق والتخليد وقرىء تجلى بالناء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصى إلى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) وذكر الموصوف
- ٧٠ مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للأعمال السابقة (فأولئك) إشارة إلى الموصول والجمع باعتبار معناه كما أن الأفراد فى الأفعال الثلاثة باعتبار لفظه أى أولئك الموصوفون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح (يبدل الله سيئاتهم حسنات) بأن يمحى سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعتهم أو يبدل بملك المعصية ودواعيها فى النفس ملكة الطاعة بأن يزيل الأولى ويأتى بالثانية وقيل بأن يوفقه لاضداد ما سلف منه أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل • يبدلهم بالشرك إيمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصانا (وكان الله غفورا رحيمًا) اعتراض
- ٧١ تذييل مقرر لما قبله من المحو والإثبات (ومن تاب) أى عن المعاصى بتركها بالنكبة والندم عليها (وعمل صالحا) يتلافى به ما فرط منه أو خرج عن المعاصى ودخل فى الصالحات (فإنه) بما فعل (يتوب إلى الله) أى يرجع إليه تعالى (متابا) أى متابا عظيم الشأن مرضيا عنده تعالى ما حيا للعقاب محملا للثواب أو يتوب متابا إلى الله تعالى الذى يحب التوابين ويحسن إليهم أو فإنه يرجع إليه تعالى أو إلى ثوابه مرجعا
- ٧٢ حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص (والذين لا يشهدون الزور) لا يقيمون الشهادة الكاذبة أو لا يحضرون محاضر الكذب فإن مشاهدة الباطل مشاركة فيه (وإذا مروا) على طريق الاتفاق (باللغو) أى ما يجب أن يلقى ويترك عما لا خير فيه (سروا كراما) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ٢٥ الفرقان

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ٢٥ الفرقان

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ ٢٥ الفرقان

- (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم) المنظوية على المواعظ والأحكام (لم يخروا عليها صمًا وعميانًا) أى أكبوا
 عليها سامعين بآذان واعية مجتنبين لها بعيون راعية وإنما عبر عن ذلك بنفى الضد تعريضاً بما يفعله الكفرة
 والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللفظ (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا
 قرة أعين) بتوفيقهم للطاعة وحياسة الفضائل فإن المؤمن إذا ساعده أهله في طاعة الله عز وجل وشاركوه
 فيها يسرهم قلبه وتفرجهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة
 حسب ما وعد بقوله تعالى ألم تهنأ بهم ذريتهم ومن ابتدائية أو بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الأعين لإرادة
 تنكير القرة تعظيماً وتقابلها لأن المراد أعين المتقين ولا ريب في قلتها نظراً إلى غيرها (واجعلنا للمتقين
 إماماً) أى اجلسنا بحيث يقتدون بنا في إقامة مواسم الدين بإفاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيد الدلالة
 على الجنس وعدم الالتباس بقوله تعالى ثم يخرجكم طفلاً أو لأن المراد واجعل كل واحد منا إماماً أو
 لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريققتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وأنت خير بأن مدار الكل صدور هذا
 الدعاء إماماً عن الكل بطريق المعية وأنه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فذا طك باجتماعهم في مجلس
 واحد واتفاقهم على كلمة واحدة وإماماً عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الإمامة وأنه
 ليس بثابت جزماً بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وأن عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعنا
 للمتقين إماماً خلا أنه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد إلى الإيجاز على طريقة قوله تعالى
 يأبها الرسل كآرامن الطيبات واعملوا صالحاً وأبى إماماً على حاله وقيل الإمام جمع أم بمعنى قاصد كصيام
 جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم وإعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات
 بطريق العطف على صلة الموصول الأول الإيذان بأن كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات
 المذكورة وصف جليل على حياله له شأن خطير حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من
 ذلك تنمة لغيره وتوسط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي
 كما في قوله [إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتاب في المزدحم] (أولئك) إشارة إلى المنتصفين
 بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكل تميز
 منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلاتهم في الفضل وهو
 مبتدأ خبره قوله تعالى (يجزون الغرفة) والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مبنية لما لهم في الآخرة
 من السعادة الأبدية إثر بيان ما لهم في الدنيا من الأعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء

٢٥ الفرقان

خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾

٢٥ الفرقان

قُلْ مَا يَعْبَهُوا بِكُمْ رَّبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

مرتفع حال أى يثابون أعلى منازل الجنة وهى اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى وهم فى الغرفات آمنون وقيل هى اسم من أسماء الجنة (بما صبروا) أى بصبرهم على المشاق من مفض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها) من جهة الملائكة (نحية وسلاماً) أى يحبيهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات أو يعطون النبية والتخليد مع السلامة من كل آفة وقيل يحى بعضهم بعضاً ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقي (خالدين فيها) لا يموتون ولا يخرجون (حسنت مستقراً ومقاماً) ٧٦ الكلام فيه كالذى مر فى مقابله (قل) أمر رسول الله ﷺ بأن يبين للناس أن الفائزين بتلك النعماء الجليلة التى يتنافس فيها المتنافسون إنما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم أصلاً أى قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر (ما يعبا بكم ربى لولا دعاؤكم) أى أى عبء يعبا بكم وأى اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبها من تفصيله فإن الإنسان معرفته تعالى وطاعته وإلا فهو وسائر الهائم سواء وقال الزجاج معناه أى وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام وقيل ما يصنع بعدا بكم لولا دعاؤكم معه آلهة ويجوز أن تكون مانافية وقوله تعالى (فقد كذبتهم) بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما أن ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم أى فقد كذبتهم بما أخبركم به وخالفتموه أيها الكفرة ولم تعملوا عمل أولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال إذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون أى الكافرون منكم لعموم الخطاب للفرقةين وفائدته الإيذان بأن مناط فوز أحدهما وخسران الآخر مع الاتحاد الجنسى المصحح للاشتراك فى الفوز ليس إلا اختلافاً فى الأعمال (فسوف يكون لزاماً) أى يكون جزاء التكذيب أو أثره لازماً • يحق بكم لا محالة حتى يكبكم فى النار كما تعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وإنما أضمر من غير ذكر للإيذان بغاية ظهوره وتهويل أمره وللتنبية على أنه لا يكتنبه البيان وقيل يكون العذاب لزاماً وعن مجاهد رحمه الله هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتل وقرئ لزاماً بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والشبوت . عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة الفرقان لقي الله تعالى وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب .

٢٦ - سورة الشعراء
(مكية وهي مائتان وسبع وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٦ الشعراء

طسّم ﴿١﴾

٢٦ الشعراء

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾

٢٦ الشعراء

لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

٢٦ الشعراء

إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾

(سورة الشعراء مكية إلا الآيات ١٩٧ ومن آية ٢٢٤ إلى آخر السورة مدنية وآياتها ٢٢٧)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (طسّم) بتفخيم الألف وإظهار النون وإدغامها في الميم وهو إما مسرود على نمط التعديد بطريق النحوى على أحد الوجهين المذكورين في فاتحة البقرة فلا محل له من الإعراب وإما أسم للسورة كما عليه الإطباق الأكثر فحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وهو أظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس عليه السلام أو النصب بتقدير فعل لا نقي بالمقام نحو اذكر أو اقرأ وتلك في قوله تعالى (تلك آيات الكتاب المبين) إشارة إلى السورة سواء كان طسّم مسروداً على نمط التعديد أو اسماً للسورة حسبما مر تحقيقه هناك وما في اسم الإشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار إليه في الفخامة ومحل الرفع على أنه مبتدأ خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسّم مبتدأ فهو مبتدأ ثان أو بدل من الأول والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين الظاهر إعجازه على أنه من أبان بمعنى بان أو المبين للأحكام الشرعية وما يتعلق بها أو الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضها منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة (لعلك باخع نفسك) أى قاتل وأصل البخع أن يباغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الإضافة ولعل للإشفاق أى أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما قاتك من إسلام قومك (أن لا يكونوا مؤمنين) أى لعدم إيمانهم بذلك الكتاب المبين أو خيفة أن لا يؤمنوا به وقوله تعالى (إن نشأ) الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهى عن التحسر المذكور ببيان أن إيمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتماً فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء أعنى قوله تعالى (نزل عليهم من السماء آية) أى ملاحظة لهم إلى الإيمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم
- ٢٠٠ - أبى السعود ج ٦

٢٦ الشعراء

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

٢٦ الشعراء

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾

٢٦ الشعراء

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾

- والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى افعلوا ما فعلوا من الإعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها / ولم ينظروا (إلى الأرض) أى إلى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية إلى الإقبال على ما عرضوا عنه وإلى الإيمان به وقوله تعالى (كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) استئناف مبين لما فى الأرض * من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية إلى الإيمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لإفادة الإحاطة والكثرة معاً ومن كل زوج أى صنف تمييز والكريم من كل شئ مرضيه ومحموده أى كثيراً من كل صنف مرضى كثير المنافع أنبتنا فيها وتخصيص إنباته بالذكر دون ما عداه من الأصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معاً ويحتمل أن يراد به جميع أصناف النبات نافعا وضارها ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على أنه تعالى ما أنبت شيئاً إلا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذى خلق لكم فى الأرض جميعاً فإن الحكيم لا يكاد يفعل فعلاً إلا وفيه حكمة بالغة وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى معرفة كتبها العاقلون (إن فى ذلك) إشارة إلى مصدر أنبتنا أو إلى كل واحد من ٨ تلك الأزواج وأياً ما كان فما فيه من معنى البعد الإبدان ببعد منزلته فى الفضل (لآية) أى آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للإيمان وإزعة عن الكفر (وما كان أكثرهم) أى أكثر قومه ﷺ (مؤمنين) قيل أى فى علم الله تعالى وقضائه حيث علم ألا أنهم * سيصرفون فيما لا يزال اختصارهم الذى عليه يدور أمر التكليف إلى جانب الشر ولا يتدبرون فى هذه الآيات العظام وقال سيؤيه كان صلة والمعنى وما أكثرهم مؤمنين وهو الأنسب بمقام بيان عتوم وغلوم فى المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الإيمان من جهته تعالى وأما نسبة كفرهم إلى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لأن ما أشير إليه من التحقيق مما خفى على مهرة العلماء المنتقنين كأنه قيل إن فى ذلك لآية باهرة موجبة للإيمان وما أكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم فى الكفر والضلالة وانهما كهم فى الفنى والجهالة ونسبة عدم الإيمان إلى أكثرهم لأن منهم من سيؤمن (وإن ربك ٩ هو العزيز) الغالب على كل ما يريد من الأمور التى من جملتها الانتقام من هؤلاء (الرحيم) المبالغ فى الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترعوا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات وفى التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى (وإذ نادى ربك موسى) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من إعراضهم عن كل ما يأتىهم من ١٠ الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها إثر بيان إعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية وإذ منصوب

٢٦ الشعراء

قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾

٢٦ الشعراء

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾

٢٦ الشعراء

وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿١٣﴾

- على المفعولية بمضمرة خوطب به النبي ﷺ أى واذكر لأولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى إياه عليه الصلاة والسلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم إياه زجرأ لهم عمام عليه من التكذيب وتحذيراً من أن يحيق بهم مثل ما حاق بأضربهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك أنهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال أولئك فقط بل بمشاهدة إصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحى الساطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مراراً (أن ائت) بمعنى أى ائت على أن أن مفسرة أو بأن ائت * على أنها مصدرية حذف منها الجار (القوم الظالمين) أى بالكفر والمعاصى واستعباد بنى إسرائيل وذبح أبنائهم وليس هذا مطلع ماورد في حيز النداء وإنما هو مافصل في سورة طه من قوله تعالى إني أنار بك إلى قوله لنريك من آياتنا الكبرى وإيراد ما جرى في قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى وأساليب مختلفة قد مر تحقيقه في أوائل سورة الأعراف عند قوله تعالى قال أنظرني (قوم فرعون) بدل من الأول أو عطف بيان له جرى به الإيذان بأنهم علم في الظلم كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون * والاقتصار على ذكر قومه للإيذان بشهرة أن نفسه أول داخل في الحكم (ألا يتقون) استئناف جرى به إثر إرساله عليه الصلاة والسلام إليهم للإنذار تعجيباً من غلوم في الظلم وإفراطهم في العدوان وقرىء بتمام الخطاب على طريقة الالتفات المنهى عن زيادة الغضب عليهم كأن ذكر ظلمهم أدى إلى مشافهتهم بذلك وهم وإن كانوا حينئذ غيباً لكنهم قد أجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم من حيث إنه مبلغه إليهم وإسماعه مبتدأ لإسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرىء بكسر النون اكتفاء به عن باء المتكلم وقد جوز أن يكون بمعنى ألا يأناس اتقون نحو أن لا يسجدوا (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية ماضى كأنه قيل فذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعاً إلى الله عز وجل (رب إني أخاف أن يكذبون) من أول الأمر (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني) معطوفان على أخاف (فأرسل) أى جبريل عليه السلام (إلى هرون) ليكون معى وأتعاذه به في تبليغ الرسالة ترتب عليه الصلاة والسلام استدعاه ذلك على الأمور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وإزدياد ما كان فيه عليه الصلاة والسلام من حبسة اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطق لأنها إذا اجتمعت تمس الحاجة إلى معين يقوى قلبه وينوب منابه إذا اعتراه حبسة حتى

- وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ٢٦ الشعراء
- قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِبَنَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ٢٦ الشعراء
- فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ٢٦ الشعراء
- أَنْ أَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ ٢٦ الشعراء
- قَالَ أَلَمْ نَرْبِكُ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ٢٦ الشعراء

لا تختل دعوته ولا تنقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقى الأمر في شيء وإنما هو استدعاء لما يمينه على الامتثال به وتمهيد عذر فيه وقرىء ويضيق ولا ينطق بالنصب عطفاً على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه (ولهم على ذنب) أى تبعة ذنب لخداف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أوسمى ١٤ باسمه والمراد به قتل القبطى وتسميته ذنباً بحسب زعمهم كما يذنب عنه قوله لهم وهذا الإشارة إلى قصة مبسطة في غير موضع (فأخاف) أى إن أتيتهم وحدى (أن يقتلون) بمقابلته قبل أداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا أيضاً تعللاً وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى (قال كلا فاذهبا بآياتنا) حكاية ١٥ لإجابته تعالى إلى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف وضم أخيه المفهوم من توجيه الخطاب إليهما بطريق التغليب فإنه معطوف على مضمرة يذنب عنه الردع كأنه قيل ارتدع باموسى عما ظن فاذهب أنت ومن استدعيته وفي قوله بآياتنا رمز إلى أنها تدفع ما يخافه وقوله تعالى (إنا معكم مستمعون) تعليل • للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى إني معكما أسمع وأرى وحيث كان الموعد بمحضر من فرعون اعتبر ههنا في المعية وقيل أجرياً مجرى الجماعة وبأباه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية أى سامعون ما يجرى بينكما وبينه فظهر كما عليه مثل حاله تعالى بحالذى شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجرى بينهم ليمد أوليائه ويظهرهم على أعدائهم مبالغة في الوعد بالإطاعة أو استعير الاستماع الذى هو بمعنى الإصغاء للسمع الذى هو العلم بالحروف والأصوات وهو خبر ثان أو خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) لترتيب ١٦ ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تأكيد الأمر بالذهاب لأن معناه الوصول إلى المآلى لا مجرد التوجه إليه كالذهاب وإفراد الرسول إما باعتبار رسالة كل منهما أو لاتحاد مطلبهما أولآنه مصدر وصف به وأن في قوله تعالى (أن أرسل معنا بنى إسرائيل) مفسرة لتضمن الإرسال المفهوم ١٧ من الرسول معنى القول ومعنى إرسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهم إلى الشام (قال) أى فرعون لموسى ١٨ عليه السلام بعد ما أتياه وقال له ما أمراً به يروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهم سنة حتى قال البواب إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال أئذن له لعلنا نضحك فأديا إليه الرسالة فعرف

٢٦ الشعراء

وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ اَلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

٢٦ الشعراء

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٧﴾

٢٦ الشعراء

فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٨﴾

٢٦ الشعراء

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٩﴾

- موسى عليه السلام فقال عند ذلك (ألم نربك فينا) في حجرنا ومنازلنا (وليدأ) أى طفلا عبر عنه بذلك اقرب عهده بالولادة (ولبثت فينا من عمرك سنين) قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين وأقام بها عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله عز وجل ثلاثين سنة ثم بقى بعد الغرق خمسين سنة وقيل وكز القبطى وهو ابن اثنى عشرة سنة وفرمهم على إثر ذلك والله أعلم (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى بعد ما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وقطعه وقرىء فعلتك بكسر الفاء لأنها كانت نوعا من القتل (وأنت من الكافرين) أى بنعمتى حيث عمدت إلى قتل رجل من خواصى أو أنت حينئذ من تكفرهم الآن وقد افترى عليه عليه الصلاة والسلام أو جهل أمره عليه الصلاة والسلام حيث كان يعايشهم بالتقية وإلا فأين هو عليه الصلاة والسلام من مشاركتهم فى الدين فالجملة حينئذ حال من إحدى النامين ويجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بالهيته أو من يكفرون فى دينهم حيث كانت لهم آلهة يعبدونها أو من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه (قال) مجيباً له مصداقاً له فى القتل ومكذباً فيما نسبته إليه من الكفر (فعاتها إذاً وأنا من الضالين) أى من الجاهلين وقد قرىء كذلك لاهن الكافرين كما زعمت افتراء أى من الفاعلين فعل الجملة والسفهاء أو من المخطئين لأنه لم يتعمد قتله بل أراد تأديبه أو الذاهبين عما يؤدى إليه التركيز أو الناسين كقوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى
- ٢١ (فقررت منكم) إلى ربى (لما خفتكم) أن تصيبونى بمضرة وتؤاخذونى بما لا أستحقه بجنايتى من العقاب (فوهب لى ربى حكماً) أى حكمة أو نبوة (وجعلنى من المرسلين) ردأولا بذلك ما وبخه به قدحا فى نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على أن ذلك كان فى الحقيقة نعمة فقال (وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل) أى تلك التربية نعمة تمن بها على ظاهر أوهى فى الحقيقة تعبيدك بنى إسرائيل وقصدك إياهم بذبح أبنائهم فإنه السبب فى وقوعى عندك وحصولى فى تربيتك وقيل إنه مقدر بهمزة الإنكار أى أو تلك نعمة تمنها على وهى أن عبدت بنى إسرائيل وبحل أن عبدت الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من نعمة أو الجر بإضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بنى إسرائيل نعمة تمنها على وتوحيد الخطاب فى تمنها وجمعه فيما قبله لأن المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن مائه

- قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ الشعراء ٢٦
- قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ الشعراء ٢٦
- قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ الشعراء ٢٦
- قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ الشعراء ٢٦
- قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ الشعراء ٢٦
- قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ الشعراء ٢٦

(قال فرعون) لما سمع منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالة المتينة وشاهد تصليه في أمره وعدم تأثره ٢٣ بما قدمه من الإبراق والإرعاد شرع في الاعتراض على دعواه عليه الصلاة والسلام فبدأ بالاستفسار عن المرسل فقال (وما رب العالمين) حكاية لما وقع في عباراته عليه الصلاة والسلام أى شئ رب العالمين الذى ادعيت أنك رسوله منكراً لأن يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من إله غيرى وينطق به وعيده عند تمام أجوبته عليه الصلاة والسلام (قال) ٢٤ موسى عليه السلام مجيباً له (رب السموات والأرض وما بينهما) بتعيين ما أراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ماتحت مملكته (إن كنتم موقنين) أى إن كنتم موقنين بالاشياء محققين لما علمتم ذلك أو إن كنتم موقنين بشئ من الاشياء فهذا أولى بالإيقان لظهوره وإثارة دليله (قال) أى فرعون عند سماع جوابه عليه الصلاة والسلام خوفاً من تأثيره في قلوب ٢٥ قومه وإذعانهم له (لن حول) من أشرف قومه قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا خمسائة عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة (ألا تستمعون) مرثياً لهم أن ماسمعه من جوابه عليه الصلاة والسلام مع كونه لا يلبق بأن يعتد به أمر حقيق بأن يتعجب منه كأنه قال ألا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعى خلاف أمر محقق لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه (قال) عليه الصلاة والسلام أصرحاً ٢٦ بما كان مندرجات جوابيه السابقين (ربكم ورب آبائكم الأولين) وخطأه من ادعاء الربوبية إلى مرتبة الربوبية (قال) أى فرعون لما رآه موسى عليه السلام بما ذكر غاظه ذلك وخاف من تأثر قومه منه ٢٧ فأراهم أن ما قاله عليه الصلاة والسلام لا يصدر عن العقلاء صدأ لهم عن قبوله فقال مؤكداً لمفاته الشنعاء بحر في التأكيد (إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون) ليفتنهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولاً بطريق الاستهزاء وأضافه إلى مخاطبته ترفعاً من أن يكون مرسل إلى نفسه (قال) عليه الصلاة ٢٨ والسلام (رب المشرق والمغرب وما بينهما) قاله عليه الصلاة والسلام تكميلاً لجوابه الأول وتفسيراً له

قَالَ لَيْنِ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾

٢٩ الشعراء

٢٩ الشعراء

قَالَ أَوْلَوْ جِنَّتَكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

وتنبها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فإن بيان ربوبيته تعالى للسموات والأرض وما بينهما وإن كان متضمناً لبيان ربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وما فيها وتغيرات أحوالها وأوضاعها وكون الأرض تارة مظلمة وأخرى منورة إلى الله تعالى أرشدهم إلى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فإن ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الأوضاع الرصينة وكل ذلك أمور حادثة مفتقرة إلى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السموات والأرض التي ربما يتوهم جملة المتوهمين باستمرارها استغناءها عن الموجد المتصرف (إن كنتم تعقلون) أى إن كنتم تعقلون شيئاً من الأشياء أو إن كنتم من أهل العقل علمتم أن الأمر كما قلته وفيه إيدان بغاية وضوح الأمر بحيث لا يشتبه على من له عقل في الجملة وتلويح بأنهم بمعزل من دائرة العقل وأهم المنتصفون بآراموه عليه الصلاة والسلام به من الجنون (قال) لما سمع اللعين منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالات المبنية على أساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية أمره وأنه ممن لا يجارى في حلبة المحاورة ضرب صفحاً عن المقابلة بالإنصاف ونأى بجانبه إلى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرأ لما كان يضمره عند السؤال والجواب (إن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين) لم يقتنع منه عليه الصلاة والسلام بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عليه الصلاة والسلام أن يتخذها إلهاً لغاية عتوه وغلوه فيما فيه من دعوى الألوهية وهذا صريح في أن تعجبه وتعجيبه من الجواب الأول ونسبته عليه الصلاة والسلام إلى الجنون في الجواب الثانى كان لنسبته عليه الصلاة والسلام الربوبية إلى غيره وأما ما قيل من أن سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجبه من جوابه كان لعدم مطابقة له لكونه بذلك أحواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقالته واللام في المسجونين للعهد أى لأجعلنك ممن عرفت أحوالهم في مسجونى حيث كان يطرهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لأسجننك (قال أولو جنتك بشىء مبين) أى أنفعل بى ذلك ولو جنتك بشىء مبين أى موضح لصدق دعواى يريد به المعجزة فإنها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبر عنها بالشىء للتهويل قالوا الواو فى أولو جنتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أى جانياً بشىء مبين وقد سلف منا مرار أنها للعطف وأن كلمة لو ليست لانتفاء الشىء فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلاً على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية لإلغاء القصد إلى بيان الإعراب على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفى على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدّها منافاة له ليظهر

- ٢٦ الشعراء قَالَ فَاتِّبِ بِهِ ۚ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿٣١﴾
- ٢٦ الشعراء فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾
- ٢٦ الشعراء وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِیْنَ ﴿٣٣﴾
- ٢٦ الشعراء قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾
- ٢٦ الشعراء يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾

بثبوتها أو انتفائه معه ثبوتها أو انتفاؤه مع ماعداها من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الأحوال فإنك إذا قلت فلان جواد يعطى ولو كان فقيراً تريد بيان تحقق الإعطاء منه على كل حال من أحواله المفروضة فتعلق الحكم بأبعدها منه ليظهر بتحقيقه معه تحققه مع ماعداها من الأحوال التي لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الأولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كأنك قلت فلان جواد يعطى لو لم يكن فقيراً ولو كان فقيراً أى يعطى حال كونه غنياً وحال كونه فقيراً فالحال في الحقيقة كلنا الجملتين المتعاطفين لا المذكورة على أن الواو للحال وتصدير المجيء بما ذكر من كلمة لودون إن ليس لبيان استبعادها في نفسه بل بالنسبة إلى فرعون والمعنى أتفعل بى ذلك حال عدم مجيئى بشيء مبين وحال مجيئى به (قال فات به إن كنت من الصادقين) أى فيما يدل عليه كلامك من أنك تأتى بشيء مبين ٣١

موضح لصدق دعواك أو فى دعوى الرسالة وجواب الشرط المحذوف لدلالة ما قبله عليه (فألقى عصاه ٣٢

فإذا هي ثعبان مبين) أى ظاهر ثعبانيتها لأنه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب أى لجرفته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال فى سورة الأعراف وسورة طه (ونزع يده) من جيبه (فإذا هي بيضاء ٣٣

للناظرين) قيل لما رأى فرعون الآية الأولى وقال هل لك غيرها فأخرج يده فقال ما هذه قال فرعون يدك فافها فأدخلها فى إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسد الأفق (قال للدلائل حوله) أى ٣٤

مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال (إن هذا ساحر عليم) فائق فى فن السحر (يريد أن يخرجكم ٣٥

فسراً) (من أرضكم بسحره فإذا تأمرون) بهر سلطان المعجزة وحيرة حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية إلى حضيض الخضوع لعبيده فى زعمه والامتنال بأمرهم أو إلى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلاً فى الرأى والتدبير وأظهر استتعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الإخراج والأرض إليهم لتغييرهم عن موسى عليه السلام .

- ٢٦ الشعراء قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٨﴾
- ٢٦ الشعراء يَا تُؤَكُّ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٣٩﴾
- ٢٦ الشعراء لَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٤٠﴾
- ٢٦ الشعراء وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٤١﴾
- ٢٦ الشعراء لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٢﴾
- ٢٦ الشعراء فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنْ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٣﴾
- ٢٦ الشعراء قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ إِذَا لِمَنِ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٤﴾
- ٢٦ الشعراء قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٥﴾
- ٢٦ الشعراء فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٦﴾

٣٨ (قالوا أرجه وأخاه) أخر أمرهما وقيل أحبسهما (وابعث في المدائن حاشرين) أى شرطاً يحشرون
 ٣٨، ٣٧ السحرة (يا تؤك) أى الحاشرون (بكل سحر عليم) فائق في فن السحر وقرىء بكل ساحر (لجمع
 السحرة لميقات يوم معلوم) هو ماعينه موسى عليه السلام بقوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشرون الناس
 ٣٩ ضحى (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) قيل لهم ذلك استبطاء لهم في الاجتماع وحثاً لهم على المبادرة إليه
 ٤٠ (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) أى ندبهم في دينهم إن كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام
 وليس مرادهم بذلك أن يتبعوا دينهم حقيقة وإنما هو أن لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا
 ٤١ كلامهم مساقى الكناية حملاً لهم على الاهتمام والجد في المغالبة (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا
 ٤٢ لأجراً) أى أجراً عظيماً (إن كنا نحن الغالبين) لا موسى عليه السلام (قال نعم) لكم ذلك (وإنكم) مع
 ذلك (إذا لمن المقربين) عندى قيل قال لهم تكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج عنى وقرىء
 ٤٣ نعم بكسر العين وهما لغتان (قال لهم موسى) أى بعد ما قال له السحرة إما أن تلقى وإما أن نكون أول من
 ألقى (ألقوا ما أنتم ملقون) ولم يرد به الأمر بالسحر والتوبة بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة وتوسلاً
 ٤٤ به إلى إظهار الحق وإبطال الباطل (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا) أى وقد قالوا عند الإلقاء (بعزة
 فرعون إنا لنحن الغالبون) قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في أنفسهم وإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يوثق
 به من السحر .

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ الشعراء ٢٦

فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٤٦﴾ الشعراء ٢٦

قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ الشعراء ٢٦

رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ الشعراء ٢٦

قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا يَقْطَعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ الشعراء ٢٦

قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ الشعراء ٢٦

إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ الشعراء ٢٦

- ٤٥ (فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف) أى تتلفع بسرعة وقرىء تلقف بحذف إحدى التاءين من تتلقف (ما يافكون) أى ما يقبلونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حباهم وعصيمهم أنها حيات تسعى أو إفكهم تسمية للباطل فوك به مبالغة (فألقى السحرة ساجدين) أى إثر ما شاهدوا ذلك من غير تعلم ٤٦ وتردد غير متمالكين كأن ملقيا ألقاهم لهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وأنه أمر إلهي قد ظهر على يده عليه الصلاة والسلام لتصديقه وفيه دليل على أن قصارى ما ينتهى إليه هم السحرة هو التقوية والنزير وتخيل شئ لا حقيقة له (قالوا آمنا برب العالمين) بدل اشتغال من ألقى أو حال بإضممار قد وقوله ٤٧ تعالى (رب موسى وهرون) بدل من رب العالمين للنوضيح ودفع توهم إرادة فرعون حيث كان قومه ٤٨ الجملة يسمونه بذلك وللإشعار بأن الموجب لإيمانهم به تعالى ما أجراه على أيديهما من المعجزة القاهرة (قال) أى فرعون للسحرة (آمنتم له قبل أن آذن لكم) أى بغير أن آذن لكم كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل ٤٩ أن تنفذ كلمات ربي لا أن الإذن منه ممكن أو متوقع (إنه لكبيركم الذى علمكم السحر) فتواطأتم على ما فعلتم أو علمكم شيئاً دون شئ. فلذلك غلبكم أراد بذلك التاكيد على قومه كيلا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرىء آمَنْتُمْ بهمز تين (فلسوف تعلمون) أى وبال ما فعلتم وقوله (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبكم أجمعين) بيان لما أوعدهم به (قالوا) أى السحرة (لا ضير) لا ضرر فيه علينا وقوله ٥٠ تعالى (إننا إلى ربنا منقلبون) تعليل لعدم الضير أى لا ضير فى ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم أو لا ضير علينا فيما نتوعدنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهونها وأرجاها وقوله تعالى (إننا نطمع ٥١ أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) أى لأن كنا (أول المؤمنين) أى من أتباع فرعون أو من أهل المشهد لتعليل

٢٦ الشعراء

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾

٢٦ الشعراء

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾

٢٦ الشعراء

إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾

٢٦ الشعراء

وَأَنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾

٢٦ الشعراء

وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَاشِرُونَ ﴿٥٦﴾

٢٦ الشعراء

فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾

٢٦ الشعراء

وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾

ثان لنبي الضير أى لاضير علينا فى قتلك إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا أول المؤمنين وقرىء
 إن كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالحاتمة أو على طريقة قول المدلل بأمره كقول العامل لمستأجر
 ٥٢ أخر أجرته إن كنت عملت لك فوقى حتى (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى) وذلك بعد بضع سنين
 أقام بين أظهرهم يدعومهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا إلا اعتوا وعناداً حسبما فصل فى سورة
 الأعراف بقوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين الآيات وقرىء بكسر النون ووصل الألف من
 سرى وقرىء أن سر من السير (إنكم متبعون) تعليل للأمر بالإسراء أى يتبعكم فرعون وجنوده
 مصعبين فأسر بمن معك حتى لا يدركوكم قبل الوصول إلى البحر فيدخلوكم فاطبقه عليهم فأغرقهم
 ٥٤، ٥٣ (فأرسل فرعون) حين أخبر بمسيرهم (فى المدائن حاشرين) جامعين للعساكر ليتبعوهم (إن هؤلاء)
 يريد بنى إسرائيل (لشردمة قليلون) استقلهم وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً بالنسبة إلى جنوده إذ روى
 أنه أرسل فى أثرهم ألف ألف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون فى جمع عظيم وكانت
 مقدمته سبعمائة ألف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خرج
 ٥٦، ٥٥ فرعون فى ألف ألف حصان سوى الإناث (وإنهم لنا لغائظون) أى فاعلون ما يغيظنا (وإنا لجميع
 حاذرون) يريد أنهم لقاتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق
 صدورنا ونحن قوم عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الأمور فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى
 إطفاء نائرة فساد هذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن ثلاث يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرىء
 حذرون فالأول دال على التجدد والثانى على الثبات وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وقرىء حاذرون
 ٥٧ بالدال المهملة أى أقوياء وأشداء وقيل مدججون فى السلاح قد كسبهم ذلك حذارة فى أجسامهم (فأخرجناهم)
 ٥٨ بأن خلقناهم فىهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه (من جنات وعيون) (وكنوز ومقام كريم)

٢٦ الشعراء

كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾

٢٦ الشعراء

فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

٢٦ الشعراء

فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾

٢٦ الشعراء

قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾

٢٦ الشعراء

فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾

٢٦ الشعراء

وَأَزَلَفْنَا لِمِ الْأَخْرَيْنِ ﴿٦٤﴾

٢٦ الشعراء

وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾

كانت لهم جملة ذلك (كذلك) إما مصدر تشبهي لا يخرجنا أى مثل ذلك الإخراج العجيب أخرجناهم ٥٩
أو صفة لمقام كريم أى من مقام كريم كائن كذلك أو خبر لمبتدأ محذوف أى الأمر كذلك (وأورثناها
بني إسرائيل) أى ملكناها لإمام على طريقة تملك مال المورث للوارث كأنهم ملكوها من حين خروج
أربابها منها قبل أن يقبضوها ويتسلموها (فاتبعوهم) أى فلاحقوهم وقرىء فاتبعوهم (مشرقين) داخلين ٦٠
في وقت شروق الشمس أى طلوعها (فلما تراءى الجمعان) تفار با بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرىء
٦١ ترامت الفئتان (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) جاموا بالجملة الاسمية مؤكدة بمر في التأكيد للدلالة على
تحقق الإدراك واللاحاق وتنجزهما وقرىء لمدركون بتشديد الدال من أدرك الشيء إذا تابعه ففى أى
لمتتابعون في الهلاك على أيديهم (قال كلا) ارتدعوا عن ذلك فإنهم لا يدركونكم (إن معي ربي) بالنصرة ٦٢
والهداية (سيمدين) البتة إلى طريق النجاة منهم بالكلية روى أن يوشع عليه السلام قال يا كلثم الله ابن
أمرت فقد غشنا فرعون والبحر أماننا قال عليه السلام ههنا نخاض يوشع عليه السلام الماء وضرب موسى
عليه السلام بعصاه البحر فكان ما كان وروى أن مؤمناً من آل فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام
فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيتك آل فرعون قال عليه السلام أمرت بالبحر ولعلى أوامر
بما أصنع فأمر بما أمر به وذلك قوله تعالى (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر) الفلز أو النبل ٦٣
(فانفلق) الفاء فصيحة أى فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بعدد الأسباط يبنهن مسالك (فكان كل
فرق) حاصل بالانفلاق (كالطود العظيم) كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في
شعب منها (وأزلفنا) أى قربنا (ثم الآخرين) أى فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مدخلهم (وأنجينا ٦٤، ٦٥
موسى ومن معه أجمعين) بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا إلى البر.

٢٦ الشعراء

ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾

٢٦ الشعراء

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾

٢٦ الشعراء

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

٦٧، ٦٦ (ثم أغرقنا الآخرين) بإطافه عليهم (إن في ذلك) أى فى جميع ما فصل مما صدر عن موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات القاهرة وبما فعل فرعون وقومه من الأقوال والأفعال وما فعل بهم من العذاب والتكال وما فى اسم الإشارة من معنى البعد لتحويل أمر المشار إليه وتفضيحه كتنكير الآية فى قوله تعالى (لاية) أى آية آية أو آية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لأن يعتبر بها المعتبرون ويقبسوا شأن النبي ﷺ بشأن موسى عليه السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المملكين ويحتجروا تعاطى ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصى ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك أو إن فيما فصل من القصة من حيث حكايته عليه الصلاة والسلام إياها على ما هي عليه من غير أن يسمعا من أحد لآية عظيمة دالة على أن ذلك بطريق الوحي الصادق موجبة للإيمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام (وما كان أكثرهم) أى أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه الصلاة والسلام (مؤمنين) لا بأن يقبسوا شأنه بشأن موسى عليهما السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المكذبين المملكين ولا بأن يتدبروا فى حكايته عليه الصلاة والسلام لقصتهم من غير أن يسمعا من أحد مع كون كل من الطريقتين مما يؤدى إلى الإيثار قطعاً ومعنى ما كان أكثرهم مؤمنين وما أكثرهم مؤمنين على أن كان زائدة كما هو رأى سيئويه فيكون كقوله تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو إخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقريراً لما مر من قوله تعالى وما يأتينهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الخ وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الإيمان واستمرارهم عليه ويجوز أن يجعل كان بمعنى صار كما فعل ذلك فى قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار أكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقتين فيكون الإخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال تحققه ٦٨ وتقرره كقوله تعالى أتى أمر الله الآية (وإن ربك هو العزيز) الغالب على كل ما يريد من الأمور التى من جملتها الانتقام من المكذبين (الرحيم) المبالغ فى الرحمة ولذلك يمهلم ولا يجعل عقوبتهم بعدم إيمانهم بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذى يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة إلى آخر القصص السبع بل إلى آخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لأرب فيه وأما ما قبل من أن ضمير أكثرهم لأهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وأن المعنى وما كان أكثر أهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم إلا آسية وحزقيل ومريم ابنة ياموشا التى

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾

٢٦ الشعراء

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾

٢٦ الشعراء

قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا عَسَكِينَ ﴿٧١﴾

٢٦ الشعراء

قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾

٢٦ الشعراء

دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنو إسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا ان تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة إبراهيم عليه السلام إنما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن أمر ربهم وعصوا رسله عليهم الصلاة والسلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بأيديهم من الآيات العظام ما يوجب عليهم الإيمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان وأصروا على ما هم عليه من التكذيب فما قبحهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن أن يخبر عنهم بعدم إيمان أكثرهم لاسيما بعد الإخبار بإهلاكهم وعد المؤمنين من جملتهم أولا وإخراجهم منها آخرأ مع عدم مشاركتهم لهم في شيء مما حكى عنهم من الجايات أصلا مما يوجب تنزيه التنزيل عن أمثاله فتدبر (واتل عليهم) عطف على المضرر المقدر عاملا لإذ نادى الخ أي واتل على المشركين (نبأ إبراهيم) أي خبره العظيم الشأن حسبا أو حكي إليك لتقف على ما ذكر من عدم إيمانهم بما يأتيهم من الآيات بأحد للطريقين (إذ قال) منصوب إما على الظرفية للنبا أي نبأه وقت قوله (لأبيه وقومه) أو على المفعولية لا تل على أنه بدل من نبأ أي واتل عليهم وقت قوله لهم (ما تعبدون) على أن المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سألهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك ليبني على جوابهم أن ما يعبدونه بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) لم يقتصروا على الجواب الكافي بأن يقولوا أصناما كما في قوله ٧١ تعالى ويسألونك إذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا أنزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل أطنبوا فيه بإظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على أصنامهم قصداً إلى إبراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة على وإيراد اللام لإفادة معنى زائد كأنهم قالوا فنظل لا أجلها مقبلين على عبادتها أو مستديرين حولها وهذا أيضاً من جملة إطلائهم (قال) استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم (هل يسمعونكم) أي هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف أو يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت وتحذف لدلالة قوله تعالى (إذ تدعون) عليه وقرىء هل يسمعونكم من الإسماع أي هل يسمعونكم شيئاً من الأشياء أو الجواب عن دعائكم وهل يقدرعون على ذلك وصيغة المضارع مع إذ على حكاية الحال

٢٦ الشعراء

أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾

٢٦ الشعراء

قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾

٢٦ الشعراء

قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾

٢٦ الشعراء

أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾

٢٦ الشعراء

فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾

٢٦ الشعراء

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾

الماضية لاستحضار صورتها كأنه قيل لهم استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وأجيبوا
 ٧٣ هل سمعوا أو سمعوا قط (أو ينفعونكم) بسبب عبادتكم لها (أو يضررون) أي يضررونكم بترككم لعبادتها
 ٧٤ إذ لا بد للعبادة لاسيما عند كونها على ما رصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع أو دفع ضرر (قالوا بل وجدنا
 آباءنا كذلك يفعلون) اعترفوا بأنها بمنزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا إلى
 إظهار أن لا سند لهم سوى التقليد أي ما علمنا أو ما رأينا منهم ما ذكر من الأمور بل وجدنا آبائنا كذلك
 ٧٥ يفعلون أي مثل عبادتنا يعبدون فافتدينا بهم (قال أفرأيتكم ما كنتم تعبدون) أي أنظرتهم فأبصرتم أو
 ٧٧، ٧٦ أتأملتم فعلتكم ما كنتم تعبدونه (أنتم وآباؤكم الأقدمون) حق الإبصار أو حق العلم وقوله (فإنهم عدو
 لي) بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك أي فاعلموا أنهم أعداء لعبادتهم الذين يحبونهم
 كحب الله تعالى لما أنهم يتضررون من جهمهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه أو لأن من يغريهم
 على عبادتهم ويحملهم عليها هو الشيطان الذي هو أعدى العدو للإنسان لكنه عليه الصلاة والسلام صور
 الأمر في نفسه تعريضا بهم فإنه أنفع في النصيحة من التصريح وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون
 أدعى إلى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبةا
 بالمصادر للدوازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل (إلا رب العالمين) استثناء منقطع أي لكن رب
 العالمين ليس كذلك بل هو ولي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل على منافعها حسبما يعرب عنه ما وصفه
 تعالى به من أحكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على أن الضمير لكل معبود وكان من آبائهم
 ٧٨ من عبد الله تعالى وقوله تعالى (الذي خلقني) صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ وما بعده خبراً غير
 حقيق بجزالة التنزيل وإنما وصفه تعالى بذلك وبما عطفه عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين
 نصريحاً بالنعم الخاصة به عليه الصلاة والسلام وتفصيلاً لها لكونها أدخل في اقتضاء تخصيص العبادة
 به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى (فهو

٢٦ الشعراء

وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾

٢٦ الشعراء

وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾

٢٦ الشعراء

وَالَّذِي يُبَيِّتُنِي ثُمَّ يُجْبِينِ ﴿٨١﴾

٢٦ الشعراء

وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾

يهديني) أي هو يهديني وحده إلى كل ما يهمني ويصلحني من أمور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبي عنه الفاء وصيغة المضارع فإنه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له من أمور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ الإيجاد إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره إما طبعاً وإما اختياراً مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين لا متصاص دم الطمث ومنهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعيم بنعيمها المقيم (والذي هو يطعمني ويسقين) عطف على الصفة ٧٩ الأولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل في استيجاب الحكم حقيقة بأن تجرى عليه تعالى بحياها ولا تجمل من روادف غيرها (وإذا مرضت فهو ٨٠ يشفين) عطف على يطعمني ويسقين نظم معهما في سلك الصلة لموصول واحد لما أن الصحة والمرض من متفرعات الأكل والشرب غالباً ونسبة المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى مع أنهما منه تعالى لمراعاة حسن الأدب كما قال الخضر عليه السلام فأردت أن أعيها وقال فأرد بك أن يبلغا أشدهما وأما الإماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى كالإحياء بدهاء وإعادة وقد نيطت أمور الآخرة جميعاً بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سمط واحد في قوله تعالى (والذي يبيئني ثم يجبين) على أن الموت لكونه ذريعة ٨١ إلى نيله عليه الصلاة والسلام للحياة الأبدية بمعزل من أن يكون غير مطبوع عنده عليه الصلاة والسلام (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) ذكره عليه الصلاة والسلام هضماً لنفسه وتعلية للأمة ٨٢ أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافياً لما عسى يندر منه عليه الصلاة والسلام من الصغائر وتنبهياً لأبيه وقومه على أن يتأملوا في أمرهم فيقفوا على أنهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فإن حاله عليه الصلاة والسلام مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظلك بحال أولئك المغمورين في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث إني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة حتى أختي بما لا سبيل إليه لأنها مع كونها معارضة لا من قبيل الخطايا المفتقرة إلى الاستغفار إنما صدرت عنه عليه الصلاة والسلام بعد هذه المقابلة الجارية بينه وبين قومه أما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرة عليه الصلاة والسلام إلى

٢٦ الشعراء

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

٢٦ الشعراء

وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾

٢٦ الشعراء

وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾

٢٦ الشعراء

وَاعْفِرْ لَأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾

٢٦ الشعراء

وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾

٢٦ الشعراء

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾

الشام وأما الأوليان فلائهما وقعتا مكتسفتين بكسر الأصنام ومن البين أن جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادئ الأمر وتعلق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع أنها إنما تغفر في الدنيا لأن أثرها يومئذ يتبين ولأن في ذلك تهويل له وإشارة إلى وقوع الجزاء فيه إن لم تغفر (رب هب لي حكما) بعدما ذكر عليه الصلاة والسلام لهم فنون اللطاف الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه إلى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحسنة التي هي السكال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق (والحقني بالصالحين) ووقفني من العلوم والأعمال والمسلكات لما يرشحنى للانتظام في زمرة الكاملين الراحمين في الصلاح المزهرين عن كبار الذنوب وصغائرهما أو اجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد أجابه تعالى حيث قال وإنه في الآخرة لمن الصالحين ٨٣ (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي جاها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى أثره إلى يوم الدين ولذلك لا ترى أمة من الأمم إلا وهي محبة له ومثنية عليه أو صادقا من ذريته يحدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوم إليه من التوحيد وهو النبي ﷺ ولذلك قال ﷺ أنا دعوة أبي إبراهيم ٨٤ (واجعلني من ورثة جنة النعيم) وقد مر معنى الورثة في سورة مريم (واعفِرْ لَأَبِي) بالهداية والتوفيق للإيمان كما يلوح به تعليقه بقوله (إنه كان من الضالين) أي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه (ولا تخزني) بمعانتي على ما فرطت أو بنقص رتبتي عن بعض الوراث أو بتعذبي لحفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا كل ذلك مبنى على هضم النفس منه عليه الصلاة والسلام أو بتعذبي ولدي أو ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للإيمان وهو من الخزي بمعنى الهوان أو من الخزية بمعنى الحياء (يوم يبعثون) أي الناس كافة والإضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين بما يخل بهويل اليوم (يوم لا ينفع مال ولا بنون) بدل من يوم يبعثون جرى به تأكيدها للتهويل وتمهيدا لما يعقبه من الاستثناء وهو من أعم المفاعيل أي

٢٦ الشعراء

إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

٢٦ الشعراء

وَأَزَلِفَتْ أَلْحَنَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾

٢٦ الشعراء

وَبُرَزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾

٢٦ الشعراء

وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾

٢٦ الشعراء

مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكَ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾

٢٦ الشعراء

فَكَذَّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾

- لا ينفع مال وإن كان مصر وفا في الدنيا إلى وجوه البر والخيرات ولا بنون وإن كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة أحداً (إلا من أتى الله بقلب سليم) أى عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالإيمان وفيه تأييد لكون استغفاره عليه الصلاة والسلام لأبيه طلباً لهدايته إلى الإيمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرأ مع عليه عليه الصلاة والسلام بعدم نفعه لأنه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف أى إلا مال من أوبنو من أتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في قوله [تحية بينهم ضرب وجيع] أى إلا حال من أتى الله بقلب سليم على أنها عبارة عن سلامة القلب كأنه قيل إلا سلامة قلب من أتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف مادل عليه المال والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كأنه قيل يوم لا ينفع غنى إلا غنى من أتى الله الآية لأن غنى المرء في دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه (وأزلفت الجنة للمتقين) عطف على لا ينفع وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه ٩٠ في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما أن صيغة المضارع في المعطوف عليه الدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفطيع أى قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم المحشورون إليها (وبرزت الجحيم للغاوين) الضالين عن طريق الحق الذى هو الإيمان والتقوى أى جعلت بارزة لهم ٩١ بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الأحوال الهائلة ويوقنون بأنهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفاً (وقيل لهم أينما كنتم) فى الدنيا (ما تعبدون) (من دون الله) أى أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون فى الدنيا ٩٢، ٩٣ أنهم شفعائكم فى هذا الموقف (هل ينصرونكم) بدفع العذاب عنكم (أو ينتصرون) بدفعه عن أنفسهم وهذا سؤال تفرغ وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل (فكذبوا فيها) أى ألقوا فى الجحيم على وجوههم ٩٤ مرة بعد أخرى إلى أن يستقروا فى قعرها (هم) أى آلهتهم (والغاوون) الذين كانوا يعبدونهم وفى تأخير

٢٦ الشعراء

وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾

٢٦ الشعراء

قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾

٢٦ الشعراء

تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾

٢٦ الشعراء

إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾

٢٦ الشعراء

وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾

ذكرهم عن ذكر آلهتم رمز إلى أنهم يؤخرون عنها في الكسبية ليُشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غمًا إلى غمهم (وجنود إبليس) أي شياطينه الذين كانوا يغرونهم ويوسوسون إليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الأصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبهم وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الوجه (أجمعين) تأكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى (قالوا) الخ استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قال العبد (وهم فيها يختصمون) أي قالوا معترفين بخطئهم في انهماكهم في الضلالة متحسرين معينين لأنفسهم والحال أنهم في الجحيم بصدد الاختصاص مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبودهم على أن الله تعالى يجعل الأصنام صالحة للاختصاص بأن يعطيها القدرة على الفهم والنطق (تالله إن كنا لفي ضلال مبين) إن مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشأن واللام فارقة بينها وبين النافية أي إن الشأن كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للإشباع في إظهار ندمهم وتحسّرهم وبيان عظم خطئهم في رأيهم مع وضوح الحق كما ينبغي عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى (إذ نسويكم رب العالمين) ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام أي ضللاً وقيل للضلال المذكور وإن كان فيه ضعف صناعي من حيث إن المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية أي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويدنا إياكم أيها الأصنام في استحقاق العبادة رب العالمين الذي أنتم أدنى مخلوقاته وأداهم وأعجزهم وقولهم (وما أضلنا إلا المجرمون) بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الإضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب إضلالهم من غير أن يستقلوا في تحقيقه أو يكون بسبب إضلال الغير كأنه قيل وما صدر عن ذلك الضلال الفاحش إلا بسبب إضلالهم والمراد بالمجرمين الذين أضلهم روساؤهم وكبرائهم كما في قوله تعالى ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدى رحمه الله الأولون الذين اقتدوا بهم وأبأ ما كان فقيه أوفر نصيب من التعريض الذين قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج

٢٦ الشعراء

فَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾

٢٦ الشعراء

وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾

٢٦ الشعراء

فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾

٢٦ الشعراء

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

- إبليس وابن آدم القاتل لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي (فألنا من شافعين) كما للمؤمنين من ١٠٠
 الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام (ولا صديق حميم) كما نرى لهم أصدقاء أو فالنا من شافعين ولا ١٠١
 صديق حميم من الذين كنا نعدم شفعاء وأصدقاء على أن عدمهما كناية عن عداوتهما كما أن عدم المحبة في
 مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبي عنه قوله تعالى الإخلاؤه يومئذ بعضهم
 لبعض عدو إلا المتقين أو وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق على أن المراد بعدمهما عدم
 أثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما أن أفراد الصديق لقلته أو لصحة إطلاقه على الجمع كالعدو
 تشبهاً لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لوفى قوله تعالى (فلو أن لنا كرة) للتمني كليت لما أن بين معنيهما ١٠٢
 تلاقياً في معنى الغرض والتقدير كما أنه قيل فليت لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا وقيل هي على أصلها من الشرط
 وجوابه محذوف كما أنه قيل ولو أن لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت وبأباه قوله تعالى (فنكون من
 المؤمنين) لنحتم كونه جواباً للتمني مفيداً لترتب إيمانهم على وقوع الكرة البتة بلا تخلف كما هو مقتضى
 حالهم وعطفه على كرة على طريقة اللبس عبادة وتقرعني كما يستدعيه كون لو على أصلها إنما يفيد تحقق
 مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وإيمانهم معاً من غير دلالة على استلزام الكرة للإيمان أصلاً
 مع أنه المقصود حتماً (إن في ذلك) أي فيما ذكر من نبأ إبراهيم عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كان ١٠٣
 عليه أهل مكة من عبادة الأصنام وتفصيل ما يؤول إليه أمر عبادتها يوم القيامة من اعترافهم بخطئهم
 الفاحش وندمهم وتحسرم على ما فاتهم من الإيمان وتمنيهم الرجعة إلى الدنيا ليكفوا من المؤمنين عند
 مشاهدتهم لما أزلت لهم جنات النعيم وبرزت لأنفسهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم من ألوان العذاب
 وأنواع العقاب (لاية) أي آية عظيمة لا يقادر قدرها موجهة على عبدة الأصنام كافة لا سيما على أهل مكة
 الذين يدعون أنهم على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يحتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها
 خوفاً أن يحيق بهم مثل ما حاق بأولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبها أو أن في ذكر نبته وتلاوته
 عليهم على ما هو عليه من غير أن تسمعه من أحد لآية عظيمة دالة على أن ماتلوه عليهم وحي صادق نازل
 من جهة الله تعالى موجهة للإيمان به قطعاً (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي أكثر هؤلاء الذين تتلو عليهم
 النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال وأما أن ضمير أكثرهم لقوم إبراهيم
 عليه السلام كما توهموا فيها لا سبيل إليه أصلاً لظهور أنهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه الصلاة والسلام

٢٦ الشعراء

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

٢٦ الشعراء

كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾

٢٦ الشعراء

إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾

٢٦ الشعراء

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾

٢٦ الشعراء

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾

٢٦ الشعراء

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾

٢٦ الشعراء

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾

٢٦ الشعراء

قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ ﴿١١١﴾

إلا طغياناً وكفراً حتى اجتروا على تلك العظيمة التي فعلوها به عليه الصلاة والسلام فكيف يعبر عنهم بعدم إيمان أكثرهم وإنما آمن له لوط فنجاهما الله عز وجل إلى الشام وقد مر بقية الكلام في آخر قصة موسى عليه السلام (وإن ربك له العزيز الرحيم) أي هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك وإسكنه بهمهم بمحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم أو من ذريابهم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم مؤثوث ولذلك يصغر على قومية وقيل القوم بمعنى الأمة وتكذيبهم للمرسلين إما باعتبار إجماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأزمنة والأعصار وإما لأن المراد بالجمع الواحد كما يقال ١٠٦ فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله إلا دابة وبردة وإذ في قوله تعالى (إذ قال لهم) ظرف للتكذيب على أنه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين إلى تمام الأمر كما أن تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه الصلاة والسلام إلى انتهائها (أخوهم) أي نسيبهم (نوح ألا تتقون) ١٠٨، ١٠٧ الله حين تعبدون غيره (إني لكم رسول) من جهته تعالى (أمين) مشهور بالأمانة فيما بينكم (فاتقوا ١٠٩ الله وأطيعوا) فيما أمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى (وما أسألكم عليه) أي على ما أنا متصد له من الدعاء والنصح (من أجر) أصلاً (إن أجرى) فيما أتولاه (إلا على رب العالمين) والفاء في قوله تعالى ١١٠ (فاتقوا الله وأطيعوا) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عليه الصلاة والسلام عن الطمع كما أن نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على أمانته والتكرير للتأكيد والتنبيه على أن كلا منهما مستقل في ١١١ إيجاب التقوى والطاعة فكيف إذا اجتماعا وقرىء إن أجرى بسكون الياء (قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) أي الاقلون جاهاً ومالاً جمع الأرذل على الصحة فإنه بالغلبة صار جارياً مجرى الاسم

٢٦ الشعراء

قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾

٢٦ الشعراء

إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾

٢٦ الشعراء

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾

٢٦ الشعراء

إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾

٢٦ الشعراء

قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾

٢٦ الشعراء

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾

٢٦ الشعراء

فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

كالا كبر والا كابر وقيل جمع أرذل جمع رذل كالكالب والكلب وكلب وقرىء وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال يعنون أنه لا عبرة باتباعهم لك إذ ليس لهم رزانة عقل ولا إصابة رأى وقد كان ذلك منهم في بادية الرأى كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم أنظارهم على حطام الدنيا وكون الأشراف عندهم من هو أكثر منها حظاً والأرذل من حرما وجههم بأنها لا تزن عند الله جناح بعوضة وأن النعيم هو نعيم الآخرة والأشرف من فاز به والأرذل من حرمه (قال وما على بما كانوا يعملون) جواب عما أشير إليه من قولهم لأنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة أى ١١٢ وما وظيفتى إلا اعتبار الظواهر وبناء الأحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم (إن ١١٣ حسابهم) أى ما محاسبة أعمالهم والتنقيح عن كفياتها الباردة والكامنة (إلا على ربى) فإنه المطلع على السرائر والضمائر (لو تشعرون) أى بشىء من الأشياء أو لو كنتم من أهل للشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون (وما أنا بطارد المؤمنين) جواب عما أوجهه كلامهم من استدعاء طردهم ١١٤ وتعليق إياهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعاً عنه وقوله (إن أنا إلا نذير مبين) كالعلة أى ما أنا إلا ١١٥ رسول مبعوث لإذارا المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصى سواء كانوا من الأعزاء أو الأذلاء فكيف يتسنى طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء أو ما على إلا إذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما على استرضاء بعضكم بطرد الآخرين (قالوا لئن لم تنته يانوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من ١١٦ المشتمين أو المرميين بالحجارة قالوه قائلهم الله تعالى فى أواخر الأمر ومعنى قوله تعالى (قال رب إن قومي ١١٧ كذبون) تموا على تكذيبى وأصروا على ذلك بعد مادعوتهم هذه الأزمنة المتطاولة ولم يزدحم دعائى إلا فراراً كما يعرب عنه دعاؤه بقوله (فافتح بينى وبينهم فتحاً) أى احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه ١١٨ حكاية لإجمالية لدعائه المفصل فى سورة نوح عليه (ونجنى ومن معى من المؤمنين) أى من قصدى أو من

- فَإُنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ٢٦ الشعراء
- ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ٢٦ الشعراء
- إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ ٢٦ الشعراء
- وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ٢٦ الشعراء
- كَذَبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ٢٦ الشعراء
- إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ٢٦ الشعراء
- إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ ٢٦ الشعراء
- فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٢٦﴾ ٢٦ الشعراء
- وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ٢٦ الشعراء
- أَتَتَّبِعُونَ كُلَّ رِيعٍ إِذَا تَعَبُّونَ ﴿١٢٨﴾ ٢٦ الشعراء

١١٩ شؤم أعمالهم (فأنجيناه ومن معه) حسب دعائه (في الفلك الفلك المشحون) أي المملوء بهم وبما لا بد لهم
 ١٢٠ منه (ثم أغرقنا بعد) أي بعد إنجائهم (الباقين) أي من قومه (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم
 ١٢٢ مؤمنين) (وإن ربك هو العزيز الرحيم) الكلام فيه كالذي مر خلا أن حمل أكثرهم على أكثر قوم نوح
 ١٢٣ أبعد من السداد وأبعد (كذبت عاد المرسلين) أنت عاد باعتبار القبيلة وهو اسم أبيهم الأقصى (إذ
 قال لهم أخوهم هود ألا تتقون) الكلام في أن المراد بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ماذا كما مر في
 ١٢٥ صدر قصة نوح عليه السلام أي ألا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون (إني لكم رسول أمين)
 ١٢٦، ١٢٧، (فاتقوا الله وأطيعوا) (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) الكلام
 فيه كالذي مر وتصدير القصص به للتنبيه على أن مبنى البعثة هو الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب
 المدعو إلى الثواب ويبعده من العقاب وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجمعون على ذلك وإن اختلفوا
 في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الأزمنة والأعصار وأنهم متزهون عن المطامع الدنيوية
 ١٢٨ والأغراض الدنيوية بالكلية (أتتبعون بكل ريع) أي مكان مرتفع ومنه ريع الأرض لارتفاعها (آية)
 علماء للمارة (تعبثون) أي يتبعونها إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا يحتاجون إليها أو بروج الحمام

٢٦ الشعراء

وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾

٢٦ الشعراء

وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾

٢٦ الشعراء

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾

٢٦ الشعراء

وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾

٢٦ الشعراء

أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾

٢٦ الشعراء

وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾

٢٦ الشعراء

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾

٢٦ الشعراء

قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

٢٦ الشعراء

إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾

أو بنياناً مجتمعون إليه ليعبثوا بمن مر عليهم أو قصوراً عالية يفتخرون بها (وتتخذون مصانع) أى مأخذ ١٢٩ الماء وقيل قصوراً مشيدة وحصوناً (لعلكم تخلصون) أى راجين أن تخلصوا فى الدنيا أى عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنياها (وإذا بطشتم) بسوط أو سيف (بطشتم جبارين) مفسططين خاشعين ١٣٠ بلا رافة ولا قصد تأديب ولا نظر فى العاقبة (فاتقوا الله) وانركوا هذه الأفعال (وأطيعوا) فيها ١٣١ أذعوك إليه فإنه أنفع لكم (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) من أنواع النعماء وأصناف الآلاء أجمعها أولاً ١٣٢ ثم فصلها بقوله (أمدكم بأنعام وبنين) بإعادة الفعل لزيادة التقرير فإن التفصيل يعد الإجمال والتفسير ١٣٣ إثر الإبهام أدخل فى ذلك (وجنات وعيون) (إنى أخاف عليكم) إن لم تقوموا بشكر هذه النعم ١٣٤، ١٣٥ (عذاب يوم عظيم) فى الدنيا والآخرة فإن كفران النعمة مستقبح للعذاب كما أن شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لنن شكرتم لا زيدنكم ولن كفرتم إن عذابى شديد (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من ١٣٦ الواعظين) فإنالان نرعى عما نحن عليه وتغيير الشق الثانى عن مقابلة اللبابة فى بيان قلة اعتدالهم بوعظه كأنهم قالوا أم لم تكن من أهل الوعظ ومباشريه أصلاً (إن هذا) ما هذا الذى جئتكم به (إلا خلق الأولين) ١٣٧ أى عادتكم كانوا يلقون مثله ويسطرونه أو ما هذا الذى نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتكم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذى نحن عليه من الموت والحياة إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرىء خلق الأولين بفتح الحاء أى اختلاق الأولين كما قالوا أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا إلا خلقهم نحياً ٢٣٥ — أبى السعود ٢٦٥

وما نحن بمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾	٢٦ الشعراء
فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾	٢٦ الشعراء
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾	٢٦ الشعراء
كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾	٢٦ الشعراء
إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾	٢٦ الشعراء
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾	٢٦ الشعراء
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾	٢٦ الشعراء
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾	٢٦ الشعراء
أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْ بِآمِنِينَ ﴿١٤٦﴾	٢٦ الشعراء
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾	٢٦ الشعراء
وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾	٢٦ الشعراء
وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾	٢٦ الشعراء

١٣٨ كما حيوا وموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب (وما نحن بمعذبين) على مانحن عليه من الاعمال
 ١٣٩ (فكذبوه) أى أصروا على ذلك (فأهلكناهم) بسببه بريح صرصر (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم
 ١٤٠ مؤمنين) (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) (كذبت ثمود المرسلين) (إذ قال لهم أخوهم صالح
 ١٤١ ألا تتقون) الله تعالى (إني لكم رسول أمين) (فاتقوا الله وأطيعوا) (وما أسألكم عليه
 ١٤٢ من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) (أتتركون فيما همنا آمنين) إنكار ونفي لأن يتركوا فيما هم فيه
 ١٤٣ من النعمة أو تذكير للنعمة في تخليته تعالى لإياهم وأسباب تنعمهم آمين وقوله تعالى (في جنات وعيون)
 ١٤٤ (وزروع ونخل طلعها هضيم) تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للثمر أولاً لأن النخل أثنى
 وطلع الإناث اللطيف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريح القنو أو متدل متكسر من
 ١٤٥ كثرة الحمل وإفراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات أولاً لأن المراد بها غيرها من الأشجار (وتنحتون

- فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٥٠ الشعراء ٢٦
- وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ١٥١ الشعراء ٢٦
- الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ١٥٢ الشعراء ٢٦
- قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ١٥٣ الشعراء ٢٦
- مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ١٥٤ الشعراء ٢٦
- قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ١٥٥ الشعراء ٢٦
- وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥٦ الشعراء ٢٦
- فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِمِينَ ١٥٧ الشعراء ٢٦
- فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٥٨ الشعراء ٢٦

من الجبال بيوتا فارحين) بطرين أو حازقين من الفراحة وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطلب قلب وقرى فرحين وهو أبلغ (فانقوا الله وأطيعوا) (ولا تطيعوا أمر المسرفين) ١٥٠، ١٥١ استعير الطاعة التي هي انقياد الأمر لا مثال الأمر وار تسامه أو نسب حكم الأمر إلى أمره مجازاً (الذين يفسدون في الأرض) وصف موضع لإسرافهم ولذلك عطف (ولا يصلحون) على يفسدون ١٥٢ إبيان خلوص إفسادهم عن مخالطة الإصلاح (قالوا إنما أنت من المسحورين) أى الذين سحروا حتى غلب ١٥٣ على عقولهم أو من ذوى السحر أى الرثة أى من الإنس فيكون قوله تعالى (ما أنت إلا بشر مثلنا) تأكيداً ١٥٤ له (فات بآية إن كانت من الصادقين) أى فى دعواك (قال هذه ناقة) أى بعد ما أخرجها الله تعالى من ١٥٥ الصخرة بدعائه عليه الصلاة والسلام حسبما مر تفصيله فى سورة الأعراف وسورة هود (لها شرب) أى نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرى بالضم (ولكم شرب يوم معلوم) فاقنعوا بشربكم ولا تزاخوا على شربها (ولا تمسوها بسوء) كضرب وعقر (فياخذكم عذاب يوم عظيم) ١٥٦ وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب (فعقروها) أسند العقير إلى كلهم لما أن ١٥٧ عاقرها عقروا برأيهم ولذلك همهم العذاب (فاصبحوا نادمين) خوفاً من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينتهم لمبادئه ولذلك لم ينفعهم الندم وإن كان بطريق التوبة (فأخذهم العذاب) أى العذاب الموعود ١٥٨ (إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين)

٢٦ الشعراء	وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾
٢٦ الشعراء	كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾
٢٦ الشعراء	إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾
٢٦ الشعراء	إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾
٢٦ الشعراء	فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٣﴾
٢٦ الشعراء	وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾
٢٦ الشعراء	أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾
٢٦ الشعراء	وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾
٢٦ الشعراء	قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ يَنْلُوطْ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾
٢٦ الشعراء	قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾

١٥٩ (وإن ربك هو العزيز الرحيم) قيل في نفى الإيمان عن أكثرهم في هذا المعرض إيماء إلى أنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وإن قريشاً إنما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وأنت خير بأن قريشاً هم المشهورون بعدم إيمان أكثرهم (كذبت قوم لوط المرسلين) (إذ قال لهم ١٦٠، ١٦١ خبير بأن قريشاً هم المشهورون بعدم إيمان أكثرهم) (كذبت قوم لوط المرسلين) (إذ قال لهم ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤ أخوم لوط ألا تتقون) (إني لـكم رسول أمين) (فاتقوا الله وأطيعون) (وما أسألكم ١٦٥ عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) (أتأتون الذكران من العالمين) (أي أتأتون من بين من هذاكم من العالمين الذكران لا يشاركم فيه غيركم أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء فيهم مع كونهن ألبق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الأول ما ينسكح من الحيوان وعلى الثاني ١٦٦ الناس) (وتذرون ما خلق لكم ربكم) لأجل استمتاعكم وكلمة من في قوله تعالى (من أزواجكم) للبيان إن أريد بها جنس الإنثى وهو الظاهر وللتبويض إن أريد بها العضو المباح منهن تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون ذلك بنفسهم أيضاً (بل أنتم قوم عادون) متعدون متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل ١٦٧ متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات (قالوا لن لم تنته يالوط) أي عن تقييح أمرنا أو نهينا عنه أو عن دعوى النبوة التي من جملة أحكامها التعرض لنا (لتكونن من المخرجين) ١٦٨ أي من المنفيين من قريتنا وكانهم كانوا يخرجون من أخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال (قال إني

الشعراء ٢٦

رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾

الشعراء ٢٦

فَنَجِّنْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾

الشعراء ٢٦

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾

الشعراء ٢٦

ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾

الشعراء ٢٦

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾

الشعراء ٢٦

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾

الشعراء ٢٦

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

الشعراء ٢٦

كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾

الشعراء ٢٦

إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

لعملكم من القالين) أى من المبغضين غاية البغض كأنه يقلى الفؤاد والكبد لشدة وهو أبلغ من أن يقال
إنى لعملكم قال لدلالته على أنه عليه الصلاة والسلام من زمرة الراسخين فى بعضه للمشهورين فى قلاه
ولعله عليه الصلاة والسلام أراد إظهار الكراهة فى مساكنهم والرغبة فى الخلاص من سوء جوارهم
ولذلك أعرض عن محاورتهم وتوجه إلى الله تعالى قائلاً (رب نجنى وأهلى عما يعملون) أى من شؤم عملهم ١٦٩
وغائلته (فنجيناه وأهله أجمعين) أى أهل بيته ومن اتبعه فى الدين بإخراجهم من بينهم عند مشاركة حلول ١٧٠
العذاب بهم (إلا عجوزاً) هى امرأة لوط استنثيت من أهله فلا يضربه كونها كافرة لأن لها شركة فى الأهلية ١٧١
بحق الزواج (فى الغابرين) أى مقدراً كونها من الباقيين فى العذاب لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم
وقد أصابها الحجر فى الطريق فأهلكها كما مر فى سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فىمن بقى فى القرية
ولم تخرج مع لوط عليه السلام (ثم دمرنا الآخرين) أهل كنانهم أشد إهلاك وأفظعه (وأمطرنا ١٧٢، ١٧٣
عليهم مطراً) أى مطراً غير معهود قيل أمطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فأهلكتهم (فساء مطر
المنذرين) اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف إليه فاعل ساءوا المخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم
(إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) (وإن ربك هو العزيز الرحيم) (كذب أصحاب ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦
الأيكة المرسلين) الأيكة الغيضة التى تنبت ناعم الشجر وهى غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا آمن
بعث إليهم شعيب عليه السلام وكان أجنبياً منهم ولذلك قيل (إذ قال لهم شعيب ألا تتقون) ولم يقل ١٧٧

- إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ ٢٦ الشعراء
- فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٧٩ ﴿١٧٩﴾ ٢٦ الشعراء
- وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ٢٦ الشعراء
- أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ٢٦ الشعراء
- وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ ٢٦ الشعراء
- وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ٢٦ الشعراء
- وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى ١٨٤ ﴿١٨٤﴾ ٢٦ الشعراء
- قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ ٢٦ الشعراء
- وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ٢٦ الشعراء
- فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ٢٦ الشعراء

أخوهم وقيل الأيكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرىء بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها لايكة وهي اسم بلدهم وإنما كتبت ههنا وفي ص بغير ألف اتباعاً
 ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، للفظ الالفاظ (إني لكم رسول أمين) (فاتقوا الله وأطيعوا) (وما أسألكم عليه من
 ١٨١ أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) (أوفوا الكيل) أي أنموه (ولا تكونوا من المخسرين) أي حقوق
 ١٨٢ الناس بالتطفيف (وزنوا) أي الموزونات (بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى وهو إن كان عربياً
 ١٨٣ فإن كان من القسط ففعلاس بتكرير العين وإلا ففعلال وقرىء بضم القاف (ولا تبخسوا الناس أشياءهم)
 أي لا تنقصوا شيئاً من حقوقهم أي حق كان وهذا لعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذ كر لغاية انهما كهم
 ١٨٤ فيها (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) بالقتل والغارة وقطع الطريق (واتقوا الذي خلقكم والجبلية الأولى)
 أي ذوى الجبلية الأولى وهم من تقدمهم من الخلائق وقرىء بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء
 ١٨٥، ١٨٦، كالخلاقة (قالوا إنما أنت من المسحرين) (وما أنت إلا بشر مثلنا) إدخال الواو بين الجملتين للدلالة
 على أن كلا من التسخير والبشرية مناف الرسالة مبالغة في التكذيب (وإن نظنك لمن الكاذبين) أي فيما
 ١٨٧ تدعيه من النبوة (فأسقط علينا كسفاً من السماء) أي قطعاً وقرىء بسكون السين وهو أيضاً جمع كسفة
 وقيل الكسف والكسفة كالربع والريمة وهي القطعة والمراد بالسماء إما السحاب أو المظلة ولعله جواب

٢٦ الشعراء

قَالَ رَبِّيْ اعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ ﴿١٨٨﴾

٢٦ الشعراء

فَكَذَّبُوْهُ فَاَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظِّلَّةِ اِنَّهُمْ كَانُوْا عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍ ﴿١٨٩﴾

٢٦ الشعراء

اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيَةً وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴿١٩٠﴾

٢٦ الشعراء

وَاِنَّ رَبَّكَ لَهٗوَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُ ﴿١٩١﴾

٢٦ الشعراء

وَاِنَّهُ لَتَنْزِيْلُ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿١٩٢﴾

لما أشعربه الأمر بالتقوى من التهديد (إن كنت من الصادقين) في دعواك ولم يكن طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب وإلا لما أخطروه بياهم فضلاً أن يطلبوه (قال رب اعلم بما تعملون) من الكفر ١٨٨ والمعاصي وبما تستحقون بسببه من العذاب فسينزله عليكم في وقته المقدر له لا محالة (فكذبوه) أي فتموا ١٨٩ على تكذيبه وأصروا عليه (فأخذهم عذاب يوم الظلة) حسبما افترحوا أما إن أرادوا بالسحاب فظاهر وأما إن أرادوا المظلة فلأن نزول العذاب من جهتها وفي إضافة العذاب إلى يوم الظلة دون نفسها إيدان بأن لهم يوم منذ عذاباً آخر غير عذاب الظلة وذلك بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام ولياليها فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية فأظلمت سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً فاجتمعوا تحتها فأمرت عليهم ناراً فاحترقوا جميعاً . روى أن شعيباً عليه السلام بعث إلى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلك مدين بالصيحة والرجفة وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة (لأنه كان عذاب يوم عظيم) أي في الشدة وال هول وفظاعة ما وقع فيه من العاطمة والداھية التامة (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) (وإن ربك هو العزيز الرحيم) هذا آخر القصص السبع التي أوحيت إلى رسول الله ﷺ بصرفه ١٩٠ عن الحرص على إسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على ذنوبه تحقيقاً لمضمون ما روي في مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما يأتينهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا بالحق الآية فإن كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد أتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان أكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوا على التفصيل قصة بعد قصة لا بأن يتدبروا فيها ويعتبروا بما في كل واحدة منها من الدواعي إلى الإيمان والزواج عن الكفر والطغيان ولا بأن يتأملوا في شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع علمهم بأنه ﷺ لم يسمع شيئاً منها من أحد أصلاً واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كأن لم يسمعوا شيئاً يزجرهم عن ذلك قطعاً كما حقق في غاتمة قصة موسى عليه السلام (ولأنه) أي ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية أو القرآن ١٩٢ الذي هي من جملته (لتنزيل رب العالمين) أي منزل من جهته تعالى سمي به مبالغة ووصفه تعالى برؤية العالمين للإيدان بأن تنزيله من أحكام تربيته تعالى ورأفته للكل كقوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة

٢٦ الشعراء

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾

٢٦ الشعراء

عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾

٢٦ الشعراء

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾

٢٦ الشعراء

وَلَئِنَّ لَكَ لِفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾

٢٦ الشعراء

أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاؤُا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾

١٩٣ العالمين (نزل به) أى أنزله (الروح الأمين) أى جبريل عليه السلام فإنه أمين وحيه تعالى وهو صله إلى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وقرىء بتشديد الزاى ونصب الروح والأمين أى جعل الله تعالى الروح الأمين نازلاً به (على قلبك) أى روحك وإن أريد به العضو فتخصيصه به لأن المعاني الروحانية تنزل أولاً على الروح ثم تنتقل منه إلى القلب لما بينهما من التعلق ثم تنصعد إلى الدماغ فينتقش بها لوح التخيلة (لتكون من المنذرين) متعلق بنزل به أى أنزله لتنذرهم بما فى تضاعيفه من العقوبات الهائلة وإيثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه السلام فى سلك أولئك المنذرين المشهورين فى حقبة الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر (بلسان عربى مبين) واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو أيضاً متعلق بنزل به وتأخيرهُ للاعتناء بأمر الإنذار والإيماء إلى أن مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد لإزالة عنه عليه السلام لا لإزاله باللسان العربى وجعله متعلقاً بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدى إلى أن غاية الإزالة كونه عليه السلام من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب عليهم السلام ولا يخفى فسادُه كيف لا والطامة الكبرى فى باب الإنذار ما أنذره نوح وموسى عليهما السلام وأشد الزواجر تأثيراً فى قلوب المشركين ما أنذره إبراهيم عليه السلام لاتبائهم وإدعائهم أنهم على ملته

١٩٦ عليه الصلاة والسلام (ولأنه لى زبر الأولين) أى وإن ذكره أو معناه لى الكتب المتقدمة فإن أحكامه التى لا تحتل النسخ والتبديل بحسب تبدل الأعمار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما فى تضاعيفه من المواعظ والقصاص وقيل الضمير لرسول الله عليه السلام وليس بواضح (أو لم يكن لهم آية) الهمة للإنتكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل أغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على أنه تنزيل من رب العالمين وأنه فى زبر الأولين على أن لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به أو بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه الذى هو قوله تعالى (أن يعلمه علماء بنى إسرائيل) لما مر مراراً من الاعتناء والتشويق إلى المؤخر أى أن يعرفوه بنوعه المذكورة فى كتبهم ويعرفوا من أنزل عليه وقرىء تكن بالتأنيث وجعلت آية اسماً وأن يعلمه خبراً وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسماً والمعرفة خبراً وقد قيل فى تكن ضمير القصة

٢٦ الشعراء

وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾

٢٦ الشعراء

فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ ءِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾

٢٦ الشعراء

كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾

٢٦ الشعراء

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ءِ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾

٢٦ الشعراء

فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾

٢٦ الشعراء

فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث تكن كافي قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وقرىء تعلمه بالناء (ولو نزلناه) كما هو بنظمه ١٩٨ الرائق المعجز (على بعض الأعجمين) الذين لا يقدر على التكلم بالعربية وهو جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرىء الأعجمين وفي لفظ البعض إشارة إلى كون ذلك واحداً من عرض تلك الطائفة كائناً من كان (فقرأ عليهم) قراءة صحيحة خارقة للآداب (ما كانوا به مؤمنين) مع انضمام إيجاز ١٩٩ القراءة إلى إيجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة وقبل المعنى ولو نزلناه على بعض الأعجمين بلغة العجم فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذلك فإنه بمنزل من المناسبة لمقام بيان تماميهم في المكابرة والعناد (كذلك سلكناه) أي مثل ذلك السلك البديع المذكور ٢٠٠ سلكناه أي أدخلنا القرآن (في قلوب المجرمين) ففهموا معانيه وعرفوا إفصاحه وأنه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الإخبار عن الغيب وقد انضم إليه اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها للنبشارة إنزاله وبعثه من أنزل عليه بأوصافه فقوله تعالى (لا يؤمنون به) جملة مستأنفة مسوقة لبيان ٢٠١ أنهم لا يتأثرون بأمثال تلك الأمور الداعية إلى الإيمان به بل يستمرون على ما هم عليه (حتى يروا العذاب الأليم) الملجئ إلى الإيمان به حين لا ينفعهم الإيمان (فيأتيهم بغتة) أي فجأة في الدنيا والآخرة (وهم ٢٠٢ لا يشعرون) بإتيانه (فيقولوا هل نحن منظر) تحسراً على ما فات من الإيمان وتمنياً للإمهال لتلافي ٢٠٣ ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفرية والتكذيب له وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به في موقع الإيضاح والتأخير له أوفى موقع الحال أي سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد آفة الإيمان وتأخذ مبادئ الهداية والإرشاد وانقطاع أعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما والحسن ومجاهد رحمهما الله تعالى أدخلنا

الشعراء ٢٦

أَفِعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٤﴾

الشعراء ٢٦

أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٥﴾

الشعراء ٢٦

ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٦﴾

الشعراء ٢٦

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٧﴾

الشعراء ٢٦

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٨﴾

الشعراء ٢٦

ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾

٢٠٤ الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين (أفيعذابنا يستعجلون) بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو آتتنا بعذاب أليم وقولهم فأتانا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الإنذار قائدا للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أ يكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون بعذابنا وبينهم من التنافي مالا يخفى على أحد أو يغفلون عن ذلك مع تحققه وتقررده فيستعجلون الخ ولو إنما قدم الجار والمجرور للإبذان بأن مصب الإنكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل (أفرأيت) لما كانت الرؤية من أقوى أسباب الإخبار بالشيء وأشهرها شاع استعمال أوأيت في معنى أخبرني والخطاب لكل من يصلح له كأننا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتسكيت وهي متقدمة في المعنى على الهمة وتأخيرها عنها ضرورة لاقتضاء الهمة الصدارة كما هو رأى الجمهور أي فأخبرني (إن متعناهم سنين) متطاولة بطول ٢٠٥، ٢٠٧، الأعمار وطيب المداش (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم) أي شيء أو أي إغناء أغنى عنهم (ما كانوا يمتعون) أي كونهم يمتعون ذلك التمتع المديد على أن ما مصدرية أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها وأيا ما كان فلا استفهام للإنكار والنفي وقيل ما نافية أي لم يكن عنهم تمتعهم المتطاولة في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاول لكونه أوفق لصورة الاستخبار وأدله على انتفاء الإغناء على أبلغ وجه وآ كده كان كل من من شأنه الخطاب قد كلف أن يجبر بأن تمتعهم ماذا أفادهم وأي شيء أغنى عنهم فلم يقدر أحد على أن يجبر بشيء من ذلك أصلا وقرى ٢٠٨ يمتعون من الامتناع (وما أهلكنا من قرية) من القرى المهلكة (إلا لها منذرون) قد أنذروا أهلها ٢٠٩ إلزام للحجة (ذكرى) أي تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لأنها في معنى الإنذار كأنه قيل مذكرون ذكرى أو على أنه مصدر مؤكد لفعل هو صفة لمنذرون أي إلا لها منذرون يذكرونهم ذكرى أو الرفع على أنها صفة منذرون بإضمار ذوو أو يجعلهم ذكرى لإمعانهم في التذكرة أو خبر مبتدأ محذوف

الشعراء ٢٦

وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾

الشعراء ٢٦

وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾

الشعراء ٢٦

إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

الشعراء ٢٦

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾

الشعراء ٢٦

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾

الشعراء ٢٦

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾

والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى المدلول عليها بمفردها الواقع في حيز النفي على أن معنى أن لكل منذرين أعم من أن يكون لكل قرية منها منذر واحد أو أكثر (وما كنا ظالمين) فهلاك غير الظالمين وقيل الإنذار والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية مع أن إهلاكهم قبل الإنذار ليس بظلم أصلاً على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر في سورة آل عمران عند قوله تعالى وأن الله ليس بظالم للعبيد (وما تنزلت به الشياطين) رد لما زعمه الكفرة ٢١٠ في حق القرآن الكريم من أنه من قبيل ما يلقيه الشيطان على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان أنه نزل به الروح الأمين (وما ينبغى لهم) أي وما يصح وما يستقيم لهم ذلك (وما يستطيعون) ذلك أصلاً (لهم عن ٢١١، ٢١٢) السمع) لكلام الملائكة (لمعزولون) لا تنفاه المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفاء الذوات والاستعداد لقبول فيضان أنوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة إلا لقبول ما لا خير فيه أصلاً من فنون الشرور فمن أين لهم أن يحوموا حول القرآن الكريم المنطوي على الحقائق الرائقة الغيبية التي لا يمكن تلقاها إلا من الملائكة عليهم الصلاة والسلام (فلا تدع ٢١٣ مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين) خوطب به النبي ﷺ مع ظهور استحالته صدور المهمل عنه ﷺ تهيباً وحثاً على ازدياد الإخلاص ولطفاً لسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبيح والسوء بحيث ينهي عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه (وأنذر) العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي (عشيرتك ٢١٤ الأقربين) الأقرب منهم فالأقرب فإن الاهتمام بشأنهم أهم. روى أنه لما زلت صعد الصفا وناداهم فخذوا فخذوا حتى اجتمعوا إليه فقال لو أخبرتك أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقاً قالوا نعم قال فإني أنذركم بين يدي عذاب شديد وروى أنه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئاً ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئاً (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) ٢١٥

٢٦ الشعراء	فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾
٢٦ الشعراء	وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾
٢٦ الشعراء	الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾
٢٦ الشعراء	وَتَقْلُبَكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾
٢٦ الشعراء	إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾
٢٦ الشعراء	هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزِلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾
٢٦ الشعراء	تَنْزِلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾
٢٦ الشعراء	يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾

أى لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فإنه إذا أراد أن ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لأن من اتبع
أعم من اتبع لدين أو غيره أو للتبعض على أن المراد بالمتؤمنين المشارفون للإيمان أو المصدقون باللسان
٢١٦ فحسب (فإن عصوك) ولم يتبعوك (فقل إنى برى عما تعملون) أى عما تعملون أو من أعمالكم
٢١٧ (وتوكل على العزيز الرحيم) الذى يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن
٢١٨ غيرهم وقرىء فتوكل على أنه بدل من جواب الشرط (الذى يراك حين تقوم) أى إلى التهجس
٢١٩ (وتقلبك فى الساجدين) وترددك فى تصفح أحوال المتجدين كما روى أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف
ﷺ تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصاً على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزناير لما سمع
منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود
إذا أمتهم وإنما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله ﷺ التى يسأهل ولايته بعد أن عبر عنه بما ينبىء عن
٢٢٠ قهر أعدائه ونصر أوليائه من وصفى العزيز الرحيم تحقيقاً للتوكل وتوطئاً لقلبه عليه (إنه هو السميع)
٢٢١ لما تقوله (العامم) بما تنويه وتعمله (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) أى تنزل بحذف إحدى التامين
وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله ﷺ بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن
ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما أنها ليست موضوعة للاستفهام بل الأصل أمن لحذف
٢٢٢ حرف الاستفهام واستمر الاستفهام على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل وقوله تعالى (تنزل على
كل آفاك أثيم) قصر لتنزلهم على كل من اصف بالإفك الكثير والإثم الكبير من الكهنة والمنتهبة
وتخصيص لهم بحيث لا يتخطاها إلى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله ﷺ منزهة عن أن يحوم
٢٢٣ حولها شائبة شيء من تلك الأوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه ﷺ (يلقون) أى الأفاكون (السمع)

إلى الشياطين فيتلقون منهم أوهاماً وأمارات لنقصان علمهم فيضمون إليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطاق أكثرها الواقع وذلك قوله تعالى (وأكثرهم كاذبون) أى فيما قالوه من الأقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها الجن فيقرأها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة أو يلقون السمع أى المسموع من الشياطين إلى الناس وأكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجن وأما فى أكثره فهم كاذبون وما له وأكثر أقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب إلى أكثرهم كون أقلهم صادقين على الإطلاق وليس معنى الأفاك من لا ينطق إلا بالإفك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الإفك فلا ينافيه أن يصدق نادراً فى بعض الأحيان وقيل الضمير للشياطين أى يلقون السمع أى المسموع من الملائ الأعلى قبل أن رجوا من بعض المغيبات إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم إذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو إفهامهم ولا سبيل إلى حمل إلقاء السمع على تسميعهم وإنصاتهم إلى الملائ الأعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما أن يلقون كما صرحوا به إما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة النزول للإلقاء أو استئناف مبين للغرض من النزول مبنى على السؤال عنه ولا ريب فى أن إلقاء السمع إلى الملائ الأعلى بمعزل من احتمال أن يقارن النزول أو يكون غرضاً منه لتقدمه عليه قطعاً وإنما المحتمل لهما الإلقاء بالمعنى الأول فالمعنى على تقدير كونه حالاً تنزل الشياطين على الأفاكين ملقنين إليهم ما سمعوه من الملائ الأعلى وعلى تقدير كونه جواباً عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم يلقون إليهم ما سمعوه وحمله على استئناف الإخبار كما فعله بعضهم غير سديد لأن ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير خليق بجزالة التنزيل وأما على تقدير كون ضمير يلقون الأفاكين فهو صفة لكل أفاك لأنه فى معنى الجمع سواء أريد بإلقاء السمع الإصغاء إلى الشياطين أو إلقاء المسموع إلى الناس ويجوز أن يكون استئناف إخبار بحالهم على كلا التقديرين لما أن كلا من تلقيهم من الشياطين وإلقائهم إلى الناس يكون بعد التنزيل وأن يكون استئنافاً مبنياً على السؤال على التقدير الأول فقط كأنه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون إليهم أسماعهم ليحفظوا ما يوحون به إليهم وقوله تعالى وأكثرهم كاذبون على التقدير الأول استئناف فقط وعلى الثانى يحتمل الحالية من ضمير يلقون أى يلقون ما سمعوه من الشياطين إلى الناس والحال أنهم فى أكثر أقوالهم كاذبون فتدبر (والشعراء ٢٢٤ يتبعهم الغاؤون) استئناف مسوق لإبطال ما قالوا فى حق القرآن العظيم من أنه من قبيل الشعراء وأن رسول الله ﷺ من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله ﷺ بعد إبطال ما قالوا إنه من قبيل ما يلقى الشياطين على الكهنة من الأباطيل بما مر من بيان أحوالهم المضادة لأحواله ﷺ والمعنى أن الشعراء يتبعهم أى يحاربهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاؤون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يبدرون لا يستمرون على وتيرة واحدة فى الأفعال والأقوال والأحوال لا غيرهم من أهل الرشد المهتدين إلى

٢٦ الشعراء

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾

٢٦ الشعراء

وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ

٢٦ الشعراء

ظَلَمُوا أَيَّ مَنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

٢٢٥ طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) استشهد على أن الشعراء إنما يتبعهم
 للظنون وتقريره والخطاب لكل من تنأت منه الرؤية للقصد إلى أن حالهم من الجلاء والظهور بحيث
 لا تختص برؤية راء دون راء أي ألم تر أن الشعراء في كل واد من أودية القيل والقال وفي كل شعب من
 شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الفنى والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون إلى سبيل
 معين من السبل بل يتحيرون في فياق الغواية والسفاهة ويذهبون في تيه المجون والوقاحة دينهم تمزيق
 الأعراض المحمية والقدح في الأنساب الطاهرة السنية والتسيب بالحرام والغزل والابتهاج والتزدد بين
 طرفي الإفراط والتفريط في المدح والهجاء (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) من الأفاعيل غير مبالين بما
 يستنبهه من اللوائيم فكيف يتوهم أن يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم في سلكهم من
 تزحمت ساحته عن أن يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الأمور المذكورة وانصف بمحاسن الصفات
 الخبيثة وتخلق بمكارم الأخلاق الجميلة وحاز جميع الكالات القدسية وفاز بجملته الملكات الانسية مستقراً
 على المنهج القويم مستمراً على الصراط المستقيم ناطقاً بكل أمر رشيد داعياً إلى صراط العزيز الحميد مؤيداً
 بمعجزات ظاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم
 رائع أعجز كل منطق ماهر وبكت كل مقلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه ﷺ عن أن يكون من الشعراء
 أن أتباع الشعراء الغاؤون وأتباع محمد ﷺ ليسوا كذلك ولا ريب في أن تعليل عدم كونه ﷺ منهم
 بكون أتباعه ﷺ غير غاوين مما لا يليق بشأنه تعالى وقيل الغاؤون الراؤون وقيل الشياطين وقيل هم
 شعراء قريش عبد الله بن الزبيري وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي
 ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد ﷺ وقرىء والشعراء بالنصب على إضمار
 فعل يفسره الظاهر وقرىء يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيهاً لبعه بعضه (إلا الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا) استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين
 الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على
 طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون إليها والزجر عن الاغترار بزخارفها
 والافتتان بملذذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الأوقات هجر وقع ذلك منهم بطريق الانتصار من هجاءهم
 وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن أبي

٢٧ - سورة النمل (مكية وهي ثلاث وتسعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٧ النمل

طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾

سلمى والذين كانوا يخالون عن رسول الله ﷺ وبكالهون حجة قريش وعن كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال له اجهم فوالذى نفسى بيده هو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قر وروح القدس معك (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) تهديد شديد ووعد أكيد لما فى سيعلم من تهويل متعلقه وفى الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم وفى أى منقلب ينقلبون من الإبهام والتهويل وقد قاله أبو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد إليه وقرى أى منقلت ينقلتون من الانقلات بمعنى النجاة والمعنى أن الظالمين يطعمون أن ينقلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانقلات . عن النبي ﷺ من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وبعده من كذب بعيسى وصدق بمحمد ﷺ .

(سورة النمل مكية وهي ثلاث أو أربع وتسعون آية)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (طس) بالتفخيم وقرىء بالإمالة والكلام فيه كالذى مر فى فظائره من الفوائج الشريفة ومحل على تقدير كونه اسماً للسورة وهو الأظهر الأشهر الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى هذا طس أى مسمى به والإشارة إليه قبل ذكره قد مر وجهها فى فاتحة سورة يونس وغيرها ورفضه بالابتداء على أن ما بعده خبره ضعيف لما ذكر هناك (تلك) إشارة إلى نفس السورة لأنها التى نوهت بذكر اسمها لا إلى آياتها لعدم ذكرها صريحاً لأن إضافتها إليها تأبى إضافتها إلى القرآن كما سيأتى وما فى اسم الإشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيدان ببعده منزلته فى الفضل والشرف ومحل الرفع على الابتداء خبره (آيات القرآن) والجملة مستأنفة مقرر لما أفاده التسمية من نباهة شأن المسمى والقرآن عبارة عن الكل أو عن الجميع المنزول عند نزول السورة حسبما ذكر فى فاتحة فاتحة الكتاب أى تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشأن أى بعض منه مترجم مستقل باسم خاص (وكتاب) أى كتاب عظيم الشأن (مبين) مظهر لما فى تضاعيفه من الحكم والأحكام وأحوال الآخرة التى من جملتها الثواب والعقاب أو لسبيل الرشاد والغى وأطرق بين الحق والباطل والحلال والحرام أو ظاهر الإعجاز على أنه من أبان بمعنى بان ولقد فخم شأنه الجليل بما جمع فيه من وصف القرآنية المنبئة عن كونه بديعاً فى بابه متلفزاً عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرآنأ عربياً غير ذى عوج ووصف الكتاتيبية المعربة عن اشتماله على صفات كال الكتب الإلهية فكانه كلها وقدم الوصف الأول مهنا نظراً إلى تقدم حال القرآنية على

هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ٢٧ النمل

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٢٨﴾ ٢٧ النمل

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢٩﴾ ٢٧ النمل

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٣٠﴾ ٢٧ النمل

حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظر إلى ما ذكر هناك من الوجه وما قيل من أن الكتاب هو اللوح المحفوظ وإبائه أنه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه لا يساعده إضافة الآيات إليه إذ لا عهد بأشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة إذ هما باعتبار إبائه فلا بد من اعتبارهما بالنسبة إلى الناس الذين من جهاتهم المؤمنون لا إلى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي وآيات كتاب مبين (هدى وبشرى للمؤمنين) في حيز النصب على الحالية من الآيات على أنهما مصدران أقما مقام الفاعل للبالغة كأنهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الإشارة أي هادية ومبشرة أو الرفع على أنهما بدلان من الآيات أو خبران آخران لتلك أو لمبتدأ محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون أنها تزيدهم هدى قال تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما معنى تبشيرها إياهم فظاهر لأنها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لأنهما قريبتا الإيمان وقطر العبادات البدنية والمالية مستتبعان لساثر الأعمال الصالحة وقوله تعالى (وهم بالآخرة هم يوقنون) جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الإيقان لا من عداهم لأن تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب أو هو من تنمة الصلة والواو الحالية أو عاطفة له على الصلة الأولى وتغيير نظمته للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأهم أوحديون فيه (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) بيان لأحوال الكفرة بعد بيان أحوال المؤمنين أي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الأعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن (زيننا لهم أعمالهم) القبيحة حيث جعلناها مشتهة للطبع مجبوبة للنفس كما ينبي عنه قوله ﷺ حفت النار بالشهوات أو الأعمال الحسنة ببيان حسناتها في أنفسها حالاً واستتباعاً لفنون المنافع مآلاً وإضافتها إليهم باعتبار أمرهم بها وإيجابها عليهم (فهم يعمهون) يتحIRON ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع وضرر أو في الضلال والإعراض عنها والفاء على الأول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد المسبب على السبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ وفيه إيدان بكال عتوهم ومكابرتهم وتمكيسهم في الأمور (أولئك) إشارة إلى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده أي أولئك الموصوفون بالكفر والعمه (الذين لهم سوء

النمل ٢٧

وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ

النمل ٢٧

تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾

فَلَمَّا جَاءَ هَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ النمل ٢٧

العذاب) أى فى الدنيا كالقتل والانس يوم بدر (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) أى أشد الناس خسراناً لفوات الثواب واستحقاق العقاب (وإنك لتلقى القرآن) كلام مستأنف قد سبق بعد بيان بعض ٦ شئون القرآن الكريم تمهيداً لما يعقبه من الأفاصيص وتصديره بحرفى النأ كيد لإبراز كمال العناية بمضمونه أى لتؤاته بطريق التلقية والتلقين (من لدن حكيم عليم) أى أى حكيم وأى عليم وفى تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيب على علو طبقته ﷺ فى معرفته والإحاطة بها فيه من الجلائل والدقائق فإن من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علماً فى رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على إتقان الفعل والإشعار بأن مافى القرآن من العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالفصوص والأخبار الغيبية وقوله تعالى (إذ قال موسى لأهله) منصوب على المفعولية بمضمرة خوطب به النبى ﷺ وأمر بتلاوة بعض من القرآن ٧ الذى يلقاه ﷺ من لدنه عز وجل تقريراً لما قبله وتحقيقاً له أى اذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام لأهله فى وادى طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فأصلد زنده فبداله من جانب الطور نار (إنى آنست نارا سآتيكم منها بخبر) أى عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين الدلالة على نوع بعد فى المسافة وتأ كيد الوعد والجمع إن صح أنه لم يكن معه عليه الصلاة والسلام إلا امرأته لما كفى عنها بالأهل أو للتعظيم مبالغة فى التسلية (أو آتيكم بشهاب قبس) بقنوينهما على أن الثانى بدل من الأول أو صفة له • لأنه بمعنى مقبوس أى بشعلة نار مقبوسة أى مأخوذة من أصلها وقرىء بالإضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذى هو القبس الجامع لمنفعتى الضياء والاصطلاء لأن من النار ما ليس بقبس كالبحر وكلتا العدتين منه عليه الصلاة والسلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك مافى سورة طه من صيغة الترجى والترديد للإيدان بأنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الأمر وثقة بسنة الله تعالى فإنه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين (لعلكم تصطلون) رجاء أن تستدفئوا بها والصلاة النار العظيمة (فلما جاءها نودى) من جانب الطور (أن بورك) معناه أى بورك على أن أن مفسرة لما فى النداء من معنى القول أو بأن بورك على أنها مصدرية حذف عنها الجار جرياً على القاعدة المستمرة وقيل مخففة من الثقل ولا ضمير فى فقدان التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لما أن الدعاء يخالف غيره فى كثير من الأحكام (من فى النار ومن حولها) أى من فى مكان النار وهى البقعة المباركة المذكورة فى قوله سبحانه نودى من

٢٧ النمل

يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعَقِّبُ يَمُوسَى لَا تُخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ

٢٧ النمل

لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٨﴾

شاطيء الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرى تباركت الارض ومن حولها والظاهر
هو انه لكل من في ذلك الوادي وحواليه من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وكفانهم احياء وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى وقيل
المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بأنه قد قضى له امر عظيم ديني تنتشر
بركاته في أقطار الشام وهو تكليمه تعالى إياه عليه الصلاة والسلام واستنباؤه له وإظهار المعجزات على
يده عليه الصلاة والسلام (وسبحان الله رب العالمين) تعجب لموسى عليه الصلاة والسلام من ذلك وإيدان
بأن ذلك مریده ومكونه رب العالمين تنبهاً على أن الكائن من جلائل الأمور وعظام الشئون ومن أحكام
٩ تربيته تعالى للعالمين (يا موسى إنه أنا الله) استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة والضمير إما للشأن
وأنا الله جملة مفسرة له وإما راجع إلى المتكلم وأنا خبره والله بيان له وقوله تعالى (العزیز الحکیم) صفتان
للله تعالى يهدان لما أريد إظهاره على يده من المعجزات أي أيا القوى القادر على ما لا تناله الا وهام من
١٠ الأمور العظام التي من جماتها أمر العصا واليد الفاعل كل ما فعله بحكمة بالغة وتدير رصين (وألقي) عطف
على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء أي نودي أن بورك وأن ألقي (عصاك) حسبما نطق به قوله
تعالى وأن ألقي عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت إليه أن حج وأن اعتمر وإن شئت أن
حج واعتمر والفاء في قوله تعالى (فلما رآها تهتز) فصيحة نفصيح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة
على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما رأته أكبره بعد قوله تعالى أخرج عليهن كأنه قيل فآلقها
فانقلبت حية تسمى فأبصرها فلما أبصرها متحركة بسرعة واضطراب قوله تعالى (كأنها جان) أي حية
خفيفة سريعة الحركة جملة حالية إما من مفعول رأى مثل تهتز كما أشير إليه أو من ضمير تهتز على طريقة
التداخل وقرى جان على لغة من جد في الحرب من التقاء الساكنين (ولى مدبراً) من الخوف (ولم
يعقب) أي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل إذا كبر بعد الفرو وإنما اعتراه الرعب لظنه أن ذلك لا أمر
أريد به كما ينبغي عنه قوله تعالى (يا موسى لا تخف) أي من غيرى ثقة بي أو مطلقاً لقوله تعالى (إن
لا يخاف لدى المرسلون) فإنه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقاً لكن لا في جميع الاوقات بل حين
يوحى إليهم كوقت الخطاب فإنهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شئون الله عز وجل لا يخطر ببالهم
خوف من أحد أصلاً وأما في سائر الأحيان فهم أخوف الناس منه سبحانه أولاً يكون لهم عندى
سوء طاعة ليخافوا منه .

إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ ٢٧ النمل

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ ٢٧ النمل

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ٢٧ النمل

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ٢٧ النمل

- ١١ (إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإنني غفور رحيم) استثناء منقطع استدرك به ما عسى يخرج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع أن منهم من فرطت منه صغيرة ما مما يجوز صدوره عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم وإن صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه الصلاة والسلام من وكزه القبطى والاستغفار وتسميتهما ظلياً لقوله ﷺ رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له (وأدخل يدك في جيبك) لأنه كان ١٢ مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لأنه يحجب أى يقطع (تخرج بيضاء من غير سوء) أى آفة كبرص ونحوه (في تسع آيات) في جملتها أو معها على أن التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجذب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الأخيرين واحداً ولا يعد الفلق منها لأنه لم يبعث به إلى فرعون أو اذهب في تسع آيات على أنه استئناف بالإرسال فيتعلق به (إلى فرعون وقومه) وعلى الأولين يتعلق بنحو مبعوثاً أو مرسلان (إنهم ١٣ كانوا قوماً فاسقين) تعليل للإرسال أى خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان (فلما جاءتهم آياتنا) وظهرت على يدموسى (مبصرة) بينة اسم فاعل أطلق على المفعول إشعاراً بأنها لفرط وضوحها وإنارتها كأنها تبصر نفسها لو كانت بما يهصر أو ذات تبصر من حيث إنها تهدي والعمى لا تهتدى فضلاً عن الهداية أو مبصرة كل من ينظر إليها ويتأمل فيها وقرى مبصرة أى مكاناً يكثر فيه التبصر (قالوا هذا سحر مبين) واضح سحر به (وجحدوا بها) أى كذبوا بها (واستيقنتها أنفسهم) الواو للحال أى وقد استيقنتها أى ١٤ علمتها أنفسهم علماً يقينياً (ظلياً) أى الآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون واقتد ظلموا بها أى ظلم حيث حطوها عن رتبته العالية وسموها سحراً وقيل ظلياً لأنفسهم وليس بذلك (وعلواً) أى استكباراً عن الإيمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما إما على العلة من جحدوا بها أو على الحالية من فاعله أى جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) من الإغراق على الوجه الهائل الذى هو عبرة للعالمين وإنما لم يذكر تنبيهاً على أنه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل بادو حاضر .

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْחَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ

٢٧ النمل

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَبْنَئُهَا النَّاسُ عَلَيْنَا مَنَطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ

٢٧ النمل

الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾

- ١٥ (ولقد آتينا داود وسليمان علماً) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من أنه ﷺ يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فإن قصتهما عليهما الصلاة والسلام من جملة القرآن الكريم لقيه ﷺ من لدنه تعالى كقصه موسى عليه الصلاة والسلام وتصديره بالقسم لإظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه أى آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لاثقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصناعة لبوس ومنطق الطير أو علماً سنياً عزيزاً (وقالا) أى قال كل واحد منهما شكر الله لما أوتيه من العلم (الحمد لله الذى فضلنا) بما آتانا من العلم (على كثير من عباده المؤمنين) على أن عبارة كل منهما فضلى إلا أنه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير إيجازاً فإن حكاية الأقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم أو عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الأول قوله تعالى يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً وقد مر في سورة قد أفصح المؤمنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو إذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على إتياء ما أوتي كل منهما لا على إتياء ما أوتي نفسه فقط وقيل في العطف بالواو إشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إتياء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التمجيد كأنه قيل ولقد آتيناهما علماً فعملابه وعلينا وعرفا حق النعمة فيه وقال الحمد لله الآية فتأمل والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت علماً ويأباه تبين الكثير بالمؤمنين فإن خلوصهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي تخصيصها الأكثر بالذكر رمز إلى أن البعض مفضلون عليهما وفيه أوضح دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكروا على العلم وجعلناه أساس الفضل ولم يعتبروا دونه ما أوتيا من الملك الذى لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على أن يحمدا الله تعالى على ما آتاهم من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا أنهم وإن فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذى علم عليهم ونعمنا قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر (وورث سليمان داود) أى النبوة والعلم أو الملك بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيهِ وكانوا تسعة عشر (وقال) تشهيراً لنعمة الله تعالى وتنويعاً بها ودعاه للناس إلى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التى أوتيا (يأيها الناس علينا منطق الطير وأوتينا من كل شيء) المنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً كان أو مركباً وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطق الحمامة وكل صنف من أصناف الطير يتفاهم أصواته والذى عليه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكي أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال

وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

يقول إذا أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاخنة فأخبر أنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طلوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال يقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيراً تجدوه وصاح قرى فأخبر أنه يقول سبحان ربى الأعلى وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه وقال الحدأة تقول كل شئ هالك إلا الله والقطاة تقول من سكت سلم والبيغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ماشئت آخرك الموت والعقاب تقول فى البعد عن الناس أنس والصفدع يقول سبحان ربى القدوس وأراد عليه الصلاة والسلام بقوله علمنا وأوتينا بالنون التى يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكاً مطاعاً لكن لا تجبراً وتكبراً بل تمهيداً لما أراد منهم من حسن الطاعة والانقياد له فى أوامره ونواهيه حيث كان على عزيمة المسير وبقوله من كل شئ كثرة ما أوتيه كما يقال فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شئ ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى وأوتيت من كل شئ وقال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما يهيمه من أمر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعنى النبوة والملك وتسخير الجن والإنس والشياطين والريح (إن هذا) إشارة إلى ما ذكر من التعليم والإيتاء (هو الفضل) والإحسان من الله تعالى (المبين) الواضح الذى لا يخفى على أحد أو إن هذا الفضل الذى أوتيه هو الفضل المبين على أنه عليه الصلاة والسلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى أقول هذا القول شكراً لا غرراً ولعله عليه الصلاة والسلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس إلى الغزو فإن أخبارهم بإيتاء كل شئ من الأشياء التى من جملتها آلات الحرب وأسباب الغزو بما ينبت عن ذلك فمعنى قوله تعالى (وحشر لسليمان جنوده) جمع له عساكره (من) الجن والإنس والطير بمباشرة مخاطبيه فإنهم كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته من الثقافين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليباً وتقديم الجن على الإنس فى البيان للمسارعة إلى الإيدان بكال قوة ملكه وعزة سلطانه من أول الأمر لما أن الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير (فهم يوزعون) أى يحبس أوائلهم على أو آخرهم أى يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالى فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد فى العساكر وفيه إشعار بكال مسارعتهم إلى السير وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق أو آخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضاً لما أن أو آخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه أوائلهم من السير السريع وهذا إذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح فى الجوروى أن معسكره عليه الصلاة والسلام كان مائة فرسخ فى مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عليه الصلاة والسلام ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منسكوبة وسبع مائة سرية وقد نسجت له الجن بساطاً من ذهب وإبريسم فرسخاً فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب

حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ
وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾

٢٧ النمل

فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على كرسي الذهب والعملاء على كرسي الفضة وحوطهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله وبأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال إنما مشيت إليك لئلا تمنى مالا تقدر عليه

١٨ ثم قال لنسيجة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود (حتى إذا أتوا على وادي النمل) حتى هي التي يبدأ بها الكلام ومع ذلك هي غاية لما قبلها كالتي في قوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل الآية وهي ههنا غاية لما ينبي عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كأنه قيل فساروا حتى إذا أتوا الخ ووادي النمل واد بالشأم كثير النمل على ما قاله مقاتل رضي الله عنه وبالطائف على ما قاله كعب رضي الله عنه وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مرا كبهم وتعدية الفعل إليه بكلمة على إما لأن إتيانهم كان من فوق وإما لأن المراد بالإتيان عليه قطعه من قولهم أتى على الشيء إذا أنفذه وبلغ آخره ولعلمهم أرادوا أن ينزلوا عند منتهى الوادي إذ حينئذ يخافهم مافي الأرض لا عند سيرهم في الهواء وقوله تعالى (قالت نملة) جواب إذا كانوا لما رأوهم متوجهين إلى الوادي فرى منهم فصاحت صبيحة تنبئت بها ما يحضرها من النمل لمرادها فتبعها في الفرار فشببه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فأجروا مجرام حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) مع أنه لا يمتنع أن يخلق الله تعالى فيها النطق وفيها عداها العقل والفهم وقرىء نملة يا أيها النمل بضم الميم وهو الأصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في السبع وقرىء بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشي وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وقرىء مسكنكم وقوله تعالى (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) نهى في الحقيقة للنمل عن التأخر في دخول مساكنهم وإن كان بحسب الظاهر نهياً له عليه الصلاة والسلام ولجنوده عن الحطم كقولهم لا أربك ههنا فهو استئناف أو بدل من الأمر كقول من قال [فقلت له ارحل لا تقيم عندنا] لا جواب له فإن النون لا تدخل في السعة وقرىء لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرىء لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرهما وأصله لا يحطمنكم وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وأرادت بذلك الإيذان بأنها عارفة بشئون سليمان وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من عصمتهم عن الظلم والإيذاء وقيل هو استئناف أي فهم سليمان ما قالته والقوم

فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي فِي رَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

٢٧ النمل

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾

٢٧ النمل

لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾

٢٧ النمل

- ١٩ لا يشعرون بذلك (فتبسم ضاحكا من قولها) تعجباً من حذرهما واهتمامهما إلى تدبير مصالحهما وهما حال بنى نوعهما وسروراً بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين أصناف المخلوقات التي هي أبعدها من إدراك أمثال هذه الأمور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من إدراك همسها وفهم مرادها روى أنها أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لثلاث يذعرن حتى دخلن مساكنهن (وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك) أى اجعلني أزرع شكر نعمتك عندي . وأكفه وأر بطله بحيث لا ينفلت عنى حتى لا أنفك عن شكرك أصلاً وقرىء بفتح ياء أوزعني (التي أنعمت على وعلى والدي) أدرج فيه ذكرهما تكثيراً للنعمة فإن الإنعام عليهما لإنعام عليه مستوجب للشكر (وأن أعمل صالحاً ترضاه) إتماماً للشكر واستدامة للنعمة (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) .
- ٢٠ في جهنم الجنة التي هي دار الصالحين (وتفقد الطير) أى تعرف أحوال الطير فلم ير الهدد فيها بينها (فقال ما لى لا أرى الهدد أم كان من الغائبين) كأنه قال أولاً ما لى لا أراه لساير ستره أو اسبب آخر ثم بداله أنه غائب فأضرب عنه فأخذ يقول أهو غائب (لأعذبه عذاباً شديداً) قيل كان تعذيبه للطير بنف ريشه وتشميسه وقيل بجمعه مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه وبين إلفه (أو لأذبحه) ليعتبر به أبناء جنسه .
- ٢١ (أولياً تبنى بسلاطن مبين) بحجة تبين عذره والخلف في الحقيقة على أحد الأولين على تقدير عدم الثالث . وقرىء ليا تبنى بنونين أولاهما مفتوحة مشددة قيل إنه عليه الصلاة والسلام لما أنتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام به ماشاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً يؤم سهيلاً فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً حسنة أعجبهت خضرتها فنزل ليتغذى ويصلى فلم يجد الماء وكان الهدد قنافته وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاج فيجىء الشياطين فيسلخونها كما يسليخ الإهاب ويستخرجون الماء فتفقد لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام خلق الهدد فرأى هدهداً واقفاً فأنحط إليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العمر وذلك قوله تعالى .

فَكَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ ۖ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَمِينٍ ﴿٢٢﴾

٢٢ (فكث غير بعيد) أي زماناً غير مديد وقرئ بضم الكاف وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فإذا موضع الهدد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده عليه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك وأقدرك على الإلزام حتى تركته وقالت ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف ليعذبك قال وما استثنى قالت بلى قال أولياً نبني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض تواضعاً له فلما دنا منه أخذ عليه السلام برأسه فمدّه إليه فقال يابني الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله (فقال أحطت بما لم تحط به) أي علماً ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرئ أحطت بادغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق ولا خفاء في أنه لم يرد بما ادعى الإحاطة به ما هو من حقائق العلوم ودقائق المعارف التي تكون معرفتها والإحاطة بها من وظائف أرباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل مبين حتى يكون لإثباتها لنفسه بين يدي نبي الله سليمان عليه السلام تعدياً عن طوره وتجاوزاً عن دائرة قدره ونفيها عنه عليه الصلاة والسلام جناية على جناية فيحتاج إلى الاعتذار عنه بأن ذلك كان منه بطريق الإلهام فكأخه عليه الصلاة والسلام بذلك مع ما أوتي عليه الصلاة والسلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه الصلاة والسلام في علمه وتنبهه على أن في أدنى خلقه تعالى وأضعفهم من أحاط علماً بما لم يحيط به لتحقاقه إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء بل أراد به ما هو من الأمور المحسوسة التي لا تعد الإحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف إدراكها إلا على مجرد إحساس يستوى فيه العقلاء وغيرهم وقد علم أنه عليه الصلاة والسلام لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعاً فعبّر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عليه الصلاة والسلام وترغيبه في الإصغاء إلى اعتداده واستماله قلبه نحو قبوله فإن النفس للاعتذار المنبئ عن أمر بديع أقبل وإلى تلقى ما لا تعلمه أميل ثم أيده بقوله (وجئتكم من سبأ بنياً يقين) حيث فسّر إلهامه نوع تفسير وأراد عليه الصلاة والسلام أنه كان بصدد إقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبا الذي هو الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه وإلا فإذا صدر عنه عليه الصلاة والسلام مع ما حكى عنه ما حكى من الحمد والشكر واستدعاء الإيزاع حتى يليق بالحكمة الإلهية تنبيهه عليه الصلاة والسلام على تركه سبأ منصرف على أنه اسم لحي سموأباسم أبيهم الأكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه أول من سبي وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على أنه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبنيها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وعلى هذه القراءة يجوز أن يراد به القبيلة والمدينة وأما على القراءة الأولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم وقوف سليمان عليه السلام على نبشهم قبل إنباء الهدد ليس بأمر بديع لا بدله من حكمة داعية إليه البتة وإن استحال خلو أفعاله تعالى من الحكم والمصالح لما أن المسافة بين محطه عليه الصلاة

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ النمل ٢٧

وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ النمل ٢٧

أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ النمل ٢٧

- والسلام وبين مارب وإن كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه الصلاة والسلام هناك وبين مجيء الهدى بالخبر أيضاً قصيرة نعم اختصاص الهدى بذلك مع كون الجن أقوى منه مبنى على حكم بالغة يستأثر بها أعلام الغيوب وقوله تعالى (إني وجدت امرأة تملكهم) استئناف ببيان ما جاء به من النبأ وتفصيل ٢٣ له إثر الإجمال وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها ورث الملك من أربعين أباً ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الأمة وكانت هي وقومها يجوساً يعبدون الشمس وإيثار وجدت على رأيت لما أشير إليه من الإيذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه الصلاة والسلام بإبراز نفسه في معرض من يتفقد أحوالها ويتعرفها كأنها طالبتة وضالته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسيا على أنه اسم لحى أو لأهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على أنه اسم لها (وأوتيت من كل شيء) أى من الأشياء التى يحتاج إليها الملوك (ولها عرش عظيم) قبل كان ثلاثين * ذراعاً فى ثلاثين عرضاً وسمكاً وقيل ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة مكلاً بالجواهر وكانت قوائمها من ياقوت أحمر وأخضر ودرود ورمود عليه سبعة أيبات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدى لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام إما بالنسبة إلى حالها أو إلى عروش أمثالها من الملوك وقد جاوز أن يكون لسليمان عليه السلام مثله وأياً ما كان فوصفه بذلك بين يديه عليه الصلاة والسلام لما مر من ترغيبه عليه الصلاة والسلام فى الإصغاء إلى حديثه وتوجيه عزمته عليه الصلاة والسلام نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما وجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال (وجدتها وقومها يسجدون ٢٤ للشمس من دون الله) أى يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى (وزين لهم الشيطان أعمالهم) التى هى عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصى (فصدم) بسبب ذلك (عن السبيل) أى سبيل الحق والصواب فإن تزوين أعمالهم لا يتصور بدون تقويم طرق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته نسبة طريق الحق إلى العوج (فهم) بسبب ذلك (لا يهتدون) إليه وقوله تعالى (أن لا يسجدوا لله) مفعول له إما للصد ٢٥ أولاً لتزوين على حذف اللام منه أى فصدم لئلا يسجدوا له تعالى أو زين لهم أعمالهم لئلا يسجدوا أو بدل على حاله من أعمالهم وما بينهما اعتراض أى زين لهم أن لا يسجدوا وقيل هو فى موقع المفعول ليهتدون بإسقاط الخافض ولا مزبدة كفاى قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا لله تعالى وقرئ أيا يسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى محذوف أى أيا يقوم اسجدوا كما ٣٦٥ - أبى السموذ ٢٦٥

٢٧ النمل

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾

٢٧ النمل

قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾

٢٧ النمل

أَذْهَبَ بِكَتَنِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾

في قوله [ألا يا أسلمى يا دارمى على البلى] ونظائره وعلى هذا يحتمل أن يكون استنسافاً من جهة الله عز وجل أو من سليمان عليه السلام ويوقف على لا يهتدون ويكون أمراً بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذمّاً على تركه وأياً ما كان فالسجود واجب وقرىء هلا وهلا بقلب الهمزتين ماء وقرىء هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب (الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض) أى يظهر ما هو مخبوء ومخفى فيهما كأننا ما كان ونخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرد تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر أوصافه الموجبة لذلك لما أنه أرسخ فى معرفته والإحاطة بأحكامه بمشاهدة آثاره التى من جملتها ما أودعه الله تعالى فى نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الأرض وأشار بعطف قوله (ويدلم ماتخفون وما تعلنون) على يخرج إلى أنه تعالى يخرج ما فى العالم الإنسانى من الخفايا كما يخرج ما فى العالم الكبير من الخبايا لما أن المراد يظهر ماتخفونه من الأحوال فيجازيكم بها وذكر ماتعلنون لتوسيع دائرة الدلم أو للتنبيه على تساويهما بالنسبة إلى العلم الإلهى وقرىء ماتخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا النفات وإخراج الخبء يعم إشراق الكواكب وإظهارها من آفاقها بعد استنارها ورأها وإززال الأمطار وإنبات النبات بل الإنشاء الذى هو إخراج ما فى الشئ بالقوة إلى الفعل والإبداع الذى هو إخراج ما فى الإمكان والعدم إلى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرىء الخبء بتخفيف الهذرة بالحذف وقرىء الخبا بتخفيفها بالقلب وقرىء ألا تسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والأرض ويعلم سرهم وما تعلنون (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) الذى هو أول الأجرام وأعظمها وقرىء العظيم بالرفع على أنه صفة الرب واعلم أن ما حكى من الهدد من قوله الذى يخرج الخبء إلى هنا ليس داخلاً تحت قوله لأنه أحطت به وإنما هو من العلوم والمعارف التى اقتبسها من سليمان عليه السلام أورده بياناً لما هو عليه وإظهاراً لتصلبه فى الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه الصلاة والسلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزمته عليه السلام إلى غزوها وتسخير ولايتها (قال) استنسافاً وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدد كأنه قيل فإذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك فقليل قال (سننظر) أى فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والسين لنا كيد أى سننكره بالتجربة البتة (أصدقت أم كذبت من الكاذبين) كان مقتضى الظاهر أم كذبت وإيثار ما عليه النظم الكريم الإيدان بأن كذبه فى هذه المادة يستلزم انتظامه فى سلك المؤمنين بالكذب الراسخين فيه فإن مساق هذه الأقاويل الملفقة على ترتيب أنيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها مصداق أصلاً لا سيما بين يدي نبي عظيم الشأن لا يكاد يصدر إلا عن له قدم راسخ فى الكذب والإفك وقوله تعالى (أذهب بكتاني هذا فألقه

٢٧ النمل

قَالَتْ يٰٓأَيُّهَا الْمَلَأُوۡآ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىٰ كِتٰبٍ كَرِيۡمٍ ۝٢٧

٢٧ النمل

وَإِنَّهُ مِنۢ سُلَيْمٰنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيۡمِ ۝٢٨

٢٧ النمل

أَلَّا تَعْلَمُوۡا عَلَىٰ وَاتُوۡنِىۢ مُسْلِمِيۡنَ ۝٢٩

(إليه) استئناف مبين لكيفية النظر الذى وعده عليه الصلاة والسلام وقد قاله عليه الصلاة والسلام بعد ما كتب كتابه فى ذلك المجلس أو بعده وتخصيصه عليه الصلاة والسلام لإياه بالرسالة دون سائر ماتحت ملكه من أمناء الجن الأقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من غايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذر أصلاً (ثم قول عنهم) أى تنح إلى مكان قريب تتوارى فيه (فانظر) أى تأمل وتعرف (ماذا يرجعون) أى ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول وجمع الضمائر لما أن مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل إلى الإسلام (قالت) أى بعد ما ذهب الهدهد بالكتاب فألقاه إليه وتنحى عنهم حسبما أمر ٢٩ به وإنما طوى ذكره إيداناً بكالم مسارعة إلى إقامة ما أمر به من الخدمة وإشعاراً باستغنائهم عن التصريح به لغاية ظهوره . روى أنه عليه الصلاة والسلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة فى قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهى مستقلة وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أنها والقادة والجنود حو اليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب على حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميرى كما مر فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لأشراف قومها (يا أيها الملأ إني ألقى إلى كتاب كريم) وصفته بالكرم لكرم مضمونه أو لكونه من عند ملك كريم أو لكونه مختموماً أو لغرابة شأنه ووصوله إليها على منهاج غير معتاد (إنه من سليمان) ٣٠ استئناف وقع جواباً لسؤال مقدراً كأنه قيل من هو وماذا مضمونه فقالت إنه من سليمان (وإنه) أى مضمونه أو المكتوب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) وفيه إشارة إلى سبب وصفها إياه بالكرم وقرئ * أنه وإنه بالفتح على حذف اللام كأنها علمت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدراً باسم الله تعالى وقيل على أنه بدل من كتاب وقرئ أن من سليمان وأن بسم الله الرحمن الرحيم على أن أن المفسرة (أن لا تعلموا ٣١ على) أن مفسرة ولا ناهية أى لا تتكبروا كما يفعل جبارة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية محلها الرفع على أنها من كتاب أو خبر لمبتدأ مضمرة يليق بالمقام أى مضمونه أن لا تعلموا أو النصب بإسقاط الحافض أى بأن لا تعلموا على وقرئ أن لا تعلموا بالغين المعجمة أى لا تجاوزوا حدكم (وأوتى مسلمين) أى مؤمنين وقيل منقادين والاول هو الالقي بشأن النبي ﷺ على أن الإيمان مستتبع للانقياد حتما . روى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلموا على وأوتى مسلمين وليس الأمر فيه بالإسلام قبل إقامة الحججة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاءاً للتقليد فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة .

قَالَتْ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ٢٧ النمل

قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ٢٧ النمل

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ٢٧ النمل

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ٢٧ النمل

٣٢ (قالت) كررت حكاية قولها للإبذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها (يا أيها الملأ أفتونني في أمري) أي أجيبوني في أمري الذي حزني وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى التي هي الجواب في الحوادث المشكلة غالباً تهويلاً للأمر ورفعاً لمحلهم بالإشعار بأنهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها (ما كنت قاطعة أمراً) أي من الأمور المتعلقة بالملك (حتى تشهدون) أي إلا بمحضركم وبموجب آرائكم ٣٣ استعطف لهم واستئالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير (قالوا) استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولها كأنه قيل فماذا قالوا في جوابها فقبل قالوا (نحن أولو قوة) في الأجساد والآلات والعدد (وأولو بأس شديد) أي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب (والأمر إليك) أي هو موكول إليك (فانظري ماذا تأمرين) ونحن مطيعون لك فربنا بأمرك نمثل به وتنبع رأيك وأرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وإليك الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نكن في الخدمة فلما أحست منهم الميل إلى الحراب والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف مفاصلهم المبنية على الغفلة عن شأن سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية) من القرى على منهاج المقاتلة والحراب (أفسدوها) بتخريب عماراتها وإتلاف ما فيها من الأموال (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بالقتل والأسر والإجلاء وغير ذلك من فنون الإهانة والإذلال (وكذلك يفعلون) تأكيداً وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقريره بأن ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق لها من جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مدداً أثر قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي (وإني مرسله إليهم بهدية) تقرير لرأيها بعد ما زيفت آراءهم وأنت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق الإبذان بأنها مزمنة على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنى عليها عاطف أي وإني مرسله إليهم رسالة بهدية عظيمة (فناظرة بم يرجع المرسلون) حتى أعمل بما يقتضيه الحال . روى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحلبن الأساور والأطواق والقرطه راكبي خيل مغطاة بالديباج محلاة للجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زى الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقاً فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلاً من أشرف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذارأي وعقل وقالت إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقباً مستويّاً وسلك في الخرزة خيطاً ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولك

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِّدُونِي بِمَالٍ فَأَتَيْنِي ۖ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا أَتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِيكُمْ

تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾

أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ٢٧ النمل

وإن رأيته بشاً لطيفاً فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان عليه السلام بذلك فأمر الجن فضربوا ابن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفاته من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطففت الشياطين صفوفاً فراسخ والإنس صفوفاً فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتناصرت إليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل عليهما السلام بما فيه فقال لهم إن فيه كذا وكذا ثم أمر بالأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم ردا لهدية وذلك قوله تعالى (فلما جاء سليمان) أي الرسول (قال) أي مخاطباً للرسول والمرسل تعليلاً للحاضر على الغائب وقيل للرسول ٣٦ ومن معه ويؤيده أنه قرىء فلما جاءوا أو الأول أو لى لما فيه من تشديد الإنكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها ويؤيده الأفراد في قوله تعالى ارجع إليهم (أتمدونى بمال) وهو إنكار لإمدادهم إياه عليه الصلاة والسلام بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى (فما آتاني الله) أي مما رأيتم آثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه (خير مما آتاكم) أي من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة لى إلى هديتكم ولا وقع لها عندى لتعليل الإنكار ولعله عليه الصلاة والسلام إنما قال لهم هذه المقالة إلى آخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكى من قصة الحق وغيرها كما أشير إليه لا أنه عليه الصلاة والسلام خاطبهم بها أول ما جاءوه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرىء أتمدونى بالإدغام وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى (بل أنتم بهديتكم تفرحون) لإضراب عما ذكر من إنكار الإمداد بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم إلى أهدها إليه عليه الصلاة والسلام فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبىء عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زى الغلمان والجوارى وغير ذلك وفائدة الإضراب التنبيه على أن إمداده عليه الصلاة والسلام بالمال منكر قبيح وعد ذلك مع أنه لا قدر له عنده عليه الصلاة والسلام مما يقنافس فيه المتنافسون أقبح والتوبيخ به أدخل وقيل المضاف إليه المهمدى إليه والمعنى بل أنتم بما يهدى إليكم تفرحون حباً لزيادة المال لما أنكم لا تعلمون إلا ظاهر أمن الحياة الدنيا (ارجع) ٣٧ أفرد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لا اختصاص الرجوع بالرسول وعموم الإمداد ونحوه

٢٧ النمل

قَالَ يَأَيُّهَا الْمَلَكُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٢٨﴾

قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٢٩﴾ ٢٧ النمل

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ

٢٧ النمل

فإِن رَّبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٣٠﴾

- للـكـلـ أـى ارجع أيها الرسول (إليهم) أى إلى بلقيس وقومها فلما أتيتهم أى فو الله لنا تينهم (بمجنود لا قبل لهم بها) أى لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرى بهم (ولنخرجهم) عطف على جواب القسم (منها) من سبأ (أذلة) أى حال كونهم أذلة بعدما كانوا فيه من العز والتمكين وفى جمع القلة تأكيد لذلتهم وقوله تعالى (وهم صاغرون) أى أسارى مهانون حال أخرى مفيدة لكون إخراجهم بطريق الأسر لا بطريق الإجماع وعدم وقوع جواب القسم لأنه كان معلقاً بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع إليهم فلما أتوا مسلمين وإلا فلما أتيتهم الخ (قال يا أيها الملك أيكم يأتيني بعرشها) ٣٨ قاله عليه الصلاة والسلام لما دنا مجيء بلقيس إليه عليه الصلاة والسلام يروى أنه لما رجعت رسلها إليها بما حكى من خبر سليمان عليه السلام قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت إلى سليمان عليه السلام إلى قادمة إليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك ثم أذنت بالرحيل إلى سليمان عليه السلام فشخصت إليه فى لئى عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف ويروى أنها أمرت لجعل عرشها فى آخر سبعة أبيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب وولت به حر سائح فظفونه ولعله أوحى إلى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يريها بعض ما خصه الله عز سلطانه به من إجراء التعاجيب على يده مع إطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه الصلاة والسلام ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم لا وتقييد الإتيان به بقوله تعالى (قبل أن يأتوني مسلمين) لما أن ذلك أبدع وأغرب وأبعد من الوقوع عادة وأدل على عظيم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه الصلاة والسلام وليكون اختبارها وإطلاعها على بدائع المعجزات فى أول مجيئها وقبل لأنها إذا أتت مسلمة لم يحل له أخذ مالها بغير رضاها (قال عفریت) أى مارد خبيث (من الجن) بيان له إذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لأقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرأ (أنا آتيك به) أى بعرضها (قبل أن تقوم من مقامك) أى من مجلسك للحكومة وكان مجلس إلى نصف النهار وآتيك إما صيغة المضارع أو الفاعل وهو الأنسب لمقام ادعاء الإتيان به لا محالة وأرفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية أى أنا آت به فى تلك المدة البتة (وإني عليه) أى على الإتيان به (لقوى) لا يثقل على حمله (أمين) لا اختزل منه شيئاً ولا أبدله (قال الذى عنده علم من الكتاب) فصل عما قبله للإيدان بما بين القائلين ومقابلتهما

قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾

- وكيفيتي قدرتهما على الإتيان به من كمال التباين أو لإسقاط الأول عن درجة الاعتبار قبل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أجاب وقيل الخضر أو جبريل أو ملك أيداه الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة أو اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز إلى أنه علم غير معهود ومن ابتدائية (أن آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) الطرف تحريك الأجفان وفتحها * للنظر إلى شيء وارتداده انضمامها ولكونه أمراً طبيعياً غير منوط بالقصد أوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وإنجازه مدة ما كما في وعد العفريت استغنى عن التأكيد وطوى عند الحكاية ذكر الإتيان به للإبذان بأنه أمر متحقق غنى عن الإخبار به وجيء بالغاء الفصيحة لادخاله على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب ونظائر بل دالة على الشرطية حيث قيل (فلما رآه مستقراً عنده) أي رأى العرش حاضر أليده كما في قوله عز وجل فلما رأيته أكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الإخبار به ببيان ظهور ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام إياه واستغنائه أيضاً عن النصريح به إذ التقدير فأتاه به فرآه فلما رآه الخ حذف ما حذف لما ذكر والإبذان بكمال سرعة الإتيان به كأنه لم يقع بين الوعد وبين رؤيته عليه الصلاة والسلام إياه شيء ما أصلا وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه الصلاة والسلام تأكيد لهذا المعنى لإيهامه أنه لم يتوسط بينهما ابتداء الإتيان أيضاً كأنه لم يزل موجوداً عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظماً في سلك ملكه (قال) أي سليمان عليه السلام تلقياً للنعمة بالشكر جرياً على سنن أبناء جنسه من أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وخلص عباده (هذا) أي حضور العرش بين يديه في هذه المدة القصيرة أو التمكن من إحضاره بالواسطة أو بالذات كما قيل (من فضل ربى) أي تفضله على من غير استحقاق له من قبلى (ليبلونى أشكر) بأن أراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتى ولا قوة وأقوم بحقه (أم أكفر) بأن أجد لنفسى مدخلا في البين أو أقصر في إقامة مواجبه كما هو شأن سائر النعم الفائضة على العباد (ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) لأنه يرتبط به عتيدها ويستلجب به مزيدها ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران (ومن كفر) أي لم يشكر (فإن ربى غنى) عن شكره (كريم) بترك تعجيل العقوبة والإنعام مع عدم الشكر أيضاً (قال) أي سليمان عليه السلام ٤١ كررت الحكاية مع كون المحكى سابقاً ولاحقاً من كلامه عليه الصلاة والسلام تنبيهاً على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما أن الأول من باب الشكر لله تعالى والثاني أمر لخدمه (نكروا لها عرشها) أي غيروا هيئته بوجه من الوجوه (نظر) بالجزم على أنه جواب الأمر وقرئ بالرفع على الاستئناف (أنهتدى) إلى معرفته أو إلى الجواب اللائق بالمقام وقيل إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها التقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس والحجاب

فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ٢٧ النمل

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ ٢٧ النمل

وأياباه تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فإن ذلك مما لا دخل فيه للتنكير (أم تكون) أي بالنسبة إلى علما (من الذين لا يهتدون) أي إلى ما ذكر من معرفة عرشها أو الجواب الصواب فإن كونها في نفس الأمر منهم وإن كان أمراً مستمراً لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه أمر حادث يظهر بالاختبار (فلما جاءت) شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عليه السلام أي فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه (قيل) أي من جهة سليمان عليه السلام بالذات أو بالواسطة (أهكذا عرشك) لم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقيناً لها فيفوت ما هو المقصود من الأمر بالتنكير من إبراز العرش في معرض الإشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه الصلاة والسلام بسخافة العقل (قالت كأنه هو) فأنبات عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحاً بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الأدب في محاورته عليه الصلاة والسلام (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) من تنمة كلامها كأنها ظنت أنه عليه الصلاة والسلام أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت أوتينا العلم بكامل قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانه رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من إظهار ما ادعته من الإسلام إلى الآن أي صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى (إنها كانت من قوم كافرين) تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد أي إنها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على إظهار إسلامها وهي بين ظهرانهم إلى أن دخلت تحت ملكة سليمان عليه السلام وقرىء أنها بالفتح على البدلية من فاعل صد أو على التعليل بحذف اللام هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأوتينا العلم إلى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملكته كأنهم لما سمعوا قولها كأنه هو تفتنوا لإسلامها فقالوا استحساناً لشأنها أصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من أمر عرشها ورزقت الإسلام فعطفوا على ذلك قولهم وأوتينا العلم الخ أي وأوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الإسلام شكرياً لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم إلى العلم بالله تعالى والإسلام قبلها وصدها عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهرانى الكفرة فما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف .

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ٢٧ النمل

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ ٢٧ النمل

قَالَ يَتْلُمِمْ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ٢٧ النمل

- (قيل لها ادخلي الصرح) الصرح القصر وقيل محن الدار. روى أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها ٤٤ فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لآمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضى إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان عليه السلام إلى ملك هو أشد وأفظع فقالوا إن في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها (فلما رآته) وهو حاضر بين يديها كما يعرب * عنه الأمر بدخولها وأحاطت بتفاصيل أحواله خبراً (حسبته لجة وكشفت عن ساقها) وتشمرت لثلا * تبتل أذيالها فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقد ما خلا أنها شعراء قيل هي السبب في اتخاذ النور أمر بها الشياطين فأتخذوها واستنكحها عليه الصلاة والسلام وأمر الجن فبنوا لها سبلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زبوة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع وقرى ساقها حملاً للفرد على الجمع في سوق وأسوق (قال) عليه الصلاة * والسلام حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب (لأنه) أي ماتوهمته ماء (صرح ممد) أي علس (من قوارير) من الزجاج (قالت) حين عاينت تلك المعجزة أيضاً (رب إنى ظلمت نفسي) بما كنت عليه إلى الآن من عبادة الشمس وقيل بظن سليمان حيث ظنت أنه يريد إغراقها في اللجة وهو بعيد (وأسلمت مع سليمان) تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى (لله رب العالمين) من الالتفات إلى الاسم الجليل * ووصفه بربوبية العالمين لإظهار معرفتها بالوحيته تعالى وتفرد به باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبد قبل ذلك من الشمس (ولقد أرسلنا) عطف على قوله تعالى ٤٥ ولقد آتينا داود وسليمان علماً مسوق لما سبق قوله من تقرير أنه عليه الصلاة والسلام يأتي القرآن من لدن حكيم عليم فإن هذه القصة أيضاً من جملة القرآن الكريم الذي لقيه عليه الصلاة والسلام واللام جواب قسم محذوف أي وبالله لقد أرسلنا (إلى ثمود أخاهم صالحاً) وأن في قوله تعالى (أن اعبدوا الله) مفسرة لما في الإرسال من معنى القول أو مصدرية حذف عنها الباء وقرى بضم النون إتباعاً لها للباء (فإذا هم فريقان يختصمون) ففاجئوا بالتفرق والاختصاص فأمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين (قال) عليه ٤٦
- ٣٧ - أبي السعود ج ٦

قَالُوا أَطِيرَ نَابِكَ وَيَمْنُ مَعَكَ قَالَ طَيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ٢٧ النمل

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ٢٧ النمل

قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ ٢٧ النمل

الصلاة والسلام للفريق الكافر منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة إلى أن قالوا له عليه الصلاة والسلام يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (يا قوم لم تستعجلون بالسبئية) أى بالعقوبة السبئية (قبل الحسنه) أى التوبة فتؤخرونها إلى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون إن وقع إيعاده تبنا حينئذ ولا فتحن على ما كنا عليه (لولا تستغفرون الله) هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها (لعلكم ترحمون) بقبولها إذ لا إمكان للقبول عند النزول (قالوا اطيرنا) أصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لما أنهم كانوا إذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فإن مر سائحا تيمنوا وإن مر بارحاً تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سبباً لهما من قدر الله تعالى وقسمته أو من عمل العبد أى تشاءمنا (بك وبمن معك) فى دينك حيث تنابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا أو لم نزل فى اختلاف وافتراق مذاخر عتم دينكم (قال طائرهم) أى سبيكم الذى منه ينالكم ما ينالكم من الشر (عند الله) وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى (بل أنتم قوم تفتنون) أى تختبرون بتعاقب السراء والضراء أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة إضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعى إليه (وكان فى المدينة) ٤٨ وهى الحجر (تسعة رهط) أى أشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزاً للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة أو من السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة وأسماؤهم حسبما نقل عن وهب: الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورتاب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردبة وطاصم بن مخزومة وسبيط بن صدقة وشيمان بن صفى وقدار بن سالف وهم الذين سمعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم (يفسدون فى الأرض) لا فى المدينة فقط لإفساداً بحتاً لا بخاطله شيء مامن الإصلاح كما ينطق به قوله تعالى (ولا يصلحون) أى لا يفعلون شيئاً من الإصلاح أو لا يصلحون شيئاً من الأشياء (قالوا) استئناف ببيان بعض ما فعلوا من الفساد أى قال بعضهم لبعض فى أثناء المشاورة فى أمر صالح عليه الصلاة والسلام وكان ذلك غب ما أنذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام الخ (تقاسموا بالله) إما أمر مقول لقولوا أو ماض وقع بدلا منه أو حالا من فاعله بإضمار قد وقوله تعالى (لنبيئنه وأهله) أى لنباغتن صالحاً وأهله ليلاولنقتلنهم وقرئ بالبناء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بياء الغيبة وضم التاء على أن تقاسموا فعل ماض (ثم لنقولن لولييه) أى لولى صالح وقرئ بالبناء والياء كما قبله (ماشهدنا مهلك أهله) أى ما حضرنا هلاكهم أو وقت هلاكهم أو مكان هلاكهم فضلاً أن نتولى إهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدراً (ولنا لصادقون) من تمام القول أو حال أى نقول

- وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ النمل ٢٧
- فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمُ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ النمل ٢٧
- فَإِنَّكَ بَيُّوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ النمل ٢٧
- وَأُنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ النمل ٢٧
- وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ النمل ٢٧

- ما نقول والحال إنا لصادقون في ذلك لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً أو لأننا ما شاهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعاً كقولك ما رأيت ثمة رجلاً بل رجلين (ومكروا مكرأ) بهذه المواضع ٥٠ (ومكرونا مكرأ) أى أهلكناهم إهلاً كما غير معهود (وهم لا يشعرون) أوجاز بنام مكرهم من حيث لا يحتسبون (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم) شروع في بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف معلقة لفعل النظر ٥١ ومحل الجملة النصب بنزع الخافض أى فنفكر في أنه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى (أنادمرناهم) إما بدل من عاقبة مكرهم على أنه فاعل كان وهى تامة وكيف حال أى فانظر كيف حصل أى على أى وجه حدث تدميرنا لإياهم وإما خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبنية لما فى عاقبة مكرهم من الإيهام أى هى تدميرنا لإياهم (وقومهم) الذين لم يكونوا معهم فى مباشرة التبييت (أجمعين) بحيث لم يشذ منهم شاذ وإما تعليل لما ينبنى عنه الأمر بالنظر فى كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بمحذوف الجار أى لأننا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم وخبرها كيف كان فالأوجه حينئذ ان يكون قوله تعالى أنادمرناهم الخ تعليل لما ذكره وقرئ أنادمرناهم الخ بالكسر على الاستئناف . روى أنه كان لصالح عليه السلام مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث نفرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم فى مكانه ونجى صالحاً ومن معه وقيل جاءوا بالليل شاهرى سيوفهم وقد أرسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون رامياً (فذلك بيوتهم) جملة ٥٢ مقررلة لما قبلها وقوله تعالى (خاوية) أى خالية أو ساقطة متهدمة (بما ظلموا) أى بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الإشارة وقرئ خاوية بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف (إن فى ذلك) أى فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم (لآية) لعلرة عظيمة (لقوم يعلمون) أى ما من شأنه أن يعلم شيئاً من الأشياء أو لقوم يتصفون بالعلم (وأنجينا الذين آمنوا) صالحاً ومن معه من المؤمنين (وكانوا يتقون) ٥٣ أى الكفر والمعاصى اتقاء مستمر أفذلك خصوصاً بالنجاة (ولو طأ) منصوب بمضمر معطوف على أرسلنا ٥٤

أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ٢٧ النمل

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لُوطُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَبْتَطِهُرُونَ ﴿٥٦﴾ ٢٧ النمل

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ وَقَدَرْنَا نَهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ ٢٧ النمل

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٥٨﴾ ٢٧ النمل

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ٢٧ النمل

في صدر قصة صالح داخل معه في حيز القسم أى وأرسلنا لوطاً وقوله تعالى (إذ قال لقومه) ظرف للإرسال على أن المراد به أمر ممتد وقع فيه الإرسال وما جرى بينه وبين قومه من الأقوال والأحوال وقيل انتصاب لوطاً بإضمار اذكر وإذ بدل منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا أى وأنجينا لوطاً وهو بعيد (أتأتون الفاحشة) أى الفعل المتناهية في القبح والسماجة وقوله تعالى (وأنتم تبصرون) جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة لتأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ فإن تعاطى القبيح من العالم بقبحه أقبح وأشنع وتبصرون من بصر القلب أى أتفعلونها والحال أنكم تعلمون علماً يقينياً بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضهم من بعض لما كانوا يعلمون بها (أنكم لتأتون الرجال شهوة) تثنية للإنكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق النصريح وتحلية الجملة بمر في التأ كيد للإبذان بأن مضمونها بما لا يصدق وقوعه أحد لكال بعده من العقول وإيراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبح وتحقيق المباعدة بينها وبين الشهوة التى علل بها الإتيان (من دون النساء) متجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل الجاهلين بقبحه أو تجهلون العاقبة أو الجهل بمعنى السفاهة والمجون أى بل أنتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم في حيز الخطاب (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون) يتنزهون عن أفعالنا أو عن الأقدار ويعدون فعلنا قدراً وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه استنزهوا وقد مر في سورة الأعراف أن هذا الجواب هو الذى صدر عنهم في المرة الأخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالأمم والنهى لا أنه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها) أى قدرنا أنها (من الغابرين) أى الباقين في العذاب (وأمطرنا عليهم مطراً) غير معهود (فساء مطر المنذرين) قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) إثر ما قص الله تعالى على رسوله ﷺ قصص الأنبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وأخبارهم بالاطقة بكال قدرته تعالى وعظم شأنه وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة أقدارهم وصحة أخبارهم وبين على ألسنتهم حقبة الإسلام والتوحيد وبطلان الكفر والإشراك وأن من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن أعرض عنهم فقد تردى في مهاوى الردى وشرح صدره عليه الصلاة والسلام بما فى تضاعيف تلك

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ يَتَنَبَّهَاتِ بِهَاجَةٍ مَا كَانَ
لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾

٢٧ النمل

القصص من فنون المعارف الربانية ونور قلبه بأنوار الملكات السبعانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فخرى مانطق به قوله عز وجل وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم أمره عليه الصلاة والسلام بأن يحمده تعالى على ما أفاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع وراءها لطامع ولا مطمع من دونها لطامح ويسلم على كافة الأنبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه أخبارهم التي هي من جملة المعارف التي أوحيت إليه عليه الصلاة والسلام أداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين وقيل هو أمر للوط عليه السلام بأن يحمده تعالى على إهلاك كفره قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده (آله خير أما يشركون) أي آله الذي ذكرت شئونه العظيمة خيراً مما يشركونه به تعالى من الأصنام ومرجع التردد إلى التعريض بالتبكي الكفرة من جهته تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والنهك بهم لإذ من البين أن ليس فيما أشركوه به تعالى شائبة خير ما حتى يمكن أن يوازن بينه وبين من لا خير إلا خيره ولا إله غيره وقرىء تشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه إلى الكفرة وهو الالتيق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم وجعله من جملة القول المأمور به يأباه قوله تعالى فأنبتنا الخ فإنه صريح في أن التبكي من قبله عز وجل بالذات وحمله على أنه حكاية منه عليه الصلاة والسلام لما أمر به بعبادته كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم تعسف ظاهر من غير داع إليه وأم في قوله تعالى (أم من خلق السموات والأرض) منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراءة الأولى ٦٠ للإضراب والانتقال من التبكي تعريضاً إلى التصريح به خطاباً على وجه أظهر منه لمزيد التأكيد والتشديد وأما على القراءة الثانية فالتثنية التبكي وتكرير الإلزام كمنظورها الآتية والهمزة لتقريرهم أي حملهم على الإقرار بالحق على وجه الإضرار فإنه لا يتملك أحد ممن له أدنى تمييز ولا يقدر على أن لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وأفاض على كل منها ما يليق به من منافع من أخس تلك المخلوقات وأدناها بل بأن لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعاً ومن مبتدأ خبره محذوف مع أم المعادلة للهمزة تعويلاً على ما سبق في الاستفهام الأول خلا أن تشركون ههنا ابتداء الخطاب على القراءة الثانية معاً وههنا في المواضع الأربعة الآتية والمعنى بل أم من خلق قطري العالم الجسماني وههنا أي منافع ما بينهما (وأُنزل لكم) التفات إلى خطاب الكفرة على القراءة الأولى للتشديد والتبكي والإلزام أي أنزل لآجلكم ومنفعتكم (من السماء ماء) أي نوعاً منه هو المطر (فأنبتنا به حدائق) أي بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط (ذات بهجة) أي ذات حسن ورونق ينتهج به النظر (ما كان لكم) أي ما يمكن لكم (أن تنبتوا شجرها) فضلاهن ثمرها وسائر صفاتها البديعة خيراً مما تشركون وقرىء آمن بالتخفيف على أنه بدل من الله وتقديم صلتى الإنزال على مفعوله لما مر مراراً من التشويق إلى المؤخر والالتفات إلى التكلم في

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا
أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾

٢٧ النمل

قوله تعالى فأنبتنا لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والإبذان بأن إنبات تلك الحدائق المختلفة الأصناف والأوصاف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع ما لها من الحسن البارِع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه إلا هو وحده حسبما ينبغي عنه تقييدها بقوله تعالى ما كان لكم الخ سواء كانت صفة لها أو حالا وتوحيد وصفها الأول أعنى ذات بهجة لما أن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها (إله مع الله) أى إله آخر كائن مع الله الذى ذكر بعض أفعاله التى لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى فى العبادة وهذا تبكيت لهم بنفى الألوهية عما يشركونه به تعالى فى ضمن النفي الكلى على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفى الخيرية عنه بما ذكر من التردد فإن أحداً ممن له تمييز فى الجملة كما لا يقدر على إنكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على إنكار انتفاء الألوهية عنه رأساً لا سيما بعد ملاحظة انتفاء أحكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال فى المواقع الأربعة الآتية وقيل المراد نفي أن يكون معه تعالى إله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على أن التبكيت بنفس ذلك النفي فقط كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله بل بإشرافهم به تعالى فى العبادة ما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الألوهية كأنه قيل إله آخر مع الله فى خواص الألوهية حتى يجعل شريكاً له تعالى فى العبادة وقيل المعنى أغیره يقرن به ويجعل له شريكاً فى العبادة مع تفرد تعالى بالخلق والتكوين فالإنكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقيق المنكر دون النفي كما فى الوجهين السابقين والأول هو الأظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من إله والأوفى بحق المقام لإفادته نفي وجود إله آخر معه تعالى رأساً لا نفي معيته فى الخلق وفروعه فقط وقرئ آله بتوسيط مدة بين الهمزتين • وبإخراج الثانية بين بين وقرئ ألهاً بإضمار فعل يناسب المقام مثل أندعون أو أشركون (بل هم قوم يعدلون) لإضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب إلى بيان سوء حالهم وحكايتهم لغيرهم أى بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة فى كل أمر من الأمور فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذى هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذى هو الإشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الإفادة (أم من جعل الأرض قراراً) قيل هو بدل من أم من خلق السموات الخ وكنا ما بعده من الجمل الثلاث وحكم الكل واحد والأظهر أن كل واحدة منها لإضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها إلى التبكيت بوجه آخر أدخل فى الإلزام بحجة من الجهات أى جعلها بحيث يستقر عليها الإنسان والدواب بإيداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما تدور عليه منافعهم (وجعل خلاها) أو ساطها (أنهاراً) جارية ينتفعون بها

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا
مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

٢٧ النمل

أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ
تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

٢٧ النمل

- (وجعل لها رواسي) أى جبالاً ثوابت تمنعها أن تميد بأهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها
الينابيع ويتعلق بها من المصالح مالا يحصى (وجعل بين البحرين) أى العذب والمالح أو خليجى فارس
والروم (حاجزاً) برزخاً مانعاً من الممازجة وقد مر في سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلاثة الأخيرة
إبداعاً وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر مراراً من التشويق (أله مع الله) فى الوجود أو فى إبداع هذه
البدائع على ما مر (بل أكثرهم لا يعلمون) أى شيئاً من الأشياء. ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من
الشرك مع كمال ظهوره (أم من يجيب المضطر إذا دعاه) وهو الذى أحوجته شدة من الشدائد وألجأته إلى
اللجأ والضراعة إلى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذى هو افتعال من الضرورة وعن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما هو المجهود وعن السدى رحمه الله تعالى من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب
إذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم إجابة كل مضطر (ويكشف السوء) وهو الذى يعترى
الإنسان مما يسوءه (ويجعلكم خلفاء الأرض) أى خلفاء فيها بأن ورثكم سكنها والتصرف فيها عن
قبلكم من الأمم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط (أله مع الله) الذى يقبض على كافة الأنام هذه النعم
الجسام (قليلاً ما تذكرون) أى تذكر أقليلاً أو زماناً قليلاً تذكرون وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التى
أريد بها العدم أو ما يجرى مجراه فى الحقارة وعدم الجدوى وفى تذييل الكلام بنفى التذكر عنهم إيدان بأن
مضمونه مركوز فى ذهن كل ذكى وغبى وأنه من الواضح بحيث لا يتوقف إلا على التوجه إليه وتذكره
وقرى. تذكرون على الأصل وتذكرون ويذكرون بالثناء والياء مع الإدغام (أم من يهديكم فى ظلمات
البر والبحر) أى فى ظلمات الليالى فهما على أن الإضافة للملابسة أو فى مشتهات الطارق يقال طريقة ظلمات
وعصياء للئى لا منار بها (ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) وهى المطر ولئن صح أن السبب
الأكثرى فى تكون الريح معاودة الأذخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها للهواء
فلا ريب فى أن الأسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وجل والفاعل للسبب فاعل
للسبب قطعاً (أله مع الله) نفى لأن يكون معه إله آخر وقوله تعالى (تعالى الله عما يشركون) تقرير
وتحقيق له وإظهار الاسم الجليل فى موقع الإضمار للإشعار بعلو الحكم أى تعالى وتزه بذاته المنفردة
بالألوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهوراً
تحت قدرته عما يشركون أى عن وجود ما يشركونه به تعالى لا مطلقاً فإن وجوده بما لا مرد له بل عن

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾

٢٧ النمل

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾

٢٧ النمل

بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾

٢٧ النمل

- ٦٤ وجوده بعنوان كونه إلهاً وشريكاً له تعالى أو عن إشراكهم (أم من يبدأ الخلق ثم يعيده) أي بل أمن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث (ومن يرزقكم من السماء والأرض) أي بأسباب سماوية وأرضية قدرتها على ترتيب بديع تقضيه الحكمة التي عليها بنى أمر التكوين خير أم ما نشر كونه به في العبادة من جمل لا يتوهم قدرته على شيء ما أصلاً (إله) آخر موجود (مع الله) حتى يجعل شريكاً له في العبادة وقوله تعالى (قل هاتوا برهانكم) أمره عليه الصلاة والسلام بذبكيبتهم لإثربكيبت أي هاتوا برهاناً عقلياً أو نقلياً يدل على أن معه تعالى إلهاً لا على أن غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من أفعاله تعالى كما قيل فإنهم لا يدعونه صريحاً ولا يلزمون كونه من لوازم الألوهية وإن كان منها في الحقيقة فطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفي إضافة البرهان إلى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من إيهام أن لهم برهاناً وأن لهم ذلك (إن كنتم صادقين) أي في تلك الدعوى (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) بعدما حقق تفرد تعالى بالألوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقبه بذكر ماهو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلاً لما قبله وتمهيداً لما بعده من أمر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التيميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من أهل السموات والأرض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كأنه قيل إن كان الله تعالى بمن فيهما فقيهم من يعلم الغيب أو متصل على أن المراد بمن في السموات والأرض من تعلق عليه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فإن ذلك معنى مجازى عام له تعالى ولأولى العلم من خلقه ومن موصولة أو موصوفة (وما يشعرون أيان يبعثون) أي متى ينشرون من القبور مع كونه مما لا بد لهم منه ومن أهم الأمور عندهم وأيان مركبة من أي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وإن كان عدم الشعور بما ذكر عاماً لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ماسياني من الضمائر الخاصة بهم قطعاً وقيل الكل لمن وإسناد خواص الكفرة إلى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم (بل أدرك عليهم في الآخرة) لما نفي عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ماهو مصيرهم لآماله بواغ في تأكيدهم وتقريره بأن أضر به عنه وبين أنهم في جهل الخش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون أحوال الآخرة مطلقاً مع تعاضد أسباب معرفتها على أن معنى أدرك عليهم في الآخرة تدارك وتتابع علمهم في شأن الآخرة التي ما ذكر من البعث حال من أحوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعاً لكن لا على معنى أنه

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾

كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئاً فشيئاً بل على طريقة المجاز بتنزيل أسباب العلم ومبادئه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه وإجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلها لاحظوها مجرى تنابها إلى الانقطاع ثم أضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها إلى بيان ما هو أسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل (بل هم في شك منها) أى في شك مرئى من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في * أمر لا يجد عليه دليلاً فضلاً عن الأمور التي ستقع فيها ثم أضرب عن ذلك إلى بيان أن ما هم فيه أشد وأفظع من الشك حيث قيل (بل هم منها عمون) بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم * بالسكبة وقرئ بل أدرك علمهم بمعنى انتهى وفقى وقد فسر الحسن البصري باضمحل علمهم وقيل كلنا الصيغتين على معنهما الظاهر أى تكامل واستحكم أو تم أسباب علمهم بأن القيامة كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمسكوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك وقوله تعالى بل هم في شك منها لإضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل إلى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون لإضراب من وصفهم بالشك إلى وصفهم بما هو أشد منه وأفظع من العمى وأنت خير بأن تنزيل أسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوكة لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهمك بهم فيكون وصفهم بالجهل مبالغة والإضرابان على ما ذكرنا أصل ادراك تدارك وبه قرأ أبى فابديك التاء دالا وسكنت فتعذر الابداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادراك وقرئ بل ادرك وأصله افتعل وبل أدرك بهمزتين وبل أدرك بالالف بينهما وبل ادرك بالانخفيف والنقل وبل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل ادرك على الاستفهام وبل ادرك وبل أدرك وأم تدارك وأم ادرك فهذه ثلثة عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فهو إنكار ونفى وما فيه بلى فإثبات لشعورهم وتفسير له بالإدراك على وجه التهمك الذى هو أبلغ وجوه النفي والإنكار وما بعده إضراب عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها بل أنهم منها عمون أورد وإنكار لشعورهم (وقال الذين كفروا) بيان لجهلهم بالآخرة وعمهم منها بحكاية إنكارهم للبعث ووضع الموصول ٦٧ موضع ضميرهم لدمهم بما في حيز صلاته والإشعار بعلو حكمهم الباطل في قولهم (أنذا كنا تراباً وأبائنا أنما لمخرجون) أى أنخرج من القبور إذا كنا تراباً كما ينهى عنه مخرجون ولا مساغ لأن يكون هو العامل في إذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها الكفى في المنع وتقييد الإخراج بوقت كونهم تراباً ليس لتخصيص الإنكار بالإخراج حينئذ فقط فإنهم منسكرون للإحياء بعد الموت مطلقاً وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الإنكار بتوجيهه إلى الإخراج في حالة منافية له وقوله تعالى وأبائنا عطف على اسم كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتأكيد وتكرير الهمزة في أننا للمبالغة والتشديد في الإنكار وتحلية الجملة بأن واللام لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فإن تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأى الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا لإنكار التعقيب كما هو المشهور

٢٧ النمل

لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾

٢٧ النمل

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾

٢٧ النمل

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

٢٧ النمل

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾

٢٧ النمل

قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾

٢٧ النمل

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

- ٦٨ وقرئ إذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ إنا نخرجون على الخبر (لقد وعدنا هذا) أى الإخراج (نحن وآباؤنا من قبل) أى من قبل وعده عليه الصلاة والسلام وتقديم الموعود على نحن لأنه المقصود بالذكر وحيث آخر قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الإنكار وتصديرها بالقسم لزيد التأكيد وقوله تعالى (إن هذا إلا أساطير الأولين) تقرير لآخر تقرير (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) بسبب تكذيبهم للرسل عليهم الصلاة والسلام فيما دعواهم إليه من الإيمان بالله عز وجل وحده وبالיום الآخر الذى تنكرونه فإن في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لأولى الأبصار وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم (ولا تحزن عليهم) لإصرارهم على الكفر والتكذيب (ولا تكن ضيق) في حرج صدر (نما يَمْكُرُونَ) من مكرهم فإن الله تعالى يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهو أيضاً مصدر ويجوز أن يكون المفتوح مخففاً من ضيق وقد قرئ كذلك أى لا تكن في أمر ضيق (ويقولون متى هذا الوعد) أى العذاب العاجل الموعود (إن كنتم صادقين) فى إخباركم بإتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين فى الإخبار بذلك (قل عسى أن يكون ردف لكم) أى تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد كالباء فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أو الفعل مضمن معنى فعل يمدى باللام وقرئ بفتح الدال وهى لغة فيه (بعض الذى تستعجلون) وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف فى مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وإنما يطلقونها لإظهار اللوقار وإشعاراً بأن الرمز من أمثالهم كالتهريج من عدام وعلى ذلك مجرى وعد الله تعالى ووعيده وإيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال عسى أن يردفكم الخ لكونه أدل على تحقق الوعد (وإن ربك لذو فضل على الناس) أى لذو أفضال وإنعام على كافة الناس ومن جملة إنعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصى التى من جملتها استعجال العذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بهم لهم وقوعه كدأب هؤلاء.

- وَأَنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ النمل ٢٧
- وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ النمل ٢٧
- إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ النمل ٢٧
- وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ النمل ٢٧
- إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ النمل ٢٧
- فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ النمل ٢٧
- إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الْقُصُوفَ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ النمل ٢٧

- ٧٤ (وإن ربك ليعلم ما تكمن صدورهم) أى ما تخفيه وقرىء بفتح التاء من كنهت الشيء إذا سترته (وما يعلنون) من الأفعال والأقوال التى من جملتها ما حكى عنهم من استعجال العذاب وفيه إيدان بأن لهم قبائح غير ما يظهرونه وأنه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قدم سره فى سورة البقرة عند قوله تعالى
- ٧٥ أولاً يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون (وما من غائبة فى السماء والأرض) أى من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء للبالغة كما فى الرواية أو اسمان لما يغيب ويخفى والتاء للنقل إلى الاسمية (إلا فى كتاب مبين) أى بين أو مبين لما فيه لمن يطالعوه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق
- ٧٦ الاستعارة (إن هذا القرآن يفض على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) من جملته ما اختلفوا فى شأن المسيح وتحزبوا فيه أحزاباً وركبوا متن العتو والغلو فى الإفراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكد فى أشياء حتى بلغ المشاقة إلى حيث لعن بعضهم بعضاً وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الأمر
- ٧٧ لو كانوا فى حيز الإنصاف (وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين) على الإطلاق فيدخل فيهم من آمن من بنى إسرائيل
- ٧٨ دخولا أولياً (إن ربك يقضى بينهم) أى بين بنى إسرائيل (بحكمه) بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته ويؤيده أنه قرىء بحكمه (وهو العزيز) فلا يرد حكمه وقضاؤه (العليم) بجميع الأشياء التى من جملتها ما يقضى به والفاء فى قوله تعالى (فتوكل على الله) لترتيب الأمر على ما ذكر من شئونه عز وجل فإنها
- ٧٩ موجبة للتوكل عليه وداعية إلى الأمر به أى فتوكل على الله الذى هذا شأنه فإنه موجب على كل أحد أن يتوكل عليه ويفوض جميع أموره إليه وقوله تعالى (إنك على الحق المبين) تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه عليه الصلاة والسلام على الحق البين أو الفاصل بينه وبين الباطل أو بين الحق والمبطل فإن كونه عليه الصلاة والسلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرتة وتأيدته لا محالة وقوله تعالى (إنك
- ٨٠

وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِعَايِنَتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ٢٧ النمل
وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِعَايِنَتِنَا
لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ٢٧ النمل

لا تسمع الموتى (الح تعليل آخر للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل إلى الله تعالى وتفويض الأمر إليه والإعراض عن التشبث بما سواه وقد علل أولاً بما يوجهه من جهة تعالى أغنى قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانياً بما يوجهه من جهة عليه الصلاة والسلام على أحد الوجهين أغنى كونه عليه الصلاة والسلام على الحق ومن جهة تعالى على الوجه الآخر أغنى إعانتة تعالى وتأيدده بالحق ثم علل ثالثاً بما يوجهه لكن لا بالذات بل بواسطة إيجابه للإعراض عن التشبث بما سواه تعالى فإن كونهم كالموتى والصم والعمى موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأساً وداع إلى تخصيص الاعتصاف به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وإنما شبهوا بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من القوارع وإطلاق الإسماع عن المفحول إيمان عدم سماعهم لشيء من المسموعات ولعل المراد تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فإن القلب مشعر من المشاعر أشير إلى بطلانه بالمرّة ثم بين بطلان مشعري الأذن والعين كافي قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولا فبعد تشبيه أنفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمى مز يد مزبة (ولا تسمع الصم الدعاء) أى الدعوة إلى أمر من الأمور وتقييد النفي بقوله تعالى (إذا ولوا مدبرين) لتكميل التشبيه وتأكيده النفي فإنهم مع صممهم عن الدعاء إلى الحق معرضون عن الداعى مولون على أديارهم ولا ريب فى أن الأصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعى بمقابلة صماخه قريباً منه فكيف إذا كان خلفه بعيداً منه وقرىء ولا يسمع الصم الدعاء (وما أنت بهادى العمى عن ضلالهم) هداية موصلة إلى المطلوب كما فى قوله تعالى إنك لا تهدى من أحببت فإن الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمينه معنى الصرف وقيل بالعمى يقال عمى عن كذا وفيه بعد وإيراد الجملة الاسمية للبالغة فى نفي الهداية وقرىء وما أنت تهدى العمى (إن تسمع) أى ما تسمع سماعاً يجدى السامع نفعاً (إلا من يؤمن بآياتنا) أى من شأنهم الإيمان بها وإيراد الإسماع فى النفي والإثبات دون الهداية مع قربها بأن يقال إن تهدى إلا من يؤمن إلخ لما أن طريق الهداية هو إسماع الآيات التنزيلية (فهم مسلمون) تعليل لإيمانهم بها كأنه قيل فإنهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله (وإذا وقع القول عليهم) بيان لما أشير إليه بقوله تعالى بعض الذى تستعجلون من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومبادئها والمراد بالقول ما نطق من الآيات الكريمة بمجيء الساعة وما فيها من فنون الأحوال التى كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للإيضاح بشدة وقعها وتأثيرها وإسناده إلى القول لما أن المراد بيان وقوعها من حيث إنها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد أريد بالوقوع دنوه واقتربه كما فى قوله تعالى أتى أمر الله أى إذا دنا وقوع مدلول القول

المذكور الذي لا يكادون يسمعون له ومصدقه (أخرجنا لهم دابة من الأرض) وهي الجساسة وفي التعبير عنها باسم الجنس وتأكيدهما بالتنبؤ والتفخييم من الدلالة على غرابة شأنها وخروج أوصافها عن طور البيان مالا يخفى وقد ورد في الحديث أن طولها ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى أن لها أربع قوائم ولها زغب وریش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخالصة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقي خلقها خلق الطير وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير إلى أنه رجل والمشهور أنها دابة وروى لا تخرج إلا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه فيها كل لون ما بين قرنهما فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام وعن علي رضي الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم إلا ثلثها وعن النبي ﷺ أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروى أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تتكئ ثم تخرج بالبادية ثم تتكئ دهر أطول يلاقيها الناس في أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فمأهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروى ينعاسي عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسمى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتسكت نكتة يبضاء فتنفشو حتى يضيء لها وجهه وتسكت بين عينيها مؤمن وتسكت الكافر بالخاتم في أنفه فتنفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتسكت بين عينيها كافر ثم تقول لهم أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال إن الدابة لتسمع قرع عصا هذه وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال بنس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثاً قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعه من بين الحافقين فتتكلم بالعربية بلسان ذلك وذلك قوله تعالى (تكلمهم أن الناس كانوا أباياتنا لا يوقنون) أي تكلمهم بأنهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها أو بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات وقيل بآياته التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة والأول هو الحق كما ستحيط به علماً وقرئ بأن الناس الآية وإضافة الآيات إلى نون العظمة لأنها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لالعين عبارتها وقيل لأنها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لا اختصاصاً به تعالى وإثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وإنما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف أي بآيات ربنا ووصفهم بعدم الإيقان بها مع أنهم كانوا جاحدين بها للإيذان بأنه كان من حقهم أن يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ إن الناس بالسكسر على إضمار القول أو لإجراء الكلام مجراه والكلام في الإضافة كالذي سبق وقيل هو استئناف مسوق من جهته تعالى لتعليل إخراجها أو تكليمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ ٢٧ النمل

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلَّأَ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ٢٧ النمل

وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ٢٧ النمل

فإنه صريح في كونه حكاية لعدم إيقانهم السابق في الدنيا والمراد بالناس إما الكفرة على الإطلاق أو مشركو مكة وقد روى عن وهب أنها تخبر كل من تراه أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرىء تكلمهم من الكلام الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة أيضاً منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً) بيان لإجمالى لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مبادئها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي ﷺ والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلى الشامل لكافة الخلق وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مراراً أى واذكر لهم وقت حشرنا أى جمعنا من كل أمة من أمم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو من أهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعضية لأن كل أمة منقسمة إلى مصدق ومكذب وقوله تعالى (من يكذب بآياتنا) بيان للفوج أى فوجاً مكذبين بها (فهم يوزعون) أى يحبس أو لمهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجمعوا في موقف التوبيخ والمنافشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد أطرافهم ما لا يخفى وعن ابن عباس رضى الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار (حتى إذا جاءوا) إلى موقف السؤال والجواب والمنافشة والحساب (قال) أى الله عز وجل موضحاً لهم على التكذيب والاتلفات لتربية المهابة (أكذبتهم بآياتي) الناطقة بلفظه يومكم هذا وقوله تعالى (ولم تحيطوا بها علماً) جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للإنكار والتوبيخ أى أكذبتهم بها بآياتي غير ناظرين فيها نظر أى أدى إلى العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق حتماً وهذا نص في أن المراد بالآيات فيها سلف في الموضعين هى الآيات القرآنية لأنها هى المنظوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التى لم يحيطوا بها علماً مع وجوب أن يتأملوا ويتدبروا فيها لا نفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتهم أى أجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر بها (أم ماذا كنتم تعملون) أى أم أى شئ كنتم تعملون بها أو أم أى شئ كنتم تعملون غير ذلك بمعنى أنه لم يكن لهم عمل غير ذلك كأنهم لم يخلعوا إلا للكفر والمعاصي مع أنهم ما خلقوا إلا للإيمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكياً ثم يكون في النار وذلك قوله تعالى (ووقع القول عليهم) أى حل بهم العذاب الذى هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله (بما ظلموا) بسبب ظلمهم الذى هو تكذيبهم بآيات الله (فهم لا ينطقون) لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم .

الرَّيْرُو أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ ٢٧ النمل
وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ
أُنْتَاهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ٢٧ النمل

- ٨٦ (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) الرؤية قلبية لا بصرية لأن نفس الليل والنهار وإن كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات أى ألم يعلموا أنا جعلنا الليل بما فيه من الإظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار (والنهار مبصراً) أى ليبصروا بما فيه من الإضاءة طرق القلب في أمور المعاش فبواغ فيه حيث جعل الإبصار الذى هو حال الناس حالاً له ووصفاً من أوصافه التى جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك فى الليل هذا المسلك لما أن تأثير ظلام الليل فى السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار فى الإبصار (إن فى ذلك) أى فى جعلهما كما وصفاً وما فى اسم الإشارة من معنى البعد للإشعار ببعد درجته فى الفضل (آيات) أى عظيمة كثيرة (لقوم يؤمنون) دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وأن من تأمل فى تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بدعية مبنية على حكم رائفة تحار فى فهمها العقول ولا يحيط بها إلا الله عز وجل وشاهد فى الأفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للدموت بضياء النهار المضاهى للحياة وعان فى نفسه تبدل النوم الذى هو أخو الموت بالانتباه الذى هو مثل الحياة قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور قضاء متقناً وجزم بأنه تعالى قد جعل هذا أنموذجاً له ودليلاً يستدل به على تحققه وأن الآيات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار برهاناً عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى (ويوم ينفخ فى الصور) إما معطوف على يوم نحشر منصوب ٨٧ بتناسبه أو بمضمرة معطوف عليه والصور هو القرن الذى ينفخ فيه لإسرافيل عليه السلام . عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبق عندها فى الحياة أحد غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبق معها ميت إلا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون والذى يستدعيه سباق النظم الكريم وسياقه أن المراد بالنفخ ههنا النفخة الثانية وبالفزع فى قوله تعالى (ففزع من فى السموات ومن فى الأرض) ما يعترى السكل عند البعث والنشور به شهادة الأمور الهائلة الخارقة للعادات فى الأنفس والأفاق من الرعب والتهيب الضرورى بين الجبلين وإيراد صيغة الماضى مع كون المعطوف عليه أعنى نفخ مضارعاً للدلالة على تحقق وقوعه إثر النفخ ولعل تأخير بيان الأحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل أمة لتثنية التهويل بتكرير التذكير إيداناً بأن كل واحد منهما

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ
بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٧﴾

٢٧ النمل

طامة كبرى وداهية دهباء حقيقة بالتذكير على حيالها ولوروعى الترتيب الوقوعى لربما توهم أن الكل
داهية واحدة قد أمر بذكرها كما مرفى قصة البقرة (إلا من شاء الله) أى أن لا يفزع قبل هم جبريل
وميكايل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقبل الحور والحزنة وحملة العرش (وكل) أى كل واحد
من المبعوثين عند النفخة (أتوه) حضروا الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب
والمنافشة والحساب وقرى، أتاه باعتبار لفظ الكل كما أن القراءة الأولى باعتبار معناه وقرى، أتوه أى
حاضروه (داخرين) أى صاغرين وقرى، دخرين وقوله تعالى (وترى الجبال) عطف على بنفخ داخل
٨٨ في حكم التذكير وقوله عز وجل (تحسبها جامدة) أى ثابتة فى أما كتبها إما بدل منه أو حال من ضمير
ترى أو من مفعوله وقوله تعالى (وهي تمر مر السحاب) حال من ضمير الجبال فى تحسبها أو فى جامدة أى
تراها رأت العين ساكنة والحال أنها تمر مر السحاب التى تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك أن الأجرام
العظام إذا تحركت نحر سميت لا تكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال [بار عن مثل الطود تحسب أنهم *
وقوف لحاج والركاب تهمليج] وقد أدمج فى هذا التشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تداخل الأجزاء
وانتفاشها كما فى قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا أيضاً مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر
الخلق بيد الله عز وجل الأرض غير الأرض ويغير هيأتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من
الهيئة المائلة ليشاهدها أهل المحشروهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لكن تسيرها وتسوية
الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً
فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير
الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعى الذى هو إسرافيل عليه السلام وبروز
الخلق لله تعالى لا يكون إلا بعد النفخة الثانية وقد قالوا فى تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى
الأرض بارزة وحشرناهم أن صيغة الماضى فى المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلاً للدلالة على تقدم
الحشر على التسير والرؤية كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل إن المراد من النفخة الأولى والفزع
هو الذى يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما فى قوله تعالى فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض الآية
فيختص أثرها بما كان حياً عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الأمم وجوز أن يراد بالإتيان داخرين
رجوعهم إلى أمره تعالى وانقيادهم له ولا ريب فى أن ذلك مما ينبغى أن ينزهه ساحة التنزيل عن أمثاله وأبعد
من هذا ما قيل إن المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التى تكون قبل نفخة الصعق وهى التى أريدت بقوله تعالى
ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون
سراباً وترج الأرض بأهلها رجاً فتكون كالسفينة الموثقة فى البحر أو كالقنديل المعلق ترججه الأرواح

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ النمل ٢٧

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ النمل ٢٧

فإنه لما لا ارتباط له بالمقام قطعاً والحق الذي لا يحيد عنه ما قدمناه وما هو نص في الباب ما سيأتي من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون (صنع الله) مصدر مؤكد لضمون ما قبله أي صنع الله ذلك صنفاً على أنه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعاً قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الأفاعيل وتهويل أمرها والإيدان بأنها ليست بطريق لإخلال نظام العالم وإفساد أحوال الكائنات بالكلية من غير أن يدعو إليها داعية أو يكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على أساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لا جملها ترتب مقدمات الخلق ومبادئ الإبداع على الوجه المتين والهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى (الذي أتقن كل شيء) أي أحكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى (إنه خير بما تفعلون) تعليل لكون ما ذكر صنفاً محكماً تعالى ببيان أن عمله تعالى بظواهر أفعال المكلفين وبواطنها بما يدعو إلى إظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسوء وترتيب أجزائها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والأرض والجبال على وفق ما نطق به التبريل ليتحققوا بمشاهدة ذلك أن وعد حق لا ريب فيه وقرىء خير بما يفعلون وقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها) بيان لما أشير إليه ٨٩ بإحاطة عمله تعالى بأفعالهم من ترتيب أجزائها عليها أي من جاء منكم أو من أولئك الذين أتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها إما باعتبار أنه أضعافاً أو إما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جمعتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحسنة كلبة الشهادة (وهم) أي الذين جاموا بالحسنات (من فزع) أي عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر وعن الحسن رحمه الله تعالى حين يؤمر بالعباد إلى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي بأهل الجنة خلود فلا موت وبأهل النار خلود فلا موت (يومئذ) أي يوم النفخ في الصور (آمنون) لا يعترهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره أصلاً وأما الفزع الذي يعترى كل من في السموات ومن في الأرض غير من استثناه الله تعالى فإنما هو التهييب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والأحوال ولا يكاد يخلو منه أحد بحكم الجبلية وإن كان آمناً من لحوق الضرر والأمن يستعمل بالجار وبدونه كما في قوله تعالى أفأمنوا مكر الله وقرىء من فزع يومئذ بالإضافة مع كسر الميم وفتحها أيضاً والمراد هو الفزع المذكور في القراءة الأولى لا جميع الأفراع الحاصلة يومئذ ومدار الإضافة كونه أعظم الأفراع وأكبرها كأن ماعده ليس بفزع بالنسبة إليه (ومن جاء بالسينة) قيل هو الشرك (فكبت وجوههم في النار) أي كبوا فيها على ٩٠ وجوههم منكوسين أو كبت فيها أنفسهم على طريقة ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) على الانتفات للتنديد أو على إضمار القول أي مقولاً لهم ذلك .

إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٧﴾

٢٧ النمل

وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمِنْ أُمَّتِي إِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ
الْمُنذِرِينَ ﴿٢٨﴾

٢٨ النمل

- ٩١ (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها) أمر ﷺ أن يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم أحوال
المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيامة تنبيهاً لهم على أنه قد أتم أمر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له ﷺ
بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله عز وجل والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا أم رشدوا
صلحوا أو فسدوا ليحملهم ذلك على أن يهتموا بأمور أنفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتناهم ﷺ بأمر
دعوتهم أنه ﷺ يظهر لهم ما يلجئهم إلى الإيمان لا محالة ويستغلوا بتدارك أحوالهم ويتوجهوا نحو التدرج
فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالإضافة لتفخيم شأنها وإجلال مكانها
والتعرض لتحريمه تعالى إياها تشریف لها بعد تشریف وتعظيم لإثر تعظيم مع ما فيه من الإشعار بعلّة
الأمر وموجب الامتثال به كما في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من
خوف ومن الرمز إلى غاية شناعة ما فعلوا فيها ألا يرى أنهم مع كونها محرمة من أن تنتهك حرمتها باختلاء
خلالها وعسد شجرها وتنغير صيدها وإرادة الإلحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي
أجر أفراد الفجور وأشنع آحاد الإلحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الأوثان وعكفوا على
عبادتها قاتلهم الله أنى يؤفكون وقرىء حرّمها بالتخفيف وقوله تعالى (وله كل شيء) أى خلقاً وملكا
وتصرفاً من غير أن يشاركه شيء في شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على أن أفراد مكة بالإضافة لما ذكر
من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات (وأمرت أن أكون من المسلمين) أى أثبت
على ما كنت عليه من كوني من جملة الثابتين على ملة الإسلام والتوحيد أى الذين أسلموا وجوههم لله
٩٢ خالصة من قوله تعالى ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله (وأن أتلوا القرآن) أى أواظب على تلاوته
لتنكشف لي حقائقه الرائعة المخزونة في تضاعيفه شيئاً فشيئاً أو على تلاوته على الناس بطريق تكرير
الدعوة ونثية الإرشاد فيكون ذلك تنبيهاً على كفايته في الهداية والإرشاد من غير حاجة إلى إظهار
معجزة أخرى فعنى قوله تعالى (فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه) حينئذ فمن اهتدى بالإيمان به والعمل
بما فيه من الشرائع والأحكام وعلى الأول فمن اهتدى باتباعه إياي فيما ذكر من العبادة والإسلام وتلاوة
القرآن فإنما منافع اهتدائه عائدة إليه لا إلى (ومن ضل) بالكفر به والإعراض عن العمل بما فيه أو
بمخالفتي فيما ذكر (فقل) في حقه (إنما أنا من المنذرين) وقد خرجت عن عمدة الإنذار فليس على من
وبال ضلاله شيء وإنما هو عليه فقط .

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِ يَكْرَهُ آيَتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ٢٧ النمل

(وقل الحمد لله) أى على ما أفاض على من نعمائه التى أجملها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ٩٣ ووفقى لتحمل أعبائها وتبلغ أحكامها إلى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى (سير يكم آياته) من جملة الكلام المأمور به أى سير يكم البتة فى الدنيا آياته الباهرة التى نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الأشراف وقد عد منها وقعة بدر وبأباه قوله تعالى (فتعرفونها) أى فتعرفون أنها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة لأنهم لا يعرفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سير يكم فى الآخرة وقوله تعالى (وما ربك بغافل عما تعملون) كلام مسوق من جمته تعالى بطريق التذليل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبىء عنه إضافة الرب إلى ضمير النبى ﷺ وتخصيص الخطاب أولاً به ﷺ وتميمه ثانياً للكفرة تغليباً أى وما ربك بغافل عما تعمل أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيئات فيجازى كلا منكم بعمله لا محالة وقرىء عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن أعمالهم فسيعذبهم البتة فلا يحسبوا أن تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن أعمالهم الموجبة له والله تعالى أعلم . عن النبى ﷺ من قرأ سورة طس كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وهود وصالح وإبراهيم وشعيب عليهم الصلاة والسلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادى لا إله إلا الله .

(تم بحمد الله الجزء السادس ويليه الجزء السابع وأوله سورة القصص)

فهرست

الجزء السادس من تفسير قاضى القضاة أبى السعود

صفحة	صفحة
١٦٤ قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا الآية	(سورة طه)
١٧٥ د د الله نور السموات والأرض د	٢ قوله تعالى : طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى .
١٨٨ د د وأقسموا بالله جهد أيمانهم د	٢٢ د د منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية .
(سورة الفرقان)	٢٣ د د وما أمجلك عن قومك يا موسى .
٢٠٠ قوله تعالى : تبارك الذى نزل الفرقان الآية	٤٣ د د وعنت الوجوه للحى القيوم الآية .
[الجزء التاسع عشر]	(سورة الأنبياء - الجزء السابع عشر)
٢١٠ قوله تعالى : وقال الذين لا يرجون لقاءنا الآية	٥٣ قوله تعالى : اقرب للناس حسابهم الآية
٢٢٥ د د وهو الذى مرج البحرين د	٦٤ د د ومن يقل منهم إني إله
(سورة الشعراء)	٧٢ د د ولقد آتينا إبراهيم رشده د
٢٢٣ قوله تعالى : طسم تلك آيات الكتاب المبين .	٨١ د د وأيوب إذ نادى ربه د
٢٤٤ د د وأوحينا إلى موسى الآية	(سورة الحج)
٢٥٤ د د قالوا أنؤمن لك د	٩١ قوله تعالى : يا أيها الناس اتقوا ربكم الآية
٢٦٢ د د أوفوا الكيل ولا تكونوا د	١٠١ د د هذان خصمان اختصموا فى ربهم د
(سورة النمل)	١٠٨ د د إن الله يدافع عن الذين آمنوا د
٢٧١ قوله تعالى : طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين .	١١٦ د د ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به د
٢٨٢ د د قال سننظر أصدقت الآية .	(سورة المؤمنون - الجزء الثامن عشر)
[الجزء العشرون]	١٢٣ قوله تعالى : قد أفلح المؤمنون .
٢٩٢ قوله تعالى : فما كان جواب قومه الآية	١٣٤ د د هيات هيات لما توعدون .
٣٠٠ د د وإذا وقع القول عليهم أخرجنا د	١٤٥ د د ولو رحمنهم الآية .
(تم الفهرست)	(سورة النور)
	١٥٥ قوله تعالى : سورة أنزلناها وفرضاها الآية .